

رواية

الفرسان الثلاثة

﴿ اربعة اجزاء ﴾

رجع ما انقطع — عودته على بدء جزء اول — عودته على بدء جزء ثاني

الجزء الاول

وتعريب

تأليف

فقيه النظم والنثر

الروائي الشهير

المرحوم الشيخ نجيب الحداد

اسكندر دومان الكبير

﴿ طبعة ثالثة ﴾

على نفقة

مترى زيدان

مطبعة الهلال بالقاهرة بمصر

سنة ١٩١٣

بِسْمِ اللَّهِ الْفَتْاحِ

اما بعد فان فن الروايات من افضل ما سُئل به فتیان هذا العصر واحسن ماسعوا له وحثوا اليه الهمم وصرفوا عليه الاوقات لا كتفاء اللغة بغيره من كتب الصرف والنحو وعلوم الادب مما ابرزه علامؤها واثمها فابدعوا فيه غاية الابداع وبلغوا حد الاعجاز حتى لم يتركوا بعده مقالا لغيرهم ولم يقصروا به عن شأو يطمع فيه من بعدهم الا اذا كان من قبيل المقامات والشعر والرسائل وهو ما لا يكاد يبلغه كل من له قدرة على ترجمة رواية او تعريب قصة ، ولقلة مصنفات هذا الفن في لغتنا العربية واقتصار الكثير منها على احاديث متقطعة ونوادير مقتضبة تورد لشاهد او مثل او نكتة او ماجرى مجراها بحيث لا يكون منها قصة وافية بالمطلوب جامعة ما يقصد في فن الروايات من تهذيب النفوس وترويض الاخلاق وهي كتب كثيرة كالمقد الفريد وزهر الآداب والاغاني وغيرها مما يراد به جمع النكات ويقصد فيه الى تدوين الغرائب والامثال وضروب البلاغة ومخارجها فيرد المثل في عرض الحكاية وتدخل النكتة في خلال القصة ومنها ما يراد به الاعجاز والابداع في مدح الشيء وذمه توسعاً في الكلام واقتداراً على المعاني وهو ما لا يؤثر شيئاً في الاخلاق كما توهم بعض مترجمي هذا العصر وانما يورد تفكها للخواطر وبيانا لسعة ادراك ناظمه وطول باعه في الاختراع حتى يهجن الحسن ويحسن القبيح ولا دخل له في مقامات الروايات والسير التي يقصد بها النفع وتوخي منها الفائدة للخاصة والعامه. ولذلك فقد غيب بتعريب هذه الرواية عن اللغة الفرنسية متعرياً ما وسعته الطاقة وبلغ اليه الخاطر الكليل من مجارة اللغة العربية ومراعاة ضروب التعبير فيها ومقام الاحاديث في قصصها من اسقاط ما يختلف به الافرنج عنا في استحسانه او استهجانه وبيابنونا فيه من حيث الفصاحة والركاكة والحسن والقبيح والملائمة والتنافر ونحوها وانا اعلم ان ذلك تهجم مني على المؤلف رحمه الله في اسقاط بعض كلامه وايجاز بعضه ولكني لم اجر هذا المجرى ولم اعتقد هذه الخطة الابجارية للغة واسترسالاً مع نسقها بحيث يغتفر لي في جانب مراعاتها ما يؤخذ علي في الاخلال بالاصل ولعل امرى في ذلك يحمل بعضه بعضاً واخلص منه لا علي ولا يا وانا ارجو من ارباب اللغتين ان يغضوا الطرف عما يروته من الزلل ويغفروا ما يمترون عليه من الخلل والله المستعان على ما به الهداية وقصد السبيل واياه نستوهب العصمة وهو حسبنا ونعم الوكيل ما

نجيب الحداد

الفصل الاول

- المقدمة -

في اليوم الاول من شهر نيسان سنة ١٦٢٥ كانت قصة مقاطعة مينك في هياج واضطراب كلها في فتنه ورجالها تتسابق الى فندق فيها كلها تسعى الى امر ذي بال والنساء بين ذلك يركضن والولدان يكون والهياج عام في البلد . وكانت فرنسا في ذلك العهد مقر الفتن وميدان الحروب مهاجم امراؤها بعضهم بعضاً ويحارب ملكها الاندلسيين وتمعدو اللصوص على السابلة فتسلبهم بحيث كان الرجل لا يفارق سيفه ولا ينزع لامته وكان من امر ذلك ان فتى يدعى الكونت دارتانيان دعا به ابوه في ذلك اليوم فسلمه فرساً له وقال له يا بني هذا فرسي وضعت له امه في فئائي فاحتفظ به ولا تهمل امره فانها الجياد في ظهورها العز وعلى صهولتها المجد وفيها لحاق للطالب ونجاة للهارب والخيل معقود بنواصيها الخير . ثم اذا اتيت دار الملك وانت ذو حق في اتيانه لسمو منزلتك من الشرف ومكانك من الفخر وعراقة اجدادك في النبل من نيف وخمسةائة سنة فلا تخفض جناحك الا للكردينال والملك ولا ترهب غيرها فان الرجل اليوم لا يأمن طريقه الا بالشجاعة والاقدام والصبر على المكاره وانت حريٌّ بذلك لقدم اصلك في بلاد الفسقون وهم شجعان الناس واحلاس الخيل واتسلسلك من آباء كرام آخرهم انا . واني قد القيت حبلك على غاربك ووكلتك الى نفسك فاذهب لا ترهبك النوايب ولا يقعد بك المعجز عن استفراض الفرص فاقد اصبحت بريء الذمة منك واضح وجه العذرفيك اذ قد علمتك انواع الحرب وركوب الخيل وتركت لك لامة جلاد لا ينقصها شيء من المدة وهذا القدر اليسير من المال وهذه الرسالة تعطيا الى صديق لي في قصر اللوفر يدعى دي تريفييل وهو سيد رفيع المنزلة وافر الثروة مسموع الكلمة يتحامي جانبه الكردينال نفسه الذي لا يرهب احداً فسر على بركات الله واحتفظ بوصاتي لك والله يكلاك ويرعاك ثم قبله وصرفه فخرج فاصاب امه في فناء الدار فانعطفت عليه تقبله وتبكي لفراقه ثم اعطته مرهماً يسرع في برء الجراح فخرج من عندها فركب فرسه وسار تستحبه العزة

وتحدوه النخوة والشباب حتى انتهى الى المدينة التي ذكرناها فترجل عن جواده لدى احد الفنادق وتقدم فرأى نافذة فيها رجل طويل القامة حسن الملبس يخاطب رجلين كانا معه وينظر اليه فظن انهم يعنونه في كلامهم فدنا منهم وانصت اليهم فسمعهم يذكرون فرسه ويضحكون منه فهاجه ذلك وجعل ينظر في الرجل نظرة المغيظ المحقق والرجل يستغرب في الضحك حتى لم يعد في الشاب مجال للسكوت والصبر فاقترب من النافذة وقد رانت عليه الحدة وقبض على سيفه وقال للرجل ما بالك تضحك وما الذي دعاك الى الضحك فعجب الرجل من بديهته خطابه فاغلظ له وزاد بينها اللجاج حتى خرج الرجل اليه من الباب وتبعه صاحبه فسل دارتانيان سيفه وهم بالهجوم على خصمه فبادره الرجلان بالعصي حتى برحا به فقال لهما صاحبهما احملاه على فرسه وليرجع من حيث اتى قال والله لا ارجع أو اقتلك ثم التقيا واشتد بينهما القتال حتى تعب دارتانيان فضربه خصمه على سيفه فكسره واصاب جبهته فأبجرح وسقط لا يعي على شيء وهو ما دعا الى تجميع الناس لانهم خافوا من حدوث فتنة في المدينة

أما الجريح فنقلوه الى مكان في الفندق ودخل الرجل الى غرفته وصار الى النافذة فدخل عليه صاحب الفندق فلما رآه الرجل سأله عن حالة الجريح قال هو منفي عليه فكيف انت يا مولاي قال سليم بحمد الله فماذا صنعتم بالفتى قال بحثنا في ثيابه فلم نجد معه الا بعض الدراهم ولقد قال لنا قبل ان يغشى عليه انه لو جرت معه هذه الحادثة في باريس لكان يريك فعل الرجال ولكنك هنا في مكان انت فيه الامير المطلق قال يلوح لي انه من اصل شريف فلم يذكر اسم احد قال نعم كان يضرب يده على جيبه ويقول سنرى ما سيكون من دي تريفييل اذا علم بما جرى لصديقه قال ألم تر ما في جيبه قال رأيت كتاباً باسم دي تريفييل قائد الحرس . فارتاع الرجل لذلك وقال له ابن وضعتوه قال في غرفة امرأتى قال وأين ثيابه قال في المطبخ حيث رشبنا عليه الماء قال اذن فنيه خادمي للسفر فاني راحل قال نعم وخرج الرجل يقول لا ينبغي ان تعرف ميلادي هاجري ولا ان ترى الرجل ولذلك فاننا الاقيها ثم نزل الى المطبخ حيث ثياب الجريح وكان صاحب الفندق قد صعد الى غرفة دارتانيان فوجده قد افاق فقال له انه ينشى من الشرطة ان تأخذه لاعتدائه على سيد شريف ثم نصح له بالذهاب من

الفندق فقام الفتي وخرج الى المطبخ وحانت منه التفاتة فرأى خصمه واقفاً لدى مركبة كبيرة يخاطب امرأة فيها صبيحة الوجه، بارعة في الجمال وهي تخاطبه بحدة كان بينهما امرأ خطيراً حتى قالت اكذا يأمرني الكردينال قال نعم إن ترجعي الى انكلترا وتعلميه اذا رحل الدوق عن لوندرا قالت نعم ثم ماذا قال أما ما بقي من الاوامر فتجدينه في هذه العلية ولا تفتحها الا متى صرت في لوندرا قالت وأنت ما تفعل قال ارجع الى باريز قالت افلا تعاقب هذا الغلام الذي اجترأ عليك وكان دارتانيان قد سمع ما داوينها وهو واقف على عتبة الباب فقال انا اعاقب الناس فمن يعاقبني فواظه لا تفلت مني في هذه المرة ابداً فعبس الرجل وجهه واهوى بيده على قبضة سيفه فصاحت به الامراة على رسلك يا مولاي فان اقل تأخر يهدم ما بنيناه قال صدقت فذهبي في طريقك وانا ماض في طريقي ثم ركب جواده وسار فبعه دارتانيال وهو يصبح به ويستوقفه حتى اعبي وثار عليه جرحه فسقط مفضياً عليه فاحتمله صاحب الفندق الى غرفته وعالجه حتى افاق

ولما كان اليوم الثاني وقد شفي جرحه من المرهم الذي معه نزل الى ثيابه فنظر فيها فلم يجد الكتاب فاعظم لذلك غما شديداً فقال له صاحب الخان ما اظن الكتاب الا مسروقاً قال ومن سارقه قال خصمك فقد نزل وبحث في ثيابك قال اذا رأته اريه عاقبة امره ثم ركب جواده وسار حتى بلغ باريز وكان ماله قد نفذ في الخان فاضطر الى بيع الفرس ودخل باريز راجلاً وانطلق يلتمس مسكناً في احد الفنادق فوجد غرفة في شارع فوسواير على مقربة من ليكسبرج فاقام فيها يصلح من شأن ثيابه ثم نزل الى السوق فجدد نصل سيفه ثم عمد الى اللوفر فسأل عن منزل دي تريفييل فقبل له في شارع برج الحمام وهو شارع على مقربة من غرفه فعاد الى منزله وبات ثم قام في وجه الصبح قاصداً دي تريفييل ثالث رجل في فرنسا بعد الملك والكردينال



الفصل الثاني

دي ترشيل

هو رجل غسقوني المحمد كانت بداءة امره في الدولة كبداءة دارتانيا فرقي بشجاعته وحذقه وتبصره بالمواقب درجة رفيعة في الدولة بين مشاغب ذلك القرن وفتنه حتى ولو صار صديق الملك ونال اعظم وسامات الشرف لصديق خدمته وعظم امانته فكان يلقي اليه الملك مقاليد اموره ويكل اليه عظام مهماته فكان مقرباً لديه محبباً اليه لعظم ثقته به واسترساله اليه له حتى جعله قائد حرسه

وكان الكردينال ريشيليه في ذلك العهد مالك زمام الدولة يصرف امورها كيف شاء بحيث كان هو الملك المطلق صاحب الكلمة النافذة فاستخدم لنفسه حرساً مثل حرس الملك يرسلهم في مهماته ويتكل عليهم في اموره وينافس بهم الملك في رجاله حتى كثرت بين الفريقين الضغائن واستمكن الحقد وتواترت وقائعهم في البراز وطالت المنافسة بين الملك والكردينال في انتصارهم وشجاعتهم

وكان حراس الملك وقائدهم دي ترشيل يطوفون المدينة شاححة انوفهم مقتولة سبالمهم يجرون سيوفهم عزة وازدهاء حتى اذا قابلوا حراس الكردينال سخروا بهم وضحكوا منهم حتى يبلغ بهم الامر احياناً الى القتل وسفك الدماء الا انهم مع ذلك كانوا شديدي الغيرة على قائدهم سريري الامثال له يفادونه بارواحهم ويدلون في خدمته دماءهم حتى اصبح منهم في حصن حصين ومقام رفيع ترهبه رجال فرنسا قاطبة وكانت داره في شارع برج الحمام داراً واسعة الجوانب رحبة العراض يجتمع فيها كل يوم اكثر من ستين حرسياً يتبارزون بالسبوف ويتدربون على القتال بينا يكون قائدهم في مجلسه يسمع للناس ويحل المشاكل بحيث كان مطلعاً بأمر المملكة بما يبكي معه الملك مؤونة الاحكام

فلما وصل دارتانيا الى تلك الدار رأى الناس مزدهجة والحراس في ساحة متجمعين يبارز بعضهم بعضاً فاستأذن واقام ينتظر الاذن ويتفرج على المبارزين ويسمع احاديثهم ويحدث من كان الى جانبه منهم حتى جاءه الحاجب بالاذن فدخل فلقاه دي ترشيل

بوجه باش وأنس زائد ثم اشار اليه بالجلوس فجلس ثم دعا بصوت عال اتوس وبرتوس واراميس فدخلوا عليه رجالان طويلي القامة حسنا اللباس عليهما علائم الشجاعة فوقنا بين يديه فجعل يصوب نظره فيهما ويصعده وقد عبس وجهه وقطب حاجبيه ثم قال اتعلمان ما قال لي الملك امس قالا لا قال ان الملك قد قال لي انه يريد ان يستبدلكم معاشر الحراس برجال الكردينال افعلمان لماذا قالا لا قال ان الكردينال قد قال انكم فرقة الحراس تثيرون الشعب في المدينة وتنافرون الناس على عجزكم وقصر باعكم ثم مالي لا اري اتوس بينكما قالا هو مريض يا مولاي قال وما به قالا مصاب بالجدري حتى خشينا ان تشوه وجهه بندوبها قال تكذبان والله فما تصيب الجدري من كان في سنة ام ترهبان ان تقولوا انه جريح او قتل بل هي حال لا اريدها لكم ولا اريدكم لها من منازعة الناس ولعب السيف في الساحات فلم لا تكونون كرجال الكردينال في شدة تعاقبكم وتأنيبهم على غلظ ابادهم وجفاء مرثتهم حتى ان الرجل منهم ليقتل في مكانه ولا يرجع ولسان حاله ينشد

اذا ما فررنا كانت اسوا فرارنا صدود الخدود وازورار المناكب

أفما تخجل حراس الملك من ان تقبض شرطة الكردينال على ستة منهم فبأي وجه اقابل الملك بعد ذلك الا اذا استقلت واعتزلت منصبي فاجاب برتوس وقد اخذ منه الغضب خفض عنك يا مولاي فقد كنا ستة تنازل ستة الا ان حراس الكردينال داهونا قبل ان تنصلت سيوفنا من اغمادها فقتلوا منا اثنين وجرحوا اتوس حتى سقط اما قولك بانهم اسرونا فان ذلك لم يكن الا على رغبتنا اذ قيدونا قسراً ولكننا تخلصنا منهم في الطريق اما اتوس فقد حسبوه ميتاً فتركوه ولكن لا بأس فكم لنا عندهم من مثل ذلك والنصر دولة تدول . فقال دي تريفييل وقد برقت اساريه ما انا واثم فقد قيل ما قيل ان صدقاً وان كذباً فقال راميس عفواً يا مولاي فلا تشع ان اتوس جريح فان ذلك مما يقطع آمالنا لدى الملك . وفيما هو يتكلم دخل رجل اصفر الوجه عليه آثار السم فالتفت اليه الرجلان فاذا به اتوس فتقدم الى دي تريفييل وقال لقد دعوتني يا مولاي فلم اجد بدءاً من الطاعة فتعاملت اليك وانا لما بي فمسي في الامر خيراً قال كنت احذر رفيقك من التفرير بنفسيهما فيما لا طائل نفعه ولا جدوى منه على شدة حاجة الملك الى الشجعان ولا سيما من الحراس

لا اعتقاده أنهم من اشد رجال الارض بطشاً واقداماً ثم مد يده الى اوتس ليصافحه واذا به يرتجف حتى سقط صريعاً فصاح دي تريفييل بالناس عليّ بجراح ماهر فبادر القوم الى جراح فجاءوا به فامر بنقل الجريح الى غرفة اخرى فنقلوه فقال له القائد هل في الجرح خطر قال لا فان ضعفه هذا من نزف دمه فخرج القائد الى دارتانياال فساله عن اسمه فانتسب فسراً به القائد واعتذر اليه من نسيانه اياه ثم قال له سل حاجتك فان لايك عليّ لحناً يلزمني قضاؤه لك قال قدمت من بلادي متذرعاً اليك بما بينك وبين ابي من قديم الوداد وعريق الولاء التمس منك وظيفة بين حراسك حتى رأيت شجاعهم فصغرت عندي نفسي قال لا واصلحك الله بل انت اهل لها ولكن الملك لا يقبل في حراسه الا من كان له شهرة في الحرب وبلايا حسن في القتال او خدمة صادقة في فرقة دون فرقة الحراس فانا اسعى لك بما يكون لك فيه صلاح وخير من المال فاني اراك في حاجة الى النفقة ولكن لا تقنط من نفسك فقد اتيت باريز مثلك بقليل من المال وانا كاتب لك الآن وصاة الى صديق لي يسعى لك في منصب عنده فلا تنقطع عن زيارتنا قال لقد ذكرتني يا مولاي بوصاة ابي لك قال وابن هي قال لقيني رجل في الطريق فسرقها مني ثم قص عليه قصته فقال له ا ليس لذلك الرجل ندبة في وجهه قال نعم كندبة الجرح وهو جميل الوجه طويل القامة اسود الشعر قال عرفته قال والله لئن لقيته لأقيم اخذعيه قال أو لم يكن في انتظاره امرأة قال نعم وقد فارقتها بعد ان حادتها شيئاً قال اما سمعت ما دار بينهما قال بلى اعطاها علة زعم ان فيها اوامر لها واوصاها بان لا تفتحها الا في لندره قال وهل هي انكليزية قال نعم وتدعى ميلادي فان كنت تعرفه يا مولاي فدلني عليه قال اياك واياه فلا تتعرض له لئلا تكون

كناطح صخرة يوماً ليفلقها فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

ثم اوصاه بحفظ ما جرى وان لا يتعرض للقدح بالكردينال اذا كان بينه وبين عشيرته شي من الضغينة والحد قد قال اصبت يا مولاي فقد اوصاني ابي بان لا اتحامي جانب احد الا الملك والكردينال وانت . وانا لا اتوي الشر للكردينال ولا حقد بيني وبينه بحمد الله قال احسنت واعلم ان بيتي لا يقفل عنك متى شئت وانا لك عون اذا مسك امر لا سمح الله قال ابلفت يا مولاي وتفضلت وعسى ان لا تطول مدة افتراقنا

عن حراسك ان شاء الله ثم احتفظ للذهب فاوقفه القائد وقال رويدك حتى تأخذ الوصاة ثم ذهب يكتبها ووقف دارتانيان في النافذة ينذر الى المارة حتى انتهى القائد من الكتابة واعطاه الورقة فاخذها وتماس منه بسرعة وهجم الى الباب وهو يقول وجدته فلا خلاص له في هذه المرة فقال له القائد وماذا قال خصمي في مينك ثم نزل في السلم مسرعاً

الفصل الثالث

اسباب الخصاص

وبينا دارتانيان ينزل السلم على عجل لا يلوي على شيء صدم كتف احد الحراس فصاح صيحة الالم فالتفت اليه دارتانيان واعتذر واستمر في النزول فلم يشعر الا والرجل قد قبض على طوقه من خلف فاوقفه وقال لا تظن ان اعتذارك يعني عنك شيئاً فانا ممن لا يؤخذون بالاعتذار بل اظنك سمعت دي تريفييل يزجرنا فظننت اننا سواء لدى الجميع لا والله فقد كذبتك فالك فما انت بالقائد فنظر اليه الشاب واذا به اتوس الجريح وكان قد خرج من لدن الطيب فقال له اغتفرها ايها الرفيق فاتها زلة عن غير عمد دعني الى الاعتذار وامله يقوم بخطائي لديك فدعني يرحمك الله فاني اسعى الى امر فتركه وقال يظهر لي انك فتي غر لا تعرف من الادب شيئاً وهو ما يقوم لك مقام المدر فقال دارتانيان وقد بلغ غاية السلم لم آت والله من بلادي تخفضني ارض وترفعني أخرى لا تعلم الادب من امثالك ولو لم اكن مستعجلاً ما رأيتني مدبراً عنك قال وابن القاك غير مدبر قال على مقربة من كارم ريشو عند الظهر قال انصفت فلا تخاف الموعد قال نعم ومضى يعدو حتى بلغ الباب وكان بورتوس واقفاً في الباب يخاطب رجلاً ففرق دارتانيان من بينها مروق السهم وكان الهواء قد نشر عباءة بورتوس فجاءت في وجه دارتانيان فحالت دونه ومنعته من الذهاب فجزبها بورتوس فالتفت على الفتى فعلق فيها وجعل يناوصها وقد غطت على بصره فصاح به بورتوس ويحك ما هذا اتلقي بنفسك على الاسباس قال العفو يا سيدي فني اطلب امراً خطيراً يقضي عليّ بالمجلة قال ليس ذلك بعذر أفتعنى عن الناس اذا عدوت قال لا بل ارى ما لا يراه غيري قال انك

لوقح ايها الشاب قال اقصر فمضى القاك بغير عبادة قال عند الساعة الواحدة بعد الظهر وراه يكسب برج قال نعم ومضى يفتش في الشارع فلم يجد احداً فطاف كل ما حوله من الطرق والازقة فلم يقف لخصمه على اثر فماد وهو يفكر في امره كيف انه وقع برجلين من الحرس يهزم الواحد منهما جيشاً ثم اخذ يلوم نفسه على خفته وطيشه ثم وطن نفسه على البراز واقبل وهو يقول صدق من قال

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم ولم يزل سائراً حتى وصل الى فندق الكويلين فرأى عنده اراميس بجادث ثلاثة من النبلاء من حراس الملك فعرفه وتقدم مسلماً عليه فاجابه وامسك عن المحادثة فوقف الفتى حائراً لا يدري فيما ياخذ من الكلام مع قوم لا يعرف الا واحداً منهم بالنظر وفيما هو كذلك سقط من اراميس منديل ثم داس عليه على غير عمد فتناوله دارتانيان من الارض واعطاه للحارس وكان المنديل موشى بالذهب فقال له احد اصحابه اتقول ان عشيقتك بواتراسي غاضبة عليك وانا ارى مناديلها بين يديك فنظر اراميس الى دارتانيان نظرة الغضب وقال للرجل غلطت يا سيدي فانه ليس لي ولا ادري كيف اختصني به هذا الشاب من بينكم فان منديلي معي ثم اخرج منديلاً آخر من جيبه فقال له احدهم اذاصح زعمك فان لي حقاً في اخذه منك لان صاحبتك من ذوي قرباي قال انك غير مصيب في طلبك ولا يحكم لك به شرع فقال له دارتانيان اني والحق يقال لم ار المنديل قد سقط من جيبه سوى اني رأيت تحت رجله فخسبته له فقال اراميس للرجل اذا كانت المرأة من ذوي قرباك فاولى للمنديل ان يكون قد سقط منك قال لا واقسم بالله قال ان حلفك لا يعني فلنجر في الامر على حكم سليمان عليه السلام وتقسم المنديل الى شطرين فضحك القوم منه ثم ودعوه وانصرفوا وانصرف هو من جهة اخرى فتبعه دارتانيان وقال اغتفرها يا مولاي فالمرء موطن الزلل قال صدقت ولكنك لم تجر في فعلك على سنة الاشراف والنبلاء لانك لا تفهم ان الرجل لا يدوس منديلاً بغيز قصد فليست باريز مفروشة الارض بالنسيج قال اما والله لقد عدوت الصواب على اغلاظك في الجواب وانا لا اطيق ذلك ولا صبر لي عليه قال اني لست ممن يحبون المشاكل الا اذا مست الحاجة وارى الحاجة تدعوني اليها الآن فما الذي

دعاك الى ان تعطيني المنديل قال وانت فماذا دعاك الى ان تسقطه قال قلت لك انه ليس لي قل تكذب فاني رأيتُه ساقطاً منك قال لقد تجاوزت حد الوقاحة فلم يعد يردك غير السيف وهو اعدل حاكم قال فيها بنا قال ليس هنا مكان البراز أفما ترى الناس تختلف الى الفندق وهو مكتظ برجال الكردينال ولكننا نذهب الى مكان لا ينفع فيه الاستصراخ وسأراك لذلك في منزل دي تريفييل وانا ذاهب الان الى موعد ضربته ثم انصرف وسار دارتانيان الى كارم ريشو حيث واعد الحارسين

الفصل الرابع

حراس الملك وشرطة الكردينال

ولم يكن دارتانيان يعرف احداً في باريز اقرب عهده فيها فلم يصحب معه شاهداً للبراز فلما بلغ ساحة الدير وجد اتوس قائماً بانتظاره فقال له لقد قلت لاثنين من رفاقي اني سآبارزك ودعوتها للشهادة ولم ياتيا بعد وليست تلك عادتها قال دارتانيان اما انا فلا شاهد لي ولا اعرف سوى دي تريفييل فقال له اتوس اني اخشى اذا قتلتك ان يقال عنى اني ابارز الصبيان قال لا والله فما تبارز الا كفوءاً كريماً يبوء بالملوك قال ذلك لان كتفي الايمن مصاب يضطرنى الى حمل السيف باليسرى بحيث اصير نصف رجل ولكن لا بأس فقد تعودت على مثل ذلك فلم تتحدث الى ان يأتي الشاهدان ولكن جزاك الله فقد المتني بصدمتك قال الا تأذن لي بشفايتك قال بلى فما ذاك قال ان عندي مرهماً عجيباً يسرع في براء الجرح فلا يمضي عليك ثلاثة ايام حتى تتعافى باذن الله قال جزاك الله خيراً والله انها لاخلاق الاشراف تظهر من فعالك ولكن قد طالت غيبة الشاهدين فما ترى قال لا ارى لك ان تذهت لشأنك اذا كان لك ما يدعوك قال لا فهذا احد الشاهدين فالتفت دارتانيان فرأى بورتوس مقبلاً فقال اني ارى بورتوس قال وما عليك منه ثم التفت فرأى اراميس فقال وهذا اراميس فقال وهو شاهدك ايضا قال نعم فنحن ثلاثة في واحد حتى نكاد نكون كندمانى جذيمة اولم نكن ثلاثة وكان بورتوس قد وصل فسلم على اتوس ثم نظر الى دارتانيان ووقف منذهلاً ثم قل ما هذا قال اني ابارزه قال عجيباً وانا دعوته للبراز ثم وصل اراميس وقال وانا ابارزه ايضا فما

سبب برازك له يا اتوس قال لانه صدمني في كفتي فاوجعني وانت يا بورتوس فلم برازك فحجل وتلجج لسانه فسأل اراميس فاشار الى دارتانيان ان اكنم امر المنديل وقال اني ابارزه لامر جرى لي معه يتعلق بالدين فتقدم دارتانيان وقال اسألكم عفواً يا قوم فاني واعدت اتوس اولاً وقد يقتلني فاكون قد اخفت وعدي لكما في البرازم شهر سيفه ووقف فاستل اتوس سيفه وتقدم اليه واذا بفريق من شرطة الكردينال قد طلع عليهم يتقدمهم رئيس لهم يقال له دي جيساك فصاح بورتوس و اراميس بالمتبارزين اغمدا سيفكما فقد طلعت علينا شرطة الكردينال وكانت رجال الكردينال قد دهتمهم فلم يعد لهم سبيل للتستر فصاح دي جيساك برجاله وتقدم وقال أفني مثل هذا المكان يكون البراز ايها الحراس فقال له اتوس دعنا في شأننا وامض لشأنك فانا لو رأيناك في مثل حالنا هذه ما منعناك قال ان ذلك لا يكون وانا مسئول في امركم فاتبعوني اذا شئتم فقال اراميس لقد كنا نود ان تتبعك لو لا يد فوق يدنا تمنعنا فاذهب فهو خير لك قال اني لا ابخل عليكم بالقوة اذا جدتم بالامصية فهمس اتوس في اذن اصحابه انا ثلاثة وهم خمسة وقد آلت ان لا ارجع او اقتل فهو خير لي من ان التقى القائد مخذولاً فاحلوا فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة والنصر بيد الله يوتييه من يشاء فلبث دارتانيان حائراً لا يدري على اي جانبيه ينقلب بين حرس الملك وشرطة الكردينال ثم تقدم الى الحراس فقال لهم سمعتم تقولون انكم ثلاثة وانتم اربعة فقال بورتوس انك لست منا قال لئن لم يكن لي لباسكم فان بين جنبي قباً حرسياً الاصل فزجره دي جيساك وقال له اعدل عن رأيك فالك وللتنغير بنفسك فيما لست من سيله ولا مطره فلم يلتفت دارتانيان اليه بل تقدم الى اصحابه وقال تقدموا يا قوم فما في التأخر من فائدة فقال له اتوس اني اخشى عليك يا فتى ان تذهب نفسك ونحمل العار بسبيك اذ يقال عنا انا كنا اربعة على حين نحن ثلاثة وما نرى لنا فيك غناء قال انك لم تعرفني بعد ولم تبليني وستري مني ما يسرك ان شاء الله وانا فلان ثم اطبقت الفرقتان ولعت السيوف وهجم اتوس على رجل منهم يقال له كاهيساك وبورتوس على رجل يقال له بيكرات والتقى اراميس باثنين وهاجم دارتانيان دي جيساك واشتد بينهما الصدام وكثر الضراب حتى گل دي جيساك وقد بهره دارتانيان بخفته ثم ضربه فسقط جريماً يشنط في دمه ثم

التفت فرأى اراميس قد قتل احد خصميه وهو يعالج الآخر وفيه بقية جلد وبورتوس
وخصمه قد جرحا ولا يزالان يتجاولان واتوس قد جرح جرحاً آخر ونقل سيفه الى
شماله فخشي عليه الغلبة فحال بينه وبين خصمه وقال انا لك وضربه فقتله فقال له
اتوس لو ابقته فان لي معه شائناً قال سبق السيف المذل وكان دي جيساك قد افاق
من جرحه فقال لبيكرات سلم سيفك فسلمه فساقيه اسيراً الى منزل دي تريفييل وهم
لا تكاد تسعهم الدنيا لشدة سرورهم ودارتانيان بينهم والناس تجتمع عليهم في الطريق
حتى صار حولهم جمٌّ غفير وكان لهم احتفال مشهود الى ان بلغوا منزل دي تريفييل

الفصل الخامس

لويس الثالث عشر ملك فرنسا

وشاع ذكر هذه الحادثة في باريس واشتهر امرها وكثير تحدث الناس بها فلما دخل
الحرس منزل دي تريفييل اخذ يزجرهم على فعلهم جهراً وبهنتهم بالنصر سرّاً ولما كانت
اشغاله تقضي عليه بالذهاب الى الملك ليخبره بالامر تركهم وصار الى اللوفر فقبل له ان
الملك في خلوة مع الكردينال فلا يدخل عليه احد فاشتى راجعاً ثم عاد عند المساء الى
العاب الملك وكانت الملوك تقامر في ذلك العهد فوجد الملك راجعاً مسروراً فلما رآه دعاه
اليه وقال له لقد كثرت الشكاية عليك من الكردينال وقد شكوا كثيراً من حراسك
وكان غيظه شديداً حتى أثر في جسمه فرض وحتى قبل لي ان رجالك من شياطين
الناس قال لا يا مولاي فاهم الا نجاج في السلم ارق اخلاقاً من النسيم والين قلوباً من
الماء فلا تفارق سيوفهم اغمادها الا في سبيل خدمة الملك ايده الله ولكن كيف يصنعون
ورجال الكردينال يسعون في خصامهم وقتلهم حتى ان نزالهم لم يكن الا دفاعاً فقال الملك
اني لست ممن يأخذون الكلام على علاته ولا انا بقاضي جُبيل ولم ألقب بالعاذل عبثاً
فرويداً ينكشف لنا الامر ثم وضع مكانه احد النبلاء واخذ دي تريفييل الى نافذة هناك
فقال له قلت ان رجال الكردينال هم البادئون بالعدوان فكيف كان ذلك
قال دي تريفييل هو ان ثلاثة من اشجع رجالي لا يجهد الملك اسماءهم وشدة
غيرتهم على خدمته وهم اتوس وبورتوس وارانيس جري لهم حادث مزاح مع فتى

غسقوني الاصل اوصيتهم به في الصباح فانطلقوا به يعلمونه القتال في سان جرمن ثم ذهبوا الى ساحة كارم ريشو ففكر عليهم امرم دى جيساك وكاهيساك وبيكارات واثنان من شرطة الكردينال وما اراهم على كثرة عددهم الا قصدوا الشر والعداء ولست انسب لهم في ذلك ذنباً سوى اني اعرض على الملك امرم فيحكم بثاقب عقله وروافره عدله قال نعم ثم ماذا قال فلما رأوا رجالي اخذتهم حدة الغضب ورائت عليهم سورة الحقد اذ لا يجهل الملك اعزّه الله ان رجاله ورجال الكردينال اعداءه بالطبع قال نعم وهو ما يسوتني جداً اذ أرى في البلاد حز بين متنافرين ولكن لا بدّ من ان نضع لذلك حداً ثم قلت ان رجال الكردينال هم الذين تصدوا لرجالك أفحقت ذلك قال هو ما اراه يا مولاي ولست بجازم في الامر قال علمت انه قد كان مع رجالك فتى ليس منهم قال نعم ايد الله الملك فقد كانوا اربعة وفيهم جريح وفتى نازلوا خمسة فصرعوا اربعة منهم قال يخ يخ فقد اتصروا اذن ومن هذا الغلام الذي كان معهم قال هو فتى لا يبلغ العشرين من العمر يدعي الكونت دارتانيان وابوه من اقرب اصدقائي واحسنهم بلاء مع الملك والدك رحمه الله ومتعنا بك بعده فلما رآه رئيس حرس الكردينال اشفق عليه وامره بالاعتزال قال صدقت وهو ما يؤيد انهم هم البادئون قال نعم اعزّ الله الملك اما الفتى فلم يعتزل وقال انه حربي القلب مخلص للملك ورجاله ثم حمل دى جيساك فجرحه ذلك الجرح الذي اثار غيظ الكردينال فقال الملك وقد أخذه العجب اهو الذي جرح دى جيساك وهو اول بطل في الدولة وسنه على ما ذكرت ان ذلك لا يخال قال نعم ولا ردّ عليك يا مولاي فقد صادف درّ السيل درّاً يصدعه وقد قيل

هبّات ما قاب الفتى في سنه ابدأ ولكن قلبه في صدره

قال اني احب ان اراه فأتني به غداً عند الظهر و معه اصحابه الثلاثة فقد وجب لهم عليّ في ذلك شكره افيهم لهم ثم اذا اتيت بهم فاصعد من السلم الصغير فاني لا احب ان يعلم الكردينال بهم قال نعم وطاعة يا مولاي ثم خرج فاعلم رجاله وامرهم بالاستعداد لمقابلة الملك

ولما كان الصباح لبسوا احسن ما عندهم وانطلقوا بدارتانيان الى مكان تجري فيه العباب السيف وفنون البراز فاقاموا يتبارزون ووقف دارتانيان مع المتفرجين وكان في

جملتهم حراس الكردينال فله اراى الحراس جعل الفيظ يقيمه ويقعده حقا على حراس الملك وغيره على اصحابه وفشاهم بالامس حتى راى دارتانيان فهاج به حب الانتقام فرفع صوته بحيث يسمعه لفتى وقال ما ارى هذا الغلام الا خائفاً من البراز واطنه من حرس الملك فالتفت اليه دارتانيان وجعل يصوب نظره فيه وبصده فقال له انظر اليّ ما شئت فقد قلت ما قلت فهمس دارتانيان في اذنه ان اتبعني اذا كان في نفسك شيء فقتال له والله لو عرفني ما اقدمت عليّ قال ومن عسك تكون قال انا برناجو قال نعم الاسم بهابه الجبان الوكل فاتبعني فانا في انتظارك لدى الباب ولا تعجل في لحاقى لثلا يفتن لنا الناس فيحظرونا قال انصفت والله وانا على اترك فانصرف دارتانيان والرجل يمجب من شدة بأسه وسكون جاشه كيف انه لم يبهه وقد عرف اسمه وكان اتوس في خلال ذلك ينظر اليهما فعرف ما تويأ عليه وكان دارتانيان قد بلغ الباب فلم يلبث الا قليلاً حتى وافاه خصمه فنظر فراى الطريق خالية فقال له وهو يمجب التعجيل لثلا يفوته موعد الملك لقد خلا لنا الجو فانزل قال اخشى ان يرانا احد يمنعنا فلو ذهبنا الى ما وراء دير سان جرمن او غيره قال لقد كنت ارغب في ذلك لولا ان لي موعداً يمجب عليّ قضاؤه ثم استل سيفه والتقاء خصمه وجرى بينهما قتال شديد جرح فيه برناجو جرحين بايغين وكانا قد بلغا منزل دي ترمويل فهجم عليه دارتانيان وضربه فسقط على الارض يخبط بدماه واذا به يسمع صراخاً في الشارع وجلبة تترادى وكان اثنان من اصحاب برناجو سما ما دار بينهما فتبعهما فلم يدركا صاحبهما الا وهو صريع فاطبقا على دارتانيان يضاربانه واذا برفاق دارتانيان الثلاثة قد طلوعوا عليهم وصاحوا بالرجلين فخشى الرجلان الغلبة فاستنجدا باهل المنزل فخرجوا اليهما وكثر الجمع على حراس الملك فاستنجدوا باصحابهم وتناقل الصوت حتى بلغ منزل دي تريفيل فخرجت رجلاه تصل سيوفهما وكان حرس الكردينال قد تجموعوا على الصراخ فدارت رحي الضرب وكانت الدائرة على رجال الكردينال فانقلبوا الى المنزل واوصدوا ابوابه بعد اذ ادخلوا الجريح في حالة الخطر فاحاط حراس الملك بالمنزل وجعلوا يتوعدونه بالحريق اذا لم يعاقب صاحب المنزل خدمه على خروجهم عليهم فاجاب دي ترمويل طلبهم وكانت الساعة الحادية عشرة قد حانت فذهب الاربعة الى الموعد ودخلوا منزل دي تريفيل فلقاهم وهو يقول هلموا

الى اللوفر على عجل انرى الملك ونخبه بالامر قبل وصول الكردينال فلما وصلوا الى القصر استأذن القائد على الملك فقبل له انه في الصيد في غابة سان جرمن قال هل كان ذلك في عزمه من امس فقيل لا بل اتاه رجل اليوم يخبره بانهم قد حبسوا له غزالا في الغابة ليصيده وقد ذهب قبل الظهر بقليل فقال لرجاله اني اراه في المساء فارجعوا بنا فرجعوا ودخل دي تريفييل غرفته وهو يفكر في كيف يبدأ بالشكوى على حرس الكردينال ثم ارسل الى دي ترمويل يلتمس منه اخراج رجال الكردينال من منزله ومعاينة خدمه بخروجهم على رجاله ثم ذهب بنفسه بعد ذلك الى منزل دي ترمويل فقال له ارى ان كلا منا يود ان يشكو صاحبه وقد اتيتك الآن لتنظر على من تجب الشكوى قال نعم ولكني على يقين من ان الذنب على اتباعك قال كيف حال الجريح قال في خطر شديد فانه مصاب بذات جنبه وقد يش منه الطيب قال وهل هو مفيق قال نعم ولكنه يستصعب الكلام قال فلو نزلنا اليه نقصه الامر ونعزم عليه بالتزام الصدق في الحكاية قال نعم ونزلا الى غرفة الجريح فاحتفز للقيام فلم يقدر فدنا منه دي ترمويل وسأله عن القصة فسردها لا يخل بحرف منها حتى اتى على آخرها فاستأذن دي تريفييل ودعا للجريح بالشفاء وذهب الى منزله فدعا برجلاه الاربعة وجلس معهم على الطعام يواكلهم ويثني على شجاعتهم ولا سيما دارتانيان حتى كانت الساعة السادسة فذهب بهم الى اللوفر ودخل معهم من الباب الكبير لان ميعاد الملك كان قد فات ووقفوا في ساحة القصر واذا بالذاس يقولون جاء الملك ثم دخل الملك لا بأسا ثياب الصيد وفي يده منحصرة فرأى بالحراس ودخل الى مجلسه فقال لهم دي تريفييل انتظروني عشر دقائق فان خرجت اليكم والا فارجوا اذ لا تعود فائدة من الانتظار ودخل فاقام الحراس ينتظرونه حتى فات الميعاد ولم يخرج فانصرفوا راجعين

وكان دي تريفييل قد دخل على الملك فوجده يشكو من الصيد ومتابعة الكردينال له في الكلام عن اسبايا والنمسا وانكلترا حتى قال له اني غير راض عنك يا دي تريفييل قال لماذا واطل الله بقاء الملك قال لشدة وقاحة رجالك واستبدادهم حتى كادوا يحرقون باريس اليوم وانت ساكت لا تردهم وحتى هجم الاربعة الذين ذكرتهم لي على برناجو فخرجوه الى الموت ثم حاصروا منزل دي ترمويل وكادوا يحرقونه حتى خلت والله ان

الحرب قد نشبت في فرنسا ولعلك تنكر ذلك قال ومن سمعت هذا يا مولاي قال ومن
عساه يكون سوى الكردينال القائم بامر الملك حتى كفاني مؤونة سياسته قال لعله غير
مصيب في الرواية يا مولاي وجل من لا يخطئ قال صدقت اما الذي اخبرني بهذا الامر
فهو دي ترمويل قال لو امر مولاي باحضاره الآن وسواءه فدعا الملك بالحاجب فقال
علي بدي ترمويل في الحال فقال دي تريفيل ولكن تعذني يا مولاي بانك لا تقابل احداً
بين مقابلي ومقابته قال لا ووعدنا غداً ان شاء الله في اي ساعة جئت ولكن حذار
من ان يكون رجالك هم المخطئون قال اذا كانوا مخطئين فهم بين يدي الملك يجري
عليهم عدله قال نعم الى غد فدعاه دي تريفيل وخرج فاوعز الى رجاله بالهجوم اليه
عند الساعة السادسة صباحاً ففعلوا وذهب بهم الى السلم الصغير وقال لهم اذا وجدت الملك
راضياً عنكم دعوتكم والا اشرت لكم بالانصراف ثم دخل فلما بلغ ساحة القصر اخبره
الحاجب انه ذهب امس الى دي ترمويل فلم يجده وانه الآن عند الملك ولم يمض غير
قليل حتى خرج دي ترمويل من قاعة الملك وقال لذي تريفيل لقد دعاني الملك ليعلم
مني تفاصيل حادثة امس وقد اخبرته ان الذنب على خدمي وانه يجب علي ان اعتذر
اليك قال حياك الله فهكذا كنت ارجو منك ومثلك من قضى الحق وحكى بالحق وكان
الملك واقفاً على عتبة الباب يسمع ما دار بينهما فقل احسبنا وابي وانا ارجو من الدوق
دي ترمويل ان لا ينقطع عني لانه صادق امين فليصرف الان وانت ابن رجالك
قال في انتظار امرك يا مولاي قال علي بهم فذهب الحاجب وعاد بهم حتى اوقفهم
بالباب فاشار اليهم الملك بالدخول وقال لقد زاد امركم وعظمت شجاعتكم يا قوم اتقون
سبعة من رجال الكردينال في يومين انه لا امر لو تعلمون عظيم ثم نظر الى دارتانيان وقال
له تقدم يا ابني فقد بلغني عنك انك فتى وانا اراك غلاماً مراهقاً ثم التفت الى دي تريفيل
فقال هذا الذي جرح دي جيساك قال نعم بسيفك يا مولاي وجرح نوماجو ايضاً فقال
انوس ولو لم يخلصني من يد بيكرات لما اسعدني الحظ بالمثل في جنابك يا مولاي قال
ولكني ارى اهل غسةونية على جانب من غثاثة العيش وقلة ذات اليد وما ذاك الا لقلة
معادن بلادهم ثم دعا بالحاجب فقال له انظر في جيبى لعلك تجد شيئاً من الدنانير فاتي
به ثم قال لدارتانيان قص علي الحادثة ولا تفت منها حرفاً فمضى الفتى يقصها مضي

الجواد في سنن ميدانه حتى اتى على آخرها فقال له الملك صدقت فهكذا سمعتها عزى
الله الكردينال فقد فُقد سبعة من اعز رجاله عليه وفي ظني ان ذلك يكفيكم في نظير
اخذ الثار ثم اخذ من يد الحاجب قبضة من الدنانير فوضعها في يد دارتانيان فاخذها
وشكر فقال لهم الملك انصرفوا الان فان علي موعداً فخرجوا وهم يضحجون له بالسعاء
ثم قال لدي تريفيل كنت اود ان يكون هذا الفتى في جملة الحراس لولا ضيق المقام
عنه ولكن ضعه في جملة حرس ابن اختك دي زيسار ودع الكردينال يرغي ويزبد فما
علي اذا كان العمل عدلاً ثم خرج اما الكردينال فاقام ثمانية ايام لا بحضور العاب الملك

الفصل السادس

الحراس في انفسهم

ولما فصل دارتانيان واصحابه عن قصر اللوثر اقترحوا عليه طعاماً فاجابهم واكلوا
جميعاً وكان يخدمهم على الطعام خادم بورتوس ويدعى موسكتون وكان شديد الاخلاص
لسيده وهو بيكردي الاصل اما اتوس فكان له خادم يدعى كرىمود وكان اتوس كثير
السكوت قليل الهذار قلما يتكلم او يضحك ملء فيه واذا تكلم كان كلامه على غاية من
الاختصار والايجاز ولم يكن يعشق امرأة قط وان يكن بلغ الثلاثين من العمر على جماله
وحسن قوامه وتوقد ذهنه حتى لم يسمعه احد يذكر النساء وكان قد ادب خادمه على
ان يفهم منه لاول اشارة واقل رمز فلم يكن يكلمه الا عند الضرورة اما بورتوس فكان
مغايراً بالجملة لاتوس بكثرة كلامه وعلو صوته ووجهه للسلاهي والضحك وكان يتعشق
اميرة غريبة البلاد اما خادمه موسكتون فكان مثله وهو نورماندي الاصل واما اراميس
فكان له خادم يدعى بازين قليل الكلام والتعرض مطيع لكل ما يؤمر به واما
خادم دارتانيان فكان يدعى بلانشت

واذ قد عرفنا خدم الثلاثة نلعم قليلاً الى مسكن كل واحد منهم فقد كان اتوس
ساكناً في شارع فيرو على مقربة من ايكسبرج في بيت صغير تخدمه فيه فتاة وكان بورتوس
فازلاً في شارع برج الحمام القديم في منزل واسع الا انه كان قلما يأتيه بحيث لا يكاد
يوجد فيه الا خادمه موسكتون وكان منزل اراميس في مكان حسن تحيطه حديقة

مزهرة يرتاح النظر اليها واما دارتانيان فقد عرفنا منزله وخدمه وكان لا يعرف من اصحابه الثلاثة الا اسماءهم الغريبة يخفون تحتها اسماءهم العريضة في المجد والشرف فكان يستخبر من كل منهم عن صاحبه فلا يخبره الا عن ظاهره فاجتمع ذات يوم باراميس واراد ان يعلم منه صحة ما هو شائع عن عشق بورتوس لامرأة شريفة غنية فقال له اني اراك تردد كثيراً اسماء الاميرات وعوائل النساء فما سبب ذلك قال اني لا اتكلم الا قلاً عن صديقي بورتوس وانا قليل الرغبة في مثل ذلك قال اذا كنت كما تزعم فان لك ذلك المنديل الذي كان وصلة للتعارف بيننا قال هو منديل نسيه عندي احد اصحابي ولعله من صديقة له قال اني اعجب منك كيف انك في مقام الحراس ولا رغبة لك في النساء قال ذلك لاني ناسك في ثياب حارس قال ألا تمدثني ببعض الشيء عن اصحابك قال اما الان فلا سبيل الى ذلك فان لي شأناً يدعوني فاستودعك الله ثم حياه وذهب فلبث دارتانيان حائراً في امر هؤلاء الثلاثة لا يهتدي منهم الى وجه ثم ترك الامر للتقدير وتمثل قول الشاعر

سئدي لك الايام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وكان اثنان من الحراس يجبان المقامرة الا اراميس فلم يكن يتعاطاها قط وكان الاربعة عاشرين عيشة راضية يتفنون اوامرهم كل صباح فيعاونهم فيها دارتانيان وان لم يكن منهم فكانوا يحبونه حباً شديداً ولم يمض عليه قليل حتى امر الملك دي زيسار ان يستنيه في امره ويجعله ثانياً في المرتبة فسر دارتانيان من ذلك لامله بنيل رتبة بين الحراس وقد زاد امله وعد دي تريفيل له انه اذا مضى عليه سنتان في الخدمة وهو قائم بما يرضي الملك يرقبه الى رتبة الحراس وكان يعاونه في اعماله ومهامه رفاقه الثلاثة

الفصل السابع

دسية في قصر الملك

ولما نفذت دراهم الملك مست الحراس العازة واحوجهم الامر الى القوت فعملوا يتداعون وغلمانهم الى اصحابهم ويتظفون على معارفهم ولم يكن لدارتانيان صاحب سوى قسيس من بلاده كان يدعو اليه رفاقه فيتركون بيته كيت الضكبوت . وحدث انه

بينما دارتانياان في منزله دخل عليه خادمه يستأذنه لرجل يريد مقابلته فاذن له فدخل الرجل وقال لدارتانياان قد سمعت بشهرتك وبعد صيتك في الشجاعة وكرم الاخلاق فأتيتك استودعك سرّاً قال اني اذن ارعاه قال ان لي امرأة صبيحة الوجه صناع اليدين تفسل ثياب الملكة في القصر وقريبها دي لابورت وصيف الملكة وهو الذي سعى لها بهذه الخدمة فينما هي خارجة امس من القصر خطفها رجل ومضى بها ولا سبيل لي اليه فاغثني اغائك الله قال ومن الرجل قال لا اعرفه سوى اني القيت الشبهة على رجل وكان لا يفتر عن تتبعها وانا ارى ان لا اختطافها سبباً سياسياً لادخل للمشق فيه ولا اظن ذلك السبب الا امرأة اعظم منها كثيراً قال ومن تراها تكون هل هي بواتراسي قال هي اعظم من ذلك قال فاكويابون قال اعظم قال فشفريز قال بل هي اعظم جداً يا مولاي قال لم يبق الا (يريد الملكة) قال هي بعينها قال ومن ايضا قال لا اظنه الا الدوق دي (يريد بيكنهام) قال ومن ادراك بكل هذا قال اخبرني به امرأتي قال واني لامرأتك ذلك قول من دي لابورت وصيف الملكة وهو الذي جعلها عندها تكل اليها امورها في اقتطاع الملك عنها من بغضة وخداع الكردينال اياها واطراحها من الجميع وما ارى هذا الامر الا انتقاماً من الملكة فانهم زوروا عنها كتباً الى الدوق دي بيكنهام يفرونه بالحجىء الى باريز ليوقعوا به وهو عشيقها قال وما دخل بامرأتك في مثل هذه الامور قال انهم يعرفون اخلاصها للملكة ومفاداتها لها ولذلك فقد رأوا ابعادها عنها لتكون في يدهم آلة يستعينون بها على الملكة قال اما تعرف الذي خطفها قال لا وما اظنه الا من اتباع الكردينال ولا اعرفه الا اذا رأيت وجهه لان امرأتي اشارت لي اليه وهو رجل طويل القامة اسود الشعر في خده ندبة فقال دارتانياان خصمي والله الذي سرقني في مينك فاذا انتقمت منه يكون انتقامي مزدوجاً فابن اقدر ان اراه قال لا اعلم يا مولاي سوى اني رأته مرة واحدة كما قلت لك قال فما اسمك قال بوناسيه صاحب هذا البيت الذي انت تسكنه قال اما عندك غير شيء على امرأتك قال نعم رسالة وصلتني وهي هذه فاخذها دارتانياان وقرأ « لا تعب في السعي وراء امرأتك فانها ترد اليك عند عدم الحاجة اليها واذا سميت فانت هالك »

قال الرجل كيف اصنع يا مولاي ولست من رجال الحرب ولا طاقة لي على سجن

الباثيل فاسعني في امري يكن لك فضل علي وعلى الملكة وتكون قد رغمت انف الكردينال عدوكم وعدوها وأنا اقدم لك هذه الحسين ديناراً تستعين بها على امرك ثم حانت منه الفتاة الى النفذة فقال هذا هو يا مولاي فنظر الفتى فعرف خصمه فقال اذن والله لا يفلت مني في هذه المرة ابداً ثم شهر سيفه وانحدر من السلم فصادف اتوس وبرنوس آتين اليه فالأ من طريقه وصعدا وذهب وهو يقول وجدته وجدته ثم طاف كل تلك السكك والارقة فلم يقف له على اثر

وكان اراميس في خلال ذلك قد صعد وراء صاحبيه فعاد دارتانيان فوجد الثلاثة مجتمعين فقالوا له مهيم قال طلبته فما وجدته فوالله لكانه ذهب بين سمع الارض وبصرها ومما يكن فانه قد اضاع علينا عملاً لنا فيه اكثر من مئة دينار قالوا وكيف ذلك فقص عليهم القصة فقالوا ما لنا ولها قال ان الامر لا يتعلق بها وحدها فان للملكة فيه اجل نصيب قالوا وما لنا وللملكة وهي تحب الانكليز والاسبان اعداءنا الالدهاء قال اما الاسبان فلانهم قومها واما الانكليز فلا نحب منهم الا رجلاً فقال اتوس لعمرى انه جدير بان يحب فاني لم أر مثله في الجمال والكرم اتذكرون يا قوم يوم نثر اللؤلؤ في قصر اللوفر فكنا نلتقط منه كما نلتقط البرد قالوا نعم نذكره ولا ننساه فقال دارتانيان اني لاحب بيكنهام وايصاله الى الملكة الا كيداً للكردينال وما اظن اختطاف هذه الامراة الا لهذا الشأن وان بيكنهام في باريز قال اراميس اسمعوا اقص عليكم امراً اني كنت امس عند احد اصحابي وله ابنة اخ رجاءت اليه ثم همت بالانصراف فرافقتها الى العربية وانا مشتمل بعباتي واذا انا برجل دنا مني ووراءه ستة رجال فقال لي اصعد الى هذه العربية يا دوق ولا تحاول خلاصاً فكشفت عباتي فلما رأني وراى ثيابي تركني وانصرف وما اراه الا حسبي بيكنهام وحسب الفتاة الملكة وهو دليل على ان بيكنهام في باريز وانهم يسعون في القبض عليه فقال دارتانيان ألا نبحت عن هذه الامراة قالوا ان ذلك لا يكون ابداً فانها وضيفة النسب لا تستحق العناء في البحث عنها ومما تكن فساوم زوجها بشمن غال في تفتيشك قال لا بد لي من البحث عنها ولو لم اخذ من زوجها شيئاً فان لي جزاء من غيره ولعلمكم لا تجهلون وما أتم كلامه حتى دخل عليهم صاحب الفندق وهو يسغيث ويقول اغيثوني فان اربعة من الجنند يطلبوني فقام برنوس واراميس ووضع كل يده

على قائم سيفه فنعما دارتانيان وقال انه موقف لا تغني فيه السيوف فالرأي قبل شجاعة الشجمان فقال اتوس صدق دارتانيان فأنكل اليه امرنا واذا باربعة من الجند قد هجموا على القاعة حتى رأوا الحراس فوقفوا هيبة منهم فقال لهم دارتانيان ادخلوا يا قوم فانكم في منزل رجل مثلكم يخدم الملك والكردينال فقال له زعيمهم اذا كنت كذلك فما نراك مانعاً عن انمام ما امرنا به قال لا بل نساعدكم اذا قضت الحاجة فقال بوناسيه صاحب الفندق لقد أجرتموني فكيف تخفرون الذمة فقال له دارتانيان بصوت خفي انا نسعى في خلاصك بالحيلة فلو منعناك لاتهمونا بك واخذونا معك ثم قال للجند انه رجل لا اعرفه الا في هذه الساعة فشأنكم به ثم همس في اذنه ان اسكت ولا تنطق علينا بشيء فانك تضرنا وتضر بالملكة ثم دفعوه اليهم فاخذوه وانصرفوا وعرف دارتانيان ان اسم زعيمهم بوزرنار فلما خلا البيت قال لهم بورتوس أف لكم انخفرون الذمة وتسلمون رجلاً لجأ اليكم واستغاث بكم قالوا بل هو الصواب فلتعاقد الآن على ان نكون جميعاً فدى عن واحد منا ويكون كل منا فدى عن الجميع فتعاقدوا وانصرفوا كل منهم الى مكانه

الفصل الثامن

امرأة صاحب الفندق المسبية

وبعد ان ذهب الجند بالرجل اقام الرفاق الاربعة يبحثون عليه فلا يقفون له على خبر وكان بيته تحت بيت دارتانيان فاقتام الفتى عدة اخشاب من ارض البيت بحيث صار يسمع ويرى ما يجري في بيت الرجل . فيينا هو جالس ذات يوم اذ سمع صراخ امرأة تستغيث في بيت صاحب الفندق وتسمع قوماً يسألونها الاقرار وهي تأتي وتصر على الكتمان حتى قالت لهم انا بوناسيه صاحبة البيت احدى تابعات الملكة فقالوا لها انت بنيتنا واخذوا يجرونها وهي تدافع وتستغيث فثارت الحية في راس دارتانيان فتقلد سيفه ودعا بفلامه فقال له اذهب ودع لي اتوس وبرتوس واراميس من منازلهم وقل لهم ان يسرعوا قال والى ابن تمضي يا مولاي قال اتدلى من النافذة فاصدع بما امرتك به قال نعم وذهب ونزل دارتانيان فترع الباب فسكنت الجلبة وهدأ الصراخ ثم فتح له الباب فدخل بسيفه شاهره واغلق الباب وراه فرأى اربعة رجال سود الملابس

بغير سلاح فهاجمهم بسيفه فقتلوه يدافعون عن انفسهم بامتعة البيت فلم يقدرُوا عليه
فتركوا الامراة وفرُّوا هاربين فلما خلا البيت نظر الفتى الى الامراة فوجدها على غاية
من الجمال والصباحة تكاد تاخذها العين لحسنها ثم حانت منه التفاتة فرأى في الارض
منديلاً كالذي رآه مع اراميس فاخذه ووضع في جيبها وكانت على وشك الاغماء مما
حل بها فلما احست بيد الفتى اذنبت وقامت اليه تشكره وتدعو له فألطف لها في
الجواب وقال لها ان القوم الذين هجموا عليها اسوا لصوصاً ولكنهم من رجال الكردينال
الذين اخذوا زوجها امس الى سجن الباستيل فقالت ويلاه وما ذنبه حتى يقاد الى السجن
قال لانه زوجك فيما اظن وانت سبية للكردينال قالت اوتدري من سباني قال نعم
رجل صفاته كيت وكيت وشرح لها صفات خصمه قالت نعم هو او تعرف اسمه قال لا
قالت ومن ابن درى زوجي اني اختطفت قال من رسالة وصاته وهو يرى لاخطافك
امراً سياسياً يتعلق بالدولة فكيف خلصت من حبسك قالت غفلوا عني فتدليت من
النافذة وخلصت الى بيتي لعلي ارى زوجي قال وما عساه ان يمنحك وهو لا يمنع نفسه
قالت ليس ذلك من قصدي ولكن لي معه شأناً قال وما ذلك قالت سرّاً لا بد لي في
افشائه قال أفلا تخرج من هنا فان اصحابك لا يلبثون ان يرجعوا بالسلاح فيفوت
اخلاص قالت والى ابن نمضي قل متى خرجنا نرى رأينا ثم اخذ بيدها وخرج بها حتى
أبعد عن البيت فقالت له والى ابن نذهب الان قال لا اعلم والله الى ابن تريدن قالت
اريد ان اخبر دي لا بورت بما جرى ثم اعلم منه ماذا كان في اللوفر من ثلاثة ايام وهل
انا آمنة ان عدت اليه قال انا امضي في ذلك قالت لا تقدر فانهم لا يعرفونك بل يعرفون
زوجي قال اما لك من يعرفك هناك فامضي اليه بعلامة منك قالت نعم على ان تعاهدني
انك لا تستعمل علامتي التي أعطيتك في غير هذا الشأن ولا تستخدمها لما رب في نفسك
ان كان لك ما رب قال لا والله فهل من يعرفك فاخذك اليه قالت لا استرسل الى احد
قال لا تخافي فنحن على مقربة من بيت صديق لي يدعى اتوس فاضمك فيه فلا يراك
احد قالت احسنت فيها بنا اليه فسار بها حتى بلغ منزل اتوس فاودعها فيه وقال لها اقفلي
عليك الباب ولا تفتحي الا اذا سمعت ثلاث طرقات متتامة قالت نعم فاسمع العلامة التي
طلبت تذهب الى قصر اللوفر من جهة شارع اشيل وتسال عن رجل يدعى جرمان فتقول

له « توروبروكسل » فيمضي في كل ما ترسمه له فتطلب منه ان يدعو لك دي لا بورت وصيف الملكة فتبعث به اليّ وكن على يقين من اني اراك لافيك بعض حقا قال نعم ومضى ففعل كما قالت له غير محل بحرف ثم ذهب الى دي تريفييل فاستأذن عليه فاذن له فدخل الى البهو واقام ينتظر واغتم فرصة غيابه فاخر عقرب الساعة خمسا واربعين دقيقة ثم جاء دي تريفييل فقال ما بدا لك لزيارتنا فاني اظن الوقت قد فات ثم نظر الى الساعة فقال لا والله بل هي الساعة التاسعة ونصف وقد كنت اظنها اكثر فاخذ دارتانيان يقص عليه قصة طويلة بشأن الملكة وبيكنهام وغيرها حتى صارت الساعة العاشرة فودعه وخرج فلما قفل دي تريفييل الى غرفته عاد دارتانيان فرد عقرب الساعة الى ما كان عليه وذهب

الفصل التاسع

تدبير الحيلة

ولما نزل دارتانيان من منزل دي تريفييل اخذ يفكر في محبوبته بوناسيه التي سلبت له ووقعت في قلبه موقعا لا يقوى على ايضاحه لسانه وحاله ينشد

اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

فكان ينظر الى نجوم السماء تارة ثم يعود الى افكاره تارة أخرى وهو سائر يستحبه الشوق وتحدوه الصباية غير ناظر الى ما تستلزمه النساء من النفقات على قلة ماله وضيق ذات يده بل عزم على ان يكون عشيقاً رقيقاً وصديقاً صدوقاً غير ملتفت الى زوجها وخلاصه ولم يزل سائراً على حاله تلك حتى بلغ الشارع الذي يسكن فيه اراميس فخطر له ان يصعد اليه ويخبره عن سبب ارسال خادمه له في طلبه وكانت الساعة الحادية عشرة مساءً وقد اقترت الطرق وهدأ الليل فلما صار تجاه بيت صاحبه اذا به يرى شبحاً يمشي في الطريق ملتفا بعباءة فظنه رجلاً لاول وهلة الا انه لما تأمله وراى صفر قامته علم انه امرأة وكانت تسير وهي شاخصة الى النوافذ في ذلك الشارع كأنها في ريب من جهتها فتلفت وراءها ثم تعود فتمشي فخطر للفتى ان يلحقها فيراقها الى حيث تقصد ثم رجع عن قصده لعله انها ذاهبة لموعد عشق فجعل ينظر اليها وهي تسير حتى بلغت منزل اراميس فظن

انها عشيقته وتوارى في زاوية الشارع فوقفت الامراة لدى الباب فسعلت ثم طرقت الباب ثلاث طرقات ففتح لها ودخلت ثم اقبل وراءها فاقام دارتانيان بحديق ببصره في نوافذ البيت حتى لاح له نور في احدى غرفه ورأى المرأة قد اخرجت من جيبها منديلاً فاعطته لشخص معها وهو كالمنديل الذي رآه تحت رجل اراميس فاخذ يفكر فيما عساه ان يكون هذا المنديل ثم تحول الى الجهة الاخرى بحيث قابل النافذة فرأى ان الذي مع المرأة امراة مثلها تعطيا منديلاً آخر كالذي كان معها ثم خرجت ونزات في الشارع وسارت من حيث اتت فمرت بقرب دارتانيان ولم تره فنظر اليها واذا بها بوناسيه فاخذ يفكر في امرها وسبب مجيئها وهو يظن ان لها صديقاً حتى خطر له ان يتبها فسايرها حتى ادركها وهي مبهورة تلهث من التعب والخوف فالتقى بيده على كتفها فوقعت الى الارض وقالت له وهي لا تعرفه اقلني فلا اخبرك بشيء فانهمضا ونظرت اليه فعرفه فصاحت هذا انت قال نعم فقد بعثني الله لحراستك قالت أي مثل هذه الحل تتبعني قال لا والله لم يكن ذلك من عزمي سوى ان الاتفاق قبض لي ان اراك تطرقين باب احد اصحابي قالت واي اصحابك تعني قال اراميس قالت اني لم اسمع قط بهذا الاسم قال لا تحاولي الانكار قالت والله لا اعرفه ولم آت هذا البيت الا الآن وانا لا ادري انه لا حد اصحابك الحراس وفوق ذلك فاني لم اكن لآتيه الا في طلب امراة قال أليست من ذوي قربي اراميس فاني اراه يسكن عندها قالت لا اعلم فان ذلك سرٌّ لا قدرة لي على افشائه فان شئت فرافقني الى حيث امضي قال والى اين تمضين قالت ستعلم متى وصلنا قال وهل انتظرك الى ان تخرجي قالت لا قول اخرجين وحدك قالت لا ادري قال انا اذن انتظر خروجك قالت اذا كان ذلك من عزمك فانا اذهب لشأني وحدي قال وعلام دعوتني اذن قالت دعوتك رفياً لي لا محافظاً علي قال انطلق بنا فانا على ما ترومين قالت أنتركني عند الباب كما قلت لي قال نعم فاستحافته فاقسم لها وسار بها حتى بلغ شارع لا هارب فتقدمت الى باب هناك وشكرت دارتانيان وقالت له اذهب فقد وصلت قال وكيف ترجعين اما تخشين احداً قلت لا اخشى سوى اللصوص وانا لا مال معي فلا خوف عليّ منهم قال اراك قد نسيت المنديل المذهب الذي رايته تحت رجلك فرددته اليك وانت مغشيٌ عليك قالت صه والا هلكت قال ارايت كيف

انك في خطر أفلا تسمعين لي بالبقاء في انتظارك وانا اعدك بكمآن سررك
 قالت لو كان سرري لاستودعتك اياه ولكنه سر غيري فلا قبل لي باباحته فاياك
 والتدخل فيه وهذه نصيحتي لك قال أفراميس احق به مني قالت ألم اقل لك اني لا
 اعرفه وانت تردده وما اظن هذا الاسم الا حيلة استنبطتها لتقف على ما اكنتم من
 امري قال لله انت اما والله لو قتشت قلبي لسررك ما يجول فيه من غرامك فبثنتني دخيلة
 سررك قالت سرعان ما بدأت بالعشق قال لسرعة ما داخلي وانا حدث لم ابلغ العشرين
 ثم اعلمني ان هذا المنديل قد كان سبب براز جري لي مع اراميس أفلا تخشين العقاب
 اذا أخذت وظهر معك قالت ماذا عليّ وعليه من اسمي ولقبي اولها وهما الكاف والباء
 اشارة الى كونستانس بوناسيه قال لا بل اشارة الى كاميل دي بوتراسي قالت بالله الا
 مانسكت فان كنت لا تخشى على نفسي فخف على نفسك قال وما يخيفني قالت اخشى
 عليك عذاب السجن ووقفة الموت اذا عرفوا انك تعرفني قال اذن لا ادعك قالت
 نشدتك الله ان تتركني فهذا نصف الليل واصحابي في انظارني ثم مدت له يدها فقبلها
 وقال يا ليتني لم أرك قالت لا تياس من رحمة الله فمسي ان يهدأ بالي فينالك مني نصيب
 وانا لك على العهد فدعني الان وامض لشأنك فودعها وانصرف وفتح لها الباب فدخلت
 فلما بلغ دارتانياان بيته قال له الخادم ان اتوس قد اتى اليك واقام ينتظرك واذا
 برجال الكرد ينال الذين هربوا منك قد هجموا عليه واخذوه وهم يحسبون انك فم يدفعهم
 بل همس في اذني ان سيدك احوج الى الاطلاق مني اما انا فلا يلبثون ان يخلوا سبيلي
 ثم اخذه اثنان منهم ولا ادري الى اي سجن الباستيل ام غيره واقام الاثنان الآخران
 يبحثان في متاع البيت وصناديقه حتى لم يدعوا شيئاً مكنوناً قال واين يرتوس و اراميس
 قال لم اجدهما قال اذا حضرا فقل لهما ينتظراني في فندق كذا فان بيتي هذا قد اصبح
 مظنة بحث واياك ان تنتقل من مكانك ولو مت ثم انطلق دارتانياان يعدو الى منزل
 دي تر يفيل فقيل له انه في اللوفر فقال في نفسه لا بد من اخباره ثم انطلق الى اللوفر
 مسرعاً واذا هو برجل وامرأة بمشيان اماه وكانت المرأة كونستانس بوناسيه والرجل
 يشبه اراميس وهو في لباس الحراس مقنماً وجهه كأنه يريد ان لا يعرفه احد فارت
 الغيرة في قلب دارتانياان واسرع حتى سبقها ثم كراً راجعا عايعها ووقف في وجه الرجل

يصدق به فتأخر الرجل منه عن اجفاله ورهبة فقال له دارتانيا ان ظننتك اراميس فقال اخطأ
ظنك وانا اعذرك فقال وعلام تعذرنى قال لانك عارضتني ولست بصاحبك ولا شأن
لك معي قال ولكن لى شأن مع رفيقتك هذه قال ومن اين تعرفها فقالت كونستانس اما
استحلفتك يا دارتانيا ان فاذكر اليمين لا تقدر غموساً فقال لها رفيقها انطلقى بنا فقد ضاع
علينا الزمان فاعترضه دارتانيا ومنعه من المسير فدفعه الرجل بيده ومر فشهرا الشاب
سيفه وقابله الرجل بسيفه وهما بالقتال فحالت المرأة بينهما وقالت لا تفعل بالله يا ميلورد
فاجعل الفقى لهذا الاسم وقال واي ميلورد فهمست في اذنه اللورد بيكنهام فقال دارتانيا
وقد نكس سيفه عفواً يا ميلورد فقد ظننتك عشيقها وانا احبها واغار عليها فهل من خدمة
ابذلها لك فشكره اللورد وصاحفه وقال له اتبعني عن بعد فاذا عارضني احد فلا تبخل
عليه بالسيف قال نعم وكرامة يا مولاي وتبعه حتى دخل اللوفر هو والامراة من باب
آخر فتركها وعاد الى صاحبيه فقال لها انه قضى الامر وحده ووجد الامراة ثم انصرف
كل منهم الى منزله

الفصل العاشر

جورج فيليه دي بيكنهام

فدخلت كونستانس باللورد الى قصر اللوفر بدون ممرض وسارت به في دهليز
طويل حتى انتهت الى باب فدفتقه فانفتح فدخلت به تعودده في ظلام حالك وهي
كاتها على نور لمعرفتها بمخارج القصر وطرقه حتى انتهت الى سلم فصعدتها ثم مالت الى
يمينها وسارت في نفق ثم نزلت الى دار ففتحت فيها باباً وادخلت اللورد الى غرفة سنارة
وقالت له انتظرني حتى ارجع اليك ثم خرجت واوصدت الباب عليه فاقام في تلك الغرفة
بقاب يخفق لقرب اللقاء ولا اثر فيه للخوف ما تعودده من اقتحام الاخطار وخوض المهالك
ثم دنا من مراة في الحائط واخذ يصلح من شأن ثيابه وكان اجمل رجال عصره واشجعهم
في فرنسا وانكلترا وافرهم ثروة واوسعهم كراماً واكثرهم تقدماً في الدولة حتى عشقته حنة
دوتريش ملكة فرنسا وفيما هو كذلك واذا باب ضيق قد فتح في الجدار ودخلت منه
الملكة بوجه كالبدر جمالاً وقد كافتصن اعتدالا يقطر من وجهها ماء الملاحاة والظرف بعينين

قال الله كونا فكاتنا فعولين بالالاب ما تقبل الخمر فدهش اللورد لجمالها ولاحت له
 بثوب التفضل اجمل وابهى مما كان يراها عليه في مراسم اللهب والطرب ترفل بالدمقس
 وبالحرير وتخطر في الخلى والجواهر وكان عمرها يومئذ خمساً وعشرين سنة وهي في ريع
 الشباب ومقبل العمر ودولة الجمال فجثا اللورد امامها وقبل طرف ثوبها فانهضته وقالت له
 انك تعلم يا لورد بانى لم اكسب لك بالحمي، قال لا وحياتك ما دعاني الا شدة العشق وحر
 الصباة ونار الشوق واهون بما اقاويه في طريقي اليك عند مرآك قالت نعم انى لم افسح
 لك في زيارتي الا لا قول لك ان مقامك في هذه البلاد على خطر الموت لك والفضيحة
 لي ولست تبجل كم يحول دوننا من موانع اللقاء بين لجة البحر وتنافر الملوك وبعد النزعة
 وكثرة الرقباء وهو ما دعوتك لاظهاره لك واعلمك ان لا لقاء ولا اجتماع فقال تكلمي
 اينها الملكة ما شئت فان اين لفظك يحو قساوة معناه فهو كالسيف في اين صفحته ومضاء
 حده قالت كاني بك قد نسيت انى لم أقل لك قط انى احبك قل نعم وهو كلام يحط
 من وفائك في جانب عشق انا منه بين الجنون والمنون لم تصدني عنه رهبة ولم يرهبنى
 صد حتى كان واحداً من يوم رأيتك اول مرة من نيف وثلاث سنين حتى انى لا قدر
 الآن أن اصف لك هيئة ثيابك لشدة رسوخ صورتك في ذهني وانطباعها على قلبي
 فكاني بك وانت لابسة ثوباً من الحرير الاخضر مطرزاً بالذهب وعلى كتفك
 جوهرتان وعلى رأسك قبة موشاة وانا اراك الآن في ثوبك هذا احسن واجمل من
 قبل . فقالت الملكة لله ما هذا الجنون في عشق لا فائدة منه الا ذكره قال نعم وانما
 هي ذكرى تغلوبها الارواح اذا رخصت ويخضر منها عود الشباب اذا ذوى بل انما
 هي ذكرى ألد من الف بشرى وما هي الا اثر نظرات ثلاث اولها ما ذكرت لك
 والثانية عند الكونتس دي شفريرز والثالثة في حديقة اميان فقالت الملكة وقد صبغ الحياء
 خديها بالله يا لورد لا تذكر تلك الليلة قال كيف لا اذكرها وهي زهرة حياتي
 ونضارة عمري

رغمت بها أنف الزمان بوقنة واياك واش ولا مترقب

حيث بثنتي شرك وشكوت الي همك ويدك في يدي وغدا ترك ينشرها النسيم علي
 وجهي فهي والله وقفة ما أظن جنة الخلد باحسن منها وقد تركتني وأنا أنشد

يا ليلة سمح الزمان ببعضها بعض السماح وايته لم يندم
وانى لي بها ورد القاتت ايسر منها بل نيل النجم اقرب من نيل امثالها فاشك والله
انك فيها كنت تحمينني قالت نعم لقد كان ذلك اذ كان النسيم بارداً والجو صافياً والارض
بارزة في اثوابها القشب وانت توحى الي من الحب آيات بينات ومن العشق سوراً
مفصلات ولحظك يغازلني وكفك تغمزني وما اظن اني يصيبها ما اصابني ولا تصبر الا
اني لما عرفت من كلامك انك خضعت لبعض الشيء وسوت لك نفسك امراً غلبت
عزة الملك على سكرة الهوى فاستصرخت جوارى وكان ما كان قال نعم وهو ما زادني
غراماً فاتقصني صبراً ورفعني هياماً فحفضني قدراً وانت تحسين انك تفتلين مني او تمد
بي عنك وزارة الملك وعبء الاعمال ومعاناة الحكم واهون بها وبعوك الارض جميعاً في
سبيل نظرة من جالك فاني لم اغب عنك ثمانية ايام حتى رأيتني عائداً اليك لا اقدر
على الدنومك ولسان حالي ينشد

لئن منعوا عني الزيارة طارفاً اليك فاني من بعيد اسلم
ولعل ذلك يملك على بعض الرضى عني قالت اولاً تعلم ان السعاية خالطت امرنا
وابعدت ذات بيننا فجف ثرانا ووهت عرانا وثار الكردينال بالملك فصنع بي ماصنع من
طرد الخاتون فرني ونفي بوتانج وفضيحة دي شفرير ثم لما عزمتم على الرجوع اليها في سفارة
قام الملك بنفسه يعارض في الامر وأنه لشأن لو تعلم عظيم قل نعم وهو ما ستثور به الحرب
في فرنسا على قدم وساق تطحن الهام برحها وتعجن بالدماء ثراها وقد رأيت ان
اسمك ذكري اذا لم اقدر على مرآك وما ظنك بدواعي بعثة جزيرة ري وحصار
روشل وثورة البروتستان ان لم تكن

لاجلك يا التي نيمت قلبي وانت بخيلة بالوصل عني
ولا اكذب الله اني لا امل لي بالدخول الى باريز دخلة فاتح شاهر سيفه سوى اني اعلم
ان لا بد من ان تكون هدنة على اثر تلك الحرب فارسل انا في سفارة الصلح فانظر
اليك نظرة ترخص لدي في جنبها دماء رجال وارواح ابطال تسيل على ظبي المرهفات
وشبا الاسنة ولا اخال الملك عند ذلك يرفض سفارتي لاني
ارى ان صرح المجد ليس بسالم اذا لم يسوره باموار الدم

قالت افما تعلم انها افعال تعود علي بالوبال اذا عادت عليك بالهناء والسعادة قال ذلك لانك لا تحييني ولو فعلت لكان منصرف عن هذا الامر الى ما يكون اسلم عاقبة واهون مراساً فوالله ان دي شفريز لارق منك وارحم وقد عشقها هولاند فاجابته الى هواه وكان بها منه مثل ما كان به منها قالت اذكر ان دي شفريز لم تكن ملكة يا ملورد قال اذن ما يمنك عني الارفة مقامك حتى لو كنت دي شفريز لاجبتني فله درك ما احلى كلامك واعذب معانك وهل في العشق ملوك ايها الملكة قالت واسوءناه لقد اسأت الفهم وما هذا قصدت قال

قد قلت ما قلت ان صدقاً وان كذباً فما اعتذارك من قول اذا قيلاً

ولقد عذرتك غير معذرة وما اصنع بالدنيا بعد نفسي فاني ارى حياتي ستصير في سبيل غرامك الى مصير لا ترجع اولاه على آخراه ولا يلحق اقصاه ادناه واني لتندرنى نفسي باني ملاق منيتي وعلى الدنيا بعد ذلك السلام فقالت الملكة وقد داخلها الروع ويلاه يا لورد ما هذا الكلام قال ليفرج روعك فما قصدت ارهابك وما انا ممن يعتقدون بالاوهام والاحلام وما الله الموت بعد اذ اسمعتي ما اسمعتي فقالت ويلاه يا دوق فقد رأيتك في منامي طريماً مخضباً بدمائك قال أو ليس في خاصرتي اليسرى قالت نعم مجرح بعدي فم انباك بحلمى فاني لم اناج به الا الله في صلاتي قل انك تحييني اذن قالت أنا أحبك قال نعم أنت ولولا ذلك ما توافق حلمانا وهو دليل على اتصال القلوب وامتزاج الارواح وما اراك الا نادية علي اذا صحت احلامنا ان كان جفئك بالدموغ يوجد فقالت الملكة واكرباه لم اعد اطيع فبالله الا ما ذهبت فاني ما أعلم هل أحبك أم لا فانشدك الله أن تذهب فوالله لئن نفذ فيك مكروه في فرنسا بسببي ما وجدت عزاء عنك ولا سلوت الا بالجنون او المنون فارحل بحياتك عني قال لله أنت ما احلاك وما الله عذابي فيك فقالت ارحل يا لورد بالله ثم عد سفيراً او وزيراً تحفك جنود تمنك من اعدائك حتى لا اخشى عليك فاراك فرحة مسرورة قال أحق ما تقولين قالت نعم وايبك قال فهل من شاهد على ذلك بحقق وقتي معك حتى لا اعود اظن اني كنت في حلم فهل من خاتم أو سلسلة أو عقد احمله قالت أنسافر في الحال اذا اعطيتك ما تطلب قال افعل والله قالت اذن فانتظرنى الى ان اعود وذهبت ثم عادت وفي يدها علة فاعطته اياها

وقالت خذ هذا واذكرني به فاخذها من يدها ووقع على قدميها فقالت لقد وعدتني بالرحيل يا لورد قال نعم وانا على وعدي فهاتي يدك فاعطته يدها فقبلها وهو يلتمس شوقا فاتكأت الملكة على جارياتها اصطفاة خوفاً من ان تسقط لانحلال قواها فقال لها اللورد اراك بعد ستة اشهر اذا فسح الله في اجلي ولو آل ذلك الى خراب الارض ثم خرج من حيث دخل فصادف كونستانس في الدار فاخذته الى خارج اللوفر

الفصل الحادي عشر

(بوناسيه صاحب الفندق)

أما صاحب الفندق فاخذته الشرطة الى سجن الباسنيل وادخلوه الى مكان تحت الارض وهم يعاملونه بالقسوة والغلظة لانه لم يكن من النبلاء وما لبث قليلاً في عيبه حتى جاءه ضابط وامر بقله الى غرفة الاستنطاق فاخذه جنديان وسارا به في نفق طويل حتى ادخلاه الى غرفة واطئة فيها رجل هو المستنطق وكروسي ومائدته فوضعا بين يديه وخرجا فقال له المستنطق ما اسمك قال ميشل جاك بوناسيه قال كم عمرك قال واحد وخمسين سنة قال واين بيتك قال في سكة فولوايه في العدد ١١ فاخذ المستنطق يكبر عليه الامر ويخوفه بأس الكردينال ورهبة القصاص ويتوعده بالعذاب الى غير ذلك من انواع التهويل والتهديد حتى داخله لذلك اشد الرعب والخوف فصار يذم في نفسه دي لا بورت والساعة التي رأى فيها امرأته ثم قال وحقك يا مولاي لست بمذنب ولا مقترف ادنى جريمة على الكردينال أو غيره فقال له المستنطق والله لئن لم تصدقني لافعلن بك ولاصنعن قال وبم اكذب يا مولاي وكيف انكر ما لم اجنه ولا علم لي باوله ولا آخره قال لم يكن من العبث سجنك فانك مجرم منهم بخيانة عظيمة قال اني اكون ذا جريمة عظيمة او يكون لي دخل في خيانة وانا رجل بائع لا ناقة لي في الدولة ولا اجل فانظر يا مولاي على من تلقي التهمة وتدبر في بعيتك فنظر اليه المستنطق طويلاً ثم قال هل لك امرأة قال نعم وقد خطفت مني قال ومن خطفها قال لا ادري سوى اني اخن قال وبمن تظن فارتبك الرجل بين الاقرار والانكار ثم صمم على الاقرار فقال رجل طويل القامة صفاته كبت وكيت فقال المستنطق او هل تعرف اسمه قال لا اعرفه الا اذا رأيت

وجهه ولو كان بين الف رجل قال اترفه ولو كان بين الف رجل فتلجج لسان الرجل وعلم انه قد سقط فقال له المستنطق نقف الآن عند هذا الحد حتى تعرف خاطف امرأتك قال انا لم اقل اني اعرفه بل بالعكس فلم يدعه الرجل يتم كلامه حتى دعا بالجنديين وقال لهما خذاه الى السجن حيث كان واحرصا عليه لا يفر فخرجا به وهو يناجي ربه ويندم زمانه ويطلب الغفران عن زلته

فاخذه الجنديان الى السجن واقام المستنطق يكتب رسالة على عجل يريدان يرسلها مع رسول ينتظره . اما بوناسيه فاقام ليلة ذلك لا يغمض له جفن ولا يأخذه هجوع لشدة قلقه واضطرابه حتى طلع الصباح واذا بالفتح يقفل في باب سجنه فحقق قلبه وظن انهم يأخذونه لضرب عنقه ثم فتح الباب وظهر المستنطق فقل له انصح لك ان تقر بالحقيقة والا فانت هنالك قال اقول لك كلما اعرف بشرط أن لا تعدوا الي ، لا علم لي به قال ابن امرأتك قل قلت لك انها خطفت قال نعم ولكنها فرت من خاطفها قال هربت الشقية المجرمة ولم تركنوها تهرب قال وما كنت تصنع عند دارتانيان يوم خطفت قال كنت التمس منه أن يساعدي بالبحث عليها لاعتقادي بها الخير فاما وقد تبينت جرمها فلا ردها الله قال وما قال لك دارتانيان قال وعدني بالمساعدة ثم لم يلبث ان اخلف وعده وخفر ذمته قال انكما مذنبان انت واياه لانه نثر رجال الكردينال عن امرأتك وذهب بها وهو الآن في يدنا وسأريك اياه ثم اشار الى الحارس بادخال دارتانيان فخرج ثم دخل باتوس يهوده حتى اوقفه بمحضرة المستنطق فقال له قل يا كونت ما جرى بينك وبين هذا الرجل فصاح صاحب الفندق ليس هذا دارتانيان يا مولاي قال ومن هو اذن قال لا ادري سوى اني رأيت مرة فسأله المستنطق عن اسمه فقال اسمي اتوس قال عجباً كيف يكون ذلك فان هذا اسم جبل قال هو اسمي الذي أعرف به بين الناس قال وكيف تقول انك تدعى دارتانيان قال اني لم اقل شيئاً فانهم قالوا لي أنت دارتانيان فقلت لهم أنظنون ذلك فلم يلتفتوا الى قولي بل قادوني فسرت معهم قال ما أراك الا تحاول الانكار وما اسمك الا دارتانيان قال اذن لا لوم على الشرطة ما دمت أنت تقول ذلك فقال بوناسيه انه ليس دارتانيان يا مولاي فان دارتانيان نازل في دارني وهو فني لا يبلغ العشرين من العمر وفوق ذلك فان دارتانيان في حرس دي زيسار وهذا

من حراس الملك افما ترى ثيابه قال صدقت وما انا الا مغرور ثم فتح الباب ودخل رسول فاعطى المستنطق رسالة فقرأها ثم قال تمسأ لها فقال صاحب الفندق لعلها غير امرأتي قال بل هي بعينها فابشر بالعذاب قال كيف ذلك يا مولاي وكيف اكون معلقاً بامرأتي تلحقني جرائمها وانا بعيد عنها في السجن قال ذلك لانك انت مرشدها وامرها بكل ما تفعل قال لا والذي اسأله صلاحك يا مولاي لا علم لي بشيء مما تقول ولا بما تفعل امرأتي وتبأ لها ان كانت مذنبه فقال له اتوس وقد اخذه المثل لقد طال بنا الامر وسئمت من هذا الجدال فابعثني من هنا فمالك قبلي حاجة فنادى المستنطق بالحراس وامرهم ان يأخذوا الاسيرين ويضيقوا عليهما ما امكن فاخذوا كلاً الى سجنه واقام صاحب الفندق سحابة يومه يندب نفسه نذب التكللي حتى هبط الليل واخذه النعاس واذا بنحفق نعال يدنو منه ثم فتح الباب ودخل عليه عدة حراس وقال له احدهم اتبعني فقال الى اين اتبعك في مثل هذه الساعة قال الى حيث امرنا باخذك فقال هلكت والله ولا خلاص لي بعدها ثم تبع الحراس في النفق الذي دخلوا منه حتى انتهى الى الباب فوجد عربة حولها اربعة من الفرسان فاصعده الحراس اليها وجلس معه الذي كلمه واقفل بابها بالمفتاح وسارت العربة بهما على مهل وبوتاسيه ينظر من نافذة فيها الى الشوارع وكلما قرب من سجن او مكان عقاب ارتعدت فرائصه وخفق قلبه واستعد للقاء ربه حتى بلغت به بون انغان فوضع الموت بين عينيه ووقفت العربة فاخرجوه منها مغشياً عليه

الفصل الثاني عشر

الكونت روشفور خصم دارتانيان

فلما ادخلوه في الباب افاق لنفسه قليلاً فصعدوا به سلماً ووضعوه في غرفة وهو لا يكاد يعي من شدة الجزع ثم نظر حوله فلم ير شيئاً من دواعي الموت فاستراح باله وهدأ قلبه اذ رأى الغرفة مفروشة باحسن الفرش ومزينة بابهي الاثاث وفيها هو كذلك اذ دخل عليه ضابط فقال له انت المسمى بوتاسيه قال نعم فاخذه بيده وادخله الى غرفة لا تكاد جدرانها تظهر من كثرة ما علق عليها من السلاح وفي وسطها مائدة عليها كثير من الاوراق والكتب وفي جملتها رسم مدينة روشل وكان يصطلي على نار فيها رجل طويل القامة مهيب المنظر لا يكاد يتجاوز السادسة والثلاثين ويظهر من هيئته وهو

اعزل انه من رجال الحرب وفي رجله حذاء يعلوه الغبار كان صاحبه آت من سفر بعيد
وكان ذلك الرجل ارماند جاك دي بليسيس كوردينال دي ريشيليه بطل فرنسا وسياسيها
الفرد وكان عند ذلك قد ثبت الدوق دي نيفر في ولاية ماتو واخذ نيم وكاستر وايزي
ويعمل على طرد الانكليز من جزيرة ري ويحاصر روشل

وكان الكوردينال في لباسه ذلك بعيداً عن ان يعرفه من لم يكن قد رآه فجعل ينظر
الى بوناسيه نظرة المتأمل ثم قال للضايط أهذا بوناسيه قال نعم يا مولاي قال فاعطني
هذه الاوراق واخرج ففعل الضابط وخرج ونظر بوناسيه الى الاوراق فعرف انها تحتوي
على استنطاقه في سجن الباسنيل وكان الكوردينال بين ذلك بصمد نظره فيه ويصوبه
حتى قال له انت متهم بجناية عظيمة قال ذلك ما قيل لي يا مولاي وانا والله لا علم لي
بشيء قال انك مواطىء لامراتك وللخاتون دي شفريرز وللورد بيكنهام قال لا والله
يا مولاي لا اعرف من هؤلاء الاشخاص الا اسماءهم اذ قد سمعت بهم كثيراً قال من
سمعت قال من امرأتي فانها كانت تقول ان الكوردينال قد احتال في مجيء بيكنهام الى
باريز ليقتله ويلحق الملكة به اما انا فكنت ازجرها واقول لها ان الكوردينال ابعد من
ان يتهم بمثل ذلك قال او تعلم من خطف امرأتك قال كنت اتهمت رجلاً ثم لما رأيت
المستنطق يستاء لتهمتي عدلت عنها فتبسم الكوردينال وقال اما علمت ان امرأتك قدفرت
قال نعم علمت ذلك وانا في السجن قال وهل تعلم ما جرى لامراتك بعد فرارها قال لا
ولكني اظن انها عادت الى اللوفر جرياً على عاداتها قال لا فقدساء ظنك قال ويلاه وما
صنعت قال سنعلم ذلك من الكوردينال فانه لا تكاد تخفي عليه خافية قال وهل ترى
الكوردينال يفضل عليّ بذلك قال قد يكون على شرط ان تقر بكل ما تعلمه من العلائق
بين دي شفريرز وامراتك قال اني لا اعرفها ولا علم لي بشيء من ذلك قال لما كنت
تذهب فتأتي بامراتك من اللوفر هل كانت تأتي معك الى البيت توأم تتخلف الطريق
قال بل كانت تطلب مني ان اذهب بها الى بعض البزازين لتشتري ثياباً وكان ذلك
دأبها قال الى كم بزاز كانت تذهب قال الى اثنين قال واين يسكنان قال احدهما في
شارع فوجيرار عدد ٢٥ والاخر في شارع لا هارب عدد ٧٥

قال وهل كنت تدخل معها قال لا بل كنت انتظرها لدى الباب على حسب ما

تقول لي فقال لله درك من رجل اطوع من ثواب ثم اخذ ناقوساً من الفضة فصرعه فدخل الضابط فقال له علي بروشفور في الحال قال هو في الباب يا مولاي يستأذنك في الدخول ثم خرج ودخل روشفور فلما رآه يوناسيه صاح هو هذا يا مولاي قال ومن تعني قال الذي خطف مني امرأتي قال صه يا رجل ثم قال خذوه واحفظوه حتى ادعوه فاخذوه وهو يصبح يا مولاي فقد غلظت فليس هذا فانه رجل شريف قال خذوه فاخذوه واقلوا الباب فدنا روشفور من الكردينال وقال لقد تقابلا قال من قال هو وهي قال الملكة واللورد تعني قال نعم قال واين قال في اللوفر قال هل انت واثق مما تقول قال نعم وقد اخبرتني الخاتون دي لانوي المخلصة لك يا مولاي قال ولم لم تسبق في الاخبار قال لان الملكة قد امسكتها عندها كل ذلك النهار قال كيف كانت القصة ومتى قال بعد منتصف الليل بينما كانت الملكة جالسة بين نساها ورد عليها مندبل من خادمتها فاخذته وهي تحمر وتصفر ثم نهضت وقالت انتظري قليلاً وخرجت من باب غرفتها قال ولم لم تخبرك دي لانوي على اثر ذلك قال لانها لم تكن عالمة بالامر واضطرت الى ان تطيع امر الملكة بالانتظار قال وكم غابت الملكة قال ثلاثة ارباع الساعة ولم يكن معها الا الدونة اصطفانة ثم عادت فاخذت علبة حمراء وخرجت ثم رجعت بدونها قال او لم تسلم ما كان في العلبة قال العقد الماس الذي اهداها اياه الملك وقد تأكدت ذلك لانوي اذ سألتها عنه بعد برهة فاحمر وجهها وزعمت انه انكسر منه فص فارسلته الى صانئها ليصلحه ثم سألت الصانئ عنه فانكره قال أفلا تعلم مقر دي شفريرز واللورد بيكنهام قال لا يا مولاي فقد بحثت عنها كثيراً فلم اجد لها اثرأ قال انا اعلم اين هما احدهما في شارع فوجيرار عدد ٢٥ والآخر في شارع لاهارب عدد ٧٥ قال الا يأمر مولاي بالقبض عليهما قال ما اخالهما باقين هنا وما اظنهما الا رحلا ومع ذلك فخذ عشرة من رجالك وابحث في المنزلين قال سمعاً وطاعة ثم سلم وخرج

فلما خلا الكردينال قرع الجرس فدخل عليه الضابط فامر به بادخال يوناسيه فادخله فقال له الكردينال لقد خدعتني يا رجل قال حاشا ان اخدع مولاي قال كنت تقول لي ان امرأتك تذهب الى البزازين وهي تذهب الى بيكنهام ودي شفريرز قال صدقت يا مولاي فقد تذكرت ولقد كنت اعجب منها كيف تدخل الى بيوت لا علامة فيها

للثياب وهي تضحك مني فلهه درك يا مولاي من حاذق خبير

فطن يكاد يقول عما في غدٍ يديه اغتته ان يتفكر

ثم اكب على رجلي الكردينال يقبلها فانهضه الكردينال وقال قم يا بني ولا تخف
فاكبر بوناسيه ذلك كيف ان الكردينال يقول له يا بني وينهضه بيده فاخذ يردد عبارات
الشكر والمسرة فقال له الكردينال اظنك مملق لا مال لك فخذ هذه الصرة واستعن بها
على امر نفسك ولا تؤاخذنا بما عاملناك قال كيف او اخذك يا مولاي وانت الحاكم
المطلق بين الروح والجسد

فقال خفض عنك فان لك حقاً علينا فخذ هذه الصرة وامض لشأنك وانا سأدعوك
بعد ذلك ان شاء الله فاجئني بوناسيه لدى الكردينال وخرج يهال ويكبر ويدعو
للكردينال بالعز وطول البقاء وجعل الكردينال يقول قد ملكناه والله يبعث الدرهم ثم
أخذ ينظر في رسم مدينة روشل ويخطط حصارها حتى فتح الباب ودخل روشفور فقال
له الكردينال مهم يا بني قال بحثت عنهما فعلمت انهما قد سافرا المرأة مساء امس
والرجل صباح اليوم بعد اذ مكث كل منهما اربعة ايام في باريز قال هما هما والله وقد
فات الامر وتمذر لحاقها فان الدوقة دي شفرير قد اصبحت في نور واللورد في بولونيا
فصار من الواجب ان نلاقه في لنديرا ولكن اياك وافشاء الامر او ان تعلم الملكة بما جرى
وانا عارفون بدخيلة امرها حتى تظن انا نبحت عن امر لا علاقة له بها والآن فابحث لي
بمحراس سيكوسية قال وما صنعت بالرجل يا مولاي قال صرفته بعد ان رميت العداوة
بينه وبين امرأته فخرج الكونت روشفور وجلس الكردينال فكتب رسالة ثم دعا بالحاجب
فدخل فقال له قل لخادمي فيتراى ان يتأهب للسفر فخرج ثم دخل الخادم وهو في ثياب
الرحيل فقال له الكردينال اذهب على جناح السرعة لاتلوي على شيء حتى تصل الى
لندرة فتضع هذه الرسالة في يد ميلادي وخذ هذه البكرة نفقة الرحيل فاخذها وخرج
اما الرسالة فهذا نصها :

« الى ميلادي

« اذهبي الى اول رقص يحضره يكنهام وتلطني في الدنومنه وخذي من العقد»

« الماس الذي في صدره فصين بدون ان يشعر ثم اخبريني في الحال »

الفصل الثالث عشر

رجال القلانص ورجال السيوف

وفي اليوم الثاني من هذه الحادثة افتقد دي تريفييل اتوس فلم يجده فسأل عنه فاخبره اصحابه بما جرى له من السجن وكان اراميس قد طلب اذنًا وسافر الى روين لاعمال تختص بمائلته وذهب دي تريفييل يبحث عن اتوس فلم انه مسجون في سجن فورسيفيك وانه لم يقرّ بشيء بمس دارتانيان سوى انه قال انه لا يعرف بوناسيه ولا امراته بل انه اتى صاحبه يزوره عند الساعة العاشرة فلم يجده فاقام ينتظره فاتاه الجند واخذوه واقربا ذكرنا حتى يشسوا منه في السجن فارسلوه الى الكردينال فلم يصيه في منزله لانه كان قد ذهب الى اللوفر. اما دي تريفييل فبعد ان علم عن اتوس ما علم ذهب لمقابلة الملك

وكان الملك شديد الغيرة والحقد على الملكة في عشقها ليكنهام وكان الكردينال يبحث على ذلك ويشير عليه بما يفعل وكان اكبرهم مواخاة الملكة لدى شفريرز حتى كان ذلك يشغله عن اعدائه الاسبان والانكايز ويليه عن ضيق الحال وقلة المال في الخزينة وكان اول ما قاله له الكردينال ان دي شفريرز قد قدمت من منفاها واقامت في باريز عدة ايام توصلت الى الملكة ببعض خادماها وغير ذلك من هذا النحو متحاشياً له في كل حديثه ذكر ليكنهام فثار غيظ الملك لذلك وتقدم الى باب الملكة واهوى بيده عليه يريد فتحه فدخل عليه دي تريفييل فارتد الملك عن عزمه وعاد اليه فقال له لقد كثرت الشكوى على رجالك يا دي تريفييل قال وانا لي شكوى على رجال القلانص يا مولاي فقضب الملك حاجبيه وقال كيف قلت قال قلت يا مولاي ان بعض رجال الشرطة الذين هم نظام الملك وعليهم مدار الامن قد تهجموا على احد رجالي او رجالك يا مولاي واخذوه الى سجن فورسيفيك وهو رجل لا يجهله الملك اطال الله بقاءه ويدعى اتوس قال نعم اعرفه قال وهو الذي بلغتك عنه انه جرح دي كاهيسالك في البرازيم التفت الى الكردينال فقال وعساه شفي من جرحه فاجاب الكردينال وهو بعض شفته من الغيظ نعم والحمد لله فعاد دي تريفييل الى مخاطبة الملك فقال وقد ذهب اتوس لزيارة صديق له من حرس دي

زيار فلم يجده وفيما هو قائم في انتظاره هجمت عليه الشرطة وقادته الى السجن. فإشار الكردينال الى الملك اشارة معناها كان ذلك لما اخبرتك به فقال الملك قد عرفنا كل ذلك وانما كان في سبيل خدمتنا قال ما اظن خدمتك يا مولاي تقضي بالقبض على رجل طاهر الذيل وقوده مكبلاً بين جم غفير من الناس الى السجن وهو الذي طالما بذل دمه في سبيل رضاك فقال الملك او كذلك جرى فقال الكردينال اري دي تريفيل يكتم ما صنعه هذا الرجل من هجومه على اربعة من رجالي وهم في مهمة بعضهم لما فقال دي تريفيل احاشيك يا مولاي من الخطأ في القول والزلّة في الحكاية فان اتوس من احسن رجالي ادباً وكرم اخلاق وقد تغدى عندي واقام زماناً بجداث الكونت شاليس والدوق دي ترمويل وهما في منزلي فنظر الملك الى الكردينال نظرة المستفهم فاجاب الكردينال لقد اصبحنا في مشكل يا مولاي لا يفض الا بالايمان فقال دي تريفيل وهل يستحق رجال القلائس حلف رجال السيوف فقال الملك صه يا دي تريفيل فقال اذا كانت سيدي الكردينال يتهم احداً من رجالي فاناراض بمحاكمته لديه فقال له الكردينال ان البيت الذي جرت فيه الحادثة يسكنه احد اصحاب رجالك قال الملك تعني دارتانيان قال هو الذي اردت ثم قال لدي تريفيل افلا تظن انه اغرى اتوس قال لا فذلك بعيد عن الامكان اذ كيف يغري رجلاً اكبر منه سناً واوفر عقلاً وحرماً وفوق ذلك فان دارتانيان قد سهر عندي قال عجباً اتسر عندك جميع الناس قال او ترتاب في كلامي قال معاذ الله ولكن في اية ساعة كان عندك قال ذلك أقدر ان اقوله لاني عند ما قابله نظرت في الساعة فكانت تسماً ونصفاً غلي حين كنت اظنها اكثر من ذلك قال وفي اية ساعة خرج قال في الساعة العاشرة ونصف قال ذلك بعد الحادثة بساعة ولكن اعلم ان اتوس قد اخذ في ذلك البيت في شارع فوسوايه قال وهل يخطر على صديق ان يزور صديقه قال نعم اذا كان بيته مشبوها فقال الملك او ما تعلم انه مشبوها يا دي تريفيل قال لا وحياة رأسك يا مولاي ومع ذلك فقد يمكن ان يكون كما قال ولكن بيت دارتانيان لا اراه مشبوهاً وهو اخلص الخدم للملك والكردينال وامرع الناس في خدمة الملكة . فالتفت الملك الى الكردينال فقال او ليس هو الذي جرح جيساك فاحمر الكردينال غيظاً وحنقاً وقال نعم يا مولاي ثم جرح برناجو قال الملك فما تصنع الآن

فاحذر من نار برناجو . ولما خلا الكردينال بالملك قال له وجب عليّ الآن ان اكلمك
قال ذلك يتعلق بك يا مولاي الا اني ارى الحراس مخطئين فقال دي ترينيل وانا
لا اراهم الا ابرياء وفوق ذلك فان عندنا قضاة يحكمون في الامر قال الملك صدقت
فلنعرض القضية على القضاة فقال دي ترينيل انه يسوّني يا مولاي ان يقف الرجال
الخلصاء الامناء لدى المحاكم فان ذلك مما يجريه رجال الشرطة عليهم . فقال الملك وقد
اخذته سورة الغضب وما انت والشرطة يا دي ترينيل انظر الى رجالك ودع غيرك في
قومه ام تظن ان امساك احد الحراس يثير الحرب في فرنسا لا والله بل لو امسك منهم
عشرة او مئة او امسكوا جميعاً ما تجرأ احد ان ينس بكلمة قال اذا كان ذلك حكمت
يا مولاي والى هذا الحد غيظك على الحراس فانا اسلمك سيبي واستعفي من مناصبي فهو
خير من ان يشكوني الكردينال غداً فاسجن كما سجن اتوس فقال الملك اقصر الآن قال لا
او ان ترد لي الرجل او ان تأمر بما كنته فقال الكردينال صدقت فليحاكم فقال دي
ترينيل احسنت وعند ذلك استمبح الملك اعزه الله في الاحتجاج عنه قال الملك انا
اطلقه لك بشرط ان لا يكون للكردينال شكاية اخري عليه وان تقسم لي بابي ان
اتوس كان عندك في حين الحادثة قال ورحمة ابيك يا مولاي وحياتك بعده فقال الكردينال
للملك اذكري يا مولاي انا اذا اطلقناه تخفي علينا القصة فقال دي ترينيل انه لا يبرح
من عندي فيجيبك عن كل ما نسأله عنه فكن في راحة من هذا القيل قال الكردينال
انعم عليه بالاطلاق يا مولاي فانت رب الانعام

فقال دي ترينيل لا والله ما هذا بانعام واتما هو الحق اذا سطع نوره لا يجب بالا كف
ولا يطفأ بالافواه واتما الانعام والصفح لمن كان مجرماً وليس اتوس في شيء من الجرم فقال
الملك وهل هو في فورسيفيك فقال دي ترينيل نعم يا مولاي وفي مكان لا يوضع فيه
الا المجرمين فقال وما يجب ان نصنع قال الكردينال ان تأمر باطلاقه واذا احتجنا اليه
قان دي ترينيل كفيله ونعم الكفيل هو فاخذ الملك الامر ووقع عليه فاخذه دي ترينيل
وهم بالخروج فقال الكردينال للملك انه يسرني ما ارى من الغيرة في رؤساء رجالك على
رجالهم ونعم ذلك فعلاً قال دي ترينيل نعم يا مولاي بحسن طالع الملك ورفعة جده
ودوام ملكه ثم خرج فذهب الى فورسيفيك فاخرج اتوس وقال له هذا نار جيسالك

في امر مهم يا مولاي فان يئكنهان قد اقام هنا خمسة ايام ولم يرحل الا في هذا الصباح

الفصل الرابع عشر

الملك والملكة والكردينال

فوق هذا الكلام في اذن الملك وقوع الصاعقة فأخذته حدة الغيظ وسورة الغيرة فقال وما يقصد بيكنهام في مجيئه الى هنا فقال الكردينال لا اشك في انه آت ليواطيء اعدائك الاسباب عليك يا مولاي قال لا بل ليواطيء دي شغريز ودي لونكفيل ودي كونده على خرق حرمتي قال لا يا مولاي فان الملكة اعف من ان ينسب اليها مثل ذلك على شدة حبها لك قال لا وابي فالنساء ضعيفات يملن مع الهواء اما حبا لي فساظر فيه قال اما انا فلا اظن مجيء بيكنهام الا لاسباب سياسية فقال الملك وانا لا اراه الا لما ذكرت لك واذا كانت الملكة مخطة فويل لها قال لبعدل الملك حفظه الله عن هذا الرأي فاني قد سألت دي لانوي عن الملكة فقالت انها لم تقارفا دقيقة قط وقد رأتها تبكي لبها اجمع وصرفت نهارها في الكتابة قال نعم وانها تكتب له فلا بد لي من ان ارى اوراقها قال ذلك صعب المنال يا مولاي وما ارانا نصل اليه انا أو انت قال كيف لا وقد فعلنا مثل ذلك بالماريشالة دانكر ففتشنا خزائنها ثم فتشناها نفسها قال شتان دانكر والملكة فان تلك امرأة من بعض الخاصة وهذه حرملك يا مولاي ملكة فرنسا وسيدة الدنيا قال لقد انزلتها هذه المنزلة فماقتها وعقتها فسا نزل بها عن مكانها درجات يمتضح عندها عوارها فقد ضاق صدري من افعالها بين السياسة والمشق قال ذلك لا اسلم لك به وانما اقرانها تنوي حطة ملكك ومعاذ الله ان يكون في نيتها خرق حرمتك قال وانا اقول لك انها عازمة على الامرين جميعاً فانها لا تحبني بل تحب غيري وهو اللثيم بيكنهام فلماذا لم تقبض عليه وهو في باريز قال ان ذلك يا مولاي مما لا يقال ولا يخال فكيف تقبض على وزير انكلترا الاول وتكون في مأمن من حرب تدمر بها البلاد ولا سيما اذا حملك الغيظ على انفاذ المكروه فيه فيصبح لسان الانكليز حينئذ وهو ينشدنا

قلوا كلياتهم قلوا ارتعوا كذبوا لقد منعوا الجياد رتوعا

قال ليس علينا في ذلك عاقبة ولا تبعه لانه قدم بلادنا في زي جاسوس فقد كان يجب ..
ثم امسك عن الكلام اذ علم فظاعة الجملة فقال له الكردينال قد يجب ماذا قال لا شيء
فهل راقبت اللورد ايام كان في باريز قال نعم وقد كان ساكناً في شارع لاهارب عدد
٧٥ وما اظن انه جرت بينه وبين الملكة محادثة قال ان لم تكن فكاتبته وهي التي شغلت
الملكة سحابة يومها فلا بد لي من ان ارى رسائلها طوعاً او كرهاً والا فانت ذويد في
الامر علي قال لقد كنت اظن نفسي يا مولاي في معزل عن مثل هذه التهمة لما اتني
موضع ثقتك وموثمن سرّك اما مرارك فلا ينال الا بطريقة قال وما هي قال ان تنيط
هذا الامر بحارس سيكوسيه فان ذلك من اعماله قال نعم علي به قال لكن اخشى ان
لا تطيعه الملكة لجهلها انه آت بامرك قال اذهب انت اليه وانا ادخل على الملكة ثم
دخل فوجدها قاعدة حزينة بين نساها فوقفن له جميعاً فتقدم اليها وقال يا تيك بعد
قليل وزير يري ريشليه فيجري ما امرته به فارتاعت الملكة لذلك لانها كانت تتوقع النفي
والقتل فقالت وما هذه الزيارة يا مولاي وهل من شيء يقوله الكردينال وانت معقول
عنه فخرج الملك لا يرد عليها ثم دخل الحارس فاستأذن للكردينال ثم دخل الكردينال
وهو يتلون كتلون الحرباء وكانت الملكة لم تزل واقفة فلما رآته داخلاً جلست وشارت
الى نساها بالجلوس ثم قالت له ماذا تريد وما اتى بك الى هنا قال اتيت بامر الملك
لا بحث في اوراقك ولا يسوك ذلك مني فاني مأمور قالت ان ذلك لا يكون ابداً
فهي اهانة لي قال ألم يخبرك الملك قبل ان يخرج قالت فاعطه يا اسطفانة مفاتيح خزائني
فاخذها وجعل يبحث في الاوراق ساعة فلم يجد شيئاً فتقدم اليها وقال بقي علي امر وهو
الاهم قالت وما ذاك قال تأذنين بتفتيش ثيابك فقد بلغ الملك انك كتبت رسالة ولم
ترسلها بعد ولعلها منك قالت اجراءه على الدنو مني يا كردينال قال العفو يا سيدتي فما انا
الا خادم مطيع ورسول امين اصدع بما أوامر وقد امرني الملك بتفتيش ثيابك ولا يكبر
عليك ذلك فانه امر لا بد منه فاجفقت الملكة مرتاعة ثم مدت يدها الى صدرها
فاخرجت رسالة وسلمته اياها وقالت خذها واخرج وارحني من مرآك فاخذها الكردينال
وخرج وسقطت الملكة بين نساها وشيكة الاغماء وذهب الكردينال بالرسالة فبعثها الى
الملك فقرأها فوجدها موجهة الى اخي الملكة في اسبانيا نستحنه على حرب فرنسا وان

يجعل من شروط الصلح بعتة الكردينال منها ولم يجد فيها اثرًا للعشق فدعا الملك بالكردينال فدخل فقال له صدقت انت واخطأت انا فليس للعشق فيها اثر فاخذ الكردينال الرسالة فقرأها ثم عاد عليها وقال اجد انها تغري اخاها بطلبي اليه وانا اشير عليك بذلك ايها الملك فاني قد سئمت من حصار روشل وبرح بي همه فلو رأى الملك ان يولي مكاني احد رجال الحرب ممن يصلحون للحصار فما انا لا رجل راهب قال عرفت من تريد فلا بد لي من معاقبة كل من هو مذكور في هذه الرسالة حتى الملكة نفسها قال حاشي يا مولاي ان اكون سبباً لا يصلح الاذي الى الملكة في امر لا يشينك ولو كان فيه شيء من الشين لكنك اول مساعد في عقابها ولكنها امور لا دخل للعشق فيها فلا سبيل للقصاص عليها قل صدقت فقد اغلظت لها في هذا الشأن وهو دأبي مع اعدائك واعدائي يا كردينال قال انها عدوتي ولكنها حليتك يا مولاي واحب الناس اليك كما انك احب الناس اليها فأذن لي اتوسط في الصلح بينكما قال ذلك لا يكون الا اذا بدأت هي به وانت اليّ قول لا يا مولاي فانت البادي، بالتهمة فعليك ان ترضاهما قال ويحك واين تذهب عزة الملك قال انا التمس ذلك منك يا مولاي فلا تخيب طلبي قال وكيف السبيل الى ذلك قال ان الملكة تميل الى الرقص فلو اعددت لها ليلة راقصة ولو كنت قليل الرغبة في مثل ذلك فانه مما يزيد في اعزازك عندها ويكون لها فرصة لان تتحلى بالعقد الماس الذي هاديتها به قال سنرى في ذلك وكانت الساعة الحادية عشرة قد حانت فودع الكردينال وخرج . وكانت الملكة فيما بين ذلك مفكرة مهمومة واذا بالملك قد دخل عليها واعلمها بانه سيحبي لها ليلة راقصة فعجبت لذلك اشد العجب وعلمت ان في الامر حيلة من الكردينال فسألت الملك متى تكون الليلة فاجابها انه سيكلم الكردينال في تحديدها ولم يمض على ذلك ثمانية ايام حتى ورد على الكردينال رسالة من لندره فيها

« لقد حضرت عليهما ولكني لا اقدر ان اسافر لقلة المال في يدي فارسل لي »

« خمسمائة دينار و بعد وصولها لي بخمسة ايام اكون في باريز »

وفي ذلك اليوم سأله الملك متى تكون ليلة الرقص فحسب الكردينال ايام ذهاب المال اليها وايام مجيئها الى باريز فوجد انه لا بد لذلك من عشرة ايام فقال نجعلها بعد اثني عشر يوماً ولكن على شرط ان تتحلى الملكة بالعقد الماس

الفصل الخامس عشر

في تداخل كونستانس بوناسيه

فلوجس الملك في نفسه امرآ من نحو الملكة اذ سمع الكردينال يشدد عليه بأن تلبس الملكة العقدة وقال ان في الامر شيئاً ستكشفه لنا الايام ثم ذهب الى الملكة فعرض عليها الامر فلم تجب واخذت في البكاء فشدد عليها فقالت لماذا تكنني امرك يا مولاي فاذا صنعت واي جرم اجترحت وما ارى غضبك هذا ناجماً عن رسالة كتبتها الى اخي فقال لها انها ستكون ليلة راقصة بعد قليل وانا احب ان تحتفلي لها وتلبسي العقدة الماس الذي اهديتك اياه يوم العيد اُسمعين ما اقول . فارتعدت فرائص الملكة وظنت ان للملك الماماً بأمرها فاصفر وجهها اصفراراً شديداً وقالت نعم قال آمحضرين الرقص قالت نعم قال وانت لابسة العقدة فزاد اصفرارها واشتد رعبها وقالت نعم ومتى يكون ذلك قال لا اعلم وسأسأل الكردينال قالت اظن ان الكردينال هو الأمر بذلك قال نعم وما عليك كان هو او انا اتستائين لذلك قالت لا قال فانعلي ما قلت وخرج فوقعت الملكة على ركبتيها تبكي وتقول واكرباه هلكت والله واذا بصوت من ورائها يقول ألا اقدر ان افيدك في بعض الشيء يا سيدي فالتفت الملكة مذعورة فوجدت في ملتحى البابين امرأة صاحب الفندق بوناسيه وكانت قد سمعت ما دار بينها وبين الملك فعقبت المرأة قائلة لا تخافي ايها الملكة فأنا اسمى في سبيل خلاصك فقالت الملكة وهل اقدر ان استرسل اليك قالت نعم والله على ما اقول شهيد ولا بد من ان ارد اليك ذلك العقدة قالت ومن لي به ودونه خرط القناد قالت نبعث رسولا الى اللورد قالت والى من اسلم سري قالت انا اسمى لك في رجل يذهب في هذه البمثة قالت ارى ان ذلك لا يكون الا برسالة مني قالت ذلك لا بد منه ولا يزيد عن سطرين توقيعين عليها بمخاطمك قالت هو ذلك ولكن الا تدرين ان هذين السطرين تتوقف عليهما حياتي وشرفي قالت ذلك اذا رآها اعداؤك اللثام وانا زعيمة لك بايصال كتابك الى صاحبه وثقي بقولي فان حياتي مبدولة دون وصول ادنى اليك قالت ومن عساه يكون الرسول قالت زوجي وقد خرج من السجن قريباً ولم اره بمد وهو رجل بسيط القلب

يمضي فيما ارسمه له ولا يعلم ما بحمله قالت بارك الله فيك يا بنية فانت بذلك تخلصين عرضي من العار وحياتي من الموت قالت ليس لي في ذلك فضل خلاص وانما هو فضل جزاء الظالمين فاسرعي في الرسالة فقامت الملكة مسرعة فكتبت الكتاب وختمته واعطته للامراة وقالت ينقصنا الآن شيء واحد وهو المال قالت صدقت فان زوجي رجل فقير ولكن تنظر في ذلك قالت مكانك فقد فتح علي امر ثم قامت الى خزانتها فاخرجت خاتماً ثمناً وقالت خذي هذا الخاتم فهو ملكي لا يعارضني فيه احد بعنه لي اخي ملك اسبانيا فيبعه ويسافر زوجك بثمنه ولا تنسي ان العنوان « الدوق يكنهام في لوندرة » فقبلت الامراة يد الملكة وخرجت الى البيت فوجدت زوجها وحده قائماً في انتظارها فجالت وساوسها في تسليمه السر وترددت ثم خطر لها انه بخيل يحب المال فطمعته فيه وقالت له ان لدي امرأ مهماً اريد ان ابثك اياه قال وما ذاك وعساه ان لا يفضي الى عودتي الى السجن حيث كنت قالت لا بل هو امر تترى منه ثروة عظيمة ويكون لك من ورائه ما يبلغ الالف دينار قال نعم فما ذاك قالت تذهب الى لندرة في رسالة توديتها الى احد رجالها قال اني لا شأن لي في لندرة فما يذهب بي اليها قالت ان لعيرك فيها شأناً قال اذن لا اذهب او تخبريني باسم المرسل والمرسل اليه فاني لم اعد ممن يخبطون في امورهم خبط عشواء بعد اذ اوصاني الكردينال قالت وهل رآك الكردينال ويحك قال نعم دعا بي اليه من السجن ودعاني بصاحبه فانا الان صاحب الكردينال قالت قد اخطأت في مصاحبتك رجلاً توجد يده فوق يده قال لا اصاحب سواء فانا خادمه الامين ولا افسح لك بالقيام في امر يخالف صالح الملكة قالت انت كردينالي اذن وضد الملكة قال لا بل انا مع من لا غاية له الا صالح الدولة قالت ويحك وهل تعرف ما هي الدولة وما هو صلاحها فاطرح عنك هذه الاوهام واسع فيما فيه صلاحك فضرب يده على صرة المال وقال ويحك ما هذا أليس هذا الصلاح قالت واني لك ذلك قال من الكردينال والكوث دي روشفور قالت تصاحب روشفور وهو الذي خطفني قال أولم تقولي لي ان لاخطافك امراً سياسياً قالت نعم ولقد كان القصد منه ان اخون الملكة واعبث بشرفها فاذهب لعنة الله عليك من خائن يتبع الشيطان حباً للمال قال ليس ذلك الشيطان وانما هو الكردينال قالت هما واحد عليهما لعنة الله قال وماذا

تريدن مني الآن قال تذهب فيما رسمت لك قال اري ان لندرة تبعد كثيراً عن باريز وما انا كفوؤ لهذا الامر على شدة الخطر فيه ولقد ادبني السجن عن كل دخيلة وقد ذقت فيه الموت الوائاً وهل يشتهي الموت من ذاقه فاليك عني يرحمك الله فما انا يصاحبها قالت اولاً تعلم انك اذا عصيت اعيدك الى ما تخشى منه بأمر الملكة قال اذا فعلت ذلك فانا اشكو امري الى الكردينال

ثم خطر بباله قول روشفور له ان استطاع سر امراتك فقال لها الا تقولين لي ماذا اصنع في لندرة وما الغرض من ذهابي اليها قالت ان لذلك سرّاً لا ينبغي ان تعرفه سوى اني قلت لك ان لك منه فائدة فجال عند ذلك في خاطره ان يذهب الى الكونت روشفور فيقص عليه امر الرسالة الى لندرة وانها من الملكة فيكون له من ذلك جزاء فقال لها انا خارج الان لموعد ضربته وسأعود بعد قليل ثم خرج واقامت تندب نفسها واخفاق مساعها وخجلها من الملكة واذا بصوت يقول لها من السقف اتحي لي لانزل اليك فالتفتت الامراة فرأت دارتانياً

الفصل السادس عشر

المشيق والقرين

فتحت له كونستانس الباب فدخل وهو يقول لله ما ابلد زوجك قالت وهل سمعت ما دار بيننا قال لم تفتني منه كلمة قالت وكيف تسنى لك ذلك قال من شق في السقف اسمع منه وارى وبه سمعت ما جرى لك مع شرطة الكردينال قالت وعلام وقفت من امرنا قال على شيء كثير منه ان زوجك رجل بليد بارد وهو ما اسر له وانك حائرة في امر وهو ما كنت اتناه ذريعة لبعض الخدمة لك ولو كان دونها ذهاب نفسي وان الملكة في حاجة الى رجل شجاع يذهب في الرسالة لها الى لندرة واني ذلك الرجل قالت وهل تصدقني الخدمة اذا سلمتكم سري قال اي وحياتك وحياة اشواقي اليك وتربة صبري الجليل فيك فقالت وقد تهدت ويلاه وكيف ابوح لك بالسر وانت غلام حدث قال افتريدن من يشهد لك بي قالت نعم وهو اقرب للثقة فيك قال اتعرفين اتوس وبرتوس وارانيس قالت لا فمن هم قال من حراس الملك وقاندم دي تريفيل

اذنا تعريفه قالت بلى سمعت به قال فاستوصي اليه بسرك فانه رجل قوي امين قالت
 ان سري ليس لي قابوح به قال وكيف بحت به لزوجك قالت انه مغفل لا يدري ما
 يسمع قال اذنا ترين بي الثقة لمرك في الذي تطايينه مني قالت نعم فاني اراك شجاعاً
 اميناً كريم النبعين نبيل الحسب قال وازيدك على ذلك اني عاشق لك وانت ادرى
 بفعل من طب لمن حب قالت اقسم لك بالله انك اذا خنتني وافشيت سري اقتل نفسي
 واتهمك بقتلي قال وانا اقسم لك ان موتي ادنى الي من ان ابوح بكلمة من سرى واني
 ممن يقول واكنتم السر فيه ضربة العنق قالت ابانت فاسمع وقصت عليه القصة من
 اولها الى اخرها فازدهى الفتى كبراً وتبها وقال انا لها والله واسافر الان قالت الا تذكر
 انك قائداً تطيعه قل نعم فقد انسيتهني ذلك فانا استأذنه ويكون وسيطي في ذلك
 دي تريغيل فهو صهر قائدي دي زيسار قالت وهل في يدك مال قال لا فقامت الى
 الخزانة فاخذت الصرة التي جاء بها زوجها وقالت له خذ هذه واسمن بها على نفقة
 الرحيل قال تبارك الله قد استمنا على الكريمال به قال نعم وذلك دأب العادل في
 الظالم ثم انصتت وقالت وقد اخذتها الرعدة اني اسمع كلاماً في الطريق وهو صوت زوجي
 فوثب الفتى الى باب السري وقال لا تنتحي حتى اصعد قالت وانا فما اصنع اذا وجدني
 هنا ولم يجد الصرة قل فاخرجني من البيت قالت اذا خرجت يراني قال فتعالي الى بيتي
 ولا تماهلي ثم اخذ بيدها وصعد بها الى منزله واوصد الباب ووقف واياها في النافذة
 ينظر من خصاصها فرأى زوجها مقبلاً ومعه رجل متدثر برداء فها هو الا ان رآه حتى
 شهر سيفه ووثب الى الباب فقالت ما بالك قال هذا خصمي وقد حلفت ان اقتله قالت
 بحياتي عليك لا تفعل فليس الان وقت القتال قل صدقت وعاد الى النافذة فوجد الرجل
 قد دخل البيت والتفت الى صاحبه وقال لقد ذهبت امرأتي الى اللوفر قال وهل انت
 في ثقة من انها جاهلة سبب خروجك قال لا اعلم قال وهل ضيفك في بيته قال لا فان
 الباب مقفل وخادمه غائب قال لا بأس من ان تطرق الباب لتكون في مأمن من وجوده
 قال نعم وصعد السلم فطرق الباب فلبث الفتى والامراة لا يتحركان فقال زوجها للرجل
 انه غائب عن بيته قال حسن فلندخل الى دارك فقالت كونستانس لدارتانيان اذن
 يخفي علينا كلامها فلا نسمع قال لا بل نسمع كما لو كنا بينهما ثم قادها بيدها الى ثقب

واكباً عليه يسمعان فقال صاحب الرداء لزوجها هل انت في مأمن من ان يسمعا احد
قال نعم قال وهل انت في ثقة من انها ذهبت الى اللوفر قل نعم قل ان لذلك عندي
اهمية كبرى قال كما ان للخبر الذي اخبرتك به جائزة عظيمة قال اتكل علي في ذلك
ولكن الا تذكر انك سمعت من امرأك بعض الاسماء مثل دي شفريرز وبيكنهام وغيرها
قال لا لم تقل لي الا ان اذهب الى لوندريه برسالة مهمة فانتظت لذلك امرأته وجعلت
تحرق الارم ثم همت بالكلام فسمعها دارتانيان وقل اسمي فقل له الرجل لو استرسلت
معا الى النهاية فاخذت الرسالة لكنت لك صلة حسنة قال ذلك لم يفتم وسأحصل عليه
قال كيف تصنع قال اذهب الى اللوفر فخذ عبا وأخذها منها واعدود بها الى الكردينال
قال انت وذلك ونعم ما تفعل ثم خرج وعمد الرجل الى الخزانة يطالب الصرة فلم يجدها
فطار عقله واخذ يندب ويصيح ثم خرج الى الطريق وهو يستغيث ويسأل المارة عن
السارق فقالت كونستانس لدارتانيان الا ان فاصنع ما قلت لك وابذل فيه غاية الجهد
فان ذلك خدمة للملكة قال وخدمة لحبك ايضاً ثم انف بعباءة له وتقلد سيفه وخرج
واتبعته كونستانس نظرها الى ان غاب فحنت على ركبتيها وهي تقول اللهم احفظ الملكة
واحفظني بقدرتك يا ارحم الراحمين

الفصل السابع عشر

تدبير السفر

فذهب دارتانيان توجاً الى دي تريفييل ودخل عليه وهو يشاور نفسه بين ان ييوج
بالسر او يكتمه حتى عزم على الاقرار لعله انه من حزب الملكة واعداء الكردينال فلما
راه دي تريفييل قال ما وراءك يا بني قال امر مهم يتعلق بمقام الملكة وعليه تتوقف
حياتها وشرفها وهو سراسعدي الحظ بالوقوف عليه قل لك هو ام لغيرك قال لا بل
للملكة وقد شدد علي بكتمانه الا اني لما رأيت ان لا فائدة لي منه بدونك رأيت ان اطلبك
عليه وانا في ثقة من كتمانك له قال اياك والانشاء لي أو لغيري بل قل ما تريد قال رخصة
من دي زيسار الى خمسة عشر يوماً تكون بدأتهما من هذه الليلة في سفر الى لوندريه يعارضني
فيه الكردينال اشد المعارضة قال اوجدك ترحل قال نعم وما علي اذا ذهبت وحدي قال

اخشى عليك القتل واقتضاح الامر فينبغي ان تكونوا اربعة ليسلم منكم واحد على الاقل قال نعم ولكن انت تعلم ان اتوس وبرتوس وراميس لا بد من ان يعملوا بالسرف قد تعاقدنا على ان لا يكتم احدنا الاخر شيئاً قال لا تخف فانا اقول لهم انك ذاهب في امر خطير وفي ذلك مقنع لهم وارخص لاتوس بالذهاب للاستحمام في مياه فورج للشفاء من جرحه ولرفيقه بالذهاب معه وبذلك الحجة يتسهل رحيلكم معاً فاذهب اليلة الى اصحابك واخبرهم ثم هل معك مال يكفيك فراه دارتانيان الصرة فقالوكم فيها قول ثلاثمائة دينار قول تكفي فاذهب على الطائر الميمون فودعه دارتانيان وذهب الى بيت اراميس فوجده في منزله فجلس اليه بحادثه واذا بخادم دي تريفييل قد دخل عليهما واعطى اراميس صرة محتومة فقال له ما هذا قال رخصة السفر يا مولاي فقال وأي رخصة سفر فقال له دارتانيان خذ من جذع ما اعطاك ولا تقل كيف ذلك ثم اخرج ديناراً فلقاه الى الخادم وقال له اقرأ سيدك السلام فلما خرج الخادم قال اراميس ما معنى ذلك يا دارتانيان قال تهباً لسفر خمسة عشر يوماً واتبعني قال لا اقدر ان اترك باريز قبل ان اعلم ما جرى فقال دارتانيان بالامرأة ذات المنديل فاصفر اراميس لذلك وقال من اخبرك ان عندي امرأة قال رأيتها قال اتعرفها قال اظن اني اعرفها قال وهل تعرف ما جرى لها قال سافرت الى تور قال وكيف لم تخبرني قال خشيت من ان يصيبها محذور فذهبت خفية قال وهل تعرف سبب مجيئها الى باريز قال نعم وهو سبب سفرنا الان الى لندره قال وما ذلك قال ستعلمه والان فقم بنا الى اتوس وقل لخادمك بازين ان يتبعنا فقد يكون لنا به حاجة فدعا اراميس بخادمه وامره بان يلاقيه عند اتوس ثم لبس عباة وقلد سيفه وغداراته الثلاث وخرج فلما صاروا في السكة قال لدارتانيان هل ذكرت هذه الامراة لاحد قال لا والله لم تسمع بذكرها غير اذني ولم يجز اسمها على لساني قط قال نعم ما فعلت ثم دخل على اتوس فوجداه جالساً وفي يده جواز السفر وهو يقبله في كفه حائراً فقال لدارتانيان لقد حرت في هذه الرقعة ولم ادركها معنى فاخذها دارتانيان وقرأ

« ايها الصديق اتوس . قد رأيت ان اراعي صحتك بان اسمح لك بالاستقالة »

« خمسة عشر يوماً تذهب فيها الى مياه فورج او غيرها من المياه النافعة والسلام عليك »

« دي تريفييل »

« من صديقتك »

ثم قال معناها ان تبغني الى حيث اذهب قال الى مياه فورج قال نعم والى غيرها في خدمة الملكة . وفيما هو يتكلم دخل بورتوس وهو يقول لم اسمع قط من يوم دخلت في جملة الحراس انه تعطى رخصة لاحد من غير ان يطلبها فقال له دارتانيان ولكن لا ينبغي ان تعجب اذا طلبها له اصحابه قال اني اري في ذلك سرّاً قال نعم وهو ان تذهب الى لندره قال وما معنى ذلك قال انه سر لا بد لي من افشائه فاتبعوني بحبيكم الله فقالوا ومن اين لنا المال ونحن اصفار من الدرهم قال ذلك عليّ ثم طرح الصرة بين ايديهم وقال تقسمها فهي تكفيننا لانا لا نصل كلنا الى لندره على ما اظن قالوا ولم ذلك قال قد يمكن ان يتخلف بعضنا في الطريق قالوا تلك اذن غزوة قال نعم غزوة شديدة الخطر ولا توأخذوني اذا كتمتكم اسبابها الى اجل مسمى قالوا رضينا وتلك عاداتنا في بيع ارواحنا فقال اسرعوا يا قوم فالزمان قصير فنأدى الاربعة غلمانهم وقالوا لم اسرجوا الخيول وانتظرونا على باب تريفيل فمضى الغلمان فيما امروا به واقام الموالي يتشاورون كيف يذهبون فقال بعضهم ننصرف تبعاً وقال بعضهم يذهب كل منا في طريق وتنازلم في كاله فقال دارتانيان اخطأتم يا قوم فان بعثنا في كتاب نوصله الى لندره ولا تقدر ان نجعل له نسخاً اربعاً لانه مختوم بختم خاص لا وصول لنا اليه ولكننا نذهب معاً قالوا صدقت وسنعتاض عن مياه فورج بمياه المانش ولا تقر بوجهتنا ولو ذهبت دون ذلك ارواحنا ونسلح الاتباع وتسلح فنكون سرية من ثمانية فرسان قال احسبتم فاقسموا المال فاقسموا ما في الصرة واخذوا يتجهزون للرحيل

الفصل الثامن عشر

الرحيل

وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل سار الحرسيون الاربعة بغلمانهم قاصدين كله حتى كانت الساعة الثامنة من النهار فوصلوا الى شاتينيلي فنزلوا للغداء في فندق فيها وجلسوا على مائدة هناك عليها رجل من النبلاء فأكلوه وتعرفوا به وشرب نجبهم (على صحتهم) ثم قاموا للانصراف فعرض لهم الرجل وعرض على بورتوس ان يشرب معه على صحة الكردينال بزعمه ان لا حاكم سواه فامتنع بورتوس عن ذلك والح عليه

(٧)

الرجل فقال له بورتوس انك سكران فلا لوم عليك ولا حرج فاحفظه ذلك وسل سيفه
وطلب بورتوس للبراز فقال له اصحابه الثلاثة اقتله واتبعنا على جناح السرعة ثم ركبوا
خيولهم وخلفوا بورتوس بمحاول خصمه وخادمه الى جانبه وفيما هم يسرون وقد بلغوا
مكاناً ضيقاً التقوا بجماعة مقبلين عليهم فزاحومهم في الطريق فاحفظ ذلك اراميس
وتعرض لاحدهم فرموه بالرصاص فأصابوا كتفه وخادمه وجدّ دارتانيان ورفيقاه في
المسير دفعا للعوائق فتحامل الجريحان وتبعاهم بماشيتهم حتى بلغوا مكاناً يدعى كرافكور
فقال اراميس انه لم يعد يقدر على التحامل وقد عزم على اللبث في القرية فتركوه مع
خادمه بازين وساروا حتى انتهوا الى اميان عند منتصف الليل فنزلوا في فندق هناك
وطلبوا من صاحبه مكاناً للمبيت فزعم انه ليس عنده الا غرفتان في آخر الفندق فأبوا
عليه ذلك وناموا في عرصة الفندق وتركوا كريمود خادم اتوس يحرس الخيل فلما كان
الصباح قام الخادم الى الخيل ليسرجها ونبه خادم الاسطبل ليساعده في العمل فقام اليه
وضربه بمصاً فشق رأسه وسمع اتوس ودارتانيان صياحه فأقبلا عليه فوجداه مطروحاً
مشجوج الرأس ثم نظرا الى الخيل فاذا بأحدها قد جرحه البيطار في عملية جراحية دعي
لها الحصان آخر فظنه ذلك الحصان فذهب بلانشت خادم دارتانيان يسأل عن حصان
يشتره بدل الحصان الذي جرح ودخل اتوس ليدفع لصاحب الفندق اجرة المبيت
فاعطاه ديناراً فأخذه وارقصه على ظفريه ثم تعلق بأتوس وقال لقد وجب عليك الحد
لانك مزيف للعملة ثم صاح بالشرطة فدخل اربعة منهم وقبضوا عليه وهو يحاول
الخلاص ويصيح بدارتانيان ان اركب وخادمك الحصانين الباقيين واسرعا ما امكن ثم
اطلق اتوس رصاصتين ونظر بلانشت وقال لسيدة اري رجلين يسقطان فقال بارك الله
في اتوس فسيتبعنا عن قريب فهما بنا على عجل وسارا ينهان الطريق سحابة يومها حتى
صارا على مقربة من كاله فوقف حصان دارتانيان وجعل الدم يسيل من منخريه وعينيه
وعجز حصان بلانشت عن المسير لشدة التعب فتركاها وسارا ماشيين وفيما هما يسيران
اشار بلانشت لدارتانيان الى رجل من النبلاء بمشي امامها ووراءه خادمه فتبعاه حتى
بلغ شاطئ البحر واقبل على ملاح قد نشر شراع فلكه فطلب منه ان يأخذه الى
انكلترا فاجابه ان قد ورد اليهم امر من الكردينال ان لا يقبلوا أحداً الا باذن منه

فقال ان الاذن معي فابن اجد والي المدينة قال في يئنه في ظاهر البلد و اشار له يده الى المكان فعاد الرجل قاصداً بيت الحاكم وتبعه دارتانياًل وقد سمع ما دار بينه وبين الملاح حتى دخل في غابة في الطريق فدانه دارتانياًل وقال اري انك مستعجل قال لا عجلة ان شاء الله قال ان لم تكن عاجلاً فانا ملتصق منك امراً لاني مستعجل قال وما ذاك قال ان تدعني اتقدمك في السفر قال ذلك لا يكون ابداً فقد قطعت مسافة طويلة في وقت قصير لاصل الى لندره غداً عند الظهر قال وانا قطعت مسافة اطول في وقت اقصر لاصل الى لندره قبل الظهر قال لا تؤخرني بالله فان بعثني من الملك قال وانا بعثني من قضي قال والآن فماذا تريد قال ان تعطيني الاذن الذي نعمله قال اظنك تطلب البراز فانزل فقال دارتانياًل بخادمه انت للخادم وانا للمولى ثم سل سيفه وتكافحاً فرمى بلانشت خصمه وبرك على صدره وصاح بدارتانياًل قد فرغت من خصمي فانجز امر خصمك فهجم دارتانياًل على خصمه فضربه بسيفه فرماه الى الارض جريحاً ثم دنا منه ليأخذ الورقة من جيبه فضربه الجريح بالسيف فاصاب كتفه وجرحه جرحاً خفيفاً فاعاد دارتانياًل عليه حتى غاب عن رشده واخذ الورقة منه واذا بها باسم الكونت دي ويرد ثم عمد الى الخادم فسدقه بمنديل وربطه الى جزع شجرة باسعاف خادمه بلانشت فقال له خادمه اري انك جريح يا مولاي قال لا بأس فالجرح خفيف لا خوف منه فملينا بالام ثم سارا حتى بلغا منزل الوالي فاستأذن عليه دارتانياًل متحلاً اسم الكونت دي ويرد فاذن له ودخل فقال له الوالي أممك امر من الكردينال قال نعم وهو هذا فاخذه الوالي وتصفحه ثم قال يظهر لي انه شديد الوصاة بك قال نعم فانا من اتباعه الامناء قال اري ان الكردينال يريد ان يمنع رجلاً من الذهاب الى لندره حتى اصدر امره هذا قال نعم يزيدان يمنع فتى من النبلاء يدعى دارتانياًل وقد خرج من باريز باصحاب ثلاثة قاصداً لندره قال هل تعرفه قال نعم قال فصف لي هيئته فاخذ دارتانياًل يصف له صفات الكونت دي ويرد حتى اتىها ثم قال له ان معه خادماً ثم وصف له خادمه فقال الوالي سنرى في شأننا معه اذا انتهى البنا وانا التمس منك اذا عدت الى الكردينال ان تشهد بي خيراً لديه قال نعم فوقع الوالي على الاذن وودعه دارتانياًل وخرج مسرعاً بخادمه حتى بلغ الميناء فنزل في فلك فسار به الى انكائرا وكان جرحه

خفيفاً جداً فضمده ونام فلما أصبح اذا هو على شاطئ انكائرا قنزل الى البر وسار الى
لندره وجعل يسأل عن اللورد دوق دي ييكنهام فارشده الى قصره فسأل عنه فقال له
خادمه ويدعى باتريك انه ذهب مع الملك الى الصيد في مكان لا يبعد كثيراً عن
لندره قال فيها بنا اليه وقل له ان رجلاً يريد ان يراه في الحال قال وكيف يعرفك قال
تقول له هو الرجل الذي كاد يبارزك قبالة اللوفر في باريس وتلك علامة لا تخفى عليه
فسار الخادم مسرعاً ودارتانياان معه حتى بلغا مكان الصيد وتخلف دارتانياان وسار الخادم
الى اللورد فوصف له الفتى فمرقه وثني عنان فرسه واقبل يخب حتى وصل الى دارتانياان
فمرقه وترجل عن فرسه وقال عسى الملكة في خير قال نعم ولكن اضن انها في خطر فخذ
هذه الرسالة تعلم فاخذ اللورد الرسالة فاذا بها مثقوبة فسأله عن الثقب فحكى له قصة
اللورد دي ويرد وكيف انه ضربه بالسيف فاصاب كتفه وثقب الرسالة ففضها اللورد
وقراها والعرق يسيل من جبينه ثم التفت الى خادمه وقال له اذهب الى الملك وقل له
ان امراً خطيراً يعني عن اتمام الصيد ثم وخز جواده وسار ودارتانياان الى لندره

الفصل التاسع عشر

الكوتس دي وينتر

ودخل اللورد ييكنهام الى لندره يشق جماهير الناس بجواده لا يلوي على احد
حتى انتهى الى قصره فترجل ودخل في القصر وتبعه دارتانياان في عدة غرف حتى
بلغ حجرتة فدهش دارتانياان من حسن فرشها وجودة اتقانها فاخذه ييكنهام الى باب
صغير في جدارها ففتحته بمفتاح من الذهب معلق بسلسلة ذهبية في عنقه وقال له ادخل
وانظر وعساك تخبر من احب بما ترى فدخل دارتانياان معه فرأى غرفة يفتش الذهب
جدرانها ويكسو ارضها الدمقس الفاخر وفي صدرها شبيه الهيكل قائمة عليه صورة حنة
دوتريش ملكة فرنسا تحيطها الشموع والمصابيح والزهور والصورة في غاية الاتقان حتى
دهش دارتانياان لها وكاد يحسبها شخص الملكة وعلى الهيكل العلية التي فيها القعد
فاخذها اللورد واخرج منها القعد وجعل يقبل فصوصه واحداً بعد واحد وهو يقول لله
در ايوب حيث قال الرب اعطى والرب اخذ الا انه لم يأت على آخرها حتى اجفل

وصفق صفقة الاواه فقال له دارتانيان ، اياك يا مولاي قال ان العقد ناقص منه ففان
 فلا يوجد الا عشرة وما اظن ذلك الا احدى حظيات الكردينال فانظر الى السلك فاني
 اراه مقطوعاً بمقص قال الا تعرف السارق يا مولاي قال نعم عرفته فما هو الا الكونتس
 دي وينتر فانها دنت مني في رقص اقامه الملك ثم لم ارها بعد ذلك ولم افطن للعقد
 لو لم انظره الان وهي لا شك رسول الكردينال ولكن متى تكون ليلة الرقص في باريز
 قال يوم الاثنين القادم اي بعد خمسة ايام قال تكفي ثم دعا بخادمه فقال له علي بصانفي
 وكاتم سري في الحال فخرج الغلام ولم ينب حتى دخل كاتم السر فوجد بيكنهام جالسا
 يكتب فقال له اللورد تأخذ هذه الورقة الى وزير الملكة ويجري بموجبها في الحال فاخذ
 الرجل الورقة ونظر فيها وقال اذا سألني الوزير عن اسباب ذلك وهو من خوارق العادة
 فبم اجيبه قال قل له هكذا اريد قال قد يمكن ان يبلغ الامر للملك يا مولاي ولا بد
 من ان يعرف سبب منع الفلك عن السفر من انكلترا قال اذن فقل له اني عزمت
 على اشهار الحرب على فرنسا وان ذلك اول علاماتها فسلم الرجل وخرج فالتفت اللورد
 الى دارتانيان وقال قد خلا لنا الجو فلا يصل الفصان المسروق ان الا بعد وصولك اذا
 لم يكن سارقها قد ذهب بهما قال وكيف ذلك قال قد امرت بمنع كل فلك عن المسير
 الى فرنسا فاندهل دارتانيان من ذلك واخذ يعجب كيف ان رجلاً يثير الحرب في
 سبيل غرامه فقال له اللورد لا تعجب فالي امر الا حنة دوتريش فاني صائر الى طاعتها
 ومجتهد في رضاها ولو تقمت علي ملوك الارض وقبائلها فقد قالت لي ان لا ارسل مدداً
 الى البرونستان في روشل فعدت عن قولي واطعتها وعدلت عن ارسال المدد وما اتم
 كلامه حتى دخل الصانع فاخذه اللورد الى غرفه واره الفصوص وقال له كم يسوي
 الفص من مثل هذه قال الفأ وخمسة دینار قال وكم يستغرق عمل اثنين منها قال ثمانية
 ايام قال اعطيك على كل فص ثلاثة آلاف دينار بشرط أن تأتيني بهما بعد غد قال
 ساجهد نفسي في ذلك قال احسنت ولكن الا تعلم انك لا تخرج من هنا حتى تم العمل
 وانا احضر لك كلما يلزمك من ادوات وصناع فرضي الرجل واحضر ما احتاج اليه واقام
 في غرفة في القصر يشتغل في العقد والتفت اللورد الى دارتانيان وقال لقد اصبحت
 انكلترا الان لي ولك فاطلب ما تشاء قال اريد مكاناً انام فيه فاني تعب من السفر

فاخذه اللورد الى غرفة بجانب غرفته فنام

ولم يمض على امر بيكنهام ساعة حتى اقفلت المواني ومنعت السفن من الذهاب الى فرنسا وشاع في المدينة قرب نشوب الحرب بين الدولتين . وفي اليوم الثاني دعا اللورد بدارتانيان وقال له قد انتهى العقد بحيث لا يميز جديده من قديمه فاشهد لي عند الملكة بانني لم ادع شيئاً تصل اليه قدرة الانسان ولم آت في سبيل خدمتها ولكن لا تأخذ العلة فانها اثر منها ثم الا اهيك شيئاً قال اني لم اصنع ما يوجب الهبة وليس عملي هذا الا خدمة للملكة ولحيية لي احبها واظنك تعرفها وهي التي كانت معك يوم قابلتك اول مرة قال عافاك الله والان تذهب بهذه الورقة الى المينا ونسأل عن سفينة لي فيه فتمطيها لربانها فيأخذك الى مينا لاياوي اليه الى الصيادون ويدعى سان فري فتنزل فيها وتذهب الى رجل هناك فتقول له « فوروارد » فيعطيك حصاناً مسرجاً فتركبه وتسير مسرعا حتى تصل الى رجل آخر في يده لجام جواد آخر فتنزل عن جوادك وتركبه وهم جراً الى الاربعة حتى تصل الى باريز في قبل من الزمن وهي افراس من جواد الخيل تأخذها انت واصحابك الثلاثة وانا استودعك الله فاذهب والله يكلاك ويرعاك فودعه دارتانيان وسار على ما رسم له حتى انتهى الى باريز ودخل الى منزل دي تريفل عند الساعة التاسعة من النهار فقابلته بالترحاب وهناك بالسلامة وقال له ان فرقتك الحراس في اللوفر فاذهب اليهم فذهب

الفصل العشرون

ليلة الرقص

وفي اليوم الثاني شاع في المدينة خبر الليلة التي عزم الملك على احبائها للرقص وما صارت الساعة السادسة حتى توافد المدعون الى قاعة الرقص افواجاً يخطرون في مطارف السندس والديباج والنساء يمسن بالحلي والحلل كاغصان بان على كشبان
من كل باهرة الجمال كدمية من لؤلؤ قد صورت في عاج
تمشي وترقل في الثياب كأنها غصن ترنج في تقأ رجراج
فلما كان نصف الليل علا الضجيج والهليل لتقدم الملك ثم دخل الملك الى القاعة فحبه

السراة والاشراف وهو عابس الوجه مقطب الحاجبين ولم يدر احد لذلك سبباً وبعد دخول الملك بقليل عادت اصوات التهليل ترتفع ثم دخلت الملكة الى القاعة وعلى وجهها سمات الكدر والتعب وكان الكردينال ينظر اليها نظرة الاسد الى فريسته اذ لم ير عليها العقد فاقامت الملكة برهة تسلم على الحضور ثم دخل الملك من احد ابواب القاعة والى جنبه الكردينال يكلمه سرّاً وهو يتلون واقبل حتى انتهى الى الملكة فقال لها ابن العقد يا حنة ولماذا لا اراه عليك فنظرت الملكة حولها فرأت الكردينال واقفاً وراءها وهو يتبسم تبسم الابالسة فقالت خشيت يا مولاي أن يسقط مني فيضيع بين هذه الجموع قال لقد اخطأ زعمك فما اهديتك اياه الا لتابسه وكان الملك يتكلم وصوته يرجف من الغضب وكثر تحدث الناس بما يكون فقالت الملكة اذا شاء مولاي فاني احضره من اللوفر في الحال قال نعم واسرعي فان ابتداء الرقص قد قرب ثم تركها وانحاز الى الرجال وانحازت هي الى النساء وكان الناس منتشرين في تلك القاعة مثنى وثلاث ورباع يتحدثون بما كان وما سيكون وكلهم في ريب مما جرى فدنا الكردينال من الملك واعطاه علبة ففتحها فاذا فيها فسان من الماس فقال الملك ما هذا قال ان عقد الملكة فيه اثنا عشر فصاً وهذان منها فاذا لبسته الملكة فد فصوصه وفيها الملك يفكر في الامر ولا يهتدي برزت الملكة بثياب الرقص تشرق كالشمس بهجة وجمالاً بما عليها من اللباس والجواهر وعليها العقد يلعب كنجوم الثريا فسر الملك لمراه سروراً شديداً وعلا الاصفرار وجه الكردينال ثم بدأ الرقص ومالت القدود ميل الاغصان فكان الملك كلما دنا من الملكة ينظر الى العقد فلا يتمكن من عد فصوصه وبعد ساعة من الرقص تقدم الملك اليها وقال لها لقد وجب لك علينا الشكر في امثال امرنا في العقد ولكن ساءنا انه ناقص فصين وها هما فقالت الملكة اذن يكون لنا اربعة عشر فصاً فان العقد كامل يا مولاي فنظر الملك اليه وعده فوجده تاماً فدعا بالكردينال وقال له ما معنى ما قلت قال احببت ان اهدي هذين الفصين فلم ار لذلك سبيلاً غير هذا فشكرته الملكة على ذلك وفي قلبها منه حزازات وقالت اراها قد كلفاك اكثر من كل العقد يا سيدي الكردينال وهي بين ذلك تتبسم تبسم العارف بالامر حتى كاد الكردينال يموت حياء منها ثم سلمت وخرجت تريد القصر وكان الرقص قد انتهى وهم دارتانيان بالخروج واذا بيد لمست

كفنه قالت فرأى امرأة مقنعة فعرف من عينيها أنها حبيته فتبعها وسارت امامه حتى بلغت القصر ودخلت فدخل وراءها حتى انتهت به الى غرفة مظلمة فلودعته فيها وخرجت من باب آخر في جدارها فاقام دارتانيان في تلك الغرفة برهة ثم سمع صوتاً يدنو منه ورأى يداً قد مدت من فرجة الباب فعرف انها يد الملكة فرمق وقبلها فتركت في يده خاتماً وارتمت ثم اقبل الباب فاظلمت الغرفة ظلاماً شديداً فوضع دارتانيان الخاتم في اصبعه واقام ينتظر حتى فتح الباب ودخلت عليه بوناسيه فصاح لرؤيتها من الفرح فاسكتته وقالت اخرج من حيث دخلت قال ومتى اراك قالت تعرف ذلك من رقعة تجدها في منزلك فاذهب الان فخرج

الفصل الحادي والعشرون

الموعد

وسار دارتانيان مسرعاً حتى بلغ بيته ففتح له الخادم فقال له هل من رسالة لي هنا قال نعم يا مولاي فاني دخلت الى البيت وانا واثق من اقفاله فوجدت رسالة على فراشك ولا ادري من اين جاءت ولا اشك في ان أحداً يدخل عليك وانت لا تدري فاسرع دارتانيان الى فراشه واذا برسالة ففضها وقرأ

« ان لك عليّ حقاً من الشكر يجب وفاؤه فكن في الساعة العاشرة من هذه »

« الليلة تجاه الشرفة القائمة على زاوية بيت استري في سائر كلو والسلام عليك »

« من . ك . ب »

وكان دارتانيان يقرأها وقلبه يخفق ووجهه يتلون وراه بلانشت فقال قاتل الله هذا الكتاب فقد اثر فيك يا مولاي قال لا والله فما هو الابشري نستحق عليها الانعام فخذ هذه القطعة واشرب بها فشكره الغلام وقال ولكن كيف دخل هذا الكتاب والابواب والنوافذ مقفلة قال لقد سخط علي من السماء فاذهب ونم فذهب الغلام واقام دارتانيان يعيد قراءة الكتاب

ويثنه حتى صار مداده محاجر عينيه وانياه سحما

ولم يزل كذلك حتى نام ولما افاق في الصباح دعا بخادمه فقال له انت مطلق كل هذا

النهار فاني لا ارجع الا عند الساعة السابعة من المساء فكن في انتظارى على الباب
يجوادين قال اظن ذلك لبراز فلا حول ولا قوة الا بالله وقاتل الله هذا الكتاب قال
صه وكن على ما قلت لك وخرج واذا بصاحب الفندق على الباب فحياء واخذ يقص
عليه ما صادفه في السجن من العذاب والاستنطاق الى غير ذلك فقال له دارتانيان
هل عرفت خاطف امرأتك قال لا ولكن ابن كنت فلي ايام لم ارك قال كنت في رحلة
قرية مع اصحابي الثلاثة على ماء ذهب اليه اتوس قال واني اراك الان ذاهباً فمتى ترجع
قال ولم سؤالك ذلك هل لك في حاجة قال لا ولكني بعد اذ حفظت امرأتي وسرق
مالي صرت اخشى من قفلة المفتاح في القفل ولذلك فانا اريد ان اعرف متى ترجع
لاكون في مأمن قال لا تخش بأساً فقد ارجع بعد منتصف الليل بساعتين او ثلاث او
في الصباح قال مصحوباً بالسلامة يا مولاي فحياء دارتانيان ومضى الى دي تريفييل
فوجده مسروراً من سرور الملك والملكة منه في ليلة الرقص فجلس اليه وقال له بعد
ان نظر حوله ليرى اذا كان في مأمن من اذن تسمعه الا تخبرني ايها الصديق بشيء
عن سفرتك التي سر لها الملك والملكة واسماء الكردينال حتى صرت احذرك منه قال
وما علي اذا كان الملك والملكة راضيين عني قال ألا تعلم ان الكردينال احقد من بعير
فهو لا ينسى الاساءة قال وهل يعرف اني انا الذاهب الى لندره قال نعم والا فاني لك
هذه الجوهرة في اصبعك قال انها ليست من لندره ولكنها من الملكة قال لله درك
فكيف ذلك قال ذهبت الى الملكة فقبلت يدها واعطتني هذا الخاتم قال لله من النساء
ما اشد كيدهن ولكن ألا انصحك قال بلى قال امض الى اي جوهرى تلقاه فبعه
الخاتم فان الدراهم آمن من الجواهر وان عز عليك يبعه فأدر فسه الى باطن كفك
فاني اخشى عليك من الكردينال ان يصل اليك بمكروه وهو قادر على ذلك ولو كنت
بين جلد الملك ولحمه وقد ذقت ذلك بنفسى فلا تحسبني قلت ما قلت عن جهل فان
لي ثلاثين سنة في بلاط الملك فلا يفرئك شيء وبالغ في الحرص على نفسك حتى لو
مررت على بيت يبنى تجنبه لا يسقط منه حجر على رأسك بأمر الكردينال واذا دخلت
في الليل فلا تدخل الا وخدامك وراءك واياك والاسترسال الى احد حتى المشيقة اذا
كن لك عشيقة فان النساء كيدهن عظيم وانث تعلم حكاية شمشون ودليله ثم اخبرني

ماذا جرى لأصحابك قال أتيت استخبر عنهم قال لم يصلني عنهم خبر فأعلمني بما جرى
 قال تركت بورتوس في شانتيني يارز رجلاً وارانيس في كرافكور مجروحاً في كتفه
 واتوس في اميان متهماً بتزييف النقود قال وكيف خلصت انت الى لندره قال باعجوبة
 من الله اذ قلت الكونت دي ويرد قال قاتلك الله كيف قتله وهو امسُ الناس
 بالكردينال واكثرهم تزلماً منه ولكن ارى لك امراً لو كنت مكانك ما قدمت عنه قال
 وما ذاك قال تذهب الى يكارديا فتبحث عن اصحابك وبذلك تنكب شر الكردينال
 ويكون لك عون من اصحابك قال اصبت وسأذهب غداً قال ولماذا لا تذهب الليلة
 قال لان عليّ عملاً خطيراً لا بد من قضائه قال هو موعد عشق فيما اظن فاياك والنساء
 يا بنيّ فهنّ اصل الشر ومنبع الفساد فاتصحي وسافر في هذا المساء قال ذلك لا يكون
 يا مولاي فقد رهنت لساني قال اذا كان ذلك فعندي انك اذا سلمت الليلة تذهب
 غداً قال انا اعدك قال المحتاج أنت الى مال قال ان معي خمسين ديناراً واظنها تكفي
 وقد تركت اصحابي ومع كل منهم خمسة وسبعون ديناراً وفي ذلك غناه لهم فاستودعك
 الله من الآن فاني لا اقدر ان اراك غداً قال علي الطائر الميمون وبصحة الله وخرج
 فمرّ على منازل اصحابه فلم يجد منهم احداً ولا وقف لهم على خبر فسار الى الاصطبل فوجد
 بلانشت يسرج الخيل فقال له بلانشت هل انت واثق من صاحب الفندق يا مولاي
 قال لا فما ذاك قال رأيت وهو يكلمك ولونه يتقلب كالحر باء فتبينت في وجه الغدر
 ولم تظن أنت لذلك لسرورك بالكتاب ثم لما ذهبت اخذ ينظر اليك بعين ملوؤها الغدر
 والحقد واثني يركض في الشارع المخالف لطريقك فهل لك في ان تتحاماها قال ذلك
 لا بد منه وصاتيك عند الساعة التاسعة فكن مستعداً ثم ذهب

الفصل الثاني والعشرون

الشرقة

ولما كانت الساعة التاسعة قدم دارتانيان الى الاصطبل فوجد بلانشت قائماً في
 انتظاره وفي يده زماما فرسين فركبا وسارا تحت الليل حتى ابعدا عن باريز ودخلا في
 غابة بولونيا وحثا جواديهما حتى قربا من سان كلو فقال دارتانيان لخادمه انتظرنى هنا

حتى ارجع اليك قال يا مولاي اجد الليلة باردة واخشى ان يصيبني منها بعض اذى يقعد بي عن خدمتك فلو اذنت لي بالمبيت في احد هذه الاكواخ قال انت وذاك وسار بجواده ينهب الطريق ويتكب الواسعة منها حتى انتهت الى الشرفة فوقف تجاهها واقام ينتظر ساعة وهو لا يسمع حساً ولا يرى الا قفاراً يجلبها ضباب كثيف تلمع من خلاله بعض الكواكب حتى قرعت الساعة العاشرة ولم ير شيئاً ولم يسمع ركزاً وبصره موجه الى نوافذ البيت القائمة الشرفة على زاويته وهي كلها مقفلة ليس فيها الا واحدة مفتوحة آخرها يلوح من خلالها نور ضعيف ولا حركة فيها فاقام ينظر اليها حتى الساعة العاشرة ونصف فجالت وساوسه وجعل يقوم ويقعد ثم توهم انه مخطىء في قراءة الرسالة فدنا من النافذة وقراها فاذا هو مصيب غير مخطىء ثم كانت الساعة الحادية عشرة فضاق صدره واوجس في نفسه خوفاً من شيء يصيب حبيبته فجعل يروح تلقاء النوافذ ويحبيء ثم حاول الصعود على الحائط فلم يقدر وخطر له فصعد الى شجرة تقابل النافذة ونظر فرأى نوراً ضعيفاً يضيء من خلال نافذة مكسورة الزجاج وتظهر به الغرفة مصروعة الباب مقلوبة المتاع والاثاث وعليها بعض قطرات دم قنزل من الشجرة وقلبه خافق وفكره مضطرب ونظر الى الارض فرأى فيها اثار اقدام وحوافر وعجلات مركبة تمتد الى طريق باريز ووجد على قارعة الطريق قنار امرأة لم يكد الوحل يعلق به لنعمته ولينه فضاقت عليه الدنيا واتقبضت صدره وعدل الى الشارع فسأل بعض المارة فقال له انه رأى امرأة تقطع النهر متشحة بفرنسها فظن دارتانيات انها هي فعاد الى النافذة لينحقق قراءة الرسالة لعله ضل عن المكان فوجد نفسه مصيباً وان قد حال دون لقاء حبيبته حائل قال الى بيت قريب وقرع بابه ففتح له رجل شيخ فسأله عما حدث فقال هو امر اذا اخبرتك به ساءت مغيبه علي قال لا بأس عليك فقال ثم رشاه بشيء من المال فقال له بصوت منخفض انه عند الساعة التاسعة بينما انا في بيتي هذا سمعت خفق نعال وقعتمت لجم ففتحت الباب لارى واذا انا بثلاثة رجال بلباس الخيالة وعلى مقربة منهم عربة تقودها الخيل فاستخبرتهم اخبر فقالوا هل عندك سلم قلت نعم قالوا علينا بها وخذ هذه القطعة على ان تكتم ما رأيت فاخذت القطعة واعطيتهم السلم ثم تظاهرت اني داخل في الباب وتواريت وراء شجرة فاذا بهم نصبوا السلم وصعدوا الى

الفرقة ثم سمعت صوتاً يقول هي هذه ورأيت الامراة قد دنت من النافذة فصدها
الرجلان الصاعدان على السلم فاخذت تصيح وتستغيث حتى خفي صوتها ونزلوا بها الى
العربة فسارت بهم ولم ادر ماذا جرى بعد ذلك قال الا تصف لي زعيمهم قال بلى ثم
اخذ يصف له الرجل فقال قاتله الله لم يزل يتبعني هو خصمي والله لا ذيقنه الموت الوانا
ثم قال الرجل فاكنم يا مولاي ما سمعت مني تحفظ حياتي قال لا عليك ثم سار فوجد
خادمه في احد الاكواخ فركب واياه وسار الى البيت

الفصل الثالث والعشرون

بورنوس

ولما بلغنا المنزل نزل خادمه فيه وسار هو توتوا الى دي تريشيل وقد صمم على ان
لا يكتمه شيئاً عسى ان يكون له به بعض المساعدة فلما قابله قص عليه القصة فقال له
ان ذلك بلا شك بامر الكردينال قال وكيف العمل قال ان تفارق باريز الساعة كما قلت
لك امس وانا هنا انظر الملكة واقص عليها خبر الامراة وعسى ان يكون لك في ذلك
بعض الخير فودعه دارتانيان وانصرف الى منزله فوجد بوناسيه رجل الامراة واقفاً على
الباب فتأمله ليعرف صدق كلام خادمه فراه قد تغير لونه عند مرآه فمر به الفتى ولم
يكله فقال له الرجل رويدك يا مولاي فقد اطلت الغياب امس فلم ترجع الا عندهبوب
الناس من رقادهم قال انك ترى ذلك فتلوم غيرك لانك ذو امراة جميلة تغنيك عن
السعي وراء غيرها قال نعم ولكني ارى نعليك يملوهما الوحل كثيرا حتى كانتك سلكت
ارضا موحلة فنظر دارتانيان الى نعليه ثم نظر الى نعلي صاحبه فرأى لون الوحل واحداً
على النعلين ففطن للامر وعلم ان الرجل كان من جملة الذين خطفوا امرأته فخطر له ان
يشب عليه فيقتله لولا ان خاف من سوء العاقبة فقال غير بجير بجيره نسي بجير خبرك اراك
تصيرني بالوحل على نعلي وعلى نعليك اكثر منه في حين انت غني عن دلج الليل ومكابدة
السرى فتلجلج لسان الرجل وصمت فتركه وصعد الى منزله بعد ان تحقق لديه ان صاحب
الفندق كان غائباً عن بيته في تلك الليلة فقابله الخادم وقال له لو تعرف يا مولاي من
زارك اليوم من مدة ربع ساعة وانت عند جارك قال من عساه يكون قال دي كافوا

قائد حرس الكردينال قال وما شأنه قال لا أدري سوى انه قال لي ان ابليغك من قبل
الكردينال ان تذهب الى البلاط الملوكي في هذا اليوم فأجبتك انك غائب فهمس في
اذني ان قل لسيدك من قبلي ان الكردينال متغير عليه وان حياته تتوقف على ذهابه
اليه ثم ذهب قال فاستعد الان للسفر لئري ما حل باصحابنا الذين خلفناهم في الطريق
واسرج لهم خيلاً نأخذها معنا فلي وفعل ثم سارا حتى بلغا شاتينلي وانتهيا الى الفندق
الذي نزلوا به جميعاً في ذهابهم فقال دارتانيان لصاحبه ان لي صديقاً تركته هنا في براز
فاين هو الآن قال هنا يا مولاي وهو جريح وقد نجشمتنا له نفقات طائلة وكثر تقاضينا
له وهو مملق فتوعدنا بالقتل اذا دخلنا عليه فاذا دخلت عليه فتكني قبل ان تدخل لئلا
يصيبك بمكروه قال وما فعل بفرسه قال قامر عليه فخرسه قال لا تخش على مالك فان
له صديقة شريفة تمده بالمال قال اعرفها يا مولاي وقد كتب لنا كتاباً وامرنا بوضعه في
البريد فارسلته مع خادم لي كان ذاهباً الى باريز لابقى لنفسه اجرة البريد فعاد واخبرني
انها غضبي على صديقها غيره عليه من ان يكون قد عشق سواها وهي عجوز تبلغ الخمسين
من العمر واني لا اعجب كيف تغار عليه قال الا تعلم كيف كان القتال بين بورتوس وخصمه
قال لقد تبعتها فرأيتها يتجاولان ثم جرح بورتوس وهم خصمه بقتله وسأله عن اسمه فقال
انه يدعى بورتوس فقال نفو عنك فلا فائدة لنا بقتلك وما نريد الا دارتانيان ثم حمله
جريحاً الى الفندق وركب جواده وسار ولم اقف له على اثر بعد ذلك قال واين بورتوس
الآن قال في الفرقة الموسومة بالعدد الاول فصعد دارتانيان وطرق الباب ففتح له ودخل
فوجد بورتوس في الفراش فسلم عليه وقصه القصة فقال هجمت على خصمي لا ضربه
فمئرت بحجر فسقطت ولولا ذلك ما كنت على ما تراني عليه فجعل دارتانيان يعرض
له بذكر عشيقته فاجابه بانه قد طلب منها مالاً فلم تجبه وانه قد املق حتى اضطر الى
ان ينحصر في غرفته لكثرة ما عليه من الدين فاقام دارتانيان عنده برهة ثم ودعه وسار
يطلب اراميس بعد ان ترك لبورتوس الجواد الذي جاءه به من عند يكتنهام



الفصل الرابع والعشرون

قصة اراميس وامرأة اتوس

فسار دارتانيان الى كرافكور بدون ان يعلم بورتوس بشيء من امره فوصلها وسأل صاحبة الدار عن صاحبه فقالت هو في الغرفة الخامسة وعنده قسيسان قال هل ذلك نخطر قالت لا فصعد حتى دخل الغرفة فوجد اراميس جالساً بين اثنين من الحواريين فسلم عليه وقال كدت ارجع عن غرفتك يا اراميس قال ولم ذلك قال لاني حسبتها ديراً للربان ومع ذلك فانا ذاهب عنكم لاني اظنك تعرف لها فعمل القسيسان يصوبان نظرهما فيه ويصعدانه وقد احفظها قوله فاخذ يجادلانه في الدين ويمجادها وطال بهما الحديث من هذا النوع حتى فرغت كنانة الكلام فقاما وانصرفا فلما خلا الجو قال دارتانيان اراك شديد الاستمسك بعري الدين وما اعهد ذلك برجال الحرب قال هو طريق الاخرى يا بني فلا ينبغي ان تنكها ودار بينها الكلام من هذا النحو فاخذ اراميس يقص عليه قصته فقال كنت في صباي اميل الى الرهبانية حتى دخلت احد الاديرة فاقمت زماناً ثم عرض لي يوماً ان علقت امرأة ففرض لي رجل آخر من الجند وتهددني بالقتل اذا عدت اليها فاخذ مني ذلك وكبر علي امره فتركت الدير وذهبت الى باريز فعملت ضرب السيف حتى حذقته ثم عدت الى الرجل فبارزته فقتلته وكنت قد تعرفت باتوس وبورتوس فسعيالي في الدخول في حرس الملك وكان الملك محباً لي لان ابي قتل في احدى الحروب تحت امرته وعلى ذلك فلا يزال في قلبي بعض الاثر للرهبانية ثم بدا دارتانيان يقص عليه قصة حبيته وكيف خطفت فوعده بالمساعدة فبات عنده ليلته تلك واقام في الصباح فركب واياه متحاملاً من اثر جرحه وسارا ولم يبعدا عن القرية حتى اصفر لون اراميس وكاد يسقط عن جواده فعاد به دارتانيان الى غرفته وسار بخادمه وهو يفكر في اتوس وفي نفسه منه هاجس لانه كان شديد الميل اليه لعراقته في النسب ودعة اخلاقه وشدة بأسه وحذقه في ركوب الخيل واستعمال السلاح فبلغ اميان وسأل صاحب الفندق عن اتوس وما جرى له فقال علمتني الحكومة يا مولاي انه سيأتيني رجل بلباس الحراس ومعه رفاق له وانه مزيف للعملة

وقالت لي متى جاءك هذا الرجل اخبرنا فلما قدمتم لم يعد عندي شك في انكم بغية الحكومة فاخبرتها فبعثت بجنودها فقتل منهم صاحبك جملة ثم ضايقوه بكثرتهم فوجد وراءه باب بيت الذخيرة فدخله واقفل عليه الباب ومعه خادمه ولم يزل الى الآن فيه يأكل من مؤونة الفندق ويشرب من خمره ولا يأذن لاحد بالدخول عليه وقدصرت لذلك في اشد الضيق لان مؤونة الفندق كلها في ذلك البيت حتى املتت يا مولاي وتمطل فندقي لعدم وجود الغذاء فيه للمسافرين وقد جاءنا اليوم رجلان من نبلاء الانكليز وطلبا مني خمرآ فاعلمتهما بالامر فتوجها اليه ليغتصبا البيت منه وها هما الآن على الباب يساورانه ليدخلاله فسار دارتانيان فوجدهما يتذمران ويزيدان وهما يريدان ان يكسرا الباب فاخرج دارتانيان غدارته من حزامه وقال والله لئن لاح منكما سلاح لاذهبن بنفسيكما فتقدم احدهما الى الباب وركضه برجله فقال دارتانيان لخادمه عليك بالرجل الذي امامك وانا لهذا فصاح اتوس من داخل اني اسمع صوت دارتانيان والله قال نعم هو انا ايها الصديق قال ألا تأذن لي فاقتلها فتقدم دارتانيان الى الرجلين وقال لهما اغمدا سيفيكما وانت يا اتوس فرد غدارتك الى مكانها فما من العدل ان تقتلكما ونحن ثلاثة وانما اثنان وانا اضمن لكما انكما تشربان ثم تقدم دارتانيان الى اتوس ففتح له الباب وعانقه فراه يجمع في مشيته فقال هل انت جريح قال لا ولكني في سكر لاسكر بعده لكثرة ما شربت فاخذة دارتانيان وصعد به الى غرفته ودخل صاحب الفندق وامرأته يتفقدان المؤونة ثم علا صياحها وصعد الرجل الى الغرفة فقال له اتوس هات باطية من النبيذ قال هل ابقيب يا مولاي نبيذاً الا شربته او باطية الا كسرتها او سائلاً الا ارقته فما كان ضررك لو ابقيت على ذلك ووفرت لي اسباب المعيشة فقال له دارتانيان لا عليك فقال اتوس واين الكيس الذي تركته هنا قال اخذناه يا مولاي اذ ظننا انه من النقود المزيفة التي وشي عليك بها فقال دارتانيان واين حصانك يا اتوس قال في المرابط قال لصاحب الفندق خذ الكيس والحصان وحقك قد وصلك فقال اتوس وكيف اسمح فرسي وعلى م اذهب قال قد اتيتك بغيره فقال اتوس للرجل اذن فخذ الجواد لنفسك وبخذ للرجلين الانكليزيين ما يشربان فان في البيت بواطي بهد فذهب صاحب الفندق واخذ دارتانيان يقص علي صاحبه كيف وجد بورتوس وارايمس الى ان قال اتوس

وانت ماذا جرى لك قصص عليه قصة بوناسيه واختطافها قال لقد اخطأت في العشق فاننا لا احب ابداً قال ولم ذلك قال لان الحب راحته عناً واوله سقمٌ وآخره قتلٌ وانا اقص عليك الآن قصة جرت لاحد اصحابي لابي وهو رجل بارع في الشرف احب فتاة وهام بها وهي فقيرة تسكن بيتاً حقيراً مع اخ لها راهب فلما طال عليه الامر وبرح به الحب خطبها الى اخيها فتزوجها منه حتى اذا كان يوماً يصيد واياها جعل بها فرسها فوقعت واغمي عليها فنزل زوجها ونك ازرارها عن صدرها لتفيق فوجد على كفها رسم زهرة زنبق كيسم البعير وهي علامة الفجور والخنس فقاتل الله النساء ما اشد فجور الفاجرات منهن فاخذها الكونت زوجها وقد بلغ به الفيظ منها مبلغاً عظيماً وشتقها في شجرة وما اتم كلامه هذا حتى اصفر لونه اصفراراً شديداً واكب على المائدة كالمصروق وقال ذلك ما بغض النساء الي قال وما صنع اخوها قال لم يكن اخاها بل كان عشيقها قاتله الله واياها فلما ماتت انصرف هارباً ولم ادر ماذا حل به بعد ذلك فارتاع دارتانيان لهذه الحادثة وجعل يقلب افكاره فيها لعلها جرت مع اتوس نفسه وهو لا يهتدي الى وجهها حتى نام

الفصل الخامس والعشرون

العودة الى باريز

فلما افاق دارتانيان ذهب الى صديقه اتوس وجعل ينظر اليه نظرة المندهِش من حديثه بالامس ففطن اتوس لذلك وقال لقد كنت امس ثملاً جداً ولا ادري بما تفوهت قال قصصت علي عجيبة قال نعم وقد صبغ الحياء وجهه وغير الحديث فقال اتدري ما جرى بالجواد الذي اتيتني به قال لا قال شهدت ليلة امس فنزلت الى قاعة الفندق فوجدت صاحبينا الانكليزيين يتقاسمان فقامت بهما فحسرت الجواد فهل لك ان تلعب الان فسانا نسترده وان شئت فبيع هذه الجوهرة التي تحملها وقامر بها قال ذلك لا يكون ابداً ولا افراط بهدايا الملوك فما زال به اتوس يحاوله ويجادله حتى لعب بما معه من النقود فاعاد كل ما خسره صاحبه ثم ركبا وخادماهما معها وساروا حتى بلغوا كرافكور فرأوا اراميس قائماً في نافذة غرفته فلما رآهم نزل وسار معهم حتى بلغوا مقر

بورتوس فوجده قد شفي من جرحه فاقاموا عنده ريثما استراحوا ثم ركبوا واياه
وساروا الى باريز ودخل دارتانيان منزله فوجد فيه رسالة من دي تريفييل يشير فيها
الى ان الملك قد عينه في حرسه الا انه ابقى ذلك الى ما بعد انتهاء الحرب في روشل
ثم جاءهم دي تريفييل فهنأهم بوصولهم وامرهم بالتجهز للحرب فوجدوا انه يلزم لكل واحد
منهم الف وخمسمائة دينار فاخذوا يسمون في جمعها بعد اذ تعاهدوا على حفظ الوداد وان
كلاً منهم يبذل نفسه في سبيل صلاح صاحبه

فلما كان ذات يوم ودارتانيان يسير في بعض الاسواق لمح بورتوس فتبعه وهو لا
يراه ليطالع على بعض شأنه فدخل بيعة ودخل دارتانيان وراءه فتقدم بورتوس وجلس
على مقربة من امرأة وجعل يخالسها النظر وكانت لابسة ثوباً اسود وعلى مسافة منها
امرأة اخرى لابسة ثوباً ابيض وهي اجمل من الاولى فانجذب بورتوس بجمالها وترك
ذات الثوب الاسود وزاحم الناس حتى جلس بالقرب منها فجملت صاحبه تنظر اليه
والها نظرة الغيور وكان دارتانيان قد عرف ان المرأة ذات الثوب الابيض ميلادي
التي رآها في مينك وان الاخرى هي عشيقة بورتوس وساكنة في شارع ارومس فلما
فرغت الصلاة قام بورتوس وخرج وهو ينظر حوله فظنت صديقه انه يقتش عنها ثم
استاءت لما رآته قد وجه نظره وجعل يحدق بميلادي فدنت منه وقالت ما ادري والله
ما الذي صرف وجهك عنا فالتفت اليها مسالماً يسألها عن حالها وعن زوجها وهو يعتذر
بانه لم يرها فاخذت بيده وسارت به الى بيتها لتعاقبه وتشكو له مرارة الفيرة وألم النوى
وهو يشكو لها مثل ذلك حتى اوصلها الى بيتها فودعها انه يأتيها في الغد وودعها وذهب
اما دارتانيان فتبع ميلادي الى خارج البيعة فصعدت الى عربة حسنة الاتقان
تجرها افراس من جياذ الخيل وقالت للسائق انطلق بي الى سان جرمن فلي وانطلق
ويش دارتانيان من لحقها لانه راجل فامر خادمه باسراج جوادين ثم سار الى بيت
اتوس فقص عليه كل ما جرى فقال انا قليل الرغبة في مثل ذلك فقال ان النساء لا
تصبو الا لامثالك لما فيك من الصفات المحبوبة وانا اعجب منك ومن تركك لمن قال
ذلك لما اخبرتك به وفيما هما كذلك دخل بلاشت يقول لدارتانيان انه قد جاء
بالجوادين فقال له اتوس ما هذان الجوادان قال أريد ان اذهب الى سان جرمن في

نزهة ثم قص عليه قصة ميلادي وقال اني اريد ان اتبعها فان قلبي يحدثني بأن سيكون لي معها شأن قال يظهر لي انك سلوت عن بوناسيه قال معاذ النهي انها والله اقرب الي من نفسي ولكني اجهل مكانها ولو عرفته نخلصتها ولو كانت بين انياب الاسود ثم خرج وركب هو وخادمه وسارا في طريق سان جرمن وهما ينظران الى النوافذ ويتصنعان وجوه المارة حتى قال الخادم أترى يا مولاي هذا الغلام الواقف لدى الباب قال نعم واذا كر اني رأيتة قال هو خادم الكونت دي ويرد الذي ربطناه الى الشجرة في كلة قال عرفته وما اظنه ثبت في معرفتك لشدة اضطرابه وخوفه يومئذ فهل لك في ان تستقصه عن سيده قال نعم وذهب واخذ يحادث الغلام ويخوض معه في افانين الكلام واذا بهر به ميلادي مقبلة حتى وقفت قبالة الخادمين فأعطت ميلادي وصيفتها ورقة فأقبلت الفتاة تريد الغلامين وفيما هي مقبلة اذا بصوت يدعو خادم الكونت فدخل ووصلت الفتاة فلم تر امامها الا خادم دارتانيان فأعطته الورقة وعادت وهي تظنه خادم الكونت ويرد وقالت له اعطها الى سيدك في الحال ثم ركبت العربية وانطلقت

فماد بلانشت بالرقعة الى دارتانيان فأخذها وقرأها فاذا بها

« ان احد من بهمهم امرك يريد ان يعرف متى تقدر ان تخرج الى الغابة ويأخذ »
« الجواب منك غداً في فندق راية الذهب غلام احمر الثياب والسلام »

فأسر دارتانيان ذلك في نفسه وقال للخادم ما علمته من الكونت ويرد قال علمت انه مريض ولكنه قد قارب الشفاء قال فهل تتبع العربية فركبا وسارا حتى ادركاها وقد وقفت ولدى بابها فارس انكليزي يحادث ميلادي باللغة الانكليزية فلم يفهم دارتانيان شيئاً ولكنه رأى في لهجة ميلادي ما يدل على الغيظ فدنا من نافذة العربية وقال لها اراك يا سيدتي حنقة من هذا الرجل كأنه يهينك فان كنت ظني مصيباً أفأذن لي بتأديبه فنظرت اليه مندهشة من تهجيه وقالت له باللغة الفرنسية لا يا مولاي فانه اخي قال اذن فاعذرني فقد اخطأت وكان الفارس الانكليزي قد غضب من مداخلة دارتانيان وغلظته له فأخذ يشتمه وينزعه والعربية حائلة بينها وكانت المحادثة بين ميلادي وبينه قد انتهت فسارت العربية والتقيا فتواعدا للبراز وراء ليكسبرج عند الساعة

السادسة واخبره دارتانيان عن اسمه فقال له وانا اللورد وتربارون دي سيفيلد ثم افترقا على ان ياتي كل منهما بشهود ثلاثة



الفصل السادس والعشرون

البراز

ولما دنت ساعة البراز ذهب دارتانيان بأصحابه الثلاثة وغلمانهم واقاموا ينتظرون خصومهم حتى وفدوا وطاب اللورد وتيران يتكئوا له فتكئوا باسمائهم المعروفة فقال هي اسماء لا ترضى بها وما تراها الا اسماء رعاة غنم فقال اتوس تلك اسماء تلبسنا بها لكن تحتها القابا عريقة في المجد ثم ذكرها لهم بصوت منخفض وشهت السيوف ودارت رحي القتال فكان اول قبيل خصم اتوس وهجم بورتوس على خصمه فجرحه فسلم سيفه وضابق اراميس خصمه حتى رمى بسيفه وفر هاربا بين الاشجار واقام دارتانيان يضارب خصمه وهو لا يريد ان يقتله حتى اتعبه ثم ضربه على سيفه فقصه واتاه الى الارض وبرك على صدره وقال الآن قد باتت حياتك في يدي الا اني ابقى عليك حيا لاختك ثم عاد عنه واشتغل ورفاقه بمعالجة القتل امل فيه دماء وفيما هم يعالجونه سقط منه كيس فأخذه دارتانيان واعطاه اللورد وتير فقال وما اصنع به قال تعطيه لاسرة القتل تنقته في جنازته قال هي في غناء عن ذلك فأعطه للغائب فوضه في جيبه ثم قال له اللورد والآن اذ قد عنوت عني حيا لاختي فانا اذهب بك اليها في هذه الليلة لتؤدي لك واجب الشكر على جميلك ممي ثم دنا منه اتوس فقال وما الذي عزمتم ان تفعله بالكيس قال هو لك فانت قاتل صاحبه والسلب لك تلك سنة الحرب قال لا ولكني كما قيل

لي النفوس والطيير اللحوم ولا وحوش العظام وللخيالة السلب

ثم اخذ الكيس فرمى به الى الخدم وجاء اللورد وتير فودعه وقال له ان بيت اخته في الشارع الملوكي في العدد ٦ وانه سياتي اليه الى بيت اتوس فيأخذه اليها عند الساعة الثامنة وسار دارتانيان الى منزله يزين نفسه ويسوي ثيابه وفي قلبه شغل شاغل من ميلادي حتى دنت الساعة فذهب الى بيت اتوس قصص عليه القصة فقال له ان في امرك لعجا فاني بينا اراك عاشقا تبحث على حبيبتك اراك قد عقلت اخرى قل لا فان

حي ميلادي حبٌ مجردٌ ولكن حيي لكونستانس حب خالط اللحم والدم وجرى في العروق جري الماء في العود وليس شغلي بميلادي الا لاطلع منها على بعض شأن حبيتي لان لها دخلاً في القصر قال اياك واياها فانها من اعوان الكردينال ولها تنصب لك شركاً قال لا تخش علي شيئاً ولا تشاءم بها وفيما هما يتحدثان دخل اللورد ونتر واخذ دارتانيان الى عربة في الشارع فسارت بهما حتى بلغا الشارع الملوكي وصعدا الى ميلادي فبدرها اللورد وقال ايتك بمن ملك حياتي ثم اعتقها على حين كنت البادية بالعدوان وكنت انكليزياً عدواً للفرنساويين فرحبت ميلادي به احسن ترحاب وجلست اليه تحادثه ثم اخذ اللورد يقص عليها تفاصيل البراز حتى انتهى فقام الى مائدة هناك عليها باطية نبيد فسقى دارتانيان رطلاً وجعل دارتانيان يلاحظ ميلادي بطرف خفي فيراها تلوّن له وتعص على منديل في يدها فلما انتهى من الشراب دخلت خادمتها التي اعطت الكتاب لخادم دارتانيان فكلمت اللورد باللغة الانكليزية فاستأذن اللورد بالخروج لامر يدعوه وخرج واقام دارتانيان بحادث ميلادي فأعلمته ان اللورد ليس اخاها ولكنه سلفها وقد مات اخوه زوجها وانها فرنسوية الاصل وكان هو قد استدل على ذلك بطلاقة لسانها في اللغة وحسن ضبطها الالفاظ وبعد قليل قام دارتانيان وخرج فقابل الخادمة وهي تنظر اليه نظرة العاشق وقد صبغ الحياء خديها ولما كان اليوم الثاني عاد دارتانيان الى ميلادي فوجدها وحدها فجلست تحادثه وتستخبره عن اصله وسيرته وميله الى الكردينال فيطنب لها فيه وانه كان يجب ان يكون في جملة حرسه ولكنه اذ قد تعرف بدي تريفييل كان من حظه ان يكون في حرس الملك ثم سألته هل ذهبت الى انكلترا فقال نعم ذهبت اليها برسالة من دي تريفييل لاجلب له افراساً ثم قام وذهب فقابل الفتاة في الدار وكانت تدعى كاتي فجملت تنظر اليه كما فعلت بالامس وهو لفرط اشتغاله بالسيدة لم يلتفت الى الخادمة واستمر على ذلك يزورها كل مساءً فتقابه احسن مقابلة ثم يخرج فتلاقيه كاتي بوجهها الصبوح ونظرها القان وهو لا يظن لها لشدة حبه لمن هي اعلى منها مقاماً

الفصل السابع والعشرون

الطعام عند عشيقه بورتوس

ولم ينس البراز بورتوس موعد عشيقته للغداء فسار الى بيتها وصعد في سلم مظلم متهدم حتى بلغ الباب ففتح له وقابله العشيقه وهي تقول لزوجها هذا ابن عمي فأهلاً بلك وسهلاً فدخل بورتوس وسام على زوجها فرحب به وقال أهلاً بابن العم ففتح اذن اقرباء قال نعم وانا مسرور لذلك فقالت الامراة لقد تلتف بنا ابن عمنا اذ خصنا بمؤاكلته قبل ان يخرج الى الحرب ثم نهضوا الى قاعة الطعام وجلسوا حول الخوان وجعلت الامراة تختلف اليهم انواع الطعام والشراب وتلطف في خدمة ضيفها وتبش في وجهه حتى قال لها زوجها اراك شديدة الاحتفاء بذويي قرباك قالت نعم تلك سنة القرابة ثم انتهى الاكل فقامت الامراة ببورتوس الى غرفة وجلست اليه تعاتبه على تركها وهجرانها ثم قالت له ايح لك زيارتنا ثلاثاً في كل اسبوع قال عذراً يا سيدي فاتي مهمم بالتجهيز للحرب قالت وكم تبلغ نفقته قال نحن معاشر الحرس لا يكفي الواحد منا اقل من الف وخمسمائة دينار قالت وكيف تنفقها قال اشترى ببعضها جواداً قالت ذلك عندي فلاتهم به ثم اذا قال ما يتبع الجواد من سرج وجام وعدة جلاد مما لا ينقص ثمنه عن الثلاثمائة دينار ثم يلزمي جواد آخر لخادمي اذ لا يستطيع ان يتبعني ماشياً قالت انا اعطيه بدلاً يركبه قال حسن ثم يلزمي خرج قالت عند زوجي عدة منه فاختر لنفسك واحداً قال ما اظن اخراج زوجك إلا فارغة وانا لا احتاج المخرج الا اذا كان ملان قالت ولكني اعطيك فوق ذلك ثمانمائة دينار فرضي بها وطاب قلبه وودعها ذاهباً الى بيته

الفصل الثامن والعشرون

الوصيفة والسيدة

ولم يزل دارتانيان يزداد غراماً بميلادي وحباً لها وميلاً اليها بالرغم عن نصح اتوس وانذاره حتى اذا كان ليلة ذاهباً اليها اعترضته الوصفية كاتي في الدار وقد صبغ الحياء خديها وقالت له ألا تأذن لي بان اكلهك قليلاً فظن دارتانيان ان معها كلاماً من

سيدتها فقال نعم فتولي قالت هو كلام يطول مأخذه وسرّ يجب كتمانها فاتبعني وقادته يده في سلم صغيرة ثم دخلت به الى غرفة فقال لها ما هذا قالت هي غرفتي ولها باب الى غرفة سيدتي ولكن كن على ثقة من انها لا نسمعا فهي لا تنام الا عند منتصف الليل فجعل دارتانيا ينظر الى باب الغرفة نظرات علمت كاتي معناها فقالت اراك شديد الشغف بسيدتي قال نعم وهو شغف ما وراءه شغف فتنفس الفتاة وقالت يا لضيعة الحب قال كيف قلت قالت ان سيدتي لا تحبك مثقال ذرة قال وهل قالت لك ذلك لتبلغينه قالت لا ولكنني علمته فدعاني حيي الك وغيرتي عليك الى ان اقوله لك قال اني لا اكاد اصدقه فهل اقولك من دليل قالت نعم واخرجت من جيبها رسالة وقالت خذ فاقرا لعلك تذكر او تخشى فنظر الفتى في الرسالة فراها بعنوان الكونت ويرد رفض ختامها فصاحت به الفتاة فلم يلتفت الى قولها وقرأ

« وقد ارسلت لك رسالة قبل هذه فلم تجبني عليها ولمل ذلك لاحد امرين اما «
« ان يكون قد زاد بك الالم او انك نسيت اجتماعنا وحبنا في بيت دي كيز فان لم «
« يكن شيء من ذلك فهذه احسن فرصة فاستفرصها والسلام »

وما اتم قراءة الرسالة حتى اصفر لونه وقرصته الغيرة فقالت له الفتاة لا الومك يا سيدي فقد ذقت مثلك طعم الحب قال اذن فاعينيني على الانتقام من سيدتك وقتل عشيقها قالت اما الاول فنعيم واما الثاني فلا اساعدك عليه ابداً لامرين اولهما ان سيدتي لا تحبك فتكون قد ظلمت الرجل بقتلك اياه على غير طائل منها والثاني لا اقوله لك الا اذا عرفته انت من نفسك قال اليها وقبلها فاحمرت وقالت هذا هو السبب الثاني انك لا تجبني فذكر الفتى عند ذلك كل ما كان يراه منها فقال لا والله بل احبك واذا شئت دليلاً على ذلك فانا اصرف عندك الوقت الذي اصرفه عند مولاتك فقالت مرحباً بك يا سيدي ثم اجلسه على كرسي وجلست اليه فجعل يحادثها ويفازلها حتى اتصف الليل واذا بحركة في غرفة ميلادي فالت الفتاة اخرج يا سيدي غير مطرود فان سيدتي تدعوني فاند قبمته وبدلاً من ان يخرج من الباب دخل في خزانة كانت هناك معلقة فيها ثياب ميلادي واقفل بابها عليه ودخات كاتي على ميلادي فاخذت ثوبها على ابطائها ثم قالت لها ارأيت ان صاحبنا لم يأت الليلة فما تريه فعل قالت لا

أرى لعله اخلف الميعاد قالت لا وما اظنه الا عاقه احد ولكن رويداً فان لي عليه ناراً ولا بد من الانتقام منه قالت عجباً يا سيدتي كنت اظنك تحيينه قالت بل امته اذ قد وقع اللورد ونتر في يده ولم يقتله لكي يبقى الميراث لي وحدي قات صدقت فانث الورثة الوحيدة بعد ابنك قالت نعم وفوق ذلك فقد اوصاني الكردينال بقتله فان اختطاف خليفته لم يشف لي غليلاً فاخرجي الآن واياك ان تنسي الرسالة فخرجت واقفلت الباب بالمتاح بحيث لم تشعر ميلادي وكان دارتانيان قد اثر فيه كلامها تأثيراً شديداً فامتقع لونه واكفهرت وريماً دخلت كاتي خرج من الخزانة فنظرت اليه وقالت مالك مصفر الوجه فقال لعنة الله عليها ما اشد دهاها قالت نشدتك الله بالخروج فانها سمعنا قال وانا لذلك لا اخرج او اخرج بهد قليل ثم اخذ يداعب الفتاة ويلاعبها ويسألها عن خبر يوناسيه وهي تقسم انها لا تعرفها ولم تسمع غير اسمها حتى مضى هزيع من الليل فقام وخرج ولما كان اليوم الثاني عاد الى ميلادي واقام عندها مدة ثم خرج فاصاب كاتي على الباب فاخذته الى غرفتها فلبث عندها الى الفجر ثم ذهب الى بيته وما كاد يستقر فيه حتى رأى كاتي مقبلة وفي يدها رسالة باسم الكونت ويرد فقرأها واذا بها « هذه المرة الثالثة التي اكتب لك فيها باني احبك فاحذر ان اكتب لك »

« في الرابعة اني امقتك والسلام »

ثم التفت الى الفتاة فرآها تنظر اليه نظرة الغيور فقال لها لا احب سواك ولا بد لي من الانتقام من هذه الفاجرة ثم اخذ القلم وكتب

« وردت علي رسائلك وانا في ريب من انها منك لي لشدة شففي بك على عدم »
« وصولي اليك فضلاً عما اقساه من ألم الجراح فاما وقد تحسنت صحتي بحمد الله »
« وتيقنت انك تحيينني فساكون عندك الليلة في الساعة الحادية عشرة ان شاء الله تعالى »

الكونت ويرد

وقد كتب دارتانيان ذلك معتمداً على الباب المنفتح بين الغرفتين ليفر منه اذا انكشف امره وقد صمم على اتيانها بدلاً من الكونت ثم اعطى الرسالة لكاتي وحذرهما من ان يظهر عليها ارتباك تفطن له مولانها ثم صرفها بعد اذ وعداها بانه يزورها في ليلته

الفصل التاسع والعشرون

تجهيز اراميس وبورتوس

وكان الاصحاب الاربعة قلما يجتمعون لانها كهم في التجهيز فلما خرجت كاتي من عند دارتانيان ذهب الى منزل اتوس فوجد عنده صاحبيه بورتوس و اراميس فجلسوا يتحدثون واذا بخادم بورتوس قد دخل عليهم وقال له ان في بيته امرأ ضرورياً يدعوه للذهاب فقام وخرج ولم يتجاوز الباب حتى دخل بازين خادم اراميس فقال له انت رجلاً يطلب مقابلته فقال ومن عساه يكون قال هو رجل فقير قال فاعطه صدقة واصرفه قال زعم ان له معك كلاماً وانك تسرُّ لمراه لانه آت من مدينة تور قال اما اذا كان ذلك فنعم ثم خرج فبقي دارتانيان واتوس يتحدثان فقال له دارتانيان لقد وجد صاحبك نفقتها فما تصنع انت قال ذلك لله ثم اخذ الفتى يقص عليه قصة ميلادي وما كنت منها مما لا فائدة في استيفائه

اما اراميس فانه اسرع الى بيته ليرى ذلك الرجل القادم من تور فوجده قائماً في انتظاره وهو بلباس الفقراء قصير القامة اسود العينين فقال له انت المسمى اراميس قال نعم قال فاين المنديل الموشى فاخرج اراميس مفتاحاً وفتح خزانة عنده واخرج منها المنديل فلما رآه الرجل قال قل لخادمك يخرج فخرج ولما خلا بهما البيت اخرج الرجل من حزامه رسالة ودفعا لاراميس فلما رأى اراميس ختمها قبلها وقرأ

« لقد قضت الايام بالبعد بيننا الى اجل في الدهر غير بعيد »

« و بعد فاذا ذكر ايها الصديق ايام الصبا الى ان تلقي وخذ من حامل رسالتي البك ما »

« ندفعه لك وافعل ما يجب عليك في الحرب وانا افعل ما يجب علي هنا وموعداً »

« باللقاء قريب ان شاء الله تعالى »

ثم اخرج الرجل من جراب معه صرة فيها ستمائة دينار واقفاها على المائدة وخرج واقام اراميس يعيد قراءة الكتاب ويقول انا لك يا حيية القلب وشقيقة الروح ثم نظر واذا بمحاشية في الرسالة معناها « احتفل بحامل هذه الرسالة فانه من اشرف رجال اسبانيا » فالتفت اراميس فلم يجد الرجل واذا بازين قد دخل يستأذن لدارتانيان

دخل دارتانيان وقال من هذا الرجل الذي دعاك قال هو رجل اتاني بقصيدة لي طبعها
ارسلها معه صاحب المطبعة ثم اخذ بعض مال في جيبه وخرج مع دارتانيان الى اتوس
وفيما هما يسيران وجدا خادماً بورتوس يتود فرساً وبغلاً فسألاه عنهما فقال هما من
عند عشيقته بورتوس وبعد قليل ذهب بورتوس الى عشيقته يعاتبها على عدم ارسال المال
فقال له تعال غداً مساءً فيكون زوجي غائباً فتحدث ملياً ثم اعطته صرة وخرج



الفصل الثلاثون

ليلة الميعاد

ولما كان المساء ذهب دارتانيان الى ميلادي فلقته باسمه الثغر بشوشة الوجه فعرف
ان الرسالة قد وصلتها قلبت عندها مدة وخرج فصعد الى غرفة كاتي واقام عندها حتى
قربت ساعة الميعاد وسمع دارتانيان حركة ميلادي في غرفتها فدخل الخزانة ودعت
ميلادي بانخادمة وكنيتها وصرقتها ثم اطفأت المصباح فوثب دارتانيان من مكانه الى عتبة
باب ميلادي فقالت من هذا فقال انا الكونت دي ويرد فقالت ادخل فانا في انتظارك
وجعلت تتلطف به وتساله عن جروحه وهو يجيبها بصوت منخفض ثم دست في اصبه
خاتماً وقالت خذ هذا واذا كرني به فاخذه واقام عندها في ذلك الظلام الى ان دنا الفجر
فودعها وخرج فشيخته الى باب الدار وهي مظلمة لا نور فيها وذهب الى بيته فنام ثم
نهض في الصباح الى اتوس فقص عليه القصة وفيما هو يكلمه كانت عين اتوس لا تبرح
من الخاتم الذي في يده فقال له دارتانيان اراك تكثر التأمل في هذا الخاتم قال نعم انه
خاتم عائلة شريفة خاص بها فهل استعضت به عن خاتم الملائكة قال لا بل اعطنيه
ميلادي فامتقع لون اتوس من ذلك واخذ الخاتم وجعل ينظر اليه كالتأمل والغيظ باد
على وجهه ثم وضعه في اصبه فجاء طبقاً كأنه صنع له فقال له دارتانيان هل عرفته
قال اظن اني اعرفه وقد اكون مخطئاً ثم نزع من اصبه واعطاه لدارتانيان وقال له
ادرفسه الى باطن كفك فانه يذكرني حكاية لا اقدر ان اقصها عليك فلا تستشري
بمدها ابداً ولكن ارنه ثانية لعل في فسه كسراً واخذه ونظره فاذا به كذلك فقال
له دارتانيان ماذا تعني بهذا قال هذا الخاتم لي من أمي وقد وهبته في ليلة مثل ليلتك

البارحة ولهذا قلت لك انه خاتم عائلة فاياك وهذه الامرأة فما اخال الا انت لها شأناً مشوماً وانها من الفواجر فقال دارتانيان في نفسه ان في مسألة هذه الامرأة سرّاً لا يد لي من اكتشافه ثم سلم وخرج الى بيته فوجد فيه كاتي ومعها رسالة للكونت ويرد تسأله فيها ان يزورها فقرأها دارتانيان وكتب

« لقد حال بيني وبين زيارتك امرٌ لا بد لي من الذهاب فيه ولعلي اراك بمد ذلك »

« الكونت ويرد »

واعطى الجواب للفتاة وحرصها على الصبر وانه يحبها وان تحذر سيدتها فاطاعت وذهبت الى سيدتها فلما قرأت جواب الرسالة التفتت الى الفتاة وقالت ما هذا فقالت جواب رسالتك يا سيدتي فاصفر لون ميلادي وقالت ليست هذه رسالته ولا يكتب رجل لامرأة مثل هذا فويل له ثم سقطت مغشياً عليها فجاءت الخادمة وانهضتها فهضت وصاحت بها اخرجي لا بارك الله فيك واتقم الله ممن لا ينتقم

الفصل الحادي والثلاثون

الزيارة

وانقطع دارتانيان عن ميلادي اياماً لا يزورها حتى قلت وفرغ صبرها فارسلت اليه مع كاتي هذه الرسالة

« راجع احبتك الذين هجرتهم ان التيم قلما يتجنب »

« ايها الصديق ليس من العدل ان تقاطع اصحابك في حين انت وشيك المفارقة لهم »

« ولقد انتظرتك أمس انا وسلفي فلم تأتِ وعسى ان لا يضيع انتظارنا في هذا المساء »

« ميلادي »

« والسلام »

فلما اتم قراءة الرسالة قالت له كاتي هل انت ذاهب قال نعم وهو ما تدعوني اليه الضرورة لئلا توجس مني شيئاً في انقطاعي بمد كثرة ترددي واخاف ان يلحق بك من ذلك مكروه وكيف كان الحال فلا سبيل لك الى الغيرة علي فليست زياتي لها بزيارة عشق بل زيارة استطلاع لما في القلوب فاطمعتي وانصرفني فانهضت

ولما كانت الساعة التاسعة ذهب دارتانيان الى ميلادي ودخل عليها فوجدها جالسة

على مرتبة وهي مصفرة الوجه وفي عينيها أثر الحزن والوجد فاستخبرها عن حالها فقالت
كرب شديد قال اذن اخرج عنك فانت في حاجة الى الراحة قالت لا بل تظل
ندي فان مقامك عندي يخفف عني بعض ما بي فقال دارتانيان في نفسه اراها تزيد
لينا ولطافة فيجب ان احذرها وقد قيل

ان الافاعي وان لانت ملامسا عند القلب في اناياها العطب

ثم قالت له هل لك خديلة فتهد وقال

تسألني من انت وهي عليمة وهل بنتي مثلي على حاله نكر

تسأليني عن ذلك وانا لك عاشق وبك مفتون من يوم رأيتك حتى صح في ما قيل

جلبت الى نفسي المنية عند ما نظرت فلم تخطي فؤادي اسهي

قالت وهل يحبني فقال

اذا انا لم اخبرك ما بي من الجوى ام لحظت عينك ذلك من عيني

قالت نعم ولكن لم لا تبوح اما سمعت ما قيل

اذا ملكت ايدي الهوى قلب عاشق فاهوت شيء ما تقول العواذل

قال صدقت ولكنني اخشى ان يحول منك دون ذلك بعض الموانع بحيث اصبحت

ارجوك واخشاك قالت اذا كنت احبك فلا مانع ان شاء الله فقال دارتانيان في نفسه

الله اكبر لعلها عشقتني ثم دنا منها فقالت له وما برهانك على حبي قال مري تري قالت

ان لي عدوا قال يا سبحان الله وهل للوجه الملبح اعداء قالت نعم عدو الذي خرق حرمتي

وحط من قدري وانا مستعينة بك عليه قال ومن عساه يكون قالت هو الكونت دي

ويرد الخادع الماكر قال نعم وكرامة قالت وما ثوابك عندي قال وما ثواب المحب عند

محبوبه الا مثل هذا ثم جذبها اليه وقبلها وقال عرفت عدوك قالت كيف عرفته قال

لقيته امس في سمر فاراني خاتماً زعم انه منك وانا لذلك اتقم لك منه غداً فاما نصر واما

موت ولكنني استصعب الموت في سبيل حبك وما يدي منك غير الامل قالت صدقت

فاذهب الآن فان سلمي آت ولا يجعل بي أن براك هنا ثم ترجع عند الساعة الحادية

عشرة ثم دعت كاتي فقالت لها متى جاء فخذيه الى غرفتي قالت نعم ثم قبل

يدها وخرج

الفصل الثاني والثلاثون

سر ميلادي

وعزمت كاتي على ان تدخل به الى حجرها فأبى وصار يفكر كيف يفعل وجمال في فكره ان يكتب لها بالقصة وانه هو الذي تلبس بالكونت دي ويرد وخذعها ثم عرض له فرغب في مقابلتها مرة أخرى فسار الى منزلها وجعل يدور حوله حتى حان الوقت ونظر من الباب فاذا بالنور قد انطفاً فتذكر ليلته البارحة فصعد الى غرفة كاتي فحاولت ان تمنعه من الدخول الى غرفة مولاتها فأبى وجعل يناوصها فأحست به ميلادي ففتحت الباب وقالت له ادخل فدخل واقفلت الباب فثارت الفيرة في قلب كاتي وحاولت الدخول ورائه ولكنها خافت سوء العقبي فتربصت وفي قلبها حزازات

ودخل دارتانيان وفي نفسه قائل يقول له انها لا تحبه وانه آله تعمة في يدها ولكن الحب اعنى بصيرته فاقام واياها ساعتين والسكوت شامل والغرفة هادئة ثم سأله هل هيات اسباب القتال مع الكونت وهل انت عازم على قتله فاجابها وهو مشرد الفكر تائه العقل لا وقت لي للقتال فقالت وقد ملكها الجزع والندم أتخاف منه قال لا ولكن لعل له عذراً أو ان ذنبه لا يستحق الموت قالت انه خدعني فوجب عليه الهلاك قل اذن افعل وكان النجر قد لاح ودخل الغرفة بعض النور فهم دارتانيان بالذهاب وقال لها اني صائر فيما رسمته لي ولكن ينقصني شيء قالت وما ذلك قال برهان على انك تحبيني قالت وهل بعد ليلتنا هذه برهان قال صدقت ولكن اذا كنت تحبيني كما تزعمين أفما تخشين علي مما انا ماض فيه قالت وما عسيت اخاف قال ان أجرح او أقتل قالت لا سمح الله فاني اعهدك بطلاً حاذقاً في الحرب تصيب ولا تصاب قال ولكن وما تقولين في طريقة ننتقم بها ونكتفي مؤونة القتال قالت وما هي قال ارى ان هجرك اياه قد كفاه وحسبه بهجرك عقاباً قالت ومن قال لك اني احبه قال اذا لم تكوني تحبينه فأنت تحبين غيره واني لهما مني حياة الكونت واره غير مذنب وانا على يقين في ظني قالت بالله وكيف ذلك قال سأضرب لك مثلاً أفما تحبيني قالت بلى قال فلو اخطأت لك خطأ الكونت أتسمين في قتلي قالت لا ادري فما تقصد في ذلك قال ألم يأتك الكونت ليلة الخميس

اضاى في هذه الغرفة قالت لا والله وكذب من قال قال لا تخافني فأنا صاحب الخاتم
وانا الكونت دي ويرد يوم الخميس وانا دارتانيان اليوم وكان الساعة وقعت على
ميلادي لدى سماعها هذا الكلام فاصفر وجهها وامتعق لونها واضطربت اعضاؤها
وارتعدت فرائصها ووثبت الى خارج السرير فامسكها الفتى بطوقها فاقد ثوبها وظهر
كتفها وكان النهار قد تعالى فرأى دارتانيان على كتفها زهرة الزنبق فتذكر قول اتوس
وليث جامداً لا يتحرك من سرّ وقف عليه لا يعلمه الا الله وصاح الله اكبر ماذا ارى
فصاحت في وجهه صيحة اللبوة وقالت تبا لك يا غادر لقد خدعتني بحق عليك الموت
ثم وثبت الى خزانة فأخرجت منها مديّة صغيرة وهجمت عليه وكانت هيئتها هائلة حتى
ارتاع لها الفتى على شجاعته فسل سيفه وجعل يدفعها به عن نفسه غير معتمد قتلها وهي
تهجم فيصدها ويقول لها مكانك يا غادرة أو اسمك بزهرة اخرى على خدك وما زال
يجاولها بالسيف ويطلب الباب حتى بلغه وكانت كاتي قد سمعت الصراخ ففتحته
فولجّه واقفله وراهه بالمفتاح وجعلت ميلادي تضرب الباب بالمديّة ضربات نحاكي
ضربات الرجال وهي تهدير كالسعلاة فقال دارتانيان لكاتي اخرجيني من القصر حالاً
والا جمعت علي الخدم فقتلتنني فقالت له وكيف تخرج وانت عار لا يسترك الا القميص
قال اذا فالبسني ما عندك فان من وراء ذلك الموت فألبسته الفتاة جلبابها وقبعتها
وحذاءها فخرج وميلادي تصبح في القصر بالخدم لا فتحو الباب ولكن دارتانيان
كان قد خرج وغاب عن نظرها فسقطت مغشياً عليها

الفصل الثالث والثلاثون

لا يأسن نائم ان بغما

وظل دارتانيان يركض في سلك باريز على هيئته تلك حتى بلغ باب اتوس فقرعه
فتفتح له الخادم فدخل من غير ان يتكلم فصاح به الخادم وهو يظنه امرأة ما اذا تريدن
ايتها المرأة أفي مثل هذه الساعة يغشون البيوت فقال له دارتانيان مه يا غلام انا
دارتانيان فاين مولاك قال كذبت يا لكاع فان دارتانيان رجل ولست بدارتانيان وكان
اتوس قد سمع صياح الخادم فخرج من غرفته ولما نظر الى دارتانيان ضحك حتى استلقى

على قناه فقال له دارتانيان اقصر المزاح فالامر اعظم من ذلك فقال له أخرج انت والا
 فما لي اراك اصفر الوجه قال لا ولكني قطعت هولا عظيماً فهل انت وحدك قال نعم فوثب
 دارتانيان الى الغرفة واقفل الباب فقال له اتوس اخبرني هل مات الملك أم قتل الكردينال
 ام ماذا فعلت فقال رويدك اقص عليك الامر ولكن حتى اخلع ثيابي هذه ثم خلع ثيابه
 ولبس غيرها من ثياب اتوس ودنا منه وقال له ان ميلادي موسومة بزهرة زنبق على
 كتفها فأجفل اتوس اجفال الحمل كأن صاعقة هبطت عليه فقال له الفتي عساها التي
 اخبرتني عنها قال أليست بيضاء اللون زرقاء العينين سوداء الحاجبين لا تبلغ الثلاثين
 من العمر قال هي تلك والزهرة على كتفها تكاد تزول وما اظنها الا فرنسوية قال لا بد
 من اين اردها قال اياك واياها لكلا تكيد لك كيداً ونحن مسافرون عن قريب الى روشل
 فدع غضبها عليّ وحدي ثم قص عليه القصة من اولها الى آخرها فقال له احذر على
 نفسك منها فاني اظن ان لها يداً مع الكردينال ولكن ما فعلت بنفقة سفرك وما اراك الا
 قليل الاعتداد بها لان معك هذا الخاتم قال ذكرت لي انه خاتم عائلة فما شأنه قل نعم
 اشتراه ابي بالفي قطعة من الفضة واهداه الى امي فأخذته منها واهدته لهذه الغادرة
 قال اذن فخذها قال كيف آخذه وقد دنسته الفاجرة بكفها قال ألا تبيعه قال معاذ الله
 ان ابيع هدية من امي قال اذن فارهنه وتجهز بثمنه ثم استرده قال افعل ولكن على شرط
 ان تقسم المال قال ذلك فوق الحاجة وانا في غنى عنه ومعى خاتم آخر قال مالنا ولذلك
 فاما ان تقاسمني ثمنه او ارميه في النهر قال اذن اقبل ثم خرجا الى بيت دارتانيان
 فلاقهما صاحب الفندق وقال للفتى ان عندك في الدار فتاة حسناء وهي في انتظارك فقال
 هي كاتي والله ثم ووثب الى البيت فوجدها جالسة كاسفة اللون ترتعد فرقاً فقالت لقد امتنتني
 على حياتي فلا تحنث قال لا تخافي فما جرى بعد ذهابي قالت لا اعلم سوى انها دعت
 بخادمها وهي ترغي وتزبد فخشيت ان يصيدني منها مكروه او تظن بي شيئاً فهربت
 الى هنا قال وما اصنع بك وانا مسافر بعد غد قالت تخرجني من باريز او من فرنسا او
 تضعني عند احد اصحابك حيث لا يدري بي احد ففكر دارتانيان قليلاً ثم دعا بخادمه
 فقال له اذهب الى اراميس وادعه لي في الحال فخرج ولم يمض قليلاً حتى دخل اراميس
 فقص عليه القصة قال نعم ارسلها الى احد النساء الاشراف في فرنسا فانها طلبت مني

فتاةً مثلها ثم جلس فكتب لها كتاباً بذلك ودعت الفتى وخرجت وعاد اراميس الى منزله ونزل دارتانيان واتوس الى السوق فرهنا الخاتم على الفئ دينار اقتسامها وذهب اتوس وهو يقول لا يأسن نائم ان يغنا

الفصل الرابع والثلاثون

مرور الخيال

ولما كانت الساعة الرابعة اجتمع الاصحاب الاربعة وفي قلب كل منهم حادث سر وجعلوا يقتطفون افان الحديث واذا بيلانشت خادم دارتانيان قد دخل وفي يده كتابان باسم مولاه فاخذها الفتى وكان احدهما صغيراً لطيفاً مختماً بالشمع الاحمر وعليه صورة حمامة في مقارها غصن زيتون والآخر ضخماً كبيراً مرسوماً عليه سلاح الحرب وهذا نص الكتاب الاول

« تنزه على طريق كالوت بين الساعة السادسة والسابعة وانظر جيداً في كل »
« ما يمر بك من العجالات واياك والكلام اذا كنت تحرص على حياتك وحياة من تحبهم »
« او ان تشير اشارة تدل على انك عارف بمن عرضت نفسها للخطر لكي تراك »

فقال له اتوس انها حيلة نصبت لك فلا تذهب قال يلوح لي اني اعرف الخط قال قد يمكن ان يكون مزوراً وفوق ذلك فاي عربة تمر في شارع كالوت في تلك الساعة اذ يكون مقفراً لا رجل تدب فيه قال اذا كان ذلك فنذهب جميعاً فأن من الخطر فقال لراميس ولكن ألم تع ما قالت في كتابها من انها لا تريد ان يراها أحد فقال بورتوس اذن نخفي في مكان لا تراتنا به فقال دارتانيان ولعلنا نتبع العربة فنفرق من يخفيها ونخلص من فيها قالوا سري ولكن ما هذه الرسالة الاخرى ففضها دارتانيان وقرأ

« دارتانيان احد حراس الملك في فرقة دي زيسار مأمور بالحضور الى قصر »
« الكردينال عند الساعة الثامنة »

« هوريز »

« قائد الحرس »

فقال اتوس هذه والله شر من الاولى فقال دارتانيان ولكني اذهب بعد ان اكون قضيت الرسالة الاولى فانها في الساعة السابعة وهذه في الساعة الثامنة قال اراميس

اما انا فلا اذهب ومن يخاطر بحياته في قصر الكردينال وهو لا يأمنه فقال بورتوس وانا من رأيك فقال دارتانيان يا قوم لا تعجلوا فلا بد لي من الذهاب فقد اتاني كتاب مثل هذا من مدة فتخلفت فاصابتني نكبة على اثره وهو خطف حبيتي وانا اخشى ان يصيبني مكروه اذا خالفت الآن قالوا فلا تذكر سجن الباستيل وعذابه قال وما اخشى منه وانتم وراثي قالوا صدقت فنحن ذاهبون معك الى موعديك الاول والثاني فقيم على ابواب القصر حتى تخرج وان لم تخرج وخرجت عربة مقفلة فهناك اجلبها المتاح وبلاؤها العظيم

ثم ذهب اراميس فنبه الغلمان فاسرجوا الخيول ولما حانت الساعة ركبوا وساروا جميعاً الى الموعد الاول وغلمانهم تتبعهم وفيما هم سائرون صادفوا دي تريفل عائداً من اللوفر فاخبروه بكتاب الكردينال فهدأ رؤسهم وقال لدارتانيان ان لم ارك غداً فانا هادم باريز لا محالة ثم ساروا حتى بلغوا الشارع المهود فجعل دارتانيان يمدق بالعربات وهي تمر به مر التسميم حتى اقبلت عربة يجرها فرسان من جياد الخيل فتوسم فيها الفتى خيراً ودنا منها واذا يوناسيه قد مرت به مرور الخيال فصاح من الطرب وهم باتباعها لو لم يوقنه قولها في الرسالة فعاد وقال لاصحابه هي والله وما اظنهم الا ناقلها من سجن الى آخر وما ادري ما ذنبها فقال له اتوس لا تأس من رحمة الله يا دارتانيان

قد يجمع الله الشئتين بعدما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

ثم اتنوا راجعين الى قصر الكردينال وتفرقوا على ابوابه ودخل دارتانيان من الباب الكبير بقلب لا يهاب الموت ومشى الحاجب امامه في دار فيها كثير من حرس الكردينال فجعلوا يتغامزون عليه وهو لا يلوي على احد حتى بلغ غرفة فيها رجل يكتب فرقع الرجل رأسه لدخول الفتى واذا به الكردينال

الفصل الخامس والثلاثون

الخيال الهائل

فقال له الكردينال هل انت من رجال عائلة دارتانيان قال نعم يا مولاي قال فمن ايها انت قال انا ابن الذي كان له بلائه حسن في الحرب التي عاناها الملك السابق رحمه

الله قال فهل انت الذي اتى من مدة ثمانية اشهر الى هنا قال نعم يا مولاي قال وقد مررت على مينك حيث جرى لك حادث قال نعم فاسمع يا مولاي ما جرى لي قال لا فائدة من ذلك فاني عارف بالامر فهل كان معك وصاة الى دي تريفيل قال قد كان ذلك قال وقد سرقت منك الوصاة ثم اتيت فصاحبت الحرس وادخلت دي تريفيل في حرس دي زيسار ثم عرض لك سفر الى انكلترا فذهبت اليها وتخلف اصحابك في الطريق فقضيت الرسالة فيها وعدت الى باريز حيث قابلت شخصاً رفيع المكان ولم يزل في يدك اثر منه ففطن دارتليان للخاتم فادار فسه الى باطن كفه ولم يخف ذلك على الكردينال فعقب ثم اتاك دي كانوا يدعوك الى القصر فأيتت قال نعم خشيت ان يكون في ذلك ما يحفظ سيدي الكردينال قال لا فقد اخطأت فان البريء لا يخاف شيئاً ثم اذ كر يوم دعوت بك فتخلفت ماذا جرى في ذلك المساء فذكر دارتليان ان قد خطفت حبيته في تلك الليلة وعاد الكردينال فقال ثم خفي عني ذكرك زماناً فاحببت ان اعرف ما تفعل لان لك علي شكراً فاجلس فانت اعظم من ان تخاطب واقفاً فجلس فقال الكردينال ارى انك فتى اديب شجاع وانا شديد الرغبة في امثالك وانصح لك بان تكون على حذر فان لك اعداء لا آمن عليك منهم لحدائثة سنك قال نعم يا مولاي انهم كثيرون وانا واحد قال لا بأس فان لك من افعالك اعوانا وسيكون لك شأن ولذلك فانت في حاجة الى من يشد ازرك ويأخذ بيدك لانك لم تقدم باريز الا طلباً للغنى فما تقول في وظيفة عندي بين حرسى فتلجج الفتى وظهرت عليه علام الكره فقال له الكردينال ألا تريد قال اني يا مولاي في حرس الملك ولا عندي في الخروج منه قال ان حرسى وحرس الملك سيان فانتما هما لمجد فرنسا ومنعتها قال لقد اسأت التعبير يا مولاي فلم تفهم قصدي قال لا بل فهمت فانك تلمس عندي نخرج به من حرس الملك وما عساه ان يكون احن من هذه الفرصة والحرب قريبة الوقوع وانا اعرض عليك ذلك على كثرة الشكايات منك وفي هذه الورقة قصة طويلة عنك احب ان اقرأها لك ولكن بعد ان اتم كلامى معك في هذا الشأن فاطمني واقبل فقال لقد غمرتني يا مولاي بانعامك وحملي منة من فضلك يقصر لساني عن ايفاء الشكر عليها واذ كنت قد فسحت لي في الكلام فاني اقول ان اصدقائي في حرس الملك وليس لي في حرسك يا مولاي الا

الاعداء وهو ما يعني الدخول فيما اشتهبه من خدمتك ومع ذلك فنحن مباشرون بعون الله حصار روشل حيث اكون تحت امرك يا مولاي فترى في رأيك وانا لك في كل حال شاكر ما قلدينيه من الجميل فقال الكردينال وقد ظهرت على وجهه علام الغضب اما وقد رفضت طلبي منك وايتت تقدمتي لك فاحرص على نفسك من اعدائك فاني اذا رجعت عن رأيي فيك لا يضمن حياتك غير الله واذا اصابك شيء فاعلم انه اصابك لا تقطاعي عن مراعاتك قال سأجتهد في ذلك يا مولاي قال كفي الان فاخرج ولي معك كلام اذا عدت سالماً من الحرب فارتاع الفتى لقوله اذا عدت سالماً وشعر بمكيدة ولكنه سلم وخرج فوجد اصحابه ينتظرونه فسار معهم وقضوا ليلهم بالوداع ولما كان الصباح قرعت الطبول ونفخ في الصور فافترق دارتانيان عن اصحابه ولحق بفرقة وعادت الحراس الى اللوفر ليعرضوا على الملك فمر بهم حزينا كثيراً ثم أمر فسارت فرقة الحرس بدارتانيان وبقي حراس تريفيل للذهاب في ركاب الملك وسار بورتوس الى خيلته فقضاها واجب الوداع واخذ اراميس يكتب كتاباً اما دارتانيان فسار بفرقة حتى بلغ الباسنيل فدار حوله ينظر اليه فادهشته فخامته وضخامته وكانت ميلادي بالقرب منه وهو لا يراها راكبة جواداً وحولها رجالان تدلها على دارتانيان حتى عرفاه فوخزت جوادها وسارت ومشى الرجلان مع الحرس وهما يراقبان دارتانيان وهو لا يعلم من امرها شيئاً والله علم الغيب



الفصل السادس والثلاثون

حصار روشل

وكان حصار روشل من اعظم الحوادث التي جرت في ملك لويس الثالث عشر واعظم معارك الكردينال ولا بأس ان نلم هنا ببعض تفاصيل هذا الحصار ليكون المطالع على بينة من امر هذا التاريخ ان المدن التي وهبها هنريكوس الرابع للبروتستانت ليعتصموا بها من سطوة الكاثوليك ذهبت منهم فلم يبق لهم الا روشل فعزم الكردينال على ان يهدم هذه المدينة ويتزع ان بروتستانت كل ثقة وامن فجاء البروتستانت فيها بالحرب واجتمع تحت لواهم كثير من

الاسبان والانكليز والابطالين على اختلاف طبقاتهم وكان مينها آخر مينتا بقى للانكليز في فرنسا فعزم الكردينال على ان لا يبقى للانكليز موطن قدم في فرنسا جارياً في ذلك على سنن جان دارك والدوق دي كيز ولقد كان احد قواد فرنسا يقول ان اخذروشل مستحيل رابع لاتها كانت ممنعة بجزيرة ري تمدها بالذخيرة والجنود من انكثرا ولم يكن سبب تلك الحرب الا عشق بيكنهام للملكة وغيره الكردينال عليها لانه كان يتعشقا فدافعه عنها بيكنهام ولذلك فقد كان ريشيليه الكردينال يمزج الدفاع عن فرنسا بالانتقام من خصمه بيكنهام لانه كان على يقين من انه اذا حارب انكثرا فانما يحارب بيكنهام واذا اتصر عليها فكانه اتصر عليه واذا اذها فقد اذله في عيني الملكة وكانت مقاصد بيكنهام في تلك الحرب كمقاصد الكردينال لا تعدوها في شيء وكانت قصارى رغبته فيها ان يدخل فرنسا فاتحاً لانه لا يقدر على دخولها سفيراً فكانت الحرب قائمة على قدم وساق تذهب الارواح فيها مع دخان المدافع والبنادق وتسيل على شفرات السيوف وشبا الالسنه في سبيل عشق يتنازعه عاشقان والله في خلقه شأن

وكان النصر في بداءة الامر للورد بيكنهام فاخذ جزيرة ري بستين اسطولاً وعشرين الف رجل وقهر الكونت تواراك واليها من قبل ملك فرنسا بعد حرب شديدة وهرب الكونت واليها فاعتصم في قلعة سان مارتين مع حامية المدينة ووضع مئة من رجاله في حصن يدعى حصن لا بري وهو ما دعا الكردينال الى استلام ادارة الحصار في روشل وكان اخو الملك قد سبق اليها بكتيبة من الجيش وكان في عزم الملك ان يرافق الكردينال في مسيره لولا ان أم به من توعلك المزاج ما اخره فتأخر معه الحراس وانفصل دارتانيان عن اصحابه وسار مع حرس دي زيسار فبلغوا روشل في اليوم العاشر من شهر ايلول سنة ١٦٣٧ وكان الدوق بيكنهام عند وصولهم يحاصر قلعة سان مارتين وحصن لا بري ويدافع الفرنسيين عن مدينة روشل

فاقام دارتانيان في ذلك الحصار وحيداً لا مؤنس له يحيق به اعداؤه ويترصدون قتله وهو بعيد عن اصحابه وفيما هو ذات يوم ماش يفكر في امره ووحدته ومحبوته وما صنعت بها ايدي الزمان وما عسى ان تفعل به ميلادي وقد ابعد عن الطريق ورفرف جناح الظلام اذا به يرى رجلاً كالمنا وراء سياج وهو يترصده فوجس منه وتقدم في

طريقه فرأى رجلاً آخر كائناً له وراء صخر فعاد الى الرجل الاول فاطلق الرجل عليه رصاصة فاخطأته ثم اطلق الرجل الآخر فلم يصبه وكان دارتانيان اعزل فلم انه يفر بنفسه اذا هاجم عدويه فاخذ يمدو الى المعسكر وكان الرجلان قد اطلقا عليه ثانية فاصابت الرصاصة قلنسوته فخرقها وخلص دارتانيان بجرعة الذقن الى المعسكر وهو يقول في نفسه لا بد لهذا الامر من احد اسباب ثلاثة اما انتقاماً من اهل روشل او من الكردينال أو من ميلادي ثم نام وهو خائف من ان يدهمه احد فكان يهب من نومه مذعوراً كان عدوه يهاجمه حتى تبليج الصباح وبدأ القتال وكان اللوق دورليان يزور مراكز الجيش وهم صفوف فنظر دارتانيان وهو بين صفه فوجد دي زيسار يشير اليه بالدنو قترك الصف ودنا فقال له ان اخا الملك يريد بعض المتطوعين لامر خطير فلا تفنك هذه المأثرة قال نعم فانا لها وكان البروتستان قد فتحوا في الليل حصناً ويريد الفرنسيون ان يقفوا على بعض شأنهم فوقف اخو الملك وقال احتاج في هذه الليلة الى اربعة رجال يقومون فتي شجاع فقال دي زيسار أما الفتى الشجاع فملي وجدانه وهو هذا وأشار الى دارتانيان فليختر من يشاء فرفع دارتانيان سيفه وقال من يتبعني للموت يا قوم فوثب من فرقة رجلان ثم تبعها آخران من الجند فرد دارتانيان من تقدم بعد ذلك وكانت بعته في ان ينظر هل في الحصن حامية أم هو مهدم مهجور فسار برجاله الاربعة وكان الحرسيان اللذان من فرقة يمسيان الى جنبيه والجنديان وراءه فلما دنا من الحصن التفت الى الجنديين فلم يرهما فظن انهما خافا من القتال فرجما فتقدم بالحرسيين حتى صار على مقربة من الحصن واذا بالرصاص يدوي والدخان ينتشر في الحصن فلم ان فيه حامية وهو على ما يريد عرفانه فعاد برقيقه واذا برصاصة اصابت احدهما فخر صريماً وسار رقيقه يمدو الى المعسكر ولم يشأ دارتانيان ان يترك القتل فدنا منه لينهضه وظن انه جريح واذا برصاصة اصابت رأس القتل واخرى اصابت الصخر ومرت بقرب دارتانيان فلم دارتانيان ان الرصاصتين ليستا من الحامية بل هما من الجنديين والتفت فرأهما كائنين له فسقط الى الارض متماوتاً فظناه قد اصيب فدنا منه ولم يحشوا بندقيتهما فلما صارا على مقربة منه وثب اليهما فخر احدهما الى نحو الحصن فاصابته رصاصة من حاميته فخر صريماً وحمل دارتانيان على رقيقه فرماه الى الارض وبرك

على صدره فقال له لا تقتلني يا سيدي اخبرك بالامر قال وهل سررك يوجب العفو
عنك قال نعم قد ارسلنا امرأة تدعى ميلادي ولا اعرفها قال وكيف اذن تعرف اسمها
قال علمت من صاحبي هذا وهو صاحب الامر وانا تابع له بالاجرة ومعه رسالة منها قال
اعفو عنك ولكن على شرط ان تذهب اليه وهو طريق فتأتيني بالرسالة قال اخشى ان
يصيبني ما اصابه من حامية الحصن قال ان لم تذهب فاني قاتلك لا محالة وقد تسلم من
الحصن وبعض الشراهن من بعض قال اعفني يا مولاي بحق حبيبتك التي نظمتها قد
ماتت وهي باقية قال ما ادراك ان لي حبيبة قال من رسالة صاحبي قال ذلك ما يزيدني
رغبة في ان ارى الرسالة فمجل بها والا قاتلك فاطاع الرجل وسار يتعثر باذياله وهو يردد
فرقاً فناداه دارتانيان ارجع نكلك امك فما انت بصاحبها ثم اخذ يزحف على بطنه
حتى انتهى الى الجريح وجعل يبحث في جيبه وهو لا يهتدي اليها حتى اعتاص عليه
وجداتها وخشي أن يصيبه مكروه فاحتمل الرجل على ظهره وسار به واذا برصاصة قد
اصابت القليل وهو على ظهر دارتانيان فقال تبارك الله فقد خلصني من كاد يقتلني واستمر
به سائر حتى امن بلوغ الرصاص اليه فوضعه واخذ يبحث في ثيابه حتى وجد الرسالة
ففضها وقرأ

« اذا كنت قد عجزت عن الامرأة وافلتت منك الى ديز يمنعا وجب عليك »

« ان تاتر الرجل أو يجل عقابي عليك وتمحرم المال »

فعرف دارتانيان من الخط انها من ميلادي فوضعا في جيبه وسأل الجريح عن
الامر فقال انه قد وكل اليه القبض على امرأة فتشاغل في الطريق فقائمه وان كان مأموراً
أن يضعها في مكان في الشارع الملوكي فعرف الفتى ان المكان بيت ميلادي وان
الملكة عرفت محبسا فخلصتها الى دير فدعته ليراها قبل ان تذهب ثم التفت الى الجريح
وقال له استند عليّ وهلم الى المعسكر قال اظنك قاتلي لا محالة يا مولاي قال لا تخف
وسارا حتى بلغا المعسكر وشاع خبر دارتانيان واخذ الناس يهتفون به سلامته واقام آمناً من
عدويه اذ قتل احدهما واسترق الآخر ولكن ميلادي لم تم عنه وعين الموتور لا تنام

الفصل السابع والثلاثون

خمر انجو

وكان الجيش ينتظر قدوم الملك بفروغ صبر وكان اخوه عالماً انه سيستبدل في القيادة اما بالدوق دانكوليم أو باسوميير أو سكومبرج لانهم كانوا يتنازعون القيادة وبذلك اقام لا يجري امراً في طرد الانكليز عن حصار قلعة سانت مارتين وحصن لا بري ولا في حصار الفرنسيين روشل

اما دارتانيان فاقام لا يحرك ساكناً وهو في هاجس من نحو اصحابه حتى اذا كان ذات يوم ورد عليه كتاب وهذا نصه

« سيدي الكريم . ان اتوس وهورتوس وارانيس بعد اذ صرفوا عندي مدة »

« طلبوا مني أن ارسل اليك اثني عشرة باطية من نبيذ انجو لتشربها على نخبهم »

« التوقيع »

« كودوخولي الحراس »

فسرّ دارتانيان بالهدية وذهب فدعا برفيقه الحرسين واعد لهما متكاً وامر خادمه باحضار النبيذ وكان عنده خادم آخر في المعسكر فجاء بكأس من الخمر وجعل ينظر اليها نظرة المشوق الوهّان فقال له دارتانيان اشرب لاعليك فشرب ووضع الباطية بين ايديهم وهموا بالشرب واذا بمدفع قد دوى ثم تلت مدافع فظنوا ان العدو قد هاجمهم فتركوا الكؤوس قبل ان يمسوها ووثبوا الى خارج المضرب فوجدوا ان السبب قدوم الملك بحرسه فعدا دارتانيان الى اصحابه يهنئهم بالسلامة فقال له أحدهم هل عندك ما نشرب قال نعم من خمركم تشربون فقال اتوس واي خمرنا قص عليهم امر الرسالة فجعل كل منهم ينظر الى رفيقه ويتساءلون فقال لهم دارتانيان ما بالكم كيف تمجبون وهذا كتاب وكيلكم لي فاخذه اتوس وقال كذب من اتى به فما هذا خطه فهو كتاب زور فقال دارتانيان هلم بنا الى المضرب فما اظن ذلك الا من افعال الخائنة ولما دخل دارتانيان الى الخيمة رأى الخادم الذي شرب الكاس يجود بنفسه وعلى وجهه علائم السم فقال وهو يتقطع الما غششتني يا مولاي وسقيني السم قال لا والله فقد عزمت على

ان اشرب ولم يلبث الخادم ان مات فدفنوه وكسروا البواطي وتقدموا الى الحارسين في كتم الامر فوعدهام وانصرفا وقال الحراس لدارتانيان اخرج من هنا فخرجوا الى مضرب آخر واشتغل اراميس وبورتوس ببعض شأنها فقال دارتانيان لاتوس اظن انها الفاعلة قال انا في شك من ذلك قال اني رأيت زهرة الزنبق على كتفها رأيت العين قال لعلها انكليزية قدمت فرنسا ففجرت فيها فعوقبت قال بل هي امرأتك يا اتوس التي حكيت لي عنها وانت في حال السكر قال ان امرأتي قد ماتت وانا على يقين من اني شنتها قال لعل الله قبض لها من خالصها والآن فانصنع قال تذهب اليها فتقول لها ان تكف عنك وتحذرنا من انك تشكوها الى الملك وتحاكمها وتهوئها عليها من امثال ذلك والا فلا اقامة لك الا بسيف يخفر رأسك كما يخفر رأس الملك قال اني ارغب في ذلك ولكن من لي بها الآن قال يكون ذلك في آتي الايام قال وكيف اطيق اللبث وانأتمت الخطر منها قال قد حفظنا الله الى الآن وهو زعيم بنا الى المستقبل قال صدقت ولكن ما رأيك بكونستانس قال لم تعرف من الرسالة انها في احدى الاديرة فاناك بعد انتهاء الحرب في البحث عنها فلا ندع ديراً في فرنسا باسرها قال ذلك بعيد المنال طويل الشقة ولكن نكتب الى احد اتباع الملكة فيسألها عنها فانها هي التي ادخلتها الى الدير قال سنعمل ثم افترقا

الفصل الثامن والثلاثون

فندق برج الحمام

ولقد كان عزم الملك عند وصوله الى روشل ان يجتلي الانكليز عن جزيرة ري ويشدد الحصار على روشل لولا ان حال بينهما وبين ذلك ما وقع من النفرة بين باسوميير وسكومبرج وبين الدوق دانكوليم وكان باسوميير وسكومبرج قائدين في جيش فرنسا يطلبان ما لهما من حق القيادة في الجيش وكان باسوميير من البروتستانس في السر فخشي الكردينال منه ان يتساهل مع البروتستانس في الحصار فطلب من الملك ان يولي الدوق دانكوليم فولاه قيادة عامة الجيش فاحفظ ذلك القائدين وكادا يخرجان عن الجيش لولا ان ولوا كلا منهما قسماً وبعد ذلك اخذوا يشددون في طرد الانكليز من

الجزيرة وكانوا قد اصابوا ببلاء شديد من الامراض وورداءة هواء البحر حتى قل عددهم واستمرّ الفرنسيون يضايقونهم حتى اجتوهم عن الجزيرة فاثنوا بملكهم راجمين وقد تركوا في ساحة الحرب التي رجل بين قتيل وجريح فيهم كثير من الاشراف والقواد ومعهم عدة من المدافع والرايات وكان الكردينال قد قبض على رسول يكنها م وعرف منه ان يكنها م بمقد دسياسة مع اسبانيا واللورين على فرنسا ثم وجد في غرفة يكنها م في الجزيرة اوراقاً تثبت تلك الدسياسة وان لدي شفريرز والملكة بدأ فيها ولذلك فقد كان الكردينال شديد الاهتمام بامر الحصار لانه كان وزيراً مطلقاً تلحقه التبعة في كل عمل وكان يخشى ان تم تلك الدسياسة فتذهب بنفسه ونفس الملك وتخط شأن فرنسا وتبيد سلطوتها فكانت رسله تثبت في الجهاد وارصاده تقاطر عليه بالاخبار وكان مع ذلك حريصاً على نفسه شديد الحذر عليها خشية من ان يقتل أو يفاجأ بمكروه وكان الحراس الثلاثة مرابطين لباب الملك لا يعانون من امر الحصار شيئاً ولا يقتحمون من احوال الحرب هولاً وبينما كان دارتانيا ذات ليلة منفصلاً عنهم في فرقة ركبوا خيولهم وقصدوا الى فندق يدعى فندق برج الحمام ليشرّبوا فيه وفيما هم يسرون والليل مرخ سدوله والارض مقفرة اذ سمعوا وقع حوافر خيل تدنو منهم فوقفوا واذا بفارسين على بعد منهما قد وقفا وهما بالرجوع فتقدم اتوس وصاح بهما من يجبي فقال احدهما بل انتم من يجبي فقال اتوس اجب أو تقتل فقال الفارس الآخر مكانكم يا قوم لا تفعلوا شيئاً فن انتم قال نحن فوارس تتجسس المدوني الليل قال وما مهتكم في الجيش قال حراس عند الملك قال من اي فرقة انتم قال من فرقة دي تريفل قال تعالوا فاخبروني ماذا تفعلون هنا فتقدم الحراس وسبقهم اتوس وقال نحن عسس في الليل قال فما اسماؤكم قال لقد اكرت في الاسئلة فاي سلطان لك في ذلك وكان الفارس ملثماً بردائه فخله وبان وجهه فقال اتوس المعنوا سيدي الكردينال قال ما اسمك قال اتوس فاشار الكردينال الى خادمه فدنا منه فقال له قل لهم ان يتبعوني وحذرهم من الافشاء فاني لا اريد ان يعرف احد اني خرجت من المعسكر فقال اتوس لقد وضعت سرك في موضعه يا مولاي فلا تخش افشاءه فقال الكردينال لله انت يا اتوس فانك اسمع من الخلد فخذ صاحبيك واتبعوني اوليسا بورتوس وارايمس قال بلى يا مولاي

وقدم الحرسيان فسما على الكردينال فقال لهم انا اعرفكم يا قوم وان لم تكونوا من صحابتي ولكني اقدر ان اكل اليكم امري فاتبعوني نذهب الى فندق برج الحمام فقال اتوس لقد حملتنا منه في ذلك يا مولاي فانه بينما نحن آتون مع الملك عجننا بهذا الفندق فجرت لنا فيه مشاجرة ونحن نحب الآن ان نذهب اليه بحيث كانت وقتك لنا عوناً قال وما كان من عاقبة مشاجرتكم قال جرح صديقي ارايس في كتفه جرحاً خفيفاً قال وانت قال اما انا فلم استل سيفي بل حملت خصمي وحذفت به من النافذة فانكسرت رجليه قال وانت يا بورنوس قال اني لما كنت اعلم ان البراز محظور علينا لم امد يدي الى سيفي بل ضربت خصمي بخشبة وجدتها فكسرت كتفه قال وانت يا ارايس قال انا لما رأيت صاحباً في المشاجرة دخلت لافصل بين المتشاجرين فاجأني رجل بضربة سيف على عاتقي فاغتظت منه وحملت عليه بسيفي فاخترقت صدره وحمله اصحابه ولا ادري ماذا جرى به بعد ذلك فقال اتوس ولم يكن علينا في ذلك لوم يا مولاي فان اخصامنا كانوا سكارى واحسوا بامرأة في احدى غرف الفندق فحاولوا كسر الباب والدخول عليها فقال وهل هي جميلة قال اني لم ارها قال بارك الله فيكم فان حماية الحرم من الكرم ونحن ذاهبون الآن الى الفندق وسأقف على جلية الخبر قال اتنا من النبلاء يا مولاي والقتل اهون علينا من الكذب قال معاذ الله ان ارتاب من كلامكم ولكن هل كانت الامراة وحدها قال لا بل كان معها فارس ولكنه لم يمنعها وما اظنه الا جباناً قال يكني فان بعض الظن اثم ثم ساروا والكردينال ملثم حتى بلغوا الفندق فاشار الى اتباعه بالتسحي فتنحوا ونزل اليه رجل فكلمه سرّاً ثم ركب جواداً مسرجاً كان هناك وسار في طريق باريز وقال الكردينال لاتباعه تقدموا ثم التفت الى الحراس فقال لقد صدقتم في حكايتكم بارك الله فيكم فاقفوا اثري ثم ترحلوا وترجلوا ودربطوا خيولهم ولم تكن هيئة الكردينال في تلك الليلة الا هيئة ضابط طارق ليل ثم خرج صاحب الفندق فقال له الكردينال هل عندك من مكان يقم فيه اصحابي ساعة قال نعم ثم فتح لهم غرفة في الطبقة العليا فدخلوها وتوجه الكردينال بنفسه الى غرفة اخرى

الفصل التاسع والثلاثون

قائدة الاسطوانة

ودخل الحراس غرفهم يتساءلون عن عساه يكون الذي يقابله الكردينال ثم جلس اراميس وبورتوس في ناحية يتقاربان وجعل اتوس يتمشى في الغرفة مفكراً متأملاً واذا به يسمع صوتاً خارجاً من اسطوانة الموقد المتصلة بالغرفة السفلى فاشار الى صاحبيه بالسكوت ودنا من الثقب والصق به اذنه فسمع الكردينال يقول اسمعي يا ميلادي فان الامر خطير واجلسي احدثك قالت يقول مولاي فاني سامعة مطبوعة فلما سمع اتوس صوتها ارتعدت فرائصه واقشعر جلده فقال الكردينال تذهين غداً صباحاً الى مصب نهر شارانت فتجدين سفينة انكليزية الهيثة وربانها من قبلي فتركيها قالت اذن اذهب الليلة قال نعم ولكن بعد ان ارسم لك ما اريد فتجدين لدى الباب رجلين يذهبان معك ويكون خروجك من هنا بعد خروجي بنصف ساعة قالت فلنعد الى البعثة التي انا صائرة اليها والتمس ان تكون تفاصيلك واضحة حتى لا يفوتني شيء منها فسكت الكردينال برهة ليجمع بها فكره ويرتب سرد اوامره فاغتم اتوس ذلك و اشار الى صاحبيه باقتال الباب والدنو للسمع معه ففعلا وجلسوا جميعاً فقال الكردينال تذهين الى لندره فلتقين باللورد بيكنهام قالت لا اقدر يا مولاي فانه لم يعد يأمني بعد اخذي منه الجوهرتين قال لست الآن في شيء من ذلك ولكنك تذهين اليه في سفارة فتقوين له من قبلي اني عارف بكل ما يصنع وانا في مأمن منه وعند اقل حركة ييديها اذهب بنفس الملكة قالت وهل يصدق انك قادر على ذلك قال نعم بعلامات تأخذينها مني فتقولين له اني ابوح بمقابلته للملكة وقد جاءها بثياب المغول التي اشتراها بثلاثة آلاف دينار ثم تقولين له باني عارف بدخوله القصر بهيثة قصاص ايطالي وفي ثوبه رقعة يضاء فيها رسم جمجمة وعظام ثم تقولين له باني انشر حادثة اميان بتفاصيلها وان رسوله موتسكي في سجن الباستيل تحت امري وساجعله يقر بكل ما يعرف ثم تذكرين له باني وجدت في غرفته في جزيرة ري بعد ما انهزم منها أوراقاً من دي شفرير بشأن الملكة تتضمن خياتها للملك وعشقها لاعدائه وهو ما يوجب عليها القتل قالت نعم واعادت

عليه الكلام بعينه لتستوثق من حفظه ثم قالت ولعل اللورد لا يقنع بذلك بل يستمر على حصار فرنسا قال لا فانه شديد الكلف بالملكة مشغوف بها الى حد يكون جنوناً فهو يخشى عليها كثيراً حتى يضطر الى الامساك عن القتال قات واذا ثبت في عزمه قال اذن تقتليه قالت وكيف يكون ذلك تتسبين امرأة بارعة في الجمال جداً وترشيتها بالمال وتغريتها به فقتله وتمخلص فرنسا قالت يكون ذلك لولا ان فيه عار الغدر قال ولكنه لا يدري به احد قالت اذا شئت فانا مطبعة على ان تكتب لي صكاً اكون فيه بريئة من كل ما اصنع قال نعم على ان تجدي الامراة قلت ذلك علي يا مولاي فاكتب لي ما قلت لك وافصح لي في ان اعرض عليك امر اعدائي قال وهل لك اعداء قالت نعم وقد عاديتهم في سبيل خدمتك قال ومن هم قالت اولهم بوناسيه قال هي في السجن قالت لا فقد اخرجتها الملكة بامر من الملك الى احد الاديرة قال ايها هو قالت لا ادري فان ذلك سر لم اصل اليه . قال انا ابحت عنه واخبرك بعد ذلك قالت ثم ان لي عدواً آخر وهو صديقها قال ومن عساه يكون قات تعرفه يا مولاي وهو الذي اتصر على حراسك وهو الذي جرح الكونت ويرد في طريق انكلترا وهو الذي عزم على قتلي لاني خطفت صديقه قال عرفته أليس دارتانيان الذي تعين قالت هو بعينه فمن لنا به قال لو كان في يدك حجة عليه انه ذهب الى ييكنهام لاودعته سجن الباستيل قالت عندي فامهاني واكتب لي الآن ما قلت لك قلهااتي الدواة والقرطاس ففعلت وجلس يكتب فاخذ اتوس صاحبيه وقادهما الى طرف الفرقة فقالا لماذا لا تدعنا نستوفي الحكاية قال قد سمعنا كل المهم وانا اريد ان اخرج قالا واذا طلبك الكردينال قال تقولان علم من صاحب الفندق ان الطريق خطيرة فخرج يتجسسها قالا نعم ثم خرج وركب فرسه وسار في طريق المعسكر

الفصل الرابعون

لقاء الزوجين

ولم يخطئ اتوس في زعمه فان الكردينال لم يلبث ان نزل ودخل غرفة الحراس فوجد بورتوس واراميس يتغامران فقال لهما ابن اتوس قالا سمع ان الطريق خطيرة فمضى

يتجسسها قال اذن فاتبعاني فان الزمان قصير ثم ركب وركبا معه وساروا من حيث اتوا
اما اتوس فانه ذهب بجواده غير بعيد ثم عاد فوقف الى جانب الطريق بحيث
يرى ولا يُرى ولم يمض عليه قليل حتى رأى الكردينال واتباعه عائدین فاتبعهم بصره
حتى غابوا وعاد يركض جواده الى الفندق وقال لصاحبه ان معي رسالة للامراة التي
عندك وقد نسي الذي كان معها ان يدفعها اليها فارسلني بها الآن فقال له اصعد فعي في
غرفها فصعد ودخل عليها واقفل الباب وراءه فالتفت الامراة اليه واذا بها ترى رجلاً
ملثفاً بردائه وقد احنى قلنسوته على عينيه فارتاعت منه وقالت له من انت وماذا تريد
فقال في نفسه هي والله ثم ارسل رداءه ورفع قلنسوته ودنا منها وقال اما تعرفيني
فاجفت ميلادي لمرآه ولم تحر جواباً فقال ارى انك عرفتي فقالت وقد رجعت حتى
لصقت بالخائط ويلاه اني ارى الكونت دي لاثير قال نعم يا ميلادي هو الكونت دي
لاثير بعينه اتى من عالم الاموات ليراك « فاجلسي احديثك » كما قال الكردينال فجمدت
ميلادي في مكانها كأنها صغت فقال لها ما اظنك والله الا شيطاناً مارداً اقلت من
النار ولكن رويدك فان للرجال همماً تفوق عزائم المرءة ووالله لا ادري كيف خلصت
من جهنم الى هنا باسم غير اسمك وهيبة تكاد تكون غير هيبتك ولكنها لم تمنح ما تحمّلين
من العار والزهرة التي في جسمك فاجفت ميلادي من كلامه اجفال الحمل ونهضت
من مكانها فقال لها وهو قاعد وما اراك الا تحسبيني ميتاً كما احسبك فان اسم اتوس
اخفى عنك الكونت دي لاثير كما ان اسم ميلادي كلاريك اخفى عني حنة دي بويل
اولم يكن ذلك اسمك عند ما عقد لي عليك اخوك الكاهن وما اظن ان كلاً منا ترك
صاحبه الا توهمه اياه ميتاً فقالت ما الذي اتى بك الي وماذا تريد مني قال اريد ان
اقول لك اني متبع اثارك من غير ان تشعر بي قالت او عالم انت بما صنعت قال نعم
فاسمي اقص عليك افمالك من يوم دخلت في خدمة الكردينال الى هذا المساء فانت
سارقة الجوهرتين من الدوق بيكنهام وانت الخاطفة الامراة بوناسيه وانت طروقة الكونت
دارتيان تحسبينه صديقك الكونت دي ويرد ثم طروقة ايضاً باسمه تحرضينه على
قتل دي ويرد بزعمك انه خادك ثم انت التي حاولت قتل دارتانيال فقلت منك
بين الرضاخ والسم وانت الماقدة ريشيله اليه على قتل بيكنهام بشرط ان يسحقك

بقتل دارتانيان فوالله ما اظنك بعد ذلك الا من المردة الاشرار ومها يكن من امرك فان قتل يكنهام وحياته سيان عندي فهو انكليزي لا اعرفه اما دارتانيان فوالله لئن مسسته يوماً لاجعلن ذلك اليوم آخر ايامك من الدنيا واولها من الآخرة ولا طلبتك ولو كنت بين لحم الكردينال وجلده قالت لقد خدعني دارتانيان فيجب ان يموت . فذكر اتوس عند ذلك ماضي ايامه معها وما كان من امرها فهاج به حب الانتقام فاخرج غدارة من حزامه ورفعا الى جهة ميلادي وقال لها بصوت يرجف منه الاسد والله لئن لم تمطني ورقة الكردينال لاذهبن بجياتك وكانت ميلادي تعرف اتوس وبأسه فاخرجت له الورقة وقالت له خذها عليك لعنة الله فاخذها ورد سلاحه الى مكانه ودنا من النور وقرأ

« ان حامل هذه الورقة قد صنع ما صنع بامري ونخير المملكة فلا يعارضه احد »

« في ٣ كانون الاول سنة ١٦٢٧ » « ريشليه »

ثم طوى الورقة ووضعها في جيبه وقال لها قلمي اظفارك فأخذشي ثم فتح الباب وخرج فلقى الضابطين اللذين من الكردينال فقال لها امضيا فيما رسمه لكما مولاي من اخذ الامراة الى قلعة بوات ولا تتركاها الا هناك ثم ركب جواده وركضه في عرض تلك اليبداء حتى سمع وقع حوافر الخيل فعرف انه الكردينال فقال من يجبي فقال له الكردينال تقدم يا اتوس فان لك علي شكراً في حراستك لنا وها قد وصلنا الان فامضوا الى مضاء بكم وشعار المرور « الملك وري » ثم حياهم وذهب فلما ابعده قال الصحابن لاتوس ما ترى كتب لها قال صه فان الورقة معي ثم ارسل خادمه يدعو دارتانيان وسار وصاحبيه لا ينطقون الا بكلمة المرور حتى باعوا مضاربهم

اما ميلادي فركبت الفلك فاقلم بها الى انكلترا



الفصل الحادي والاربعون

حصن سان جرفي

وجاء دارتانيان الى اصحابه وقال علام دعوتوني فقال اتوس لامر سوف تعلمه فلهوا بنا الان الى احد الفنادق هنا لعلنا نخلو لسرنا ثم انطلقوا فصادفوا كرمود خادم اتوس فاشار اليه اتوس ان يتبعهم وساروا حتى بلغوا حانة قرية فدخلوها واذا بها مكتظة

بالجند على اختلاف اجناسهم بين سكارى ومعردين فجلسوا يشربون ودنا احد الجند من دارتانيان وقال له لقد كانت فرقك غائبة ليلة امس فما فعلتم قال فتحنا حصناً قال وأي حصن هو قال سان جرفي فهدمناه وتركناه مهجوراً ولا يبعد ان يرسل اليه الملك جنوداً تحتله فقال اتوس اتراهنون يا قوم قالوا علام قال على ان اذهب انا واصحابي الثلاثة فناكل في ذلك الحصن ونلبث فيه ساعة ثم نعود ولا تجهلون ما في ذلك من الاخطار لان رجال روشل على مقربة منه والرهن طعام تصنعونه لنا فقال كبيرهم رضىنا فاذهبوا فدنا دارتانيان من اتوس وقال له ان علينا خطراً قال لا بأس فانا نخلوا هناك ثم عينوا الساعة وانطلقوا وكريمود وراءهم يحمل الزاد حتى بعدوا عن الناس فقل اتوس ان لدينا اموراً خطيرة نريد ان نتكلم فيها ولا نأمن ان يسمعنا احد اذا تكلمنا في الخانة قال وما علينا اذا ذهبنا الى شاطىء البحر قال اخشى ان يرونا فيرتابوا بنا فستهم بدسياسة أو مؤامرة ولا نأمن على انفسنا من ان يبالغ الكردينال امرنا من طير السماء أو سمك البحر أو وحش القفر ولا خوف علينا من الموت هنا فان قتلنا الحصن نخدمنا قالوا وكيف نخدم الموتى الاحياء قال تنقي بهم من بهاجمنا فيكونوا لنا جنة ولنا فيهم ما رب اخرى من بنادقهم وسيوفهم وذخيرتهم فقال كريمود وقد جلس على الارض انا لا اذهب ياسيدي فاني اخشى الهلاك فاخرج اتوس غدارته وقال اطع أو تهلك فقام المسكين عشي وهو يتعزفي اذيله خوفاً وفرقاً حتى بلغوا الحصن فصعدوا اليه واشرفوا على صحابهم في الخانة و اشاروا اليهم بالتحية ثم نزع اتوس قلنسوته ووضعها على سيفه ونصبها كالراية

الفصل الثاني والاربعون

محادثة الحراس

ولما دخلوا الحصن لم يجدوا فيه سوى بضعة عشر قبلاً من الفرنسيين والروشليين فاخذ الغلام يهبي المائدة وقال اتوس لاصحابه اجمعوا بنادق القتلى وذخائرهم ونا احدنكم فليس للموتى آذان تسمعنا فجمعوا ما تيسر لهم فجمعهم ثم جلسوا على الخوان فقال دارتانيان لاتوس الا نخبرنا الان بسرك قال بلى فقد رأيت ميلادي امس وكان دارتانيان قد ادنى الكاس الى فيه فامسكه وقال رأيت امرأت ... فقال له صه فلا يعرف ذلك

احد غيرك قال واين رأيتها قال على مقربة من هنا في فندق برج الحمام فقال دارتانيان اني اذن هالك قال لا يكبرن عليك الوهم فاني اظنها رحلت عن فرنسا الآن فقال بورتوس وما عساها تكون هذه قال امرأة جميلة غاظها دارتانيان فعزمت على قتله وطلبت رأسه من الكردينال فقال دارتانيان وكيف ذلك قال نعم سمعتها انا وارايميس فقال دارتانيان لم يعد في القتال والجهاد قائدة ولم يبق لي الا ان اقتل نفسي بيدي فما أرى لي مطماً في الافلات من اعداء مثل الكونت دي ويرد وميلادي والكردينال وهو ضفت على ابالة والرجل الذي خاصته في مينك قال خفض عليك ايها الصديق فانهم اربعة ونحن اربعة كل واحد لواحد ثم التفت الى كريمود فرآه يرتعد خوفاً فقال له ما بالك لا أم لك قال دامتنا سرية يا مولاي قال وم كم عددها قال ستة عشر فاعلاً واربعة عساكر على بعد غلوة منا قال فاستعدوا يا قوم فهب الحراس الى السور فرأوا الجيش مقبلاً فاصطفوا ووضعوا كريمود وراءهم ليحشوا لهم البنادق وصعد اتوس على ثلثة السور وندقيته في يده الواحدة وقلنسوته في الاخرى وقال للسرية يا قوم نحن جماعة جئنا الى هنا لنأكل فاذا كان لكم عمل فانتظرونا حتى نفرغ فنذهب وتدخلون فقال له دارتانيان حذار يا اتوس فاني اراهم يسددون بنادقهم اليك قال لا بأس فانهم نبط لا يحكمون الرمي وما اتم كلامه حتى دوى الرصاص عن جانبيه فاطلق واصحابه بنادقهم فاصابوا اربعة فسقطوا ثم ثنوا عليهم فاصابوا منهم مثل ذلك وفر الباقون عائدين على اعقابهم فعمد الحراس الى اسلابهم فأخذوها وعادوا الى طعامهم واخذ الخادم يحشو البنادق واستأنف اتوس كلامه فقال وكيف ذهب ميلادي الى انكلترا بنية قتل بيكنهام اما بيدها أو بان تغري به احداً فقال دارتانيان تلك اذن خيانة وغدر قال انا قليل الاكتراث في مثل ذلك وسبان عندي قتله أو لم تقتله ثم التفت الى الخادم وقال له خذ عصاً واربط بها منديلا وانصبها لنا علماً ليعلم رجال روشل انهم يحاربون ابطال فرنسا ففعل واخذ العلم يخفق فوق رؤوسهم فقل دارتانيان كيف يقل اكثر اترك بقتل الدوق بيكنهام وهو لنا صديق قال لا بل هو عدو اما نراه يحاربنا قال أو لا تذكر الافراس التي هادانا بها فاني والله لست بجاحد حبه قال سنرى في ذلك ثم ان ميلادي اخذت من الكردينال صكاً تأمن به عاقبة ما تفعل قال دارتانيان وهل لم يزل في يدها قال لا فهو عندي فدونكه واخرجه

من جيبه فاخذه دارتانيان وقرأه حتى انتهى ثم قال اري ان نشقها قال لا والله ولو
ملئت لي ذهباً ما شققها قال وما ترى تصنع ميلادي قال تكتب الى الكردينال ان
اتوس احد الحراس قد سلبها الصك فيقبض الكردينال على دارتانيان اولاً ثم يقبض
عليّ ويودعني سجن الباسنيل قال دارتانيان اراك تمزح قال لا والله بل هي الحقيقة فما
نصنع قال قد عن لي رأي وما اتم كلامه حتى صاح به كرمود بسلاحكم فاستعدوا
فهبوا الى بنادقهم ونظروا ناذا فرقة من الجند مقبلة عليهم فقال اراميس اري ان ترجع
فقال اتوس ان ذلك لا يكون ابداً لاسباب ثلاثة اولها انا لم نفرغ بعد من الطعام والثاني
انه لا يزال في صدرنا كلام نحب ان ننتهه والثالث ان الساعة لم تنقض بعد قالوا وكيف
نصنع قال نطلق عليهم الرصاص حتى ينفد واذا بقيت منهم بقية واستمرت نحونا نعملها
حتى تصير تحت الحائط فنُدفع الجدار عليها وهو مهدم لا يلبث ان يهوي فنقتلهم عن آخرهم
قالوا اصبتم ثم صوبوا بنادقهم واطلموها فقتلوا اربعة ثم اتبعوها بمثلها فقتلوا اربعة آخرين
ولم يزل من بقي منهم يتقدم حتى بلغوا خندق الحصن وهم اثنا عشر رجلاً فقال اتوس
ادفعوا عليهم الجدار فدفعوه فسقط يهوي عليهم ثم علا صراخهم وارتفع غبار الحائط
فقال اتوس اظلم ماتوا جميعاً ثم تطلع وقال اري ثلاثة منهم يركضون مخضبين بالدماء
قالوا دعهم فقد انقضت الساعة ثم التفتوا الى دارتانيان وقالوا ما الرأي الذي عن لك
قال ان اذهب الى انكلترا واقابل بيكنهام فقال اتوس ليس ذلك بصواب قال لماذا
قال لانك عندما ذهبت اول مرة لم يكن بيننا وبين انكلترا حرب اما الان فيحسب
ذهابك حياة فقال بورتوس ونا قد لاح لي خاطر قالوا ما ذاك قال استأذن دي تريفييل
واتبع ميلادي حتى ادركها وهي لا تعرفني فاقتلها واعود اليكم فقال اراميس عيب على
الرجال ان تقتل النساء وانما نحن ابطال

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغايات جرّ الذبول

ولكن بدا لي رأيٌ وعساني مصيب فيه وهو ان نخبر الملكة بالامر قال اتوس ذلك
مستحيل الآن اذ لا يمكن ان تصل رسالة الى باريز على بعدها منا من غير ان يدري بها
المسكر قال اذا كان المحذور من هذا القبيل فلا بأس وعليّ قضاء الامر فاني اعرف
شخصاً في تورثم احتبس لسانه حياءً فقال دارتانيان لاتوس ما رأيك في ذلك قال

لا انكره ولكني لا اراه يتم حتى يعرف به الكردينال قال سنرى في ذلك ولكني اسمع صوت البوق فما ذلك قال قد وجه الينا القائد فرقة تحاربنا وانا اسمع صوت البوق يدنو فما رأيكم قال دعوهم ثم اشار الى كريمود ان يصف القتلى على الخائط بقبحهم وعليهم سلاحهم ففعلوا واستحسنوا رايه فقال فلنرجع الآن الى رأيي قالوا ما ذلك قال اخن ان لهذه الامراة الفاجرة سلفاً قال نعم وهو يدعى اللورد وترميم في لندره الآن وهو لي صديق قال فان كنا لا بد مرسلين فالى هذا نخبره بالعزم الذي عزمتم عليه ميلادي ليقربها ويودعها السجن فقال دارتانيان بالصواب اشرت ولكني ارى ان نخبر الملكة ايضاً قال واني لنا من يذهب الى تور ولندره قال اراميس خادمي بازين فقال دارتانيان وخادمي بلانشت فقال اراميس ذلك الرأي السيد لاننا لا نقدر ان نفارق الجيش واما الغلمان فليس ذلك بمحظور عليهم فنكتب رسالتين اليوم ونرسلها ثم التفت دارتانيان وقال ارى اليبارق تخفق على مقربة منا فقد داهمتنا السرية من غير شك فقال بورتوس وما الفائدة من وضع القتلى بسلاحهم قال اتوس نوم الاعداء انهم احياء فيلهون برميهم حتى تنجوا ثم اخذ الراية التي نشرها وانطلقوا وهم يسمعون طلقات البنادق على القتلى ويضحكون حتى دنوا من اصحابهم الفرنسيين فقابلوهم بالتهليل والتكبير وكانوا يتشاورون في بيع خاتم دارتانيان وارسال الرسالتين بثمنه فوعدهم دارتانيان ببيعه ثم قابلوا الجند فهتفوا بالسلامة واثنوا على شجاعتهم وبلغ الخبر الكردينال فسر منه وقال لا بد من ان اضمهم الى حرسى ثم لقي دي تريفييل فاخبره بالامر وهناك بشجاعة رجاله فقال ليس كلهم رجالي يا مولاي فان دارتانيان من حرس دي زيسار قال يجب ان يكون منهم مذ الآن فلا يجمل بنا ان نفرق بينهم وهم اصدقاء فشكره دي تريفييل على ذلك واخبر دارتانيان فسر سروراً عظيماً وذهب الى دي زيسار يشكره ويستأذنه بالانضمام الى اصحابه فهنا القائد بالرتبة الجديدة وابتاع منه الخاتم الذي اخذه من الملكة بسبعة آلاف دينار



الفصل الثالث والاربعون

الرسالتان

ولما كان المساء اجتمع الحراس الاربعة في مضرب اتوس ليتداولوا في انشاء الرسالتين لسلف ميلادي وللشخص الذي في تور وفي ارسال الغلمان في ايصالهما فقاموا يتجادلون في من يرسلون وكل منهم يمدح من خادمه ويطلب ارساله ويطنب فيه بالشجاعة والامانة فقال اراميس لقد وهمت يا قوم فليس القصد في الخادم ان يكون اميناً شجاعاً بل ان يكون محباً للمال حريصاً عليه بحيث يمكن ان يغري به فيجتهد في اداء الرسالة قالوا صدقت فمن لنا برجل يقطع فرنسا وهي مكتظة بالجواسيس ثم يذهب الى انكلترا فيكلم اهله بلسانهم فقال دارتانيان نكتب له كتاباً لا يرتاب فيه احد انه من صديق الى صديقه ولا دخل للسياسة فيه فقال اراميس انا اكتبه ثم استمد القلم وكتب

« ايها اللورد »

« ان كاتب هذه الرسالة قد اسعده الدهر بان بارزك في شارع لانفير ولما كنت لي صديقاً رأيت ان احذرك من احدي ذوي قرباك تحاول قتلك باعتقاد انها «
« وريثك وهي امرأة قد تزوجت في فرنسا ثم تزوجت في انكلترا وهي سائرة اليها «
« الآن فترصدها فان مقاصدها عظيمة سيئة واذا شئت دليلاً على صدق كلامي فاقراء «
« ما هو منقوش على كتفها الايسر »

فقال اتوس لقد احسنت البيان ولكن من اين لنا المال لارسال الخدم واين خاتمك يا دارتانيان قال عندي خير منه ثم اخرج الكيس ودفعه اليهم فقالوا كم فيه قال سبعة آلاف دينار قالوا تكفي فاكذب الآن يا اراميس الى الملكة وحذرها على يديكن فان لك صديقة في تور على ما تقول فكتب

« ابنة الم العزيزة »

« ان الكردينال حفظه الله تعالى وامتنعنا به قد اوشك ان ينتهي من حرب «
« الانكليز لمجزم عن ارسال عمارتهم بما يعترضهم من حرج الموقف وفي ظني ان «
« يديكنهم لا يقدر على المجيء الى الحصار لحائل يحول دونه فان الكردينال اشهر «

« سياسي لم يقم له مثل ولن يقوم فاخبري بذلك اخنك . ثم اني قد حدثت ان «
« يكنهما اللئيم قد قتل ولا اذكر كيف كان ذلك بسم ام بجارحة الا اني اذكر اني «
« رأته قبلاً وانت تعلمين ان احلامي لا تكذب فايقني بعودتي اليك والسلام »

قال اتوس لله درك ما ارق تطلقك وتلميحك وابصرك بضروب البيان فنون
الكتاب قال ذلك سهل وكتب « الى ماري ميشون قصارة ثياب في تور » فجعل اصحابه
يتغامزون ويتضحكون من قوله فقال تعلمون يا قوم انه لا يقوم بهذه الرسالة الا بازين
خادمي لانه يعرف صاحبها وتعرفه فلا تسلم رسائلها لغيره فقال دارتانيان كذلك لا يقوم
برسالة لندره الا بلانشت لانه ذهب الى تلك البلاد فهو يعرف ان يقول لهم بلغتهم
ابن الطريق واني آت من قبل دارتانيان فقال اتوس اذن يذهب بلانشت الى لندره
ويأخذ لنفقته سبعمائة دينار للذهب ومثلها الاياب ويأخذ بازين ثلاثمائة لذهابه ورجوعه
فدعا دارتانيان بلانشت واغراه بالمال واوصاه بالتحفظ على الرسالة وان لا تصل الى
غير صاحبها فقال اضعها يا مولاي في بطانة ثوبي واذا اضطرت ابتلعها فلا تظهر بعد
ذلك ابدأ واني ساحتفظها غداً عن ظهور قلبي فقال له اتوس اياك والافشاء فانك بذلك
تعرض مولاك للقتل ووالله لئن فعلت لا طلبك بين سمع الارض وبصرها فلا ادع
فيك عضواً يتصل باخر ولك ثمانية ايام تذهب فيها ثم تعود في مثلها فلما كان اليوم الثاني
ركب وودع القوم فدنا منه دارتانيان وقال له تقول لذي ونتر ان يحرص على حياة
يكنهما فان قوماً يطلبونها واياك ان تظهر ذلك لغير اللورد قال نعم وركض جواده وسار
وفي اليوم الثاني ذهب بازين برسالة تور وكان موعد عودته الى ثمانية ايام

فلما كان الثامن عاد بازين من تور بجواب الرسالة فقرأه اراميس واذا به

« ابن العم العزيز »

« قد عرفنا احلامك وجزعنا لها لو كانت تصدق ولكنها اضغاث احلام وما نحن »

« بتأويل الاحلام بالمين والسلام عليك » « ماري ميشون »

وبعد ايام قلائل رأوها كالا عوام وقد بلانشت برسالة فيها « اشكرك فكن مطمئناً »

فاخذها واحرقها ثم نام واصحابه براحة لم يذوقوها من قبل

الفصل الرابع والاربعون

الكرب الشديد

اما ميلادي فسار بها الفلك الى انكلترا وهي تهدر كالبعير غيظاً وحقاً وطلبت من الربان ان يعود بها الى فرنسا فأبى خشية من ان يقع في ايدي الانكليز حتى همت بالقاء نفسها في البحر والعود سابحة ولم يزل الفلك ماخراً بها حتى بلغت انكلترا وكان وصولها في اليوم الذي بارحها فيه بلانشت وكانت بورت سموت غاصة بجماهير المتفرجين على فلك جديدة ينزلونها في البحر وكان على الميناء ضابط يستقري وجوه النازلين من الفلك حتى بلغت اليه ميلادي وكان الليل قد اقبل فدنا منها وتأملها ملياً حتى ارتفعت منه واجفلت الى الوراء فاشار الضابط الى احد الخدم ان يحمل متاعها ثم مد اليها يده وقال لها اتبعيني فقالت له من انت ومن وكلك بي قال انك ترين من ثيابي اني ضابط بحري قالت وهل للضابط البحري اذن بان يعقل الناس قال نعم ولا سيما الغرباء في ايام الحرب اذ يؤخذون الى مكان مخفرم فيه الحكومة فقالت ولكني لست بغيرية بل انا انكليزية واسمي ميلادي كلاريك قال ذلك لا يفيد فاتبعيني ثم قادها الى عربة وركب واياها وسارت بهما العربة سيراً حثيثاً حتى ابعد عن البلد فاطلت ميلادي من نافذتها وقالت الى اين تذهب بي فاني لا ارى البلد فلم يجيبها الضابط بشيء فقالت اني لا اعدو هذا المكان ولا اذهب الى ما بعدها فان لم ترجعني لا تأمن عقابي فلم يجيبها واستمر في السكوت فاخذت تصيح اليّ اليّ فقد هلكت ولا يجيبها الا الصدى فهتت بفتح باب العربة والوثوب منها فأمسكها الضابط وقال اياك والتغريز بنفسك فانك تقتلين فقالت ألا تخبرني بالله ابأمرك أم بأمر الحكومة أم بأمر اعدائي تفعل بي ذلك قال لا اعاملك الا كما تعامل كل غريب يظأ انكلترا في هذه الايام قالت اذن انت لا تعرفني قال لا فهي اول مرة رأيتك فيها قالت نشدتك الله اما في قلبك شيء مني أو حقد عليّ قال لا والله لا ارب لي فيك ولا ثار لي عليك

وبعد ساعة وصات العربة الى قصر هائل المنظر عالي البناء مقفر الجوانب يضرب البحر جدراناه فيسمع له صوت كالرعد فدخلت العربة تحت قنطرتين ثم وقفنت في ساحة

واسعة مظلمة فنزل الضابط وانزل ميلادي فقالت اذن انا في سجن ولكن مقامي لا يطول فيه بهمتك ايها الفتى ان شاء الله فلم يجيبها بكلمة بل اخرج من جيبه بوقاً صغيراً ونفخ فيه ثلاث نفخات واذا برجال تقاطروا اليه فقادوا العربة الى داخل القصر واخذ الضابط ميلادي فشى بها نفقاً طويلاً وصد في سلم انتهى منه الى غرفة ففتحها وادخلها فيها ثم دخل الخادم بتاعها وهم في صمت دائم فعلت انها اسيرة وطال سكوت القوم حولها فقالت بالله يا سيدي ما هذا الذي ارى اخبرني بحقيقة الامر فاني جليدة على المصائب فابن انا وما عساني اكون هنا اطلبقة فلماذا ارى الحراس حولي ام اسيرة فاي جريمة اجترحت فقال الضابط انك يا سيدتي في المكان الذي اعد لك وقد كان اليّ الامر ان اذهب الى البحر فآتي بك الى هنا وقد فعات كما رسم لي وقت بما نددت اليه وما يقتضيه شرفي وحرمتي من التجميل معك وعدم الغلظة لك اما بقية امرك فلا يد لي فيها ولا علم بها فهي منوطة بغيري قالت وما عساه يكون وما اتمت كلامها حتى سمعت خفق اقدام تقرب فقل لها الضابط ذلك الذي سألتني عنه ثم انفتح الباب فظهر منه رجل بغير قبعة والى جنبه سيف وفي يده منديل فدنا منها فقالت هذا انت يا اخي قال نعم قالت فما هذا القصر قال لي قات وما هذه الغرفة قال لك قالت اني اذا اسيرتك قال تقريباً فاجلسي احديثك كما يحدث الاخ اخته ثم التفت الى الضابط فقال له عافاك الله يا فلتون فدعنا الآن واذهب

الفصل الخامس والاربعون

محادثة الاخ والاخت

فقال اللورد اراك قد عدت الى انكلترا خلافاً لما قلته لي من انك لا تدخلنيها ابداً فما بذلك قالت اخبرني قبلاً كيف عرفت بقدمي وساعة وصولي في الفلك الذي حملني وباسمي الذي تسترت به قال قولي لي انت ما قصدك في المجيء الى انكلترا قالت اتيت لاراك فقال اللورد مندهلاً لتريني قالت نعم لاراك واي عجب في ذلك قال ليس لك في دخول انكلترا قصد سوى ذلك قالت لا قال اذن لاجلي وحدي قطعت

المانش قالت نعم قال لله ما اشدّ حنوكِ وحبكِ يا اختاه قالت اولست اقرب الناس اليك وامسهم رحماً بك قال نعم حتى انك الوريثة الوحيدة لي فارتاعت ميلادي لتلك العبارة وقالت لا افهم يا ميلورد ما تقول ولا ما تقصد في كلامك قال لا شبهة في قولي فانك اشتقت اليّ فأيتت لتريني فانفذت اليك احد خدمي يقودك الى قصري هذا حيث تريني كل يوم فينظني ما بك من غلة الشوق اليّ فاي ايهام في ذلك وأي عجب قالت اني لا اعجب كيف علمت بقدمي قال ذلك هين فان رئيس الفلك بعث اليّ من اعلمني فارسلت اليك من اتى بك فعلمت ميلادي انه يكذب عليها فقالت او ليس اللورد بيكنهام الذي ابصرته واقفاً على الشاطىء قال نعم وهو يهملك جداً بل بهم فرنسا بل بهم صديقك الكردينال ولكن ما لنا ولهذا الآن قلت انك آتية لمراي قالت نعم قال وقد اعددت لك مكاناً اراك فيه كل يوم كما تحبين قالت اذن اقيم هنا ابداً قال وهل في ذلك ما يسوءك قالت اني هنا منفردة ليس معي خادماي وهو ما يوجب لي المال قل يكون لك ذلك ولكن ألا تخبريني اين زوجك الاول الفرنسي قالت اظنك تمزح يا ميلورد قال ليست تلك عادتي قالت وقد نهضت من مكانها واقفة اذن انت تسخريني وتهينني قال ولا ذلك قالت فانت سكران او قليل الحياء فاخرج وابعث لي بامرأة قال ان النساء غير كتومات للسرفلوي بقي السر بينا فهو اولي واستر فقالت وقد هاجها الغضب اخرج ياشقي ثم هجمت عليه كاللبوة فردها بشماله واهوى يمينه على سيفه وقال اعرف انك معتادة قتل الرجال فاننا احذر منك قالت اف لك اتعد يدك على النساء قال ليست يدي باول يده مدت اليك واثار باصبعه الى كتفها حتى مسه فاجفنت اجفان الجمل وعادت حتى لصقت بالخائط وهي ترغي وتزبد فقال احبتي ما شئت بشرط ان لا تؤذي فان حارت ذلك اشكوك بخيانة اخي وادمغ كتفك الاخر فهاجت ميلادي لذلك هياجاً شديداً حتى صارت عينها كالدم فقال انا اعلم انك ورثت اخي وتودين ان ترثيني كانك است قانعة بما عندك من وافر الثروة فاعلمي انك تقمين هنا عشرين يوماً حتى اذهب بالجيش الى روشل ولكن قبل ان اذهب يوم ارسلك الى مستعمراتنا في الشمال حيث تقضين غابر ايامك منفية فلا تعودين . اما الآن فانت في قصر متين الجدران شاهق البناء موحد الابواب ولا نافذة لك الا على البحر فلا تقدرين على الفرار

وعلى بابك حراس اشداء امناء ولا ترين الا ضابطي هذا الذي جاء بك من البحر وهو اسم ابكم لا يكاد يتكلم كما رأيت منه ولا يندفع لك فيما اظن ثم اقبل الى الباب ففتحه وقال للحارس عليّ بفتون ثم دخل الفتى واقفل الباب وراءه فقال له وترا نظرت الى هذه المرأة وجمالها الفتان ووجهها الصبوح واعلم انها شيطان في صورة انسان وفي عنقها جرائم لا تحصى تستخدم جمالها هذا في سبيلها فاياك واياها واحذر ان تفرك أو تفتك أو تسعى في قتلك فقد انتشتك يا فتون من حضيض الفقر ومهاوي الذل ورفعت مكانك وخالصتك من الموت فاناك ابٌ وصديق فاحرص على هذه الامراة فهي آتية الى هنا لتقتلني واحلف لي انك لا تخون فخاف فقال له اللورد لا تدعها تخرج من هذه الغرفة قط ولا تكلم احداً سواك اذا تدانيت وكنها فقال الفتى كفى يا مولاي تشديداً فقد اقسمت فالتفت اللورد الى ميلادي وقال اذن فاهدأي ولا تحاولي شرّاً فيعود عليك اعظم منه ثم خرج وتبعه فتون وجاء حارس شاهر سيفه بحرس ميلادي واقامت في هم شديد يشيب ناصية الصبي ويهرم

الفصل السادس والاربعون

عوده الى فرنسا

وكان الكردينال في اثناء ذلك يتقلب على احرم من الجرمي انتظار اخبار انكلترا فلا يرده شيء منها وكانت مدينة روشل في ضيق عظيم وحصار شديد حتى قلت موثرتها ونزفت ذخيرتها فجاءت تبث الرسل الى بيكنهام في طلب المدد فيأخذهم الفرنسيون ويصلبونهم وكان مع آخر رسول منهم كتاب يقولون لبيكنهام في عرضه « اذا لم يصلنا مدد بعد خمسة عشر يوماً متنا جميعاً من الجوع »

وكان جل اعتمادهم في الحصار على بيكنهام فدافعوا اشد الدفاع وقاتلوا عن الاسوار قتالاً احبوا معه الموت لانهم كانوا فرنسويين يجارون امثالهم ولسان حالهم ينشدهم
 اذا ما اخ جرت الرياح انتهى له
 اخ لا بليد في الطمان ولا وغل
 بطعن يكب الدارعين دراكه
 وضرب كما ترغو الحزمة البزل

وكان الكردينال لقلة نوارد الاخبار اليه من انكلترا في هاجس عظيم ولبال زائد ولا سيما من نحو ميلادي اذا كان اعتماده عليها وهو لا يدري أعن خيانة منها كان اقتطاعها ام عن مكروه اصابها فاقام المتارس وشدت التضيق على المدينة وكان يرمي مع السهام اوراقاً يثير الروشليين فيها على زعمائهم حتى اثر ذلك فيهم تأثيراً شديداً وكادوا يخابرون عساكر الملك لولا ان ورد اليهم رسول من انكلترا وقال لهم ان الانكليز يعدون لهم اساطيل عظيمة وقد واطأوا الاسبان على دخول فرنسا وافتتاحها فنشرت بذلك الاوراق في الشوارع فتشددت بها العزائم وقويت القلوب وعاد الدفاع الى اشد ما كان عليه من قبل فائر ذلك في ريشليه اشد التأثير فكان جيشه في سرور ونعم بين السكر والنزهة وهو في قلق دائم لا يقر له قرار فكان يخرج في بعض اصحابه يتفقد احوال الجيش ويذهب عنه بعض ما به من الهم بالنزهة والتجول حتى اذا كان ذات مرة ومعه رجلان من اتباعه مرّ بكثيب من الرمل عليه سبعة رجال اربعة منهم يقرأون كتاباً والثلاثة يراقبون المارة وهم الحراس وغلامتهم فلما رأى احد الغلمان الكردينال صاح بالاربعة فاخفوا الكتاب ووقفوا فحيوه فقال لهم اراكم يحترسون بغلمانكم يا قوم فقال اتوس نعم يا مولاي فنحن اعظم من ان نحترس اذا فرغنا من اعمالنا ولولا ذلك لم ننتبه لسيدي الكردينال وتقض الواجب من تحيته قال اتدرون من تشبهون باجتماعكم هذا وسيوفكم على عواتقكم قالوا لا قال تشبهون قوماً في خلوة سرية لا يريدون ان يعرف احد ما هم فيه فهاج اتوس لذلك وتقدم الى الكردينال وقال سل يا مولاي ما بدالك وانا اجيب قال انت مخبري ما هذه الرسالة التي معكم ولم اخفيتموها عند وصولي قال رسالة عشق يا مولاي قال الا اطلع عليها فاني كاهن لا تمنع عني الاسرار فقال اتوس وقد غاظه ذلك هي رسالة يا مولاي لا شيء فيها من ماريون دي لورم ولا رايكوييلون (وهما عشيقتا الكردينال) فاصفر وجه الكردينال من الغيظ والتفت الى صاحبيه يزيد ان يأمرهما بالايقاع بالحراس ولكنه تبين جسامه العمل وردته هية الامر وخوف الفشل لانهم ثلاثة والحراس اربعة فعاد عن عزمه وقال لا بأس عليكم ولا خوف منكم وحياتم وانصرف وفي قلبه منهم حزازات فاتبعوه النظر حتى غاب فقال اتوس لاراميس هل عزمت على ان تعطيه الرسالة قال كنت عازماً لو شددت في طلبها على ان اعطيه اياها بيدي والسيف بالاخري فاطير رأسه

قال قد توقعت منك ذلك فحلت بينك وبينه فقرأها الآن فقرأ

« ابن العم العزيز »

« اما بعد فقد عزمت على الذهاب الى ستينالي لان اختي قد بعثت بخادمتها الى
« دير هناك الكرملين اذ خشيت عليها من القتل وفي عزمها ان تخرجها منه متى انتهت »
« المشاكل الحاضرة وهي شاكرة لك على ذكرك اياها وتسلم عليك والسلام »
« ماري ميشون »

فصاح دارتانيان يا بشراي كونستانس حبيبتي في الحياة فباقة قل لي ابن تكون
ستينالي لاذهب فاخذها من الدير قال على مقربة من حدود الالزاس واللورين فمتى
اتمى الحصار نذهب اليها جميعاً فقال اراميس ولا يبعد ان ينتهي فقد علمنا ان الروشليين
قد فنك فيهم الجوع ولا يبعد ان يسلموا فقال دارتانيان والان فما تصنع بالرسالة فاني
اخشى اذا احرقها ان يرى الكردينال رمادها فقال اتوس علي اخفاؤها ثم دعا بخادمه
فقال له كل هذه الورقة واشرب عليها رطلاً من النبيذ فاخذها الغلام ولا كهس حتى
ابتلعها وشرب بعدها نبيذاً وكان الكردينال اثناء ذلك يسير وهو يقول لا بد لي من
ادخال هؤلاء الرجال في خدمتي

الفصل السابع والاربعون

اليوم الاول من اسر ميلادي

اما ميلادي فلم تزل على ما تركناها عليه من اليأس من الفرج والقنوط من الاطلاق
وفي قلبها غصص دارتانيان كيف لم تشف غليلها منه مما فعل بها من خرق الحرمه
والامتهان والتلبس بالكونت دي ويرد واكتشاف سرها واستخلاص صديقه منها ورقة
الكردينال وتوصلها بسببه الى ما لا تحب من النبي الى اميركا فكانت على حالها تلك
من القلق والهم تنظر في عظم مصابها وتفكر في سجنها ومصيرها فتضيق بها الدنيا ويستحيل
لديها انخلاص ثم تعود الى التأسى والسو وتنظر صورتها في المرآة فتري نفسها على جمال
باهر وحسن فائق يسبي العقول ويدهش الابصار وفيما هي كذلك بصرت بسرير في
غرفتها فتوسدته وكان الغلام قد اقبل فرأت نوراً يضيء من خصاص الباب ثم سمعت

(١٤)

خفق اقدام ورجلاً يقول ضع هذه المائدة هنا وان المصباح ثم نبه الخفراء فلاح لميلادي ان تستعمل بعض الخداع لعلها تطفي خفراءها فتناومت كأنها لا تعلم بما يجري فدنا منها فتلون وقال اراها نائمة فلا حاجة لها بالطعام ثم هم بالخروج فقال له الجندي الذي معه يا مولاي انها مغنى عليها فاني لا اسمع نفساً وارى وجهها شديد الاصفرار قال اذن فادع اللورد وتفر فلا ادري ما اصنع بها فخرج الجندي وجلس فلتون على كرسي لدى الباب وخشيت ميلادي ان يجي اللورد فيطل حيلتها فرفعت رأسها وفتحت عينيها وتهدت فالتفت فلتون اليها وقال ما قد اقتت فلا حاجة بمقامي هنا واذا اردت شيئاً فاقري الجرس فتهدت ثانية وقالت واكر باه كم اتألم فقال لها وقد نهض انهم يخدمونك ثلاث مرات في النهار عند الصباح والظهر والعشاء وان شئت ان تبدي الوقت فلك الامر قالت هل البث وحدي ابدأ قال لا فقد اعددت لك امرأة تخدمك متى شئت ثم خرج فالتى اللورد لدى الباب ووراءه جندي وفي يده قليل من الملح فقال له ما جرى وماذا تريد فاني لا اراها الا وقد بدأت تتلاعب بك وانت غرّ لا تعرف مكر النساء قال لقد فطنت لذلك ولكني رأيت من الواجب اسعاف امرأة في حالة الانغماء قال ألم تصبك عيناها وبضاضة جسمها وصباحة منظرها وسواد شعرها فوالله ما انت الا حطبة قال ان قلبي يا مولاي ابعد من ان يناله هوى أو يعلق به غرام قال احسنت فانطلق بنا الان ودعها تدبر حيلة اخرى ثم اخذ بيده وخرج وجعلت تتبعه نظرها وهي تقول ويل لك من غلام غرّ وسأريك فعل النساء

فوقف اللورد على عتبة الباب وقال لها اذا كنت جائعة فكلي واشربي مما لديك وقرري عيناً ولا تخشي ان يكون به سم فانا اقوى من ان اقتلك بالسم اذا اردت اهلاكك وموعدنا انغماءك الثاني ان شاء الله

ثم خرج واقتل الباب فصاحت ميلادي كالبيوة واجالت نظرها في المائدة فبصرت بسكين عليها فعمدت اليها واذا بها مدورة الطرف ونصابها من حديد كليل ثم سمعت قهقهة خارج الباب وفتح الباب ودخل اللورد وهو يقول لفلتون ارأيت يا فلتون كيف تمياً لتلك فلو اطعتك ووضعت لها مديّة حديدية النصل لارتك الموت الواناً أو ما تراها تقبض على النصاب قبضة ماهر في السلاح وكانت ميلادي واقفة والسكين في يدها

قال فلتون صدقت يا مولاي فقد اخطأت في قولي ثم خرجا واقفلا الباب فانصت لهما ميلادي فوجدتهما قد ابعدا فقالت هلكت والله بين قوم لا اثر لي فيهم فهم اشد من الصخور قلوباً ومن الجراد قساوة ثم اقلت نفسها على السرير فخطر لها قول اللورد فلتون « فلو اطمنك » فاستأنست به ولاح لها من خلاله ان فلتون قد كلم اللورد بشأنها

الفصل الثامن والاربعون

اليوم الثاني من الاسر

فلما كان الصباح جاءها فلتون بالامرأة التي وعدتها بها فوجدتها في الفراش وهي صفراء كالبحار فقالت للامرأة لقد اصابني الحمى فلم اتم سواد ليلي وعساني ان اجد فيك قلباً ارق من قلب غيرك فقالت الخادمة اتريدين ان ادعوك طيباً وكان فلتون يسمع كلامها وهو صامت ففكرت ميلادي في استدعاء الطيب وخشيت ان يكشف سرها ويظهر تمارضها فتبطل حيلها الثانية كما بطلت الاولى فقال لا داعي لذلك فسيان عندهم صدقت ام كذبت حتى لقد اتهموني امس باني احتال عليهم فقال فلتون كيف ترين نفسك قالت اجدني موجعة متأللة فافعلوا ما بدا لكم فقال فلتون للحارس اذهب وادع اللورد فصاحت ميلادي لا يا مولاي لا تدعه فاني بخير ما دمت لا اراه وكان كلامها حسناً في الاذن خفيفاً على القلب حتى استهوى فلتون فخطا نحوها فقالت في نفسها اراه يدنو من الشرك فصبراً صبراً فقال لها اذا كنت متأللة حقيقة فلندع لك الطيب والا فلا علينا اذا اصابك مكروه فلم نجب ميلادي بشيء بل اقلت يدها على رأسها واخذت بالبكاء فاقم فلتون يتأملها ساعة ثم خرج وتبتمت المرأة وبعد قليل نفضت عن نفسها المرض وقالت يجب ان اسعى للخلاص فلم يبق لي الا عشرة ايام

ولما كان اليوم الثاني اتاها فلتون ويده كتاب فقال لها لما كان اللورد كاثوليكياً مثلك قد بعث اليك بهذا الكتاب تقرأين فيه صلاتك فقلت ان اللورد يعلم اني لست من مذهبه ولكنها حيلة ينصبها لي قال وما مذهبك قالت لا اقوله الا متى آن لي ان اموت به شهيدة فوقف فلتون يتأملها ويعجب من محاسنها حتى قالت قل للورد ونتر باني قد صرت في يد اعدائي وانا اسأل الله ان يقرب خلاصي أو موتي فان الموت احدى

الراخين اما هذا الكتاب فانت احوج اليه مني لانك من حزب سيدك فاخذ الكتاب
ونخرج بدون ان يحير جواباً

ولما كانت الساعة الخمسة قدم اليها اللورد وجلس اليها وقال اراك قد غيرت دينك
قلت كيف تقول قال اعني انك لما تزوجت باخي انصرفت عن دينك الاول واعطاك
عدت فتزوجت رجلاً آخر فعدت الى دين البروتستان قلت افصح يا لورد فاني اسمع
كلامك ولا اكد افهمه قال يلوح لي انك كافرة لا دين لك قلت ذلك من طبعك
يوثيده ما اراه منك ولعلك تكلم بهذا لشير حراسك علي قال كل امرئ في بيته
امير واذا بقيت هنا بعد ثمانية ايام فقولي ما شئت قلت اعزب لعنة الله عليك من
خادع ماكر قال خفزي عليك ما تقولين والا وضعتك في سجن المجرمين ثم خرج وهو
يبرر غيظاً فصادف فلتون لدى الباب لم تفته كلمة وكانت ميلادي قد فطنت له فقالت
اذهب وسترى علي من تدور الدوائر

ولما كان المساء جيء لها بالطعام وكانت تصلي فاقامت على ذلك برهة ثم جلست
فاكلت ثم جاءوا فاخذوا الطعام فلم يجد معهم فلتون فظنت انه خاف من تأثير جمادها
فضحكت ضحكة الغيظ ثم اخذت ترتل آيات الزبور وكانت صوتها رخياً جداً حتى
احست بالحراس قد وقفوا يسمعون لها فاملت بعض الخبير وزادت في الغناء حتى زحرها
الحارس واذا بصوت فلتون يقول له ويحك امامور انت بمنعها عن الغناء ام انت سيدها
فلست بماذنون ان تمنعها شيئاً سوى الفرار فاذا حاولته فاقتلها وذلك ما رسم لك فسرت
ميلادي لذلك واستبشرت بالنجاح واستمرت في الترتيل الشجي حتى قال لها فلتون خفزي
الصوت يا سيدتي فانك تمنعين اهل القصر من النوم قلت اذن امسك عن الغناء قال
لا بل تغنين ولكن بصوت منخفض ثم لم يعد يطبق سهام لحاظها الجارحة فتركها وخرج
فقال له الحارس لقد احسنت يا مولاي فان صوتها حسن ولكنه شجي

الفصل التاسع والاربعون

اليوم الثالث من الامر

وكانت ميلادي ترى ان ليس عليها ان تدع فلتون ييادتها بالكلام فكانت

شديدة الانتباه الى كل حركة يأتيها أو نظرة ينظرها تستطلع من وراءها كنه امره ودخيلة حاله فلما كان الصباح جاها فلنون فمزمت على ان لا تفانحه بشيء حتى يكلمها فلم يفعل وكانت شفاء تتحركان ولا ينطق كان في صدره شيئاً يريدان ينفضه فلا يقدر حتى طال به الامر وخرج فينست ميلادي منه وقطعت آمالها من مساعفته ولما قرب الظهر اتاها اللورد فشمرت بقدمه فعامت عنه وتشاغت بالنظر الى ما حولها فقال لها اراك تتلاعبين بنا بين الجد والهزل والشدة والرخاء وما اظنك حاصلة على شيء ثم قال وانك لتحبين ان يكون امرك في يدك في انك لترا فتذهبين حيث تشاءين في ذلك البحر الواسع فرويداً رويداً ترى نفسك في ذلك البحر بعد مضي اربعة ايام فجمعت ميلادي يديها ورفعت بصرها الى السماء وقالت اللهم اغفر له كما غفرت له انا قال تصلين يا فاجرة فهي والله صلاة اطهر من ان تخرج من فمك ثم تركها وخرج ولم يمض قليل حتى دخل فلنون وهو يسترق الخطى كأنه لا يجب ان تراه فتناقلت عنه وقالت يا رب اترك عدوك هذا يفعل بي ما يشاء ثم التفتت الى فلنون وقد صبغ الخجل خديها فقال لا تحملي بقدمي وامضي في صلاتك قالت ومن انباك باني اصلي قال اراك تحاولين الانكار كأني مأمور بمنك عن الصلاة فان كان لك ذنوب فادعي ربك عليه ان يتوب عنك انه تواب غفور قالت معاذ الله ان اكون مذنبه فلا يفرنك بي ما ترى من هذا العقاب الذي ينالني فكم من بريء مات ظلماً وعند الله تجتمع الخصوم قال كيف كنت بريئة او مذنبه فانت في حاجة الى الصلاة وانا اساعدك وادعوك فاكبت على رجله قبلها وهي تقول لله انت يا سيدي ما اعدلك فاسمع مني حفظك الله ما لا اعود اقدر بعد ذلك على النطق به اذ يحول الجريض دون القريض واقبل طلبات امرأة شملها اليأس واحاق بها البلاء فيما تطالبه منك ثم تباركك في الدنيا والآخرة قال اذا كان لك التماس فاطلبي ذلك من سيدي اللورد فلست مطلقاً في ان اسامحك أو اعاقبك قالت لا والله لا اكلم سواك فاسمع مني ولا تزد في احزاني كنت اجترحت ما اوجب لك هذا السجن فكفري عن ذنبك لله قالت اراك لا تفهم ما اقول كأنك تتوهم بي خشية الموت او السجن واهون بطول الثواء والتلف عندي أو انك تتغابي عن كلامي ان تفهمه قال لا وعلم الله يا مولاتي قالت اذن انت لا تدري ما عزم اللورد على ان

يفعله بي قال لا وابي قالت انه اعظم من ان يخفى فكيف تجهله قال لاتي لا اعني بمثل هذه الامور ولم يبلغني شيء قالت اذن لا تعرف انه يعد لي عقاباً يلبسني العار الى الابد وارى من دونه الموت قال اخطأت يا سيدتي فان اللورد وتتر اشرف من ان يفعل ذلك واعلى مقاماً قالت النفس امارة بالسوء يا فتون وسبان فيه الشريف والوضيع عند الخلدع الماكر قال ومن تعنين بذلك قالت رجلاً في انكلترا قال لعلك تريدن جورج فيليه دوق دي يكنهام قالت نعم ومن يجمل جرائمه قال ان يد الله على الظالمين وهو اعدل من ان يتركهم بغير عقاب وكان فتون في كلامه عن يكنهام يرغي ويزبدشأن كل انكليزي تكلم عنه لانهم كانوا يكرهونه فقالت اذا بعثت الى عقاب هذا الرجل فلا يكون عقاباً عني بل عن جميع الامة قال وهل تعرفينه قالت كيف لا وهو منشأ مصائبي ومصدر كربى ثم فتحت ذراعها كمن مسه ألم وضاق صدر فتون لمراها وهم بالخروج فامسكته بردائه وقالت قف بالله واسمع نشدتك الله الا ما اتيت لي بالمدينة التي اخذها مني اللورد ولا تخيب في ذلك سوئلي فتتقد عرضي من العار ونفسي من الدنابا قال اتتحريبن وكأنها ندمت على تسرعها في كشف امرها فقالت ويلاه قدبجت بالسرفه لكت ثم سمعت صوت اقدام فعلمت انه اللورد فقالت لفتون اياك والافشاء فانك تهلكني فباحقك ذنب قتلي ثم وضعت يدها على فيه ومر اللورد بالباب ولم يقف ففتحه فتون وخرج مسرعاً فقالت لقد صار لي اطوع من ثواب ثم عادت فقالت ولعله يخبر اللورد فيقتلني لانه يعلم اني لا اقتل نفسي بيدي وعند المساء جاءها الطعام وجاء اللورد وتتر فقالت له الا تعفيني من قدومك علي وتكفيني شوم منظر ك فقال سرعان ما تغيرت فقد قلت انك آتية من فرنسا لتريني فما بالك تعفين من زيارتي الآت مع انها لسبب فارتاعت ميلادي من كلامه وظنت ان فتون باح بامرها فاخرج اللورد من جيبه ورقة وقال هذه ورقة نفيك فانظريها فاخذتها وقرأت « هذا امر بان تنفي الى » فقاطعها اللورد وقال لم اكتب اسم المكان لكي اخبرك في اي مكان تريدن ان تقيمي ثم عادت فقرأت « المسماة كارلوت باكسون التي وسمتها الحكومة الفرنسية ثم اطلقها بعد ان عاقبتها فقيم في ذلك المكان لا تبعد عنه اكثر من ثلاث غلوات حتى تموت وتكون نعتها في النهار خمسة شلينات تعطى لها » ثم قالت ان ذلك

لا يوافقني فليست تلك بكنيتي قال وهل لك كنية قالت نعم لقب اخيك قال ان اخي لم يك الا زوجك الثاني فاعلميني عن لقب زوجك الاول استبدل اسمك هذا به والا فلا تغير له ولا تبديل فدعرت ميلادي لذلك وخشيت ان يكون اللورد قد عجل في سفرها وانه سينزلها في البحر في ذلك المساء فاعادت نظرها في الرقعة فلم تر عليها توقيعاً فاطمأنت ولحظ ذلك منها اللورد فقال لها اراك تنظرين الى مكان التوقيع وكاني بك تقولين لم يفت الزمن وما ذلك الا نهويل علي ولكن سيخيب فالك وبرسل هذا الامر غداً الى يكنهام فيوقع عليه فتذهبن من هنا مذمومة مدحورة ثم خرج فقالت له ان ذلك شوم وعار عليك قال انهجين ان اقتلك واشهر امرك في انكلترا تحت اسمك الاصلي ولو كان في ذلك هتك حرمة اخي رحمه الله فاصفرت ميلادي من الجزع ولم تخرج جواباً فقال ارأيت كيف تؤثرين النبي على الموت فالحياء عزيزة عليك يا لكاع ثم خرج فقالت في نفسها لم يقل فلتون شيئاً فبا بشراي وكان لم يزل امامها اربعة ايام وهي تكفي لان تخدع بها فلتون الا انها كانت تخشى ان يكون الرسول يكنهام فيفوت قصدها فتعدت تصلي واذا بها تسمع صوت فلتون قادماً ولكنه لم يدخل بل وقف لدى الباب برهة ثم رجع ادراجه

الفصل الخمسون

اليوم الرابع من الاسر

وفي غد اليوم التالي دخل فلتون على ميلادي فوجدتها جالسة على كرسي نجاه الحائط وهي تفتل حبلاً من خرق موصلة فلما احست به انفتحت واخفت الحبل وراءها فقال لها ما هذا الذي يدك قات لا شيء فاني ضجرت من الوحدة فرايت ان اتشاغل ببعض الشيء اقطع به مسافة الفراغ وسأمة العزلة فنظر فلتون الى الجدار فرأى فيه غداً (كلاً باً) تعلق عليه الثياب فقال انت مخبرتي ما تصنعين قبالة هذا الجدار قالت وما يعينك من ذلك قال لا بد من عرفانه قالت لا تسلي بالله فاني اضطر الى ان اكذب وهو ما يحظره علي الدين قال اذا انت لم تجيبي فانا اجيب عنك انك تهيبين لنفسك اسباب الاتحار وهو اكبر اثماً عند الله من الكذب قالت ان الله غفور تواب لمن يختار

بين العار والاتحار فيوثر الثاني قال بالله ماذا تعنين بذلك قالت لا بد لي في الاقرار لك
بامري واطلاعتك على باطن سري فدعني امت فهو خير لي ولا تلحقك منه تبعه او عقاب
قال لا والله لا ادعك تفعلين ذلك قالت وما عليك اذا مت فتخلص من حراستي فان
دائي عضال وكفى بي داء ان ارى الموت شافياً قال وما فائدتي من ان تموتي فأكون
شريكك في قتل نفسك لاني لم اردك ثم انا متخلص من حراستك باهون من الموت
لانك ستخرجين بعد ايام فتكون حياتك في يد غيري وشأنك بها عند ذلك قالت لا
يخزنك موتي بالله ودعني على رأيي قال ذلك لا يكون ابداً لاني مأمور بحفظ جياتك
وانا مسئول عنها قالت هو خير من اسر تكثر عاقبه بالمجرمين فكيف بالابرياء قال اني
جندي سيدتي وليس لي الا المضي فيما سن لي قالت اذكر عقابك يوم الدين في منعي
عن قتل جسسي واسعافي على قتل نفسي قال لا بأس عليك يا سيدتي وانا انوب عن
اللورد في كلامي هذا قالت حماقة والله اتوب في الكلام عن لا يقدر ان يتكلم
عن نفسه انك في ضلال بعيد قال لا والله لا اكون سبياً لما لك قالت اذن تكون سبياً
لاعظم من مماتي وانت مسئول عن ذلك بين يدي الله وكان العشق قد بلغ منه اعظم
مبلغ واضر به الكتمان وقتته ميلادي بجمالها فهم بها اشد الهيام ولاح ذلك على وجهه
وكان لسان حاله ينشد

كذا العشق لا يحلو اذا لم يكن له شهود على وجه المحب عدول
وعلمت ذلك منه وفطنت لدخيله فجعلت تنفج لديه لتزيده بها هياماً ولها عشقاً
ثم اخذت ترتل آيات الزبور حتى دهش بحسن غنائها وصباحة وجهها وتاه عقله في حبها
فدنا منها دنو العاشق وقال من انت املك من النعيم ام ابليس من الجحيم قالت ألم
تعرفني يا فلتون لست بهذا ولا ذاك ولكني امرأة من الناس دينها مثل دينك قال لقد
كنت في ريب من ذلك وقد تأكدت الآن فقالت اخذك اللورد ونتر وأوهمك
اني من الابالسة فانخدعت له اتركني بين ايدي اعدائي واعداً الله بين يدي ذلك
الظالم الغادر بيكنهام فقال ابي الله ان تمالك يد بيكنهام يا ميلادي فقد انتبهت للصوت
القائل لي في الحلم « اضرب وخلص انك كثرنا ونفسك يكون لك الاجر عند الله والناس »
فكلمني فانا سامع لك مقبل عليك حتى استفرغ كل ما عندك فابرت اسار برها سروراً

وقالت ليس لي ان اكون سيف تقمة الله على الارض فدعني اوثر الموت على العار
فاموت شهيدة الشرف ولست اطلب منك خلاصاً ولا انتقاماً ممن ظلمني فدعني اقضي
الواجب من الموت فيكون لك عليّ بذلك فضل ومنة

وكان صوتها على غاية من الرقة واللطف حتى انجذب اليها فلتون فقاربها وقال
ويلاه لا اقدر الا على ان اندبك وارثيك يا ميلادي فان اللورد ونتر شديد الحنق عليك
ولقد احببتك لانك اختي في الدين ولم اكن احب قبلك الا اللورد ونتر المحسن اليّ
ولكنك غلبت على قلبي بجمالك فتصي عليّ خبرك قالت كيف اسلك سري واكشف
لك امري وانت رجل وانا امرأة ان ذلك لا يكون ولا اقدر عليه قال انا اخوك
يا ميلادي فان تكلمت تشكين الى اخ لك ما بقلبك فصمت ميلادي طويلاً حتى
ظن فلتون انها خضعت له وعزمت على اخباره فجعل يلاطمها ويوانسها ويتملقها حتى
قالت اما وقد آخيتني فلا احب ان اكتمك شيئاً فوق ما كتمت وما اتمت كلامها حتى
سمعت وقع اقدام ثم دخل اللورد وجعل يقرب طرفه بينها وبين فلتون ثم قال لقد طال
مبكثك هنا يا فلتون فهل شغلتك بقص جرائمها فاضطرب الفتى وتقهقر وخشيت ميلادي
ان يفضح امرها فبدرت قائلة اتخشى ان افر من بين يديك فاسأل صاحبك ماذا كنت
اطلب منه فقال فلتون انها كانت تطلب مني مدية قال كأن عندها احداً تريد قتله
قالت نعم وهو انا قال لقد خيرتك بين القتل والنفي فاخترت لنفسك ما يحلو قالت
سأنظر في ذلك واتذبر امري فقال لفلتون احذر منها يا فلتون فقلت اليك امرها
الى مدة لا تتجاوز الثلاثة ايام فرفعت ميلادي نظرها الى السماء وقالت اللهم اسمع انت
فلم فلتون انها تعنيه فاطرق برأسه الى الارض فاخذ اللورد بيده واخرجه واقامت
ميلادي تنظر عودته ولم يمض عليه قليل حتى عاد فقالت له ماذا تريد قال لقد ابعدت
الحارس لكي البث عندك ولا يدري بي احد واكملك فلا تسمع اذن ما يدور بيننا فان
اللورد قد قص عليّ قصة هائلة لم اشك بعدها في ان احداً شيطان مارد وانا حائر في
ايكما اصدق والى ايكما اميل على قرب عهدي بحبك وطوله بوداد اللورد ولا ادري ما
سيأول اليه امرى فانتظريني عند منتصف الليل آتي اليك قالت لا تخاطر بنفسك
يا فلتون فان مجيئك تفرر وانا لا تسمح نفسي بك فدعني اهلك وحدي قال لا تقولي

ذلك فقد اتيت اعاهدك على ان لا تمسي نفسك بشيء قالت ذلك بعيد يا فلتون فاني اذا عاهدت وفيت واخشى ان اقيد نفسي معك فتضمني عما اروم قال اذن فاحلفي انك تحفظين نفسك حتى اعود اليك بالجارحة وبعد ذلك فأنت وما تريدن قالت اما ذلك فنعم ثم اقسمت له وواعدها الى الليل وخرج وعاد الحارس الى مكانه واقامت تنتظر اطلاق الظلام

الفصل الحادي والخمسون

اليوم انامس من الاسر

وكانت الساعات تمر بها دهوراً والدقائق شهوراً وهي تنجرع امرّ من الصبر وتمقلب على احرّ من الجمر حتى كانت الساعة العاشرة فجاء فلتون فوضع على الباب حارساً جديداً ورجع من غير ان يدخل لان الوقت لم يثن بعد ثم قرعت الساعة الثانية عشرة فاستبدل الحارس وسمعت ميلادي فلتون يقول له اريك ومفارقة الباب فيصيبك من العقاب ما اصاب رفيقك بالامس وانا داخل على هذه المرأة لاستوثق منها فلا تفلت فاذا ناديتك فادخل واذا نوديت فابلغني ثم دخل على ميلادي فقالت اتيت فقال نعم على ما وعدت قالت وقد وعدتني بشيء آخر قال وما ذاك قالت مدية تأتيني بها قال اعرضي عن ذلك يا ميلادي فما اظن في حالات الانسان ما ياجته الى الاتحار وانا لا اجاريك على ذلك قالت اذن لا اخبرك بأمرى فاخرج عني ودعني قال هذا ما تظلمين واخرج من حزامه مدية وهو يتردد في تسليمها اياها فقالت ما بالك فتردد فوالله لا افعل شيئاً حتى اتم لك قصتي فضعها على المائدة وقف بيني وبينها ثم اخذتها وتاملتها طويلاً ورددتها اليه فوضعها وراءه فقالت اسمع يا فلتون ما جرى لي

لما كنت في ابان الشباب ومقبل العمر وزهرة الجمال أخذت بحيلة وحاول اخذي ان يراودني عن نفسي فأيدت واعتصمت فبالغ في الطلب بين اللطف والشدّة والوعد والوعيد حتى اعبته الحيلة واعتاص عليه الامر فعمد الى منوم فمزجه لي بالماء وسقاني منه وانا لا ادري فما كاد يستقر بي حتى شعرت بالدوار وغلب عليّ النوم وارتخت قواي حتى عجزت عن القيام فوقعت على كرسي منعقدة اللسان واهية العزم ثم نمت نوماً ثقيلاً

فلما انتهت اذا انا في غرفة مدورة لا ينفذ اليها النور الا من نافذة في السقف ولا باب في جدارها يظهر للعين فجلت افكر في ابن اكون وما جرى بي فلا اهتدي الى شيء ولا أرى حولي سوى الجدران حتى توهمت اني في حلم ثم قمت الى ثيابي فلبستها وتحققت اني لست في البيت الذي كنت فيه واني نمت يوماً كاملاً ولم ادرك ما جرى لي في خلاله وكانت غرفتي مفروشة فرشاً يليق بالنساء كانها غرفة امرأة فجعلت اطوف فيها كالمائم والمس الجدران فلا اهتدي فيها الى باب حتى اطبق الظلام وكان حالاً جدياً في غرفتي لا تقطع النور عنها وبيننا نا اقلب اجفاني في ذلك الظلام اذ سمعت صريف باب ثم رأيت نوراً قد سطع من نافذة السقف ورجلاً على مقربة مني والى جنبه مائدة عليها طعام فعرفت انه الرجل الذي كان يتبعني اينما ذهبت ويحاول خداعي وخرق حرمتي فكان اول ما ذكر لي انه تمتع بي البارحة وانا نائمة

فثارت الحمية برأس فلتون واخذته الغيرة فقال تباً له وشلت يداه قالت نعم لعنة الله عليه فكانه كان يتوهم انه غلبنني وخضمت له اذا اغتالني في نومي فجاها يطلب رضاي وبعثني بالفنى اذا جاريته في مراده واسترسلت معه في بغيته فأخذت اشتمه اقبح الشتم واهينه اشد الاهانة بكلام يؤثر في الصخر ويحرك الجهاد وهو واقف امامي كالصنم لا يفعل فيه الكلام ولا تأخذه الحمية ثم دنا مني فنفرت الى المائدة فرأيت عليها سكيناً فاخذتها وسددتها الى صدري ونمت له ارجع فالوت ولا العار قال يعز علي والله ان نموتي قبل ان انال منك نصيباً على رضى منك وموعداً اليلة القادمة ان شاء الله ثم ففخ في بوق كان معه فارفع السراج من السقف واطق الظلام ثم سمعت صريف الباب واذا انا وحدي فجلست اندب طالعي وابكي على نفسي لوقوعي بين يدي رجل لا احبه ولا اطبق ان اراه وهو مع ذلك ظلوم غشوم . فقال لها فلتون من هو هذا الرجل يا ميلادي فلم تجبه ومضت في حديثها فقالت

وقضيت الليل جالسة على كرسي ترتعد فرائصي لافل حركة ولم يحدث لي شيء حتى طلع الصباح فنظرت واذا ايس في يدي من اخوان غير السكين وكان جل اعتمادي عليها وكان النعاس قد هوّم في رأسي فقممت ووضعت المديّة تحت الوساد ونمت فلما افتت رأيت خواناً آخر قد احضر قممت واكات ما بمسك الرمي وخشيت ان اشرب

من ماء المائدة فذهبت الى ماء يخرج من الجدار بانبوبة فشربت وقضيت سحابة يومي على حالي تلك من الضجر واليأس حتى خيم الظلام وكانت عياني قد تعودتا النظر في الليل فرأيت الخوان يمد وعليه الطعام ثم سطع القنديل في غرفتي من نافذة السقف فعزمت على ان لا آكل الا ما آمن من دخول مادة سامة فيه فجمعت طعامي الاثمار والبيض وشربت من الماء الذي في الجدار فاذا انا اجد له طعاماً غير طعمه الاول فامسكت عنه ورميت بالقدر قبل ان افرغه واخذت العرق يسيل على وجهي فظننت ان احداً رأني اشرب من ماء الانبوبة فمزجه بشيء سام ثم اخذتني عوارض الامس من الدوار والنعاس ولكن اخف لقله الماء الذي شربته فاخذت احاول نفسي وامنعها من النوم حتى اعيت فجلست وانا بين نائمة ومستيقظة ثم خطرت لي السكين فتمت لاخذها من تحت الوسادة فلم تحملني رجلاي فسقطت وانا في حالة اشبه بحال النزع لا قوة لي على النهوض لاخذ السكين وفيما انا كذلك رفع القنديل فاظلمت الغرفة ظلاماً حالكاً ثم سمعت صريف الباب وشعرت برجل يدنو مني فذعرت وحاولت الفرار فلم استطع فسقطت في يديه فصاح بها فلتون ألا تخبريني من هذا الرجل فلم تجبه واستمرت في حديثها فقالت فاخذت ادفه عني واتقيه يدي وهو لا يرجع ولا يلين حتى تمتع بي وانا في اليقظة منهوكة القوى لا قدرة لي على الحراك

فارت في فلتون حمية زائدة وغيرة شديدة فجعل العرق يسيل من جبينه واخذ يمزق ثيابه غيظاً وحنقاً ومضت ميلادي في حديثها فقالت . فلما اقلت من سكرتي بحثت على السكين فوجدتها وعزمت على عمل هائل الخطر عظيم الاجراء في جانب ضعفي وهو ان اقله وان يكن عملي هذا اثماً لا يمحي وذنباً لا يفرق قهيات لذلك ووطنت نفسي على ارتكاب القتل وقضيت نهاري على ذلك حتى جاء المساء فأكلت من بعض الاثمار وصبت ما في الابريق لاوهم اني شربت منه وشربت من ماء صافٍ حفظته في زجاجة عندي ثم اخذت أظواهر بالاعراض التي كانت تصيبني ونهضت الى السرير فتوسدته ومددت يدي تحت الوسادة وانا قابضة على نصاب السكين وأقت على ذلك مدة طويلة حتى خشيت ان لا يبجي . ثم رأيت النور يرتفع واظلمت الغرفة فرأيت شعباً يدنو من سريري فجمعت ما بقي لي من القوى وتهيات للعمل فد يده الي وحاذاني

فرفعت يدي بالجراحة وطعته في صدره فراحت ضربتي خائبة كأني اضرب صخرأ
لانه كان دارعاً فقبض على يدي واخذ مني المدينة وقال لي بثبهم وازدراء كنت اظن
انك لنت بعض اللين فاذا بي اجدك اشد مراساً من باديء امرك واما انا فمن يحتسبون
النساء جبراً وسأطلق سبيك في غدٍ نقلت له اياك واطلاقي فالك لا تأمن لساني ان
يشرك في الافاق قال كيف تقولين قلت اقول اذا خرجت من هنا اقص على الناس
خبرك واغتصابك ايزي ثم ادل الحكومة على قصرك هذا مقر الشر والفساد فانك وان
تكن وزيراً عظيم الشأن فان فوقك ملكاً وفوقك ارباباً ياخذ للضعيف من القسوي وما
اتممت كلامي حتى شعرت بهزة في يده القابضة على يدي ثم قال اذن لا تخرجين قلت
بل اموت هنا واقبر حيث ضاعت حرمتي وهتك عرضي واملك لا تعمد من صدق
قبري ما يذيع افعالك بين الناس قال اذن انزع منك كل سلاح قلت لا يعدم المرء
حيلة في قتل نفسه فاذا قصدت اموت جوعاً قال الا ترين ان الصلح افضل من هذا
الخصام اذا مننت عليك بالاطلاق قلت اذا فعلت لا تأمن افشاء معايك واشهار
قائصك قال على ذلك لا تخرجين ابدأ وانا لا ابخل عليك بلوازم الحياة فاذا امتعت
عن الطعام حتى تموتي كان ذلك من يدك ثم خرج عني وسمعت صريف الباب على
اثره ولبثت جالسة اندب نفسي لا اكل ولا اشرب بقصد ان اموت جوعاً وقطعت
على ذلك سواد ايلي وبياض يومي وانا ادعو الله واتوب اليه عن ذنب بلا عمد وخطيئة
عن غير قصد حتى اقبل المساء فاقبل علي وهو يقول اما عزمت على الطاعة بالكتمان
فاخلي عنك فاحلفي لي يمينا على الكتاب اذا شئت نقلت وكتاب الله العظيم لا احفظ
لك ايماناً ولا احبس عن شرك لساني زلة ارتكبتها معي ما بعدها زلة ولا وراءها ذنب وانا
موالية على ان لا اركك حتى آخذ بثاري منك قال احذري من ان اجري معك علاجاً
يمنع لسانك من الكلام او يمنح كلامك من التصديق فاتصحي اقول وانا تارك لك بقية
هذا الليل وطول النهار لتفتكري في امرك وتزيمي عزماً فاما ان تمهدي بالصمت والكتمان
أو اجري معك افعالاً تلبسك ما لبسك جلدك فتسقط دعواك بين الناس وموعدا
المساء المقبل وما اتممت ميلادي هذه الجملة حتى رأت فلتون يتلون ويرجف حتى كاد
يسقط الى الارض لو لم يتكئ على الكرسي

الفصل الثاني والخمسون

تمام الحكاية

فامسكت ميلادي قليلاً حتى هدأ روعه وسكن جاشه ثم عادت فقالت وكان قد مضى علي ثلاثة ايام لم أذق فيها طعاماً ولا شرباً حتى اضرت بي الجوع والمعش وضعف جسسي ووهي عزمي فقضيت نهاري اجمع في ضحك شديد وضيق زائد حتى كان المساء واذا به قد اقبل يتبعه رجل وكل منهما شاكى السلاح فقال لي علي ماذا عزمتم اتخلفين فقلت انا علي ما قلت لك من اني لا اترك لك ثاري في هذه الدنيا ولا في الآخرة قال اما تحولين عن قصدك قلت لا والله او تحول الروح عن الجسد قال اذن اضع لك في جسمك علامة تجس لسانك وتمنع كلامك من التصديق ثم التفت الى الرجل وقال له امض فيما رسمته لك . فصاح بها فلتون اما تخبريني عن اسمه فقالت فاخذت اصيح واستغيث لعلي انه يقصد بي فعلاً امر من الموت فلم يسمع الجلاد لي بل طرحني الى الارض فرفقت علي وجهي واخذت ادعو عليه الله واستغيث به وهو لا يسمع واذا به قد اتى بمحديدة عمّامة الى الحرة فوسمني بها علي كفتي فصحت صيحة شديدة من الألم والياس ولكن كان قد قضي الامر

ولما انتهت من حديثها كشفت عن كتفها وقالت له انظر فعل الخائن الماكر بفتاة اطهر من الملائكة واعلم قلوب الرجال ولا تغرنك الظواهر فقال اني ارى زهرة زنبق قالت نعم وهي علامة العار والعهر والتهتك الفجور فلو كانت علامة انكلترا لدعوت عليه الناس ودفعته الى القضاة ولكنها علامة فرنسا فلمن اشكوه . فندم فلتون علي تسرعه الى تهمتها واثرت فيه حكايتها تأثيراً شديداً حتى صار لونه كالبهار وجعل يقول لها السماح السماح وعيناه تقولان الغرام الغرام فقالت مم اسمحك قال من مساعدتي لاعدائك ثم مدت يدها اليه فجعل يقبلها وهي تنظر اليه بلحظ ولو لحظت به الصخر لغادرته هسبياً فاكب علي رجلها يقبلها ثم وقف امامها وقال لقد بقي علي شيء واحد اسألك عنه وهو اسم الفاعل قالت عجباً الم تظن له قال من عساه يكون هل هو بنفسه الظالم المجرم قالت نعم هو بعينه هادم انكلترا وعدو الله والدين المتهتك الفاجر والخلع المالجن سفك الدماء

لعنة الله عليه قال هو اذن بيكنهام قالت ان لم يكن فمن قال وهل مثله يعيش بعد ذلك وهو مكرم عزيز الجانب نافذ الكلمة مطاع القول قالت ان الله يترك من يتركه ونسوا الله فنسيهم قال اذن يجب الانتقام منه ورد كيده في نحره ليعلم ان في الدنيا من ينتقم لله قالت ومن لك به وهو امنع من عقاب الجور قال الا علي فاني لا اهابه ولا اخشاه واني لاعجب من اللورد وتتر كيف بخاطه وهو كذلك قالت ان من الناس من يكون في الخفاء ندلاً لثباً وفي الظاهر عزيزاً كريماً ولقد كان لي فيما مضى من الزمن خطيب شهيم مثلك يا فلتون وكان قديم المعرفة بي فاطلمته على امري وقصصت عليه القصة فما شك في صدقها ثم اخذ سيفه وخرج الى بيكنهام يريد ان يفتك به فلم يجده قال لقد احسن فيما صنع ولكن مع مثل بيكنهام لا يعني الا الخنجر فقالت وكان بيكنهام قد رحل الى اسبانيا في بعض شانه فماد زوجي وقال لي انه قد رحل ولكن رويدا حتى يرجع ولا بد للورد وتتر ان يصون شرفه وامراته قال اذن انت امرأة اللورد وتتر قالت نعم وقد كان غياب بيكنهام في اسبانيا سنة وقبل مجيئه بثمانية ايام مات اللورد وتتر ولا ادري كيف مات فلا اقدر ان اهم بدمه احداً فبقيت انا بعده وريثة المال فاغتاظ لذلك اخوه اللورد وتتر مود بك وحاول اخذ الميراث مني فحقت على نفسي منه ورحلت الى فرنسا وتركت له كل ثروتي في انكلترا حتى انقطعت الصلات ونشبت الحرب واحتجت الى المال فاتيته لاخذ بعض مالي فوصلت من ستة ايام اذ قبضت علي وما اظن الا ان بيكنهام عرف بقدمي فوشى بي اللورد باي مدموغة واغراه بي فانخدع له واخذني وفي عزمه ان يرسلني بعد غد الى المنفى بين الموسومات حيث افقد شرفي وحرمتي واي سبب اعظم من هذا احب عليه الموت فاعطني الجارحة اقتل بها نفسي فلا خير في الحياة بعد ذلك وما اتمت كلامها حتى سقطت كالواهيبة القوي بين يدي فلتون فضمها الى صدره وقد اسكرته خمره الهوى وثارت به سورة الغيرة والغيظ فقال لا تموتين بل تجبين مصونة كريمة لتنتقي من اعدائك فدفعته عنها بلطف وقالت الموت ولا العار يا فلتون فلا تبخل علي به قل لا بل تعيشين قاهرة ظافرة قالت اخشى عليك يا فلتون ان يلحقك بي بعض المكروه فدعني امت قال اذن نموت معاً ثم اهوى عليها يقبلها وهو مثل بجمرة الحب واذا بالسباب يقرع فافتت ميلادي من يديه وقالت

لقد سمعنا قد هلكنا قال لا تخافي قائما هو الحارس ينبهني فلا بأس علينا قالت اذن فاذهب وافتح الباب فذهب واذا بالحارس يقول له سمعتك تصيح يا مولاي فهمت بفتح الباب فوجدته مقفلاً فقرعت ودعوت رفيقي لارى ما اصابك فاجب صياحك وعلمت ميلادي ان لا خلاص لها الا بفتون ولا خلاص لفتون الا بها فوثبت الى الجارحة وقالت دعني اموت فلماذا تمنعني فصاح الفتى بها مرعوباً وكان اللورد قد سمع الضوضاء فخرج متفضلاً وهو متأبط سيفه حتى وقف بالباب وقال لفتون دعها ولا تخش عليها فهي غادرة ماكرة ولا جسارة لها على قتل نفسها فعلت ميلادي ان لا خلاص لها اذا لم تر فتون طرفاً من شجاعتها فقالت كذبت يا لورد فان الشجاعة عندي ثم ضربت نفسها وهي لا تقصد القتل فجاءت الضربة على جنبها فخرقت الثوب وشقت الجلد قليلاً فسال دمها حتى صبغ رداها وسقطت سرعى فاسرع اليها فتون واخذ الجارحة من يدها وقال ارأيت يا لورد كيف ان امرأة قتلت نفسها وهي تحت حراستي قال لا تخش عليها فان الشيطان لا يموت فاذهب وانتظرنى في غرفتي قال نعم ولكن ... قال اذهب ولا تقف فدرس الجارحة في حزامه وخرج ودعا اللورد بالخادمة وقال لها استوصي بها خيراً ثم خرج فارسل رسولا يدعو الطبيب

الفصل الثالث والخمسون

الفرار

اما جرح ميلادي فكان كما قال اللورد خفيفاً جداً فلم يمض عليها قليل حتى فتح عينيها واخذت تحاول في اظهار الالم والضعف ولم يكن ذلك صعباً على امثالها من الماكرات وكانت آمالها معلقة على فتون من يوم استهوته وعشقها فلما كانت الساعة الرابعة من الصباح قدم الطبيب فوجد ان الجرح قد التأم ولم ير حاجة لسبره وقال ان لا خطر عليها وانصرف وصرفت هي الخادمة بحجة انها في حاجة الى النوم وكان ظنها انها ترى فتون فخاب املاها وجالت وساوسها وجملت تقوم وتقعدها على نار وهي في خشية من ان يكون اللورد قد اطلع على بعض امره معها فتمنع عنها فسالت الحارس عنه فقال لها انه ركب جواده من ساعة وذهب وان اللورد لم يزل في القصر ثم لم يمض

قليل حتى تبدلت الحراس على الباب بجماعة لا يعرفون فلتون ولا يأذنون له بالدخول
عليها فهاجت بلابلها واضطربت افكارها حتى اذا كانت الساعة السادسة اقبل عليها
اللورد وترمدججاً بسلاحه فعرفت من نظرتة انه عارف بدخيلة امرها فقال لها انك
اليوم لا تقدرين على قتلي فانتِ عزلاء وانا كفي ولقد رأيتك تتلاعبين بفلتون فخشيت
عليه عاقبة دهائك فأبعده عنك فليست ترىته بعد اليوم ابداً فهياي للسفر فاني مرحلك
غداً في الرابع والعشرين من هذا الشهر ويكون امر نفيك في يدي غداً عند الظهر
موقفاً عليه من اللورد بيكنهام واذا نبست بكلمة وانت نازلة الى الفلك فانت مقتولة
لا محالة ثم اذا كلمت احداً في السفينة بغير اذن رئيسها فهو مأمور بأن يطرحك في البحر
وهذا ما اقوله لك اليوم ثم خرج وترك في صدرها منه حزازات ولما كان المساء جيء لها
بالطعام فاكلت حتى اذا اظلم الليل سمعت تقرأ على زجاج النافذة فالتفتت فبصرت
برجل واقف وراءها فاسرعت وفتحت النافذة وصاحت افلتون انت فوابشراي فقد
خلصت قال نعم ولكن اصمتي فانه يجب ان اقتلع مصراعي النافذة وانا اخشى ان يرانا
احد من خادعة الباب قالت لا تخش فانهم قد اقفلوا الرجاج فما علي ان افعل قال لا
شيء سوى ان ترتدي ثيابك وتلبثي في فراشك حتى افرغ من العمل فادعوك فهل
تقدرين على اتباعي قالت نعم ولو الى برك النهاد قال وجرحك قالت يوئلي ولكن لا يمنني
من المسير قال اذن فهياي لاشارتي فاطفأت القنديل وذهبت الى فراشها وجلست لا
تسمع الا احتكاك المبرد على حديد النافذة يكاد يضيعه هزيم الريح واستمرت فلتون على
عمله ساعة خالتها ميلادي دهرأ حتى فرغ فقال لها أمستعدة انتِ قالت نعم فهل احمل
معي شيئاً قال اما عندك مال قالت نعم واعطته كيساً مملوءاً ذهباً فقال لها هلي فصعدت
على كرسي واطلت من النافذة فرأت فلتون معلقاً نجتها بسلم من جبال فارتاعت لمنظره
وهاها علو القصر فقال لها هل تخشين النزول قالت لا فاني اغمض عيني فلا اري قال
أفتقين بي قالت وبمن اثق سواك قال فادني يديك فادنتهما وربطهما بحبل في السلم
فقات ما تصنع قال ضعي ذرايك على عنقي ولا تخشي بأساً قلت اخشى ان ارجح عنك
فهوي كلانا الى الارض قل لا تخافي فانا اعلم منك بذلك ففعلت ما قال لها وتمسكت
بعنقه وارسلت نفسها الى خارج النافذة فاخذ ينزل بها رويداً درجة فدرجة والرياح

تهب عليهما فيتنوحان في الهواء وفيما هو ينزل اذا به قد وقف فقالت له ما بالك قال
 صه فاني اسمع وقع اقدام فقالت ويلاه قد رأونا فاصنى برهة ثم قال لا فلم يجبر شيء
 فقالت وما هذا الصوت الذي اسمع قال صوت العسس الذين يرون حول القصر قالت
 قل قد رأونا قال لا فان السماء لا تبرى فقالت ها هم فاسكتها ولبث واياها معلقين على
 ذلك الحبل لا يتحركان ولا يتنفسان الا اختلاصاً وهم على ستة اقدام من الارض حتى
 مرّ بهما رجال العسس يتحادثون ويتضحكون فكان لهما ساعة تشيب لهما الاطفال من
 الرعب والجزع فلما ابعد الرجال قال فلتون قد نجونا والحمد لله فشقت ميلادي شهقة
 واغمي عليها فنزل بها فلتون حتى بلغ الارض وكان الكيس في فيه فحمل ميلادي على
 ذراعيه وسار بها نحو البحر بين الصخور حتى بلغ الشاطئ فنفتح في بوق كان معه فاجيب
 بمثله ثم ظهر له زورق فيه اربعة رجال فدنا منهم حتى قاربهم ثم غاص في البحر وهو
 حامل ميلادي حتى داني الزورق فالتقاها فيه وصعد وراءها وكان البحر مزبداً والزورق
 يعلو ويسفل مع الامواج ثم قل للنوتية اسرعوا الى الفلك فاعملوا المجازيف فطار بهم
 الزورق على وجه الماء وكان الظلام حالاً جداً فلم يرهم احد ولم يكن على البحر الا نقطة
 سوداء تتحرك وهي الفلك وبينما الزورق يسير بهم حل فلتون يدي ميلادي ورش على
 وجهها من ماء البحر فشقت شهقة عظيمة وقالت اين انا قال ناجية انت باذن الله فقالت
 وقد نظرت حولها بلى والله فهذه السماء وهذا البحر مصداق على ما تقول جزاك الله خيراً
 وكان الزورق قد اقترب من الفلك فنادى النوتية باصحابه فاجابوهم فقالت ميلادي لمن
 هذا الفلك قل لك قالت والى اين بمضي بي قال الى حيث تشائين بشرط ان تنزليني
 على ميناء بورت سموت قالت وما تصنع هناك قال امضي في امر رسمة لي اللورد وتتر
 قالت واي امر هو قال ان يوقع لي على الامر بنفك وقد تحذر مني اللورد فعزم على ان
 يجرسك عني وارساني في هذا الامر قالت اذا كان كذلك زعمه فكيف سلمك الامر قال
 يزعم اني لا ادري ما احمل قالت اذن انت ذاهب قال من غير بد لان بيكنهام مسافر
 غداً مع الاسطول الى روشل قالت ويلاه لا يجب ان يذهب قال انه لا يذهب
 فاطمأني فنظرت في وجهه فاذا كانها تقرأ موت بيكنهام على جبينه فامتبشرت وقالت
 لله درك من شجاع يا فلتون فانا اموت لموتك واحيا لحياتك قال صه فقد وصلنا فنظرت

وإذا بالزورق قد صار الى جانب الفلك فصعد فلتون اليه واصعد ميلادي معه وقال للرئيس هذا الذي اخبرتك عنه تأخذه الى فرنسا سليماً لا ضرراً فيه قال نعم على ان يعطيني الف دينار قال هي لك وتأخذ منها الآن خمسمائة ودفع اليه المال فقالت له ميلادي وهذه مثلها خمسمائة اخري قال لا والله لا آخذ منها فلساً حتى اصل بك سالمه الى بولونيا قالت بارك الله فيك وسأعطيك الف دينار اخري فقال فلتون فخذنا الآن الى ميناء كذا فانت تعرفها فسار الرئيس بالفلك حتى بلغ الميناء المقصود عند الصباح وكان فلتون اثناء ذلك يقص على ميلادي كيف انه خالف الامر بالذهاب الى لندره وسعى في جلب الفلك وكيف صعد على جدار القصر وخلصها فنظرت اليه ميلادي فرأته هائجاً يزيد حنقاً على بيكنهام فلم نجد حاجة لاغرائه به ثم ودعته وواعدته الى الساعة العاشرة اذا عاد اليها ذهب معها والا سارت وحدها الى فرنسا واذا ذهب هو بعد ذلك فيجدها في دير الكرملين في يتين

الفصل الرابع والخمسون

فيما جرى في بورت سموت في ٢٣ آب سنة ١٦٢٨

ثم ودع فلتون ميلادي وداع اخ لاخته وقبل يدها وكان يمازج كلامه لهجة غضب واستبسال وركب الزورق وسار به قاصداً ميناء بورت سموت وهو لا يحول نظره عن ميلادي حتى بلغ الشاطئ ف اشار اليها اشارة السلام وذهب الى المدينة وكان الميناء مكتظاً بالسفن تظهر ادقلاها كالفأبة تحرك اشجارها الريح وكان في قلب فلتون من بيكنهام وزير جاك الثالث وشارل الاول ملكي انكلترا حزازات تحرق صدره وتثير عواطف الانتقام فيه وقد زاده حنقاً وهياجاً قصة ميلادي حتى صار يرى قتل بيكنهام فرضاً واجباً وامراً لا بد منه وكان وصوله الى الميناء في نحو الساعة الثامنة من الصباح وكان البوق ينفخ في احياء المدينة لجمع الجيش وركوب البحر فوصل فلتون الى قصر بيكنهام وهو مقر الثياب اصفر الوجه وعزم على الدخول فمنعه الحاجب فدعا برئيس الحجاب واره لرسالة وقال اني رسول مستعجل من قبل اللورد ونتر وكان اللورد ووتر من اقرب الناس الى بيكنهام واودهم اليه فاذن لفلتون فدخل وكان قد وصل عند دخوله فارس يلهث جواده تبعاً فدخل القصر

ايضاً وطلب الدخول على بيكنهام واذ كان الحاجب يعرف مكانة اللورد وتر عند بيكنهام اذن لفتون بالدخول اولاً ثم قاده الى باب غرفة فيها اللورد ودخل وقال له بالباب رسول من قبل اللورد وتر قال فليدخل فدخل فلتون فوجد اللورد جالساً على مرتبة وفي يده ثوب فاخر موشى بالذهب يريد ان يلبسه فقال لفتون لماذا لم يحضر اللورد وتر بنفسه فاني اتطره من الصباح قال لقد قال لي اللورد يا مولاي ان ابلغك ان الذي منعه من الحضور حراسة القصر قال نعم انا اعرف ذلك فان فيه اسيرة قال وفي شأن هذه الاسيرة ايتك قال هات ما عندك قال يجب ان اكون واياك لا ثالث بيننا فاشار اللورد الى الحاجب فخرج وقال قد خلونا فتكلم فقال قد كتب اليك اللورد وتر يلتمس منك التوقيع على صك النفي لامرأة تدعى كارلوت با كسون قال نعم وقد امرته بالحضور او بارسال الصك قال هو هذا وناوله الامر فاخذه اللورد وقرأه ثم استمد بالقلم ليوقع عليه فقال له فلتون رويدك يا مولاي فان هذا الاسم ليس بالاسم الحقيقي قل انا اعرف ذلك قال انت تعرف اسمها الاصيلي قال نعم ثم ادنى القلم من الورقة فاصفر وجه فلتون وقال اذن فاكتبه باسمها الحقيقي ميلادي وتر قال اني عارف بما اكتب فما هذا السؤال قال اتغير اسمها ولا ييكتك ضميرك قال ما هذه الاسئلة التي لا ضرورة تدعوني للجواب عليها قال بل تجيب يا مولاي فان الامر اعظم مما تفكر به فظن اللورد ان فلتون يتكلم بلسان مرسله فجراه في كلامه وقال لا شيء بمس الضمير فان اللورد يعلم ان ميلادي امرأة مجرمة فاجرة ثم وضع القلم على القرطاس فصاح به فلتون وقد تقدم اليه نك لا توقع على هذا الصك يا ميلورد قال لماذا قال لانه يجب عليك ان تنزل بنفسك فتحاكم ميلادي قال انها تحاكم في توبرن حيث تنفي فانها فاجرة عاهرة قال بل هي يا مولاي ملك كريم وانا التمس منك اطلاقها قال اجنون انت يا فتى حتى تكلمني بهذا الكلام قال اني اتكلم بما اصل اليه فاحذر من عواقب ما تفعل قال كيف قلت اتوعدني قال معاذ الله ولكني اقول لك ان الكاس قد طفحت فلم تعد تحمل قطعة وانا اخشى ان يكون فعلك هذا آخر جرائمك فيجري عليك القصاص قال يجب ان تخرج من هنا قال لا بل يجب ان تسمع لي الى النهاية فانك قد فحشت بهذه المرأة ودنسها وشفيت غليلك منها فدعها تذهب حرة لوجه الله تعالى وهذا ما اطلبه منك فاحذر عاقبة امرك

فان انكثرا قد ضاقت منك وكنت من افعالك فانت مقرّ غضب الله والناس اما الله
فيعاقبك في الآخرة واما انا فاعاقبك اليوم فخطا بيكنهام الى الباب وقال ان هذا لا
يطلق فحال فلتون بينه وبين الباب وقال له اقول لك وقع على الصك باطلاق ميلادي
فانك قد فضحتنا قال اخرج أو انادي الخدم عليك قال لا اخرج ولا ادعك تنادي ثم
اعترض بينه وبين الجرس وقال اذكر الآن انك بين يدي الله قال بل بين يدي
الشیطان ومدّ بها صوته ايجلب الخدم فقال له فلتون وهو يدني منه الورقة وقع بالاطلاق
يا لورد فقال انجبرني اضطراراً لي يا قوم ثم وثب الى سيفه فلم يمكنه فتوت من
استلاله حتى شهر خنجره واذا بالخدام قد دخل وهو يقول رسالة من فرنسا يا لورد
فدهش اللورد لهذا الخبر حتى نسي فلتون فاغتم فلتون فرصة اندهشه ووجه بالمدينة في
خاصرته ففاصت الى النصاب فصاح اللورد قاتني يا قاتل وصاح الحاجب الينا يا قوم
ونظر فلتون حوله فرأى الباب مفتوحاً فوثب منه وفر هارباً حتى اذا بلغ السلم صادف
اللورد وتتر داخلاً ورآه اللورد اصفر الوجه ملطخاً بالدماء فبيض عليه وقال كان هذا
في حسابي ثم سلمه الى الجند فاخذوه الى مكان حتى يصدر الامر بشأنه وذهب اللورد
وتتر الى بيكنهام ودخل وراءه الفارس الذي قدم بعد فلتون فلما رآه بيكنهام صاح
وهو قابض على جرحه بيده يا لا بورت أمن قلبها آت انت قل نعم يا مولاي وكان
ذلك الرجل حاجب الملكة حنة فقال له اللورد صه لا يسمعوك واثار الى الناس
فخرجوا وذاع الخبر واضطرب القصر والمدينة وانغمي على اللورد وبلغ اللورد وقتران
ميلادي قد فرّت على سلم من الجبال معاق على نافذتها فدخل على الدوق بيكنهام وكان
قد افاق من اغمائه فقال دعوني يا قوم انا والحاجب ولا بورت قليلاً ثم التفت الى وتتر
فقال له ابشت لي من يقتلني يا لورد فقال واكرباه لكر بك والله لا عزاء بعدك ثم خرج
وهو يبكي اشد البكاء فلما خلا بهم المكان جثا لا بورت على قدمي اللورد بيكنهام وقال
سليم انت ان شاء الله يا مولاي فقال بيكنهام وصوته يتقطع بحسرة الموت ماذا كتبت
لي اقرأ على عجل فان ساعاتي قصيرة فاعطاه الرسالة فاجال فيها نظره فلم يقدر على قراءتها
فقال اقرأ انت قمرأ

» ايها اللورد استحلفك بالحب الذي بيننا وانشدك ما اتقى من ألم البعادان تكفم

« الحرب عن فرنسا فانهم يعزونها لحبك لي وقد تدمر بها فرنسا وانكلترا ويلحقك منها »
 « لا سمح الله ، الا عزاء لي بعده فاحرص على حياتك الغالية لدي والسلام عليك من »
 « حنة دوتريش »

فقال اللورد أما عندك شيء غير ذلك قال نعم قالت لي الملكة ان اوصيك بالخطر على نفسك لانهم يحاولون قتلك قال ثم ماذا قال وان اقول لك انها تحبك وهي لك عاشقة ابدأ فقال اللورد اذن اموت سعيداً ثم دعا بالعلبة التي اخذها من الملكة فاعطاها للابورت ثم اخذ يفتش حوله وهو يقول وتأخذ ايضاً هذا وهو لا يهتدي الى ما يفتش عليه حتى وقعت يده على الخنجر فقال وتأخذ هذا ايضاً للملكة ثم تمدد على فراشه وجاد بنفسه وهو يحاول التيسم فصاح حاجبه بالحرب واخذ يمول وكان الطبيب قد حضر فنظر اليه وقال قد قضي الامر فلا حول ولا قوة الا بالله ثم دخلت على اثره الناس ورأى اللورد ونتر بيكنها قتيلاً فدخل على فلتون حيث كان مسجوناً وقال له ثكلتك امك ماذا فعلت قال قتله لانه رفض طلبك لي رتبة قائد ثم حول نظره الى البحر فرأى شرع الفلك فوضع يده على صدره وقال اسألك مكرمة يا لورد قال ما ذاك قال ما الساعة الآن قال التاسعة وكانت ميلادي قد عجلت قبل الميعاد بساعة الا سمعت صوت المدفع منذراً بحلول القضاء فجعل فلتون ينظر الى البحر وهو يقول لا مرداً لامر الله فقال له اللورد ونتر انك تموت وحدك الآن اما التي خلصتها فوالله لالحقها بك عن قريب ثم تركه وسار الى الميناء

الفصل التاسع والخمسون

في فرنسا

وكان اشد خوف شارل الاول ملك انكلترا من موت بيكنهام انه يوهن عزائم المحاصرين في روشل فسعى في ان يكتم عنهم خبر موته ما امكن ففزع المراكب من الخروج عن شطوط انكلترا الى ان يصل الجيش الذي كان بيكنهام عازماً على ان يقوده الى روشل ثم زاد في التحوط حتى منع سفراء الدانمرك من السفر بعد ان اذن لهم ومنع سفير هولاندا ايضاً عن مأمورية مهمة كانت له . ولكنه قبل ان يصدر هذا الامر

الشديد بمنع خروج السفن كان فلكان قد خرجا من المينا احدهما يحمل ميلادي واما
الثاني فسيأتي ذكر من كان فيه

وكان في اثناء ذلك لا يجري شيء في روشل سوى ازدياد ضجر الملك لويس حتى
عزم على ان يقضي عيد القديس لويس في سان جرمن فطلب من الكردينال ان يعدله
حرساً بخفره في الطريق لا يزيد عن عشرين حارساً وعين سفره في ١٥ ايلول وعلم
دي تريكيل بذلك وهو عارف برغبة حراسه في الذهاب الى باريز فاخترهم ان يكونوا
من جملة حرس الملك وكان فرح دارتانيان شديداً لرغبته في استطلاع خبر بوناسيه وما
جري عليها وكان اراميس قد كتب الى ابنة عمه القصاره في تور يسألها ان تلمس من
الملكة صكاً يؤذن بخروج بوناسيه من الدير حيث وضعتها فورد له منها هذا الجواب
« ابن العم العزيز »

« هذا اطال الله بقاءك صك اختي في اخراج خادمنا من الدير المسمى بدير »
« يتين لرداءة الهواء فيه وهي ترسل لك هذا الصك على سرور منها بخروج هذه الفتاة »
« لانها تجبها وتأمل منها الخير في المستقبل والسلام » « ماري ميشون »
وكان في ضمن تلك الرسالة صك الملكة وهذا نصه :

« المأمول من رئيسة دير يتين ان تسلم حامل كتابي هذا الفتاة التي دخلت الدير »
« بامري كتب في اللوفر في ١٠ آب سنة ١٦٢٨ » « حنة »

وكفي بذلك شاهداً على شرف اراميس ان تكون ابنة عمه تسمى الملكة اختها
وكان اصحابه يتكلمون عليه في انها قصاره ويسألونه حقيقة امرها حتى منعهم عن ان
يفاتحوه بشأنها فارسلوا غلمانهم امامهم بالزاد والمتاع ثم سافروا مع الملك في السادس عشر
من الشهر وركب الكردينال في ركاب الملك يشيعه الى مسافة بعيدة ثم استاذن من
الملك وودعه وعاد وما زال الملك سائراً بحراسه حتى بلغ باريز في الثالث والعشرين
من الشهر ودخلها في الليل وذهب الحراس لشأنهم وفي عزم دارتانيان ان يلحق بحبيبه
ليأخذها من الدير وفيها هو واصحابه في احدى الحانات وخادمه الى جانبه اذا بفارس
خرج من الحانة وركب جواداً وسار وهب الهواء فرفع قلنسوته عن رأسه فتبينه دارتانيان
ثم امتقع لونه وسقط الكاس من يده فقال له بلانشت ما بالك يا مولاي فدنا منه

اصحابه فقالوا ما بالك قال هو بعينه فدعوني اتبعه قالوا ومن هو قال عدوي الذي نفص عيشي وخطف حبيبي وكانت بداية امري معه في مينك فلهوا الى خيلكم تبعه قالوا اخطأت فان جواده مستريح وخیلنا تعب فلا ندركه وفيما هم كذلك واذا بخادم يصبح بالفارس وكان قد ابعده هذه يا مولاي ورقة وقعت منك فقال له دارت انا ان اعطيك هذا الدينار فماتها فاخذها وفتحها ونجم حولها اصحابه فقالوا ما فيها قال كلمة واحدة وهي « ارماتير » قالوا لا ندري ما هذا قل اظها اسم بلد او قرية فاركوبيا قوم فركبوا وساروا في طريق بيتين خيباً

الفصل الستون

دير الكرمن في يتين

اما ميلادي فانها وصلت الى بولونيا من غير ان تصادف مكروهاً وتظاهرت انها فرنسوية فلم يشك بها احد ولم تلبث في بولونيا الا ريثما كتبت هذه الرسالة ووضعها مع البريد وهي هذه

« الى سيادة الكردينال دي ريشيليه في معسكره امام روشل سلام »

« اما بعد فليفرخ روع مولاي فان يكنهام لا يسافر الى فرنسا ابداً »

« كتب في بولونيا في ٢٥ مساءً » « ميلادي دي ... »

« حاشية » وانا انتظر امر مولاي في دير يتين على نحو ما رسه لي »

ولما فرغت من الرسالة وكان الليل قد اقبل ركبت قاصدة دير يتين فوصلته في اليوم الثاني ودخلت اليه فلاقها الرئيسة فاظهت لها ميلادي امر الكردينال فوضعتها الرئيسة في غرفة خاصة بها . ثم جاءت تزورها بعد الغداء فجعلت ميلادي تتجمل لها وتتلطف بها وهي في موقف حرج بين ان تكون الرئيسة من حزب الكردينال او من حزب الملك فقصدت في خطابها وكانت الرئيسة تخشاهما ايضاً فجرت معها مثلما جرت الا ان ميلادي رأت ان تخدعها لتقف على حقيقة امرها فاخذت تلمح لها بالطعن على الكردينال وانه عشق الخاتون اكويليون وماربون دي لورم وغيرها من النساء فوجدتها تبسم لاحاديثها فعرفت انها من حزب الملك فقالت لها الراهبة انا قلما نسمع بمثل هذا

الكلام لانفرادنا عن الناس وبعدا عن البلاط ولكننا عرفنا ظلم الكردينال باحدانا لاني
لا اراها نستحق ما عاملها به فان هيشتها تدل على لوقار والسكينة قات لا تحكي بالظواهر
فما كل مصقول الحديد ياتي قلت الراهبة اني لاعجب من لهجتك هذه على الكردينال
على حين انت صديقة له لانك هنا بأمر منه قالت لا فاني هنا بامر في مثل سجن
لا حياء وكرامة قالت ولم لا تهربين قلت والى ابن امضي واي مكان اذهب اليه ولا
تتاني فيه يد الكردينال ولو كنت رجلاً لكان لي في الامر مخرج ولكنني امرأة فهل التي
حدثتني ان الكردينال ظلمها بحبسها عندكم حاولت الفرار قالت لا ولكنني اراها مرتبطة
في فرنسا بفرام رجل فقالت ميلادي اذا كانت عاشقة فهي غير تعيسة فنظرت اليها
الراهبة نظرة المرتاب ثم قالت اما انت عدوة ديننا قالت معاذ الله ان اكون من
البرونستان اعداء الله والدين قالت اذن واطمأني فانك لا تكونين في سجن يضيق فيه
عليك بل نبذل الجهد في اراحتك ثم يكون لك انيس من هذه الامراة التي ذكرتها
لك فاني اظن ان لها عملاً في البلاط قالت وما اسمها قالت لقد سلمت لي من انسان
عظيم القدر جداً تحت اسم كاتي فصاحت ميلادي وهل انت واثقة من ذلك ثم جال
في فكرها ان تنتقم منها اذا ظننها انها خادمتها القديمة فقالت الراهبة ذلك اسمها وهل
تعرفينها قالت لا فمتى اقدر ان اراها فاني اشعر لها بحب في فوادي قالت ترينها اليوم
ولكنني اراك في حاجة الى النوم فنامي ثم خرجت فاقلت ميلادي في فراشها تجبل في
فكرها انواع الانتقام من كاتي ولكنها كانت تخشى من زوجها الكونت دي لاثير الذي
كانت تحسبه ميتاً فوجدته تحت اسم اتوس ثم نامت وهي في تلك الافكار وفيها هي نائمة
اذا بها تسمع صوتاً ضيفاً ففتحت عينها فوجدت الراهبة ومعها امرأة جميلة الوجه جداً
فجعلت ميلادي تنظر اليها ولا تعرفها وهي تنظر الى ميلادي فلا تعرفها فتركتهما الرئيسة
كذلك وخرجت فارادت المرأة ان تتبعها فامسكتها ميلادي وقالت لها كيف تخرجين
من عندي وانا مشوقة الى ان اراك حتى تنقضي ايامي هنا قلت ايس ذلك من قصدي
ولكنني خشيت ان اكدرك عليك منامك فانك تعبة فاخذت ميلادي بيدها واجلستها
على كرسي الى جانبها فقالت وا اسفاه ها انا هنا من ستة اشهر في هذا الدير لا يصلني
خبر حتى سممت الحياة لو لم يعثك الله لي الى ان اخرج من هنا قلت انك اذن

ستخرجين قالت نعم وذلك في مأمولي قالت علمت انك هنا بامر من الكردينال وهو ظالم لك وهل صحيح ما قاله لي الرئيسة من انك اسيرة ايضاً بامر هذا الظالم فقالت لها ميلادي صه فان مصيبي من كلام كهذا لدى صديقة كنت اتق بها فخذعتني ووشت بي فهل انت مثلي قالت لا فاني سجنت لاني مخلصه لامرأة شريفة ابذل في سبيل خدمتها حياتي قالت وكيف تركتك قالت كنت اظن انها تركتني ولكنها لم تتركني فقد جاني خبر من مدة انها لا تزال تفكر بي ولكن انت يظهر لي انك مطلقة تذهبين متى شئت قالت والى ابن اذهب ولا مال ولا رفيق معي على جهلي بهذه الجهة قالت ان مثلك لا يهتم بالرفيق فانك بارعة في الجمال لا تعدمين رفيقاً قالت ذلك لا يمنع عن ان اكون وحيدة قالت لا تقنطي من رحمة الله فلملي ان اخرج من هنا فاجد لك من يأخذ بناصرك ويخلصك من هذا الدير قالت لا تقنطي ان قولي اني وحيدة دليل على ان لا اقارب لي ولا اصدقاء بل ان ليس فبهم من يقدر على ان يقابل الكردينال ويفلت منه اذا خلصني ولو كان الملكة نفسها ولذلك قلت اني وحيدة فان الملكة اذا عجزت عن خلاص احد تركته قالت لا بل يزيد تفكراً به وبخلاصه فقالت ميلادي نعم فان الملكة كثيرة الشفقة طيبة القلب قالت أو تعرفينها انت قالت لا اعرفها بوجهها ولكني سمعت عنها من كثيرين ممن لها عليهم فضل مثل دي بيتاج وريجار ودي تريفييل قات أو تعرفين دي تريفييل قالت نعم وهو قائد حرس الملك قالت اذا كنت تعرفينه فانت تعرفين اصحابه اذ لا شك انك كنت تذهبين اليه قالت نعم كنت ازوره في غالب اوقاتي قالت اذن تعرفين بعض الحراس عنده فلاح لميلادي من ذلك وجه طمع فيها وفي استطاع اسرارها فقالت اجارها الى الغاية ثم قالت نعم اعرف كل من كان يزوره قالت تنفضلين عليّ بذكر بعضهم قالت نعم اعرف دي سوفيبي دي كورتيفرون ودي فريساك ثم امسكت فقالت لها الامرأة اما تعرفين عنده رجلاً يدعى اتوس فوقع هذا الاسم في اذن ميلادي وقوع السهم في قلبها فاصفر وجهها اصفراراً شديداً واضطربت اعضاؤها فقالت لها ما بالك تصفرين يا سيدتي هل كان في كلامي ما يسوءك قالت نعم قد اثر في هذا الاسم فانه قل من يعرفه وله صديقان وهما بورنوس وارانيس قالت اذن تعرفين لهم صديقاً آخر قالت اني لا اعرفهم الا من كلام الناس وقد سمعت بصديقهم

هذا وهو دارتانيان قبضت الامراة على يد ميلادي وجملت بمحقق بها ثم قالت
 او تعرفين دارتانيان ثم رأت منها تغيراً فقالت وكيف تعرفينه قالت اعرفه صديقاً لم قالت
 لا تخدعيني فانت عشيقته قالت لا بل انت فقد عرفتك انت كونستانس بوناسيه فاجملت منها
 كونستانس وقالت اتغارين مني أم تكهني صديقه قالت لا والله قالت ولماذا اجملت من اسمه
 قالت الم تفهمي قالت لا فافصحني قالت ألا تعلمين اني عارفة باختطافك من بيت صغير في
 سان جرمن ويأسه منك وتفتيشه عليك هو واصحابه فكيف تريدن ان لا اعرفك وقد
 طالما كلمني عنك وهو يزفر من حبك زفرات احمر من النار فقد عرفت الآن ايننا الحبيبة
 قالت العفويا سيدتي فاني احبه قالت ما اسعدني بمرآك فدعيني انظر اليك فانت انت
 والله لم يخطئ ظني فيك فاغترت الامراة بكلامها ووثقت منها بالتاليق وهي لا تعلم ما
 وراءه من الغيظ والحقد الكامن فقالت بوناسيه اذن تعلمين كم اقسى لاجله من
 العذاب ولكني اجد العذاب عذاباً في سبيل حبه وقد قبض الله لي ان اراه فساراه
 الليلة او غداً فاندھلت ميلادي لكلامها وقالت كيف ذلك انتظرين منه خيراً قالت لا
 بل انتظره بعينه قالت اهو نفسه يأتي الى هنا قلت نعم قالت ان ذلك لا يكون فاني
 اعرفه في حصار روشل مع الكردينال فلا يرجع قبل اخذ المدينة قالت ليس شيء صعباً
 على رجل شريف مثل دارتانيان قلت اني لا اكاذ اصدق قالت اذن فأقرأني هذا
 الكتاب ثم ناولتها كتاباً فظرت فيه فعرفت انه خط الخاتون دي شفر يزقرأت

« اي بنية كوني متأهبة للسفر فان صديقك آت اليك ليأخذك من الدير فبالغي

في الاختفاء والتكر اذا خرجت واستعدي للرحيل والسلام عليك »

ثم قالت اتعرفين ما معنى هذه الرسالة قلت لا ولكني اظن ان الملكة قد علمت
 بمكيدة ينصبها لي الكردينال قالت هو ذلك ثم سمعت وقع حوافر فرس فهبت بوناسيه الى
 النافذة وهي تقول عساه هو ققامت ميلادي وهي لم تنتقل من سريرها انظري جيداً
 لعله هو قالت لا فانه رجل لا اعرفه وقد وقف على باب الدير وهو يقرع قالت امناكدة
 انت انه ليس دارتانيان قالت نعم فاني اراه بزني آخر ققامت ميلادي ولخذت تلبس
 ثيابها فقالت لها بوناسيه لقد دخلت قالت اما لاجلي او لاجلك فقالت لها بوناسيه ما بالك
 تضطربين قالت نعم فاني اخشى من الكردينال فقالت لها صه فانهم آتون الينا ثم فتح

الباب ودخلت الرئيسة فقالت لميلادي هل انت آتية من بولونيا قالت نعم فمن يطلبني قالت رجل لا يريد ان يتسمى ويقول انه آت من قبل الكردينال يريد ان يكلم الامراة القادمة من بولونيا قالت اذن فادخله يا سبدي فقالت لها بوناسيه اني اخشى عليكِ منه فانا اتركك واذهب ثم خرجت مع الراهبة ولبثت ميلادي شاخصة الى الباب حتى فتح ودخل منه رجل فمرقه وصاحت عند مرآه صيحة الفرح وكان هذا الرجل الكونت دي روشفور صفي الكردينال وساعده

الفصل الحادي والستون

اثان من الابالسة

فلقته ميلادي بالترحاب وقالت له من اين آت قال من روشل وانت قالت من انكلترا قال ماجرى ليكنهما قالت جريح اوقبل فاني اغريت به الجنس ولا ادري ماذا جرى قال برك الله فيك فهل اعلمت الكردينال قال كتبت له من بولونيا فما جاء بك الى هنا قال ارسلني الكردينال لايبحث عنك فمتي وصلت قالت امس ولم اضع الوقت سدى افلا تعرف من وجدت قال لا قالت وجدت الامراة التي خلصتها الملكة من السجن قال أليست بوناسيه حبيبة دارتانيان قالت هي بعينها والكردينال يجهل مقرها قال ان السعادة تخدم الكردينال هنا لله قالت ولو رأيت انذهالي عند ما وجدت هذه الامراة قال هل عرفتك قالت لا بل هي تعتقد اني صديقتها الودودة قال لله درك فلا احد اقدر منك على فعل هذه العجائب يا كونتس قالت وقد عرفت منها ايضاً انهم آتون لايخذها غداً او بعد غد بأمر من الملكة قال ومن يأخذها قالت دارتانيان واصحابه قال حسناً يفعلون فانهم يهينون لنا فرصة نرسلهم فيها الى سجن الباستيل قالت ولم لم يسجنوا بعد قال اري الكردينال ضعيفاً عنهم ولا ادري لذلك سبباً قالت قل له اذن ان محادثتي اياه في فندق برج الحمام قد سمعها هؤلاء الرجال الاربعة وصعد الي احدهم بعد ذهابه فأخذ مني صك البرائة وانهم اخبروا اللورد وترب بندهالي الى انكلترا ليحبطوا مسماه كما فعلوا بالمقد وقل له ايضاً انه يجب ان يخشى اثنين منهم هما اتوس ودارتانيان وان الثالث عشيق دي شفرينز فلا يقتله فان حياته تفيدنا لاستطلاع اسراره

اما بورتوس فلا تمسوه فانه يحسب عليكم رجلاً ولا خير فيه . قل اظن انهم الان في حصار روشل قالت لقد كنت اظن ذلك لولا ان رأيت الرسالة في يد بوناسيه تبشرها بقدمهم عن قريب قل كيف العمل قالت ما عندك لي قال ان اخذ ما لديك من الاخبار اما خطأ أو شفاهاً ثم اعود الى الكردينال فيرسم لك ما تصنعين قالت وهل البث هنا قال كما شئت هنا او في الضواحي قلت الا اذهب معك نال ذلك لا يكون فانهم يعرفون انك في المعسكر وهو ما يضر بالكردينال قلت اذن انتظر اما هنا او في ضواحي الدير قال عيني لي مكاناً اجدك فيه اذا طلبتك قالت اني لا اقدر ان البث هنا خشية من ان يصل اعدائي اصحاب دارتانيا ان فيصيدني منهم مكروه قل اذن تغلت هذه المرأة من الكردينال قالت معاذ الله ان تغلت ام نسبت اني صاحبها المخلصة فقل للكردينال اني اناها قال والآن ما اصنع قالت تذهب مسرعاً الى الكردينال فان الامر خطير قال لقد كسرت عربتي عند دخولي الى ليليه قالت ذلك خير لاني في حاجة اليها فاذهب ركباً ولو كانت الشقة بعيدة ثم اذا وصلت الى ليليه ترسل لي العربية وتوصي خادمها بالامثال لي ثم تأمر راهبة الدير بالتسريح لي بالذهاب متى شئت مع كل من يأتيني باسمك ولا تنس ان تكلم الرئيسة بغيظ اذا ذكرتني لاني اوهمتها اني عدوة الكردينال واني بنيت له قال واين اجدك بعد ذلك قالت وقد فكرت طويلاً اني اعرف هذه البلاد حق المعرفة لاني ربيت بها فانك تجدني في ارمانثير قال وما ارمانثير قالت قرية صغيرة على ضفة نهر ليس فاذا قطعت صرت في بلاد غير فرنسا قال نعم ولكن لا تقطعه الا عند الخطر الشديد قالت نعم قال واين اعرف مقرك قالت اني في حاجة انت الى خادمك قال لا قالت وهل انت واثق منه قال نعم قالت آخذه معي الى حيث اسكن ثم يذهب اليك فيدلك على مقري قال نعم فاكتبي لي اسم القرية لثلاث اساء فكتبته فودعها وخرج وقد وضع الورقة تحت قبته

الفصل الثاني والستون

تقطعة الماء

وما كاد روشفور يبعد عن غرفة ميلادي حتى دخلت بوناسيه فوجدت ميلادي

صاحكة السن فقالت لها هل دنا ما كنت نخشين منه من قبض الكردينال عليك قالت
من قال لك ذلك قالت سمعته من فم الرسول قالت تعالي فاجلسي بجاني وانصتي لثلاث
يسمعنا الرجل فجلست وقالت لم هذا التحذر قالت سترين ثم نهضت الى الباب ففتحته
ونظرت في الرواق فلم نجد احداً فاقفكته وعادت وهي تقول لقد اتى الحيلة قالت من
قالت من ادعى انه رسول من قبل الكردينال قالت ومن هو هذا الرجل اذن قالت
اخى وهو سرى سلمته لك فلا تعبني به واليك القصة فان اخى هذا سمع بي اني هنا
فاقبل قاصداً خلاصي فصادف رسول الكردينال آتياً فقبه حتى خلت الطريق فعرض
له وطلب اوراق الكردينال منه فاباها عليه فقتله واخذها اذ لم يجد لاخذها واسطة
اخرى فاخذ الاوراق وجاء باسم الكردينال وستاتي بعد ساعة او ساعتين عربة تأخذني
باسم الكردينال وهي عربة اخى ثم اعلمني ان الكتاب الذي بيدك المنبيء لك بوصول
من يخلصك ليس هو من دي شفرير بل هو مزور حيلة عليك فان دارتانيان ينازل
روشل الان ولا سبيل اليه نحوك قالت واني لك هذا قالت علمته من اخى حيث قال
انهم سيأتونك من قبل الكردينال باثواب حرس الملك لتتخذني لهم فيذهبوا بك الى باريز
فقالت واكرباه اكاد اجن من هذه الامور قالت انصتي قالت ما ذاك قالت اني اسمع وقع
حوافر فرس وهو اخى ذاهباً فعالي اودعه لوداع الاخير ثم صعدت الى النافذة ومعه
بوناسيه حتى مر بهم الفارس فقالت له ميلادي على الطائر الميمون يا اخى فالتفت اليها
واشار يده بودعها وغاب فمادت من الشباك فاقبلت اليها بوناسيه وهي تقول اشيري
علي بالله ماذا اصنع قالت ليس لك الا واسطة واحدة وهي ان تخرجني فتعبي في
بعض نواحي هذا الدير قالت والى ابن اذهب قلت تذهبن معي فاني ساذهب انتظر
وصول اخى في بعض هذه القرى قالت انهم لا يسمحون لي بالخروج فانا هنا كالاسيرة
قالت نعم ولكنك تظهرين انك تريدن ان تودعيني فتعدين معي في العربة فيسوق
السائق الخيل فتجري بنا ونخلص قلت واذا جاء دارتانيان قالت نعرف من غير بد
قالت وكيف ذلك قالت ترسل الى الدير خادم اخى الذي تتكل عليه في امرنا هذا
فيتجسس الامر فان وجد القادمين من حرس الكردينال لبث متخفياً لا يظهر واذا
كاثوا دارتانيان واصحابه اتى بهم الينا قالت وهل يعرفهم قالت نعم فانه طالما رأى

دارتانيان عندي قالت احسنت ولكن لا يجب ان نبعث من هنا قالت نلبث على الحدود حتى اذا دام خطر نفر من فرنسا قات وما اصنع الان قالت تنظرين قالت لملك تذهبين ولا اشربك قالت اطلي من الرئيسة ان تسمح لك بالاقامة معي وما اراها تمنحك قالت اصبت قات فانزلي حالاً اليها واستأذنيها وانا انزل الى الجنيئة اتزهر فيها فاني ارى نفسي في دوار قالت واين اجدك قالت هنا بعد مضي ساعة قالت نعم وذهبت تلك الى الجنيئة وبوناسيه الى الرئيسة وكانت ميلادي قد اصابها الدوار كما قالت من عظم الحيلة التي دبرتها وفضاعة العمل الذي نوت عليه وكان جل قصدها في ذلك ان تذهب ببوناسيه الى مكان لا يدري به احد واخذت تفكر في ذلك لعلها ان بوناسيه حياة دارتانيان فاذا اخذتها من بين يديه هان عليها الانتقام منه وفيما هي تمشي في الجنيئة وهذه الافكار تساورها سمعت صوتاً خفيفاً يناديها فالتفت واذا بها ترى دي بوناسيه مستبشرة بما اذنت لها به الرئيسة ثم عادت واياها فلما بلغت فناء الدار سمعت صوت عربة فقالت هذه عربة اخي فاذهبي واحضري ما بهمك احضاره من حللى ودرهم قالت ليس عندي سوى تلك الرسائل قالت فاذهبي واحضريها ثم لاقيني الى ها هنا فاكل معاً فقالت واكرهه ارى نفسي ضعيفة لا اقدر على المشي قالت تشددي ولا تخشي فانك طفلتين بعد قليل فذهبت وصعدت ميلادي الى غرفتها فوجدت فيها خادم روشفور فاعطته التعلبات اللازمة ومن جملتها ان ينتظرها لدى الباب فاذا رأى حراس الملك قادمين ينطلق بالعربة الى جهة الدير الاخرى فينتظرها عند قرية صغيرة فتخرج اليه من باب الحديقة وفيما هي توصيه دخلت بوناسيه فقالت له ميلادي ثم تصعد الى عر بيتي هذه الامراة وحالما تصير معي تسوق الخيل بسرعة البرق قال نعم وخرج فاقامت ميلادي هي وبوناسيه واكلاهما وفيما هما تاكلان اذا بميلادي تسمع وقع حوافرخيل وصهيل فوثبت الى النافذة فلم تر احداً لان الصوت كان بعيداً فقالت لها بوناسيه ما هذا الذي اسمع قالت اما اعداؤنا او اصداقنا نالبي مكانك حتى اقول لك ولم يمض قليل حتى ظهرت الفرسان فرأهم ميلادي ثمانية وفي مقدمتهم فارس عرفت انه دارتانيان فصاحت صيحة الياس فقالت بوناسيه ما هذا قالت قدوم حراس الكردينال فلا خلاص لنا الا بالفرار قالت نعم فيها بنا فهبت من مكانها وهي واهية القوى من الخوف

والرهبة ثم سمعت صوت الفوارس تمر تحت النافذة فزاد رعبها فاخذتها ميلادي بيدها
وقالت هلمي فان لنا طريقاً من الخديقة ومعى مفتاحها فسارت معها خطوتين ثم سقطت
لا تستطيع النهوض واذ بميلادي تسمع صوت العربة هاربة من وجه الحراس ثم
تلاها صوت البنادق فقالت ميلادي اتذهبين ام لا قالت لا اقدر ان اذهب قاهري
وحدك قالت اهرب وحدي واتركك ان ذلك لا يكون ثم وقفت برهة تفكر وذهبت
الى المائدة فاخذت كأس بوناسيه ففتت فيه فص خاتم كالت منها ثم ملاته نبيذاً
وقالت لها اشربي فان هذا يشدد العزم ثم ادنت الكاس من فم بوناسيه فشربتها
فقالت ميلادي والله لم اكن اريد ان انتقم هذا الانتقام لولا مداركة الفرص ثم
وضعت الكاس على المائدة وخرجت راكضة وبوناسيه تنظر اليها نظرة غرقى الى ساحل
واخذ العرق يسيل منها وقواها تضعف ثم سمعت صوت الابواب تفتح وسمعت اسمها
يلفظ ثم فتح الباب وظهر دارتانيان فصاحت به صيحة الفرح واكبت عليه تقبله
ويقبلها ثم تبعه اصحابه وسيوفهم في ايديهم فقالت لدارتانيان لقد اتيت يا حبيبي ولم
تخدعني فقد غلطت اذ قالت لي انك خدعتني وانك لا تأتي فقال دارتانيان ومن
هي قالت رفيقتي التي ارادت ان تاخذني معها وقد هربت الآن منكم غانة انكم حرس
الكردينال فاصفر وجه دارتانيان وقال أي رفيقة تعنين قالت التي كانت عربتها على
الباب والتي زعمت انك نجبتها فقال وما اسمها اخبريني اما تعرفين قلت وصوتها يتقطع
من النزاع لقد قالوه امامي ونسبته واكرباه ما هذا الدوار فصاح دارتانيان الي يا رفاقي
فاني اشعر بيديها قد بردتا وقد اغمي عليها فتقدم برتوس يساعده ووثب اراميس الى
المائدة ليأتي بكأس من الماء فدهش عند ما رأى اتوس واقفاً لدى المائدة كالصنم لا حراك
به وعيناه تقدحان شراراً فصاح دارتانيان عليّ بالماء فقال اتوس مسكينة انت يا بوناسيه
فتحت المرأة عينيها فقال دارتانيان وابشراي قد فتحت عينيها وافاقت والحمد لله فقال
لها اتوس لمن هذه الكاس قالت لي قال من سكب لك هذا النبيذ قالت هي قال ومن
هي قالت قد ذكرت اسمها الا ان هي الكونتس دي وتتر فاجفل الاربعة وصاحوا صيحة
الجزع وكانت صيحة اتوس تفوق الجميع وسقطت بوناسيه بين يدي اراميس وبرتوس
لا تسمع ولا تعي فقام دارتانيان الى اتوس وقال اتظن انها ... قال نعم وهو بعض

على شفتيه حتى كاد يدميها فتحول دارتانيان الى بوناسيه فوجدها قد اصفر وجهها
وغارت عيناها وكان جسمها يرتجف وهي تتصبب عرقاً فقال ادعوا لنا طيباً فقال اتوس
لا فائدة من الطيب فان السم زعاف لا دواء له فقالت وهي تجود بنفسها نعم لا دواء
له ثم جمعت قواها وضمت رأس دارتانيان بين يديها وقبلته وطارت نفسها فوجد
دارتانيان بين يديه جثة باردة فسقط مغشياً عليه واقام اصحابه يندبون واذا بالباب قد
انفتح وظهر على عتبه رجل وجعل ينظر الى بوناسيه ودارتانيان ثم قال لم اخطى هذا
دارتانيان وانتم اصحابه الثلاثة اتوس وبرتوس وارايس فنظر اليه الثلاثة وهم مرتابون في
معرفة فقال لهم اظنكم مثلي تفتشون على امرأة مرت من هنا لاني ارى لها اثرآ في هذه
الجثة فلبثوا صامتين ينظرون اليه وهم يذكرون انهم رأوه فعقب قائلاً اذا كنتم مترددين
في معرفتي بعد اذ خلصتوني مرتين من الموت فانا اعرفكم بنفسي انا اللود وتر سلف
هذه الامراة فقام اليه اتوس وصاحه وقال اهلاً وسهلاً بك فانت منا قال قد تتبعتها
من بورتسموث بعد سفرها بخمس ساعات فوصلت بعدها الى بولونيا بثلاث ساعات
وتبعتها من قرية الى قرية استخبر الناس عنها حتى رأيتكم تسيرون امامي فعرفت دارتانيان
فناديتكم فلم يجيبوا اذ لم تسموني لبعدي عنكم ولوقوع حوافر خيلكم فشددت في لحاقكم
فلم يغن جوادي لكلاله حتى اجتمعت بكم الآن فهل الاثنان قتيلان قال اتوس لا والحمد
لله فان دارتانيان مضى عليه ففتح دارتانيان عينيه ورمى بنفسه على جثة حبيته يقبلها
او يتشمها ثم اتنى عنها الى اتوس قبله وقال كتب القتل والقتال علينا وعلى الغايات
ندب القتل دع النساء يبكين النساء فلرجال الاخذ بالثار قال صدقت والله لا نتقن
من قاتلها ولو تعلق باهداب السحاب فاشار اتوس الى اراميس وبرتوس ان يدعوا
الرئيسة فذهبا فوجداهما في فناء الدير فاتيا بها فقال لها اتوس ها نحن نترك بين يديك
جسم هذه الامراة الطاهرة فادفنيها فانها ملك كريم في صورة انسان وسنرجع بعد
فنصلي على قبرها ثم أخذ دارتانيان يديه وهو يبكي اشد بكاء وخرج الخمسة من الدير
الى مدينة بيتين فوقفوا على اول فندق فيها فقال دارتانيان ألا تتبعها فأتخذ ثارنا منها
قال اتوس ذلك عليّ قال اخشى ان تفوتنا فيكون اللوم عليك قال انا لها فلا تخش
فرارها فجعل اراميس وبرتوس يتناظران ويعجبان من ثقة اتوس بامساكها وظن اللود

وتترانه يتكلم كذلك ليهدي روع دارتانيان فقال اتوس تفرقوا يا قوم كل الى غرفه في هذا الفندق فنحن في حاجة الى الاختلاء وعليّ تدبير الامر فقال اللورد ونتر لا بل ذلك عليّ فانا اقرب اليها لاني سلفها قال لا بل انا فانها امرأتي فتبسم دارتانيان لذلك وعلم ان اتوس لا يتركها لانه باح بسرّه فيها فقال اتوس اذهبوا الى غرفكم واعطني يادارتانيان الورقة التي سقطت من الفارس فهذا وقتها قال نعم فانها بخطها فاخذها وتفرقوا

الفصل الثالث والستون

الرجل ذو العباءة الحمراء

وكان اتوس اشد اصحابه حقاً على ميلادي والتزاماً بالقبض عليها لتعده بذلك فدخل غرفه ودعا اليه بصاحب الفندق فطلب منه رسم ذلك الاقليم وطرقه فاعطاه فرأى انه يوجد من بيتين لارماتير اربع طرق فدعا بالخدم وهم بلانشت وكريمود ومرسكتون وبازين فامرهم بالذهاب في وجه الصبح الى ارماتير كل منهم ياخذ في طريق ووجه بلانشت في الطريق التي سارت منها العربية وفيها خادم روشفور وكان اتوس شديد الثقة بهم لعله انهم يعرفون ميلادي وهي لا تعرفهم فتعاقد الاربعة على ان يصلوا الى ارماتير عند الصبح حتى اذا وجدوا ميلادي بشوا باخدم ليأتي بهم اليها ثم ذهبوا فتقلد اتوس سيفه واشتمل بعباءته وخرج وكانت الساعة العاشرة ليلاً فسار في طريق ارماتير يلتمس من يسأله عنها حتى صادف رجلاً فسأله فاشار اليه بيده عن الطريق فاغراه بدينار ليذهب معه فابى فسار اتوس في الطريق التي اشار اليها الرجل ولم يزل سائراً حتى انتهى الى طريق منشعبة الى اربعة فوقف حائراً لا يدري في ايها يأخذ حتى رفع له رجل فلم يدلّه الا بالاشارة وابى ان يذهب معه . ثم سار حتى انشعبت الطريق فوقف ينتظر حتى مرّ به سائل ووقف به يسأله الصدقة فعرض عليه قطعة من الفضة على ان يدلّه فتوقف السائل قليلاً ثم غرته لمعة الفضة فرضي ومشى امامه حتى بلغ به غاية الطريق فاشار له الى بيت في وسط بستان لا شيء حوله من العمران فدنا اتوس من بابه وقرعه ففتح له رجل طويل القامة اصفر الوجه مسود اللحية والشعر فكلّمه اتوس سرّاً فاشار اليه بالدخول فدخل الى بيت حقير يتدلى العشب من

سقفه وهو رث الاثاث لا شيء فيه من الترتيب والنظافة وكان يسكنه ذلك الرجل وحده ولا رفيق معه فجلس اليه اتوس يحادثه فيما ندبه له من العمل الخطير وعرضه عليه من الفعل الهائل فاجفل الرجل منه وتمنع فاخرج له اتوس من جيبه ورقة عليها سطران تحتها امضاء فلما قرأها الرجل اخى برأيه علامة الطاعة فقام اتوس وحياه وخرج عائداً في طريقه التي جاء منها حتى بلغ الفندق فدخل غرفته واقفل عليه الباب فلما كان الصباح دخل عليه دارتانياً وقال له ماذا يجب ان نفعل فقال الانتظار وبعد قليل جاءهم خبر من رئيسة الدير بان الدفن يكون الظهر وانها لم تعلم من امر السم شيئاً سوى انها رأت آثار اقدم في الحديقة تنتهي الى بابها وهو مغلق والمفتاح ضائع وعند الظهر ذهب اللورد ونتر واصحابه الاربعة الى ملحد الدير فصلوا على الامراة فهاج ذلك في دارتانياً الجزع والحزن فاثنى يطلب اتوس فلم يجده . وكان اتوس قد ذهب في الحديقة على اثار الاقدام حتى انتهى الى بابها ففتحه وخرج الى الغابة فوجد اثار عجلات العربية ذاهبة في الغابة فبعها وهو ينظر الى الارض فرأى عليها قطرات دم اما من احد الخيول أو من الخادم عند ما اطلق الحراس عليها بنادقهم فسار اتوس على الاثار حتى انتهى الى غاية الغابة فوجد عندها بركة دم واسعة وبعدها اقدم صغيرة مثل آثار الحديقة حتى انتهت عند الطريق حيث وقفت العربية فعلم اتوس ان ميلادي مشت الى هناك ثم ركبت العربية وسارت فعاد الى الفندق فوجد بلانشت ينتظره فاخبره انه رأى كلما رآه من آثار الدم وعجالات العربية الا انه امعن في تتبع الاثر اكثر من اتوس حتى بلغ بيتاً فعرف منه ان قد وقفت عليه امس عربية فيها رجل جريح وامراة فاودعت الرجل في البيت وسارت في طريقها ثم سار على آثار العربية حتى انتهى الى ارمانتيير فلغها عند الساعة السابعة صباحاً واسرع الى فندقها يسأل عن غرفة ياخذها فعلم من النازلين في الفندق ان امراة قدمت امس فاقامت في احدى غرف الفندق ثم طلبت من صاحبه ينسأ في ضواحي القرية فاكتفى بلانشت بذلك وعاد الى رفاقه الثلاثة فرتبهم كالمسس وعاد الى اتوس واخبره وما اتم كلامه حتى دخل الاصحاب الثلاثة فقال دارتانياً ماذا يجب ان نفعل قال الانتظار فعاد كل الى غرفته

ولما كانت الساعة الثامنة مساء امر اتوس ان تسرح الخيل فاسرجت ونبه اصحابه

الاربعة فاستعدوا وركبوا فجعل دارتانيا تأنف ويتضرر فقال له اتوس رويداً فانه
ينقصنا رجل ثم ساروا فهمز اتوس جواده وقال لهم انظروني فانا راجع ولم يغب الا
قليلاً حتى عاد ومعه رجل مرتد بهبابة حمراء فجعل الحراس واللورد وتتر ينظرون اليه
وهم لا يقفون على عرفاته فظنوا ان ذلك من تدبير اتوس فتركوه وعند الساعة التاسعة
سارت الفرقة في ذلك الظلام الخالك يتقدمها بلانشت في طريق العربة واسان حالهم ينشد
وكم لظلام الليل عندك من يدٍ تخبر ان الماتوية تكذب

الفصل الرابع والستون

المحاكمة

وكان الليل عاصفاً والسحاب متكاثفاً والظلام شديداً اذاً ان الانسان يده لم يكذب
براها وكان القمر لا يشرق الا عند منتصف الليل فجعل القوم يسيرون في ذلك الظلام
ولا ينظرون الطريق الا اذا لمع البرق وما زالوا كذلك حتى مروا بحيث وضع الجريح
فعطف بلانشت على شماله وكان الحراس واللورد يكلمون الرجل ذا العباءة الحمراء
فلا يجب الا برأسه فامسكوا عنه وكان الرعد قد زاد والبرق اخذ يتابع والهواء يعصف
بشدة ثم تبع ذلك مطر غزير كانه من افواه القرب وفيما هم يسيرون اذا برجل خرج
من وراء شجرة واعترض في الطريق و اشار الى القوم بالسكوت ف عرف اتوس انه
كريمود فقال له دارتانيا ماذا جرى هل فارقت ارماتبير قال نعم فعرض دارتانيا
شفتيه وزفر زفرة الضرام فقال له اتوس رويدك فانا صاحب الامر وعلي وجدانها
ثم قال لكريمود اين هي ف اشار له بيده الى مقاطعة ليس قتل له هل هي بعيدة عنا فهمس
في اذنه فقل اتوس لهم انها على مقربة منا وهي وحدها في بيت على شاطئ النهر فيها
بنايا كريمود فسار امامهم وتبعوه فقطعوا نهراً وساروا وفيما هم يسيرون لمع البرق فظهر
منه بيت منفرد له نافذة يلوح من خلالها نور ف اشار اليهم كريمود فقال اتوس قد
وصلنا يا قوم وفيما هم كذلك اذا برجل قد طلع عليهم من حفرة هناك وهو مستكون
فاشار الى النافذة فقال له اتوس واين بازين قال يخفر الباب وانا اخفر النافذة فترجل
عن جواده وترجلوا معه وسلموا اعنة الخيل لموستكون و اشار لهم اتوس ان يذهبوا من

جهة الباب وتقدم هو الى النافذة وكان البيت محاطاً بسياج فسلقه اتوس ودنا من النافذة وصعد على حجر هناك فرأى امرأة برداء اسود وبين يديها سراج ونار تصطلي عليها وهي معتمدة رأسها يديها فعرف انها بغية وعند ذلك صهل جواد من خيلهم فرفعت رأسها فرأت وجه اتوس في النافذة فصرخت فوثب اتوس الى داخل الغرفة فهربت ميلادي الى الباب فصادت دارتانيان فكانت كالستجير من الرمضاء بالنار فاجفلت منه ورجعت وخاف دارتانيان من فرارها فاخرج غدارته من حزامه فقال له اتوس رد سلاحك الى مكانه فاني احب ان احاكم هذه الامراة فلانقتلها الا عن حكم فادخلوا يا قوم فرد دارتانيان غدارته الى حزامه ودخل بورتوس وارانيس واللورد وتر وذو العباة الحمراء ووقف الغلمان يخفرون البساب والنافذة فسقطت ميلادي على كرسيها ثم نظرت سلفها فصاحت صبيحة الجزع وقالت من تطلبون قال اتوس نطلب كارلوتا باكسون التي دعيت اولاً الكونتس دي لافير ثم صارت لادي وتر بارونة دي شيفيلد قالت انا بفيكم فاذا تريدون قال تريد ان نحاكمك على ما فعلت من الجرائم وانت مطلقة في الاحتجاج ودفع الظنة عن نفسك اذا كان لك من ذلك مخرج فتقدم يا دارتانيان واعرض شكواك فتقدم دارتانيان فقال اشكو هذه الامراة امام الله وامام الناس بانها سمت كونستانس بوناسيه امس فقال بورتوس وارانيس ونحن على ذلك من الشاهدين ثم عاد فقال اشكوها ايضاً بانها ارادت ان تسميني انا بالخر الذي ارسلته لي بكتاب مزور فخلصني الله منها وفداني برجل آخر فقال الشاهدان ونحن نشهد ثم عاد فقال وانا اشهد لنفسي بانها اغرتني بقتل الكونت ويرد ولم يكن عند ذلك من يسميها وهذه شكايتي عليها ثم تنحى فتقدم اللورد وتر فقال اشكو هذه الامراة امام الله وامام الناس بانها قتلت اللورد بيكنهام فصاح الجمع او قتل بيكنهام قال نعم فاني عند ما حظرتموني منها قبضت عليها وسجنها فاغرت احد خدمي فخلصها وقتل اللورد بيكنهام وهو الآن يضرب عنقه جزاء ذنبه وليست تلك شكايتي كلها فانها تزوجت باخي فرض بمرض لم يلبث فيه سوى ثلاث ساعات ثم مات وعلى جسمه اثار فاخبريني كيف مات يا فاجرة فانا اطلب الانتقام منك لانك قتلت بيكنهام وقتلت فلتون وقتلت اخي والا انتقم منك يدي ثم تنحى الى طرف الغرفة فتقدم اتوس وقال تزوجت هذه الامراة وهي فتاة

بالرغم عن اهلي وغمرتها بالنعم والاحسان ثم رأيتها موسومة بزهرة على كنفها الايسر فحاولت ميلادي التبرؤ فصاح بها ذو الرداء الاحمر وقال صه فاني اجيبك ثم دنا منها وخلع رداءه فنظرت اليه محدقة فيه بصرها ثم صاحت لا لا ما انت الا خيال جهنمي فلست هو الي الي ثم سقطت على الحائط فقال له الجمع من انت يا رجل فقال سلوها عني فقد عرفني فقالت ميلادي هو سيف ليل هو سيف ليل ثم سقطت على رجليه وهي تقول السماح السماح والنفو المفقو قال لهم نعم انا سيف مدينة ليل وهذه حكايي كانت هذه الامراة في صباها بارعة في الجمال اكثر مما ترونها عليه الآن وكانت متنسكة في دير وكان لي اخ راهب فاستهوته فعلقها وعزم على الفرار بها ولما لم يكن معه مال سرق آنية البيعة المقدسة فباعها ولكنه أمسك قبل أن يسافر وأمسكت معه ووضعت في السجن فأغرت ابن السجن فاطلقها وحكم المجلس على اخي بالسجن عشر سنوات وان يوسم على كتفه وكنت انا جلاده فوسمته وثارت نفسي لامسك هذه الفتاة فتبعتهما وامسكتها ووسمناها كما وسمت اخي ثم عدت الى ليل فوجدت اخي قد هرب من سجنه فعلقت مكانه الى ان ياتي ومضى هو يلتمسها حتى اصابها وهرب بها الى برّي فسكن هناك وجعلها اخته . فاتفق ان سيد تلك الارض نظرها فعلقها ووقعت في نفسه فزوجها من اخي فصارت الكونتس دي لا فير . فنظرت الجماعة الى اتوس فاشار لهم برأسه ان الحكاية صحيحة فمقب السيف فقال ولما اخذها هذا الكونت ويش منها اخي عاد الى ليل فاقام في سجنه واطلقت انا ثم ضرب عنقه في ليلة وصوله وتلك جنائتها علي ايديها لدى الله والناس فقال اتوس لدارتانيان اي ثار تطلب من هذه الامراة قال القتل ثم التفت الى وتر فقال القتل ايضاً ثم التفت الى بورتوس واراميس فقال انما الآت في مقام القضاة فبم تحكمان عليها قالا بل موت فسقطت ميلادي على ركبتيها وهي في حالة اليأس فقال لها اتوس انت كارلوتا باكسون والكونتس دي لا فير وميلادي دي وتر قد اجترحت ذنوباً ضجت لها الناس في الارض والاملاك في الافلاك فقد وجب عليك القتل فكفري عن ذنبك لله فان الله غفور رحيم فهضت وارادت ان تتكلم فلم تقدر واحتبس لسانها واذا بيد السيف قبضت على شعرها واخرجتها من بيتها فتبعها الاربعة وتبعهم خدمهم وتركوا العرفة على حالها

الفصل الخامس والستون

الاعدام

وكان نصف الليل قد دنا وظهر القمر من خلال السحاب فسارت الجماعة وميلادي بتقدمهم يقودها اثنتان من الخدم وخلفها السياف وخلف السياف اتوس ودارتانيان واللورد ونتر وبورتوس واراميس وبلانشت وبازين وراهم وكان الخادمان يقودانها الى جهة نهر ليس وهي صامته لا تنبس بكلمة حتى اذا رأت نفسها قد صارت على بعد من الجماعة قالت للخادمين اعطي كلاً منكم الف دينار اذا ساعدتاني على الفرار واما اذا قلت فان لي من يتقم مني فسمع اتوس كلامها فتقدم اليها وتقدم معه اللورد ونتر فقال له دع الخادمين الآخرين يسكنها فدعا بها اتوس وارجع كريمود وموسكتون فسارا بها حتى بلغا حافة النهر فعمد اليها السياف وربط رجليها ويديها فصاحت بهم انكم جبناء اخساء لا تقتلون الا نساء فحذار حذار من ثاري وحمل دمي فقال اتوس ما انت امرأة ان انت الا ماردي فر من الجحيم وسيرجع اليه فقالت اياكم ان تمسوني فانتهم سفاكو دماء فقال السياف ان الجلاذ يضرب الاعناق ولا جريمة قتل تلحق به فاستمدي للموت قالت اذا كنت بجرمة فخذوني لدى القضاة فاشتكوا علي فانكم لستم بقضاة محكمون بالموت فقال اللورد ونتر لقد عرضت عليك النبي فلماذا لم تقبليه قالت لاني لا اريد ان اموت فاني لم ازل حديثة جميلة قال ان التي قتلها بالسهم في الدير كانت اصغر منك سنًا وابهي جمالاً قالت اذن ادخل في الدير فانسك قال السياف لقد كنت في الدير فلم تخرجي منه حتى قتل اخي بسبيك ثم حملها ودنا بها من قارب كان في النهر لهذه الغاية فقالت يا رباه قد عزموا على اغراقي وكان في صوتها ضعف وخوف تأثر له دارتانيان وذكره بعض ما كان نسي من حبهما فاقبل على السياف وقال لا اطيق ان ارى هذه الامرأة تموت فلما سمعت ميلادي كلامه تجدد فيها بعض الامل فقالت اذكر يا دارتانيان اني كنت احبك فتقدم دارتانيان اليها فشهرا اتوس سيفه واعترضه وقال اذا اقدمت تلجثني الى ان انازلك فوق دارتانيان على ركبتيه فقال اتوس يا سياف امض في عملك قال نعم ثم دنا اتوس من ميلادي فقال انا اغفر لك ما صنعته معي من

تدينس شرفي واقتضاح عرضي واضاعة حبي والحالة التي صيرتني اليها من البأس فموتني
بسلاام فقدم اللورد وتروقال وانا اغفر لك تسميم اخي وقتل بيكنهام وموت فلتون
واجترائك علي فموتني بسلاام ثم تقدم دارتانياان وقال وانا اغفر لك ما اجريت معي من
وسائط القتل واغفر لك قتل حبيتي واسأل لك الرحمة فموتني بسلاام فقالت ميلادي
وقالت قد اتقطع الرجاء فلا بد من الموت ثم نظرت حولها وقالت اين مكان الاعدام
فاجابها السيف على الشاطيء الآخر ثم حملها فوضعاها في الزورق فدنا منه اتوس واعطاه
بعض المال وقال هذه اجرة الضرب فلا اثم عليك قل نعم فانا اصنع الواجب علي ثم
قذف بالزورق في النهر فسار نحو الشاطيء الآخر وركع القوم يصلون لها وكانت ميلادي
وهي في الزورق قد حلت رجلها من الرباط فلما اخرجها السيف فرت هاربة وكانت
لارض حول النهر رخوة من المياه فزلقت رجلها وسقطت فادرکها السيف ونظرت
الجماعة من الضفة الاخرى سيف السيف يهوي على عنقها ثم سمعوا صوت موتها فوضع
السيف رداءه الاحمر ولف به الجثة والرأس وركب الزورق حتى صار في وسط النهر
فرمى بها فيه ففرقت

ولما كان اليوم الثالث من هذه الحادثة وصل الحراس الى باريز وذهبوا الى زيارة
دي تريفل فتلقاهم بالترحاب

الخاتمة

وفي اليوم السادس من الشهر التالي ذهب الملك من باريز الى روشل حسبما وعد
الكوردينال وبلغ الملكة خبر بيكنهام فلم تكذ تصدقه حتى جاءها لابورت بالخبر اليقين
فقامت تندبه سرا ولسان حالها ينشد

اما والله لولا خوف واش وعين للخليفة لا تنام
لثنا ركن قبرك واستلما كما للناس بالحجر استلام

وكان الملك في غاية المسرة ونهاية الحبور وكان يصحبه في سفره الى روشل الاصحاب
الاربعة وفيما هو في بعض الطريق خطر له ان يصيد فتخلف عنه دارتانياان واصحابه الى
حانة في طريقهم فجمعوا يشربون واذا برجل قد وقف على الحانة ونظر اليهم ثم التفت

الى دارتانيان فقال ادرتانيان الذي ارى قمام اليه دارتانيان وسل سيفه ولاقاه وقال
لقد طامنا فررت مني اما الآن فلا تفتك قال الامر اعظم من ذلك وانا آت من قبل
الملك لا آخذ منك سيفك واقودك اليه فلا تمنع قال من انت قل انا دي روشفور خادم
الكردينال ريشليه وانا مأمور ان اخذك اليه فقال اتوس نذهب الى الكردينال اذن
قال اني سأرسله مع الحرس الى روشل حيث يقابل الكردينال في المعسكر قال اتوس
اذن نذهب معه فلا نفارقه قال اذا سلمني دارتانيان سيفه تذهبون معه قال هذا سني
فخذه قالوا لا حاجة الى الحرس فنحن نأخذ دارتانيان الى الكردينال قسماً بالله وبالشرف
قال اذن انا واثق بكم لانكم نبلاء فاذهبوا وانا ذاهب في امر آخر فقال له اتوس اذا
كنت ذاهباً في طلب ميلادي فلا تتبع فانك لا تجدها ابداً قال واين هي قال
ستعرف ذلك اذا بلغنا المعسكر فعاد روشفور معهم حتى بلغوا المعسكر فقابل الكردينال
الملك بالاجلال والتعظيم ثم استأذن وسار الى مقره فوجد دارتانيان على الباب اعزل
واصحابه الثلاثة بسلاحهم فاشار اليه ان يتبعه ودخل فتبع دارتانيان الكردينال الى ان
بلغ غرفته فجلس ووقف دارتانيان امامه فقال له لقد امرت بامساكك قال نعم كذلك
بلغني قال أو تعلم لماذا قال ان الامر الذي يوجب امساكي لم يبلغك بعد يا مولاي قال
ماذا تعني بذلك قال ليتفضل مولاي الكردينال باعلامي بما أوجب امساكي ثم اعلمه
بخبري قال انك متهم بأمور تطير لها رؤوس اشد ارتفاعاً من رأسك قال ماهي بامولاي
قال انت متهم بانك خابرت اعداء المملكة وانك سرقت اسرارها وغير ذلك من التهم
قال انا ادري من اتهمني بذلك فانها امرأة موسومة بزهرة على كتفها تزوجت رجلاً في
فرنسا ثم تزوجت آخر في انكلترا فقتله بالسهم وحاولت ان تسني انا قال ماذا تقول
واي امرأة تعني قال لادي وتتر نفسها فانك يا مولاي جاهل جرائمها حتى شرفتها
بتسليمها امورك قال اذا كانت ميلادي كذلك فيجب ان تعاقب قال لقد جرى عليها
العقاب يا مولاي قال ومن عاقبها قال نحن قال هل هي في السجن قال لا بل في الجحيم
قال او نجسر ان نقتلها قال لقد حاولت قتلي ثلاث مرات ثم قتلت حبيبتى فاخذناها انا
واصحابي وحاكناها وقتلناها ثم اخذ يقص على الكردينال كيفية موت بوناسيه ولحاق
ميلادي وقتلها على نهر ليس فارتعد جسم الكردينال من ذلك وقال اني لكم الحكم في

ذلك ولستم بقضاة فأنتم اذن قتلة قال اقسام لك يا مولاي باني لم امنع حياتي عنك فاذا شئتها فخذها فلا خير فيها قال نعم اعرف انك شجاع يا دارتانيان ولذلك فانت تحاكم ثم يحكم عليك قال لكن يوجد من يردك عن ذلك اذا ظهر لك صك البراءة قال بخط من موقع عليه قال بخطك يا سيدي ثم اخرج له الورقة فقرأ

« ان حامل هذه الرقعة قد صنع ما صنع بأمرى ونخبير المملكة فلا يعارض »

« كتب في معسكر روشل في ٥ آب سنة ١٦٢٨ » « ريشليه »

ثم اخذ الكردينال يفكر فقال دارتانيان انه بهي لي نوعاً من الموت فسأريه كيف نموت النبلاء ولبث الكردينال غائصاً في افكاره وهو يقلب الورقة بين يديه ثم مزقها فقال دارتانيان في نفسه هلكت والله ثم دنا الكردينال من المائدة واخذ القلم وجعل يكتب على ورقة ودارتانيان يظن انه يكتب الحكم عليه بالسجن ثم ناوله اياها فقرأها واذا بها امر بتعيينه ضابطاً في حرس الملك فوقع دارتانيان على رجلي الكردينال وقال لقد غمرتني بفضلك يا مولاي وانا غير مستحق لذلك فان اصحابي اكثر استحقاقاً مني فقال لا بل انت شجاع بطل تستحق كل رتبة وان اكن لم اكتب اسمك فانما اياك اعني ثم نادى الكردينال بروشفور فدخل فقال له هذا الكونت دارتانيان قد دخل في جملة اصحابي فاحتفظ عليه وعانقه فدنا منه روشفور فتماثقا بطرف الشفاه ثم خرجا فقال روشفور قد اتقينا والحمد لله قال نعم فتى نلتقي قال سنتقي واذا بالكردينال قد فتح الباب وسمل فالتفتا اليه وسلما عليه وخرجا فقايله اتوس فقال لقد جزعنا لغيابك قال لم اخرج فقط بل خرجت ومعي رتبة فهل لك ان تقبلها فان الاسم غير مكتوب فيها فقال لا بل هي لك ثم عرضها على اراميس وبرتوس فلم يقبلها وقال له انك لم تنزل شاباً وانت في حاجة الى المراتب والرفعة

وكانت روشل قد يشت من النجدة لموت يكنهام فسلمت بلا حصار في الثامن والعشرين من شهر تشرين الاول سنة ١٦٢٨ وعاد الملك الى باريز فدخلها في الثامن والعشرين من شهر كانون من السنة نفسها فكان له احتفال شائق لم يجز مثله قط اما دارتانيان فاقام على قيادة فرقه الجديدة وترك بورتوس خدمة الحرس وتزوج بعشيقة وذهب اراميس فساح في البلاد ثم اتقطع عن مكاتبه اصحابه فسألوا عنه

ذي شفريرز فقالت انه دخل احد الاديرة وترهب ولبث اتوس حارساً تحت قيادة دارتانيان الى عام ١٦٣١ ثم ترك الخدمة وذهب الى ارث ورثه فاقام في روسيليون وتبعه خادمه كريمود اما دارتانيان فنزل روشفور ثلاث مرات وفي كلها يجرحه ثم صالحه واخاه وادخل بلانشت خادم دارتانيان في حراس الكردينال وعاش بوناسيه صاحب الفندق لا يعلم ماذا حل بامرأته ولا ابن هي والله تعالى اعلم بالصواب انتهت

قد اتينا بحمد الله تعالى وحسن مدده الى خاتمة الجزء الاول من هذه الرواية تحت عنوان «الفرسان الثلاثة» وسنبهه بالجزء الثاني منها بعنوان «رجع ما انقطع» بحيث يكون الكتابان رواية واحدة يعاد في ثانيها على تمام ما انقطع منها في ختام الاول ويتخلل ذلك نبذة مهمة من تاريخ فرنسا وانكلترا في ذلك العهد الذي عني المؤلف رحمه الله في ان يجمع حوادثه الخطيرة المشهورة على نسق يلذ للذوق بما يدخل في تضاعيفه من الاخبار والحوادث الخارجة من متن التاريخ تفكها للقراء وتسليه لخواطرم بحيث يقف المطالع على جل تاريخ فرنسا في عرض حكاية فكاهية ادية لا تستوجب مللاً ولا تستدعي كلاً بخلاف التاريخ المحض عند العامة اذ تورد حوادثه متتابعة على وتيرة الجد والاهتمام فستجلب الضجر وتورث السأم على خلوها مما يقف الاخلاق ويقوم الآداب كما هو شأن الروايات الفكاهية ولذلك فقد اخترت ان ألحق هذا الجزء بما قبله في التعريب توفية للفائدة واتماماً للخدمة والله اسأل ان يهدينا الى طريق الحق والصواب ويسدد اقلامنا الى حكاية الصدق في كل عمل وكتاب انه ولي الامور واليه المرجع والمآب

رواية

رجع ما انقطع

بعد عشرين سنة

وهو الجزء الثاني من رواية

الفرسان الثلاثة

وتواليها

رجع ما انقطع — عودته على بدء جزء اول — عودته على بدء جزء ثاني

وتعريب

تأليف

فقيه النظم والنثر

الروائي الشهير

المرحوم الشيخ نجيب الحداد

اسكندر دوماس الكبير

طبعة ثالثة

على نفقة

مترى زيدان

مطبعة الهلال بالقاهرة

سنة ١٩١٣

رجع ما انقطع

الفصل الاول

خيال ريشليه

بعد ان مضى على روايتنا الاولى عشرون سنة من تازيخ حدودها كان الملك لويس الثالث عشر قد مات على اثر موت ريشليه وخلفه في الوزرة الكردينال مازارين وهو رجل ايطالي المحتد شديد الحرص على المال والبخل به فزاد الضرائب على اهالي باريز وكثر تقاضي الجباة لهم حتى انفوا من ذلك وثاروا على الكردينال يطلبون سقوطه ويهددون المدينة بالثورة اذا لم تخفف عنهم الضرائب الفادحة ثم ثاروا على كومنج رئيس المحافظين فجرحوه ولم يفلت منهم الا بجريمة الذقن واخذ سراهم واغنياؤهم يتجمعون عصائب فيذهبون الى الكردينال وغيره فلا ينالون الا وعوداً عرقوبية حتى قامت السكان على ساق وقدم واخذت تهول على المدينة والقصر باطلاق الرصاص والصراخ الشديد بقولهم ليسقط مازارين حتى الجئت الحكومة الى ان تقيم حفاظاً وحراساً في كل طريق يمنعون الهياج ويهددون العامة بالقتل الذريع اذا حركوا ساكناً من الثورة بحيث كانت باريز في ذلك العهد على قدم الفتنة ووشك الثورة

وكان في ذلك اليوم الذي تبدأ فيه هذه الرواية رجل جالس في قاعة من قصر الكردينال ريشليه يخاله الناظر اليه انه هولولا ان فرنسا في عهده كانت شديدة الضيق والخرج وكان ملكها لويس الرابع عشر لم يبلغ حد البلوغ وكانت وصيته على الملك امه حنه دوتريش ووزيرها مازارين المتقدم ذكره بخلاف ما كانت عليه في ايام ريشليه من خفض العيش وعدالة الاحكام وهدوء الشعب وسكونه

وكان الكردينال مازارين في ذلك اليوم جالساً في تلك الغرفة التي ذكرناها مطرقاً برأسه الى الارض يفكر في حال الشعب وثورته ويسمع اطلاق بنادقه فيزداد همّاً وكرباً

وتساوره الاحزان بما يصدع القلب حتى تنفس الصعداء وجعل يخاطب نفسه ويقول
عذيري من هذا الشعب الخائن الهاجج علي لا اسمع منه الا الشتم والثلب يقول
اني غريب ايطالي حتى لقد قتلوا كونسيني غدرًا وظلمًا وهم يريدون ان يلحقوني به مع
اني لم اذنب اليهم ولم اقصد لهم عداء ولا شرًا . يحسبون الفجرة اني عدوهم الالد
فيثورون بي وهم لو دروا ما تكن قلوب زعمائهم لانصرفوا عن معاداتي الى معاداتهم
ولكنهم قوم يخدعون بالكلام اللين حتى يضرب على ابصارهم حجاباً عن نور الحق
فلا يبصرون

اما والله لئن يكن زعمائهم اشراف الانساب والالقب فما انا بدونهم شرقاً وعزاً
فانا زوج الملكة وصديقتها وهذا خاتم القران في يدي يشهد باني نعل ملكتهم فاذا تراه
يصنعون (ان الكردينال مازارين قد تزوج بالملكة حنة دوتريش لانه كان كردينالاً
غير ممنوع عن الزواج) فهم الآن ينادون ليسقط مازارين فوالله لاؤدبنهم غير هذا
الادب واعلمهم غير هذا النداء فان الذين ينادون بهم مثل بوغور والامير والبرلمان قد
سعت في ابعادهم عنهم فاصبح بوغور الآن في فنسان وسيتبعه الامير عم الملك عن
قريب اما البرلمان ... ويلاه من البرلمان سنرى ما نعمل في امره . واني لاعجب والله
كيف كانوا يفضون ريشليه ويذمون في حياته وهم الآن يكون عليه ويأسفون لماته
في حين انا ارفع منه قلراً واعظم شأنًا فهو قد طرد من المملكة مراراً حتى مات وهو
يخاف من الطرد اما انا فلا تطردني الملكة بل اذا خضعت للشعب تخضع معي واذا هربت
تبعني وسنرى بعد ذلك ما يفعل هذا الشعب المائق اذا فارقه ملكه وملكته .
فياحبذا لو كنت من ابناء فرنسا واهلها اولو كنت رجلاً شريف المحتد عريقاً في
النسب اذن والله اكون ملكاً ولكن قدر فكان

وبعد ان فرغ من هواجسه رفع رأسه وصفر فابتدر اليه خادمه من ورائه فقال
له من بالباب من الحراس قال الحرس الاسود يا مولاي من قيادة دي تريفييل قال
ومن زعيمهم قال دارتانيان قال أمن يوثق بهم قال نعم قال فانتني اذن بزني الحراس
فذهب الخادم وكان يدعى برنوين فاتاه بشياب من زي حراس الملك فلبسها وقال
للخادم ادع لي دارتانيان ففعل ودخل عليه دارتانيان (صاحبنا المعهود) وكان قد بلغ

الاربعين سنة فنظر واذا به يرى رجلاً من الحراس ثم امعن به فلم انه الكردينال
قهيب في وقفته وسلم عليه سلام الامراء فقال له الكردينال انت دارتانيان قال نعم
قال اني دعوتك في شأن لي لتذهب معي او اذهب معك قال دعوت سميماً مطيعاً
يا مولاي فعسى في الامر خيراً قال عزمت على ان ازور بنفسي مواقف الحرس حول
قصر الملك واتعهد رجالهم اترى ان في ذلك خطراً قال وما عسى ان يكون الخطر قال
يقال ان الشعب ثار هاج في باريز قال نعم ولكن لزي الحراس هذا هية وحرمة عند
الشعب فلا يجسرون على الاقدام عليه وهبهم فعلوا فاتا زعيم اني باربعة من حراسي
اهزم مئة منهم قال اظنك قد رأيت ما فعلوا بكومنج قال نعم وذلك لانه كان لا بساً
ثياب المحافظين وشتان بين المحافظين والحراس عند الشعب في المهابة والوقار قال اذن
تعتقد ان الحراس ارفع رتبة واشد بأساً من المحافظين قال نعم وكل فتاة بايها معجبة قال
الكردينال هلم بنا اذن او ليس عندك خيول مسرجة قال نعم فهل نصحب معنا احداً
قال ذكرت انك بأربعة من جنك تهزم مئة من العامة وعلى ذلك فخذ ثمانية اذ لا
يبعد ان نصادف منهم مائتين ثم فتح الكردينال باباً سرياً ونزل بدارتانيان من سلم
خفية الى ساحة القصر الملوكي



الفصل الثاني

دورة في الليل

وبعد قليل سارت تلك السرية من شارع بون افنان من وراء الملعب الذي بناه
ريشيليه ومثل به اول رواية فرنسوية وكانت المدينة في اثناء مسيرهم مكتظة بالناس
يمرون فيها رزداً بعد رزداً وعليهم علائم الهياج وهيئة الثورة والغضب ثم اطلقت عدة
بنادق واخذت نواقيس البيع تفرع كل ذلك ودارتانيان سائر في رأس هذه الكوكبة
من خياله يشق صفوف الناس غير مبال فيفترقون من وجه جواده كانه ساعة هبطت
من السماء ولم يزل يسير في مقدمة رجاله حتى بلغوا المركز الاول من الحرس فصاح بهم
قائده من يحمي فاجابه دارتانيان الجواب المألوف وسأل الكردينال عن كلمة المرور فقال
هي «لويس وروكروي» فالتقاها اليه ثم قال له من رئيس هذا المركز فاشار الضابط الى

رجل واقف على مقربة منهم متكأ على معرفة جواد يخاطب راكمه فتبينه دارتانيان فاذا به كومنج فاخبر الكردينال فتقدم الى المتحادثين فعرفاه وسلموا عليه فالتفت الى الراكب منهما وقال له عافاك الله يا كيتو فاني اراك لا تزال على ما كنت عليه من النخوة والاخلاص وان تكن قد بلغت الرابعة والستين من العمر فما ترى كنت تقول لرفيقتك هذا الشاب قال كنت اقول له ان يومنا هذا اشبه بيوم تجمع الكاثوليك في فرنسا في ايام آبائنا فقال لي ان مثل ذلك اليوم لا يعود الا اذا حضر له مثل الدوق دي كيز وهو محال الآن وفيما هما يتحدثان فتحت نافذة في ذلك الشارع واطل منها رجل وجعل يتغنى بصوت فيه شتيمة للكردينال فانف لذلك كومنج وقال للكردينال الا يأذن لي مولاي بان اطلق على هذا اللئيم رخصة تنطلق نفسه على اثرها الى الجحيم قال لا واياك ان تفعل فاني اعرف الفرنسيين حق المعرفة حتى كاني جبلتهم بيدي فهم كالماء العالي اذا رفع عن النار لا يلبث ان يهدأ جاشه وسترى كيف يسكن جاشهم بعد قليل ثم التفت الى كيتو وقال له هيا بنا ننظر النقطة الاخرى من الحرس وودع كومنج وانطلق بكوكبته يتقدمها دارتانيان حتى بلغ المركز الاخر فتفقده فالتقاها حسناً اميناً فانصرف عنه الى غيره فسأل من رئيسه فقيل له فيليكيه فقال الكردينال لكيتو تقدم اليه انت فاسأله عني فتقدم اليه فبدره الرجل وقال ماذا اتى بك في مثل هذه الساعة يا كيتو قال اتيت لاعلم هل جرى امر جديد في هذه الجهة قال اي جديد عساه يكون سوى ان الشعب ينادي ليحيى الملك ويسقط مازارين وذلك ليس بالامر الجديد وما يوم حليلة بسرواني علم الله لاعذر الشعب في قوله ذلك وتبرمه من الكردينال فعلى من لو نقص من عمري خمس سنوات وزيدة في عمر الملك قال وما ترى ان يكون لو كان عمر الملك زائداً خمس سنين قال اذاً يكون رجلاً راشداً فيتولى الملك بنفسه ويصدر اوامره من فيه فيسر الناس ان يطيعوا ابن هنريكوس الرابع اكثر من ان يطيعوا ابن ياترو مازاريني واني شهد الله لاجد الموت حلواً في سبيل خدمة الملك وطاقته اما في خدمة مازارين فلا . بل هي خدمة تؤدى الى النار ولا اثر فيها للجهاد . وفيما هو يتكلم اذ بالكردينال وراهه يقول احسنت يا فيليكيه وسأحسن ذكرك واطنب في اخلاصك لدى الملك فاني قد سمعت ما قلت ثم التفت الى رجاله وقال لهم هلموا يا قوم نرجع من حيث اتينا فان الامور جارية على مايرام

ثم لوى عنان فرسه وسار برجاله وجعل فيليكه ينظر اليه مدبراً ويقول اما والله لقد طالما كانت هذه الحزازة تحك في صدري وانا احب ان انقشها في اذن الكردينال حتى قضى الله امراً وجب لك علي فيه الشكر يا كيتولانك سهلت لي صعابه . اما الكردينال فسار وهو يفكر في امره وقد زاده ما سمعه من فيليكه همأ على همه فلم يبق له امل باحد غير الملكة وهو امل ضعيف والامل على قدر المأمول وكان الكردينال اثناء مسيره يتأمل في دارتانيان ويعجب من شجاعته وشدة بأسه وعدم مبالاته بالاطار في ايراده ذلك الشعب الهاج صدر جواده كانه يتخطر في جنة بين ازهار ولم يكن سمع بذكر دارتانيان الا قليلاً لانه قدم فرنسا عام ١٦٣٥ وذلك بعد حادثة دارتانيان المشهورة بعشر سنوات بل كان يتردد ذكره على سمعه كانه ذكر رجل وقف نفسه للشجاعة واهوالها وتقحم اخطارها

وكان يجب ان يستطلع طلع دارتانيان من غيره ويقف على حقيقة امره ممن يعرفونه فلما بلغ جدار جنينة القصر الملوكي حيث خرج طرق باباً صغيراً فيه وقال لدارتانيان ان ينتظره في ساحة القصر ثم دخل و اشار الى كيتو باتباعه فنزلا عن فرسيهما وسارا في حديقة القصر فاتكأ الكردينال على ذراع كيتو وقال له قلت لي ايها الرفيق ان قد مضى عليك عشرون سنة في خدمة الملكة فاناسائك الآن عن ضابط الحرس الذي كان معنا وهو دارتانيان فهل تعرفه قال نعم من زمن غير يسير وهو غسقوني المحتد قال انا اعرف ذلك ولكنني اسألك هل هو ممن يوثق بهم وتوكل الامور اليهم عند الحاجة وهل هو ذو وقائع تشهد له بذلك في غابر ايامه قال نعم يا مولاي فقد كان له احسن بلاء واصدقه في حصار روشل وسيز وغيرهما حتى سمعت عنه انه قام بما هو فوق الواجب ووراء المطلوب قال تعلم انا معاشر الوزراء نحتاج الى رجال غير الشجعان والابطال كأن يكونوا ذوي حيل ودهاء فهل يعتمد على دارتانيان من هذا القبيل وهل كان له دخل في دسائس ريشليه التي يتحدث الناس بها الى الآن قال ذلك امر لا اعلمه يا مولاي الا من الناس ولم يكن لي دخل قط في الدسائس وشؤونها ثم ان تكن وظيفتي قد قضت علي في بعض الاحيان بالوقوف على شيء من قبيل ذلك فهو سرّاً لا بد لي في افشائه لانه لمؤتمني عليه وما اظن سيدي الكردينال يستحسن افشاء الاسرار بغير ارادة اصحابها

فتأوه الكردينال وقال يا حبذا الوزراء السعداء الذين يعرفون كل ما يريدون عرفانه
قال كيتو ليس ذلك بصير عليك يا مولاي فانت تقدر ان تخاطب رجال الشجاعة
والحرب بما يلزمك من شأنهم وتخاطب رجال الدسائس والدهاء بما هو من قبيلهم فتنال
من كلا الفريقين حظاً مما تريد فلو وجهت الى احد دهاة العصر لافادك عن كل ما تروم
بشرط ان تحسن جزاءه من المال فامتعض الكردينال لذكر المال ونعر نكرة منكراً لشدة
حرصه عليه فقال له كيتو واذا اراد مولاي فانا ادله على بغيته من هذا الشأن رجلاً لا
يفوته امر من الخداع ودسائس الكردينال السابق قال ويحك هذا بغيتي فمن هو قال
الكونت دي روشفور الا انه قد مضى عليه خمس سنين ولم اراه ولست ادري اين
تقدر ان تجده قال انا عالم بمقره فسأري في امري معه فاذهب انت الآن مصحوباً
بالسلامة ثم شيعه الى باحة القصر فوجد دارتانيان يتمشى فيها فبعد ان انصرف كيتو
اشار الكردينال الى دارتانيان وقال له تعال فان لي معك شأنًا وسارقتبه حتى بلغ به
قاعته التي خرج منها فجلس على منصته واخذ ورقة وكتب اسطراً ثم ختمها بخاتمه
واعطاها لدارتانيان وقال له تذهب بامري هذا الى سجن الباستيل فتأتي بالرجل المطلوب
فيه وتأخذ معك مركبة تضعه فيها وحرساً بحفه لتكون اميناً من فراره واياك ان يفلت
منك فأخذ دارتانيان الامر فذهب فأخذ اربعة فرسان وعربة وركب جواده وسار
الى سجن الباستيل

الفصل الثالث

عدوان قديمان

وكان رئيس سجن الباستيل يومئذ رجلاً يقال له دي ترامبلي وهو احد المقر بين
الى ريشليه في حياته ثم لم يزل في منصبه بعد موته فوصل دارتانيان اليه عند الساعة
الثامنة ونصف وطلب الرئيس فأتى اليه فتأوله الاذن وقال له ان الامر معجل فلا تتماهل
فنادى الرئيس بالسجان وقال له احضر السجين عدد ٢٥٦ ذلك لان الرجل متى دخل
في الباستيل سجيناً يصير اسمه عدداً فمضى الرجل السجان يفتح تلك الابواب الهائلة فيسمع
لقلقة المفتاح في اقفالها صوت نحيف مرعب ولا جرم فهو صوت الظلم وصدى الجور

والاستبداد ثم جي بالسجين فأجفل دارتانيان عند مرآه اذ وجده الكونت دي روشفور فأصعده في العربة وقال لاحد الجند الذي معه خذ بلجام جوادي معك فانا جالس مع الاسير لان العربة لا اقفال لها واخشى ان يفر منها ثم جلس الى جانب روشفور وقال للسائق اذهب الى القصر الملوكي على عجل ثم التفت الى روشفور وقال الكونت روشفور قال نعم دارتانيان قال نعم ولي اربع سنين لم أرك حتى حسبتك ميتاً قال لم تخط في حسابك فانه لا فرق بيني وبين الميت وياليني كنت ميتاً فهو خير لي من هذا العذاب قال وبأي جريمة انت في الباستيل قال والله لا ادري لم ولا اعرف لي ذنباً قال اتكمم علي يا كونت قال لا وايبك بل هي الحقيقة التي لا ريب فيها والذي اعلمه اني اخذت في الليل اذ ظنوني سارقاً وانا لا ازال هنا من نيف وخمس سنوات غير اني ارى في الامر سبباً غير هذا فالى اين تذهب بي الآن قال الى الكردينال ولا ادري لماذا بل لم اكن عالماً اني آت في طلبك قال ان هذا لا يكون مع رجل مثلك مقرب من بلاط الملك قال انا مقرب من بلاط الملك فوالله لقد كنت ايام اتيت من غسقونيا وقابلتك في مينك اشد نفوذاً واحسن حالاً مني الان اما سبب ارسالي اليك فلاني وجدت بالاتفاق في بلاط القصر فدعا بي الكردينال وامرني بالاتيان بك ولو وجد غيري لاناط به ذلك فاني لا ازال على ما تعهدني ضابطاً في حرس الملك من نيف وعشرين سنة قال اذن فاحمد الله على حفظك سالماً كل هذه المدة ولا تدم صروف الدهر اما سمعت ما قيل

وان امرءاً امسى واصبح سالماً من الناس الا ما جنى لسعيد
فقال دارتانيان ويحك وما عسى ان يصيبني وانا على حالي هذه من الوضاعة والذلة
ان الرياح اذا هبت عواصفها فليس ترمي سوى العالي من الشجر
واتا من اضعف نبت الارض واصغره قال اذن مازارين لا يزال على حاله قال واحسن
حالاً مما تعهده وقد قيل انه تزوج بالملكة قال انظر ويحك كيف تقول قال ان لم يكن
زوجها فهو عشيقها قال عجباً والله اتمنع نفسها يكتنهم وتبذلها لمثل مازارين قال لا تعجب
فتلك حال النساء قال اذكر انها ملكة يادرتانيان قال نعم وهو ما يزيل العجب من
فعلها فان الملوك لا تتحرم شيئاً قال ألا لا يزال دي بوفور في السجن قال نعم ولا امل

باطلاقه بل انت اقرب الى الاطلاق منه قال اذن هي الحرب ستثور قال ذلك غير بعيد
قال مع اسبانيا اظن قل لا بل مع باريز ألا تسمع طلقات البنادق فهي عن ثورة العامة
قتال روشفور يا لبني كنت حراً قال لا تبأس من رحمة الله فان الكردينال لم يدعك الا
لخير فيما ارى أفلا تماقديني على امر قال وما ذاك قال اذا حسنت بك الحال مع الكردينال
أن لا تنسني :

ان الكرام اذا ما اسروا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن
قال وانت تفعل ذلك قال نعم والله ولي التوفيق قال ولكن لا تنس اصحابك قال واياهم
تعني قال اتوس و بورتوس و اراميس فما عهدك بهم قال عهدي بهم بعيد من يوم فارقتهم
ولست ادري اي البلاد انطوت عليهم سوى اني اعلم انهم لا يزالون احياء اما الآن
فليس لي من صديق سواك يا روشفور قال وخادمك بلاشت ماذا جرى عليه قال
تزوج امرأة حسنة واتخذ حانوتاً يبيع به الحلواء في شارع لومبان وحسنت حاله في باريز
حتى صارت له شهرة بين اهلها وارى انه سيسبق سيده في مراقي التقدم قال لا تبأس
ايها الصديق من النجاح فان الدولاب لا يرتفع السافل فيه الا متى بلغ الخضيب فابشر
فسي ان يكون هذا اليوم بداية ايامك في السعادة قال تقبل الله منك انه سميع مجيب
ثم نادى السائق بالوقوف وقال لروشفور لا يحسن بنا ان ندخل القصر جنباً الى جنب
فانا ذاهب عنك فاذا كر العهد ولا تنسه ثم ركب جواده وسار مع حرس المركبة حتى
بلغوا القصر فانزل دارتانيان الاسير وسار به في البلاط حتى بلغ غرفة الكردينال وهم
بطرفها فوقفه الكونت وقال له اتدري ما كان يخرج فكري وانا معك في العربة عندما
كنت ارى عصائب العامة تمر من امامي وتنظر اليك والى رجالك بعين الغضب والحقن
قال لا فما ذاك قال ان استصرخ الناس عليكم متظاهراً فلا يلبثون ان يمزقكم ارباً ارباً
فاخلص انا وافر حراً مطلقاً قال وما منكم من ذلك قال الوداد والعهد الذي بيننا والله
لو كان خفيري غيرك ما توقفت عن ذلك الرأي قال والله لقد احسنت وانا لا اكون
الأم منك وسترى بلائي معك ان شاء الله ثم دخل على الكردينال واخبره بمجيء الاسير
فامر بادخاله فدخله وخرج فنظر روشفور في الغرفة فرأى ازارين بثيابه المألوفة جالسا
في منصته وهو يصعد نظره فيه ويصوبه وكانت ظلمة السجن وسوء هوائه وخشنة

ثوانه قد جعلت الكونت ذميمة رث الثياب فاقحمته عين الكردينال لثانته وقال
لنفسه أهذا من رجونا ان تريبه ثم رفع رأسه اليه وقال قد وجدت رسالة منك ارسلتها
اليّ تطلب فيها الاطلاق فانت اذن لا تزال في السجن قال انت اعلم يا سيدي فيما
اظن قال لا وابي فانه لا يزال في الباستيل سجناء لا اعرفهم حتى الآن وهم من عهد
ريشليه قال نعم ولكن امري انا في غير ذلك فاني بامرك سجنتم في الشاتليه ثم نقلت
الى الباستيل قال قد ذكرك ذلك الآن وانت مصيب وقد كان ذلك لابنك ايت على
الملكة ان تسافر في خدمتها الى بروكسل قال تلك اذن حقيقة ذنبي فوالله لقد مضى
عليّ خمس سنوات ابحت عنه فلم اهد اليه قال رويدك فليس ذلك كل ذنبك ألم
تكن ايت السفر على الملكة الى بروكسل ثم ذهبت اليها في خدمة الكردينال ريشليه
قال نعم وذلك لاني كنت مقيداً في خدمة ذلك الكردينال فلم يكن من واجب خدمتي
ان انصرف الى قضاء حاجة الملكة ثم لقد كنت في بروكسل في حالة هائلة الخطر في
حين كانت موامرة كاله فكنت سفيراً بينه وبين الارشيدوق ولوعرف امري احد
يومئذٍ لذهبت قطعاً على حدود السيوف وكنت لو مضيت في خدمة الملكة مضراً لها
اكثر مما كنت انفعها قال صدقت وكثيراً ما يكون الخلل في البلاغ مهواة في الذنب فان
الملكة لم تتخذ اباؤك لامرأها الا على محمل الرفض والمعصية حتى انها كثيراً ما شكت
منك الى الكردينال السابق قل اذن لاني محضت النصيح والخدمة للكردينال تريدان
تستخدمني انت بعد وفاته وتكون خليفته عليّ قال لا يا بني شتان ما انا والكردينال
فذلك رجل كان واسع العظمة شديد القوي والاعتدار اما انا فلست الا وزيراً حقيراً
لام لي الا خدمة الملكة ونوال رضاها فهي الآمرة بسجنك لا انا فاني لم اكن الا
رسولاً في اتقاد امرها وما على الرسول الا البلاغ المبين وهي قد فعلت ذلك بك املها
انك رجل كبير السطوة والابهة في الدولة فأمرتني ان استوثق منك واتقي شرك ولذالك
صرت بك الى سجن الباستيل اما الآن فقد ايتت بك لاني اصبحت وبالتالي اصبحت
الملكة لاني لست الا خادمها في حاجة الى اعوان امانا فانا لا اصدع الا بما أوامر
ولست كالكردينال السابق افعل ما اريد وسترى ذلك مني ان شاء الله قال انا موقن
بما تقول ومستعد لان اخدمك بما تريد ويعفو الله عما مضى وان تكن الملكة قد اساءت

الي خمس سنين قضيتها في الباسنيل بالذل والهوان اتقلب في ارضه على مثل شوك
 القناد وقضتها هي اعزها الله تتقلب على حشايا الدمقس ومهاد الحرير
 قال ويحك يا كونت اتظن ان القصر اخف عذاباً من السجن لا وايبك فان
 للبلوك من هموم الملك ومعاناته ما يجعلهم في عذاب دائم وهم مستمر ولكن ما لنا ولذلك
 الآن فهل انت من حزبنا قال والله لا ادري يا مولاي ما حزبكم من غيره فقد مر علي
 ذلك الحين الطويل في الباسنيل لانهب عليّ فيه نفحة من النسيم فكيف من السياسة
 ولكني لا ازال على ما كنت عليه قبل دخولي الى السجن من التحزب لباسومبير فهلا
 يزال احد السبعة عشر من النبلاء قال انه قد قضى ولك البقاء رحمة الله عليه فقد كان
 مخلصاً للملكة مات فقيداً مأسوفاً عليه وما اقل المخلصين في هذا الزمان فما شهادة
 الاخلاص يا كونت قال الاعمال قال واين توجد رجالها قال لا تعدم الدنيا رجالاً يقومون
 بالمعروف ويخلصون في الخدمة وللارض من كاس الكرام نصيب . ولكنك يا مولاي
 لا تدري كيف تبحث عنهم قال اذن كيف يجب ان ابحث وهل لك ان ترشدني في هذا
 الامر الى سواء السبيل حتى لا يضيع بجي عبناً فاني اعرفك من رجال الكردينال ريشيليه
 الذي لم يكن يتخب الا على شاكته فانت لا شك رجل محنك مثله قال اذن لا يفضب
 سيدي اذا نطقت بالحق قال لا بل قل وانت آمن قال تعلم يا مولاي ان الخادم يكون
 كسيده وكذلك كان خدام ريشيليه فانه كان لديه كثير منهم على تشعب احواله واضطراب
 جبل السياسة به وانه ينبغي لمن كان كثير الاعداء ان يكون كثير الاصدقاء قال ويحك
 واين توجد الاصدقاء فخطر للكونت عند ذلك عهد دارتانيان ورأى الفرصة قد سحنت
 فقال اني اعرف يا مولاي رجالاً قد اقتحموا الاهول وخاضوا المعامع حتى تغلبوا على
 الكردينال ريشيليه مع ما كان مشهوراً به من نفوذ السطوة وشدة الرهبة على املاقهم
 وقلة عددهم وصغر شأنهم حتى انهم حفظوا تاج ملكة على رأسها ورجعوا بذلك انف
 الكردينال وكذلك فلنكن الرجال والا فلا . قال اولئك قوم كانوا ضد الكردينال اذن
 فصرفوا جهدهم في اذاه قال نعم لانهم كانوا مخلصين للملكة وهي التي تطلب لها امثالهم
 الآن قال واني لك ان تعرف مثل هذه الامور قال لاني كنت عدوهم الالد يومئذ وكانوا
 يسمون في نكالي واسعى في نكالمهم حتى ان احدهم جرحني ثلاثة جروح وفاء لدين قديم

كان بيني وبينه وحسبك بشهادة العدو لعدوه شهادة صدق فتأوه الكردينال وقال من لي بمثل هؤلاء الرجال قول ان واحداً منهم مرابطاً لبك من نيف وعشر سنوات واذت لا تفكر به ولا تعده لشيء وهو دارتانيان الفارس البطل فقال الكردينال أهذا الرجل الفسقوني تعني قال نعم فان هذا الفسقوني قد خاص ملكة عظيمة حتى اقر ريشيليه أنه في حاجة الى ان يتعلم السياسة من امثله وهو على ما هو عليه من الخدق في هذا الفن قال بالله الا ما عصمت علي طرفاً من هذا الشأن قال ذلك فوق الامكان قال اذن يخبرني به دارتانيان قال انا في ريب من ذلك فهو سر ليس له به علاقة بل هو للملكة عظيمة كما قلت لك وهو اشرف نفساً من ان يبوح به قال وهل قام بهذا الامر وحده قال لا بل كان يعاونه فيه ثلاثة لا يتقصون عنه في جميع اخلاقه وصفاته بحيث كان الاربعة يرمون عن قوس واحدة كأنهم قدوا من قطعة واحدة قال لقد زدني رغبة في استطلاع هذا الامر اؤلا تقصه علي قال اما ذلك فلا سبيل اليه ولكنني اقص عليك قصة اخرى تقاربها جرت في غابر الايام ثم سرد له قصة لملكة وبيكنهام وما فعل الفرسان الاربعة في استجلاب العقيد من لندرا كما اسلفنا ذكر ذلك في رواية الفرسان الثلاثة ولكنه نحرز من ان يذكر اسم علم من اعيانها بل قال كانت ملكة ووزير وملك وامثال ذلك من غير ان يسمي احداً منهم الا الحراس الاربعة فقال الكردينال بعد ان اخذ منه المعجب وهل كان دارتانيان في جملتهم قال بل كان رئيسهم ومرجع امرهم قال وما كان من امر الثلاثة الباقين قال دعني اقف كلامي على دارتانيال فهو الذي اعرفه اما الباقون فاستخبر عنهم منه فهو ادري بهم لانهم اصحابه حتى اني لا اعرفهم الا باسمائهم الظاهرة التي لا معنى لها قال اراك تحاذر مني يا كونت كاني عدوك ولكن لا بأس فانني حاجة اليك واليهم قال اذن فابدأ بي من بينهم لانك اتيت بي من السجن لهذا الشأن فيما اري قال اذن اكلفك في ان تذهب الى فنسان حيث يقم الدوق دي بوفور اسيراً فتحتفظ به جهديك قال انك تحملني يا مولاي ما لا استطيع عليه صبراً قال وكيف ذلك قال لان بوفور صديق لي وانا صديق له ولعلك تذكر يا مولاي انه هو الذي كان يدافع عني ادى الملكة قال نعم ولكنه قد صار من ذلك العهد عدو للملكة قال نعم ياسيدي اني لست اسكاً ولا وزيراً ولا ملكة ولذلك فلم يكن بعدولي وكانت خدمتك هذه فوق

طاقتي وامكاني ثم تعلم ان الانتقال من الباستيل الى قنسان لا يكون الا من قبيل
مراعاة النظر اذ لا اكون انتقلت من محبس الا الى مثله
قال اذن انت من حزب بونور فلم لا تقول ذلك وتخلص من تحمل الاعذار قال
اني لست من حزب احد فابعث بي ايان شئت فانا طوع امرك وجنيتي هذا الشأن فاني
لا طاقة لي به قال كنت اظنك اعقل من ذلك فاذا بي اجدك عياً ضعيفاً فانت في
حاجة الى الراحة ولا يحسن العبد الكرّم ثم نادى برنوين خادمه فدخل فقال له ابغ لي
حارساً ففعل فكتب رقعة وسلمها للحارس وقال امض معه يا كونت قل اظنه يذهب بي
الى الباستيل قال لم تعد الصواب فاذهب قال اني ذاهب ولكني اقول لك انك اخطأت
اذ لم تعرف كيف تستخدمني قال كيف استخدمك وانت صديق لاعدائي فاذهب
ولا تظن ان ليس في فرنسا غيرك فاني اجد من هو خير منك اذا شئت واياك ان تعود
فكتب لي مرة اخرى فان كتبك ستكون وخير منها الهباء ثم خرج به الحارس وهو يقول
في نفسه سأرى ما يكون من دارتانيان متى اخبرته بمدحي له الا انه خاب امله لانهم
اخذوه من طريق اخرى فلم ير سوى العربية فصعد اليها وسارت به وهو يحرق على
الكردينال الارم ويقول سيعلم الظالمون اي منقلب ينقلبون

الفصل الرابع

حنة دوتريش في السابعة والاربعين من عمرها

ولما خلا الكردينال بخادمه اخذ يفكر فيما يفعل وطال به الامر قتال له الخادم الا
يامرني مولاي بشيء قال انزلي فاني ذاهب الى الملكة فاخذ الخادم شمعة ومشى امام
سيده في نفق سري كان يصل منه مازارين الى غرفة الملكة ولا يزال في القصر الملوكي
الى الآن فلما بلغ آخره وقارب غرفة الملكة وجد خادمتها بوفه وهي التي كانت مطلعة
على سرهما مع برنوين خادم الكردينال فارسلها تخبر بقدومه فدخلت على الملكة وهي
مع ابنها لويس الرابع عشر فاذنت بمجيء الكردينال وخرجت وكانت حنة دوتريش
جالسة على كرسي وابنها متكئاً على البساط يقاب في اوراق كتاب فيه صور مواقع
حرية فلما سمع بقدم الكردينال قام على ركبته وقطب حاجبيه ونظر الى أمه نظرة

منكرة وقال لها كيف يدخل هذا عليك بغير اذن منك فاحرث الملكة قليلاً وقالت انه يهني يا بني ان يدخل علي الوزير في كل ساعة ليخبرني بما يجري في مثل هذه الحال ولو كان يستأذن في كل مرة لطال بنا الامر قال اظن ان ريشليه لم يكن يدخل عليك هكذا قالت وما ادراك بما كان يفعل ريشليه وانت يومئذ طفل قال سألت فاخبرت قالت ومن مخبرك قال انه لا ينبغي لي ان ابوح باسم من اخبرني ولو كنت ممن لا يكتمون لما عرفت من ذلك شيئاً وما اتم كلامه حتى دخل مازارين فوقف له الملك واشرح كتابه واتكأ على مائدة هناك واستمر واقفاً ليجبر الكردينال على الوقوف فوقف الكردينال وسلم على الملكة ثم انحنى امام الصبي فاجابه باحناء رأسه قليلاً بكبرياء وعظمة ونظرت الملكة الى وجه الكردينال تستطلع منه سبب زيارته فاومض اليها بجمته فالتفت الى بوفه وقالت لها قد آن للملك ان ينام فنادي دي لا بورت وكانت الملكة قبل ذلك قد عرضت على الملك ان ينام وهو أبى حتى رضي في تلك المرة ولم يقدر ان يعارض فخرق الازم واصفر من الغضب ثم دخل دي لا بورت فذهب الصبي اليه من غير ان يودع امه فقالت له مالك ذاهباً من غير ان تودعني يا لويس قال لاني اظنك غاضبت علي حتى انك امرت بطردي قات لا بل خشيت ان يضر بك السهر وانت ناقة من الجدرى فتتكس لاسمح الله قال ولم لم تشفني علي حين بعثت بي الى القصر لا قابل زعماء هذه الثورة وأمرهم بايقاف الشعب عنها وخشي دي لا بورت من ان يتصل الجدال الى ما لا خير فيه فقاطع الملك وقال لمن تريد ان اسلم الشمعة يا مولاي قال لمن شئت بشرط ان لا يكون مانسبني (وكان مانسبني ابن اخت الكردينال اتى به ليكون ترباً للملك) ثم خرج مفضباً غير مودع امه ولا مسلم على الكردينال فقل الكردينال ما هذا الذي ارى يا ملكة ومن يؤدب ابنك هذا الادب قالت انه صبي لا يعلم ما يفعل فانا التمس العذر عنه ثم انت مخبري عما اتى بك الي الآن فجلس الكردينال على كرسي امامها وقال قضي الامر ايها الملكة وحان الفراق وانا آت لا ودعك الا اذا طلبت الذهاب معي الى ايطاليا حيث اذهب فقد سمى الناس طراً بالفرق بيننا وانت من جملة هؤلاء الناس قالت ويلاه أعد كيف قول يا كردينال قال الم ارك من ايام تبسمين للدوق دورليان او لما يقوله لك وما كان يقول الا ما سمعته من ان مازارين هذا عقبه في طريقنا

فلو ابعدها لجرت الامور على ما نروم قالت وما تريد ان اصنع قال انك ملكة آمرة فابعدني عنك من يسوءك مرآه قالت كانك تعني من يسوءك انت فاني قد ارجعت دي شفريز الى منفاها ودي هوتفور تبعها ثم سجت بوفور لانهم جميعاً كانوا يحاولون الايقاع بك فاذن اعدائك هم اعدائي يا كردينال قال نعم ولكن ليس ذلك بكاف لي حتى يكون اصدقاؤك اصدقائي ايها الملكة

قالت ويلاه وهل بعد لي من اصدقاء قال اني اعجب والله كيف يكون لك اصحاب في الشقاء ثم لا تعجبينهم في الرخاء قالت ذلك لاني نسيتهم في ايام الرخاء ولم اذكرهم بالوفاء فجرى بي كما جرى لماري دي مديسيس ملكة فرنسا بعد ان عادت من منفاها فاتها ترفعت عن الذين كانوا يهتمون بها ويسعون لها ثم لما نفيت مرة اخرى ماتت في كولونيا اذل موة مهجورة وحيدة طريدة ونبذها اصحابها نبذ النواة . قال اما من سبيل الآن لملافة هذا الامر فابحني بين اصدقاتك القدماء لعلك تجدين منهم احداً قالت قد بحثت كثيراً فلم اجد منهم من اقدر ان اعتمد عليه فقد فسد الناس والزمان قال انا لا اريد منك اصحاب اليوم بل ذوي ايامك الغابرة الذين نصروك على الدوق ريشليه حتى رغمت بهم انفه في سابق حوادثك وخرج اوقافك افلا تعرفين روشفور قالت ذاك لم يكن من اصدقائي بل لقد كان من اعدائي واشدهم علي واقربهم من الكردينال واجدك تعلم ذلك قال نعم ولذلك وضعناه في سجن الباستيل قالت وهل خرج منه قال لا فلا تخشي من ذلك ولكني لم ابدأ به بالذكر الا توصلاً لغيره أفتعرفين دارتانياً فقالت الملكة في نفسها قد انكشف الامر وباح الفسقوني بالسرم قالت للكردينال نعم اعرفه فهو احد الحراس وقد عشق احدي نسائي ثم ماتت مسمومة لاجلي قال هذا كل ما عندك من ذلك قالت اذن هو استنطاق يا كردينال قال نعم اطال الله بقاءك ولكنك لا تجيئيني عليه الا بما تهوين قالت سل عما تريد وافصح وانا اجيبك عن كل سؤال قال اريد ان تخبريني باصحابك فانا في حالة تقضي علينا باستعمال القوت قالت الم نخلص من دي بوفور وتقي شره قال نعم ولكن لا يزال بيننا من لا يتظاهرون بالعدوان ولكنهم اعداء ألداء في ثياب اصدقاء حتى ان دي بوفور اقلهم عداء وشدة والمهم لدينا الامير قالت المتصر على روكروي تعني قال نعم ثم تبعه بدي

كوتده ونلحق بهما اللوق دورليان قالت ماذا تقول يا كردينال أتقبض على الامير
 الاول من سلالة الملك وخال الملك قال خنضي عليك يا ملكة فليس بسايل الملوك
 ولا بخال الملك بل الخائن الفادر الحسود الذي يسمى في خراب فرنسا ليكون ملكها
 والذي اغتال كاله وموتمورانسى وسينكارس وقتلهم غدرآ وظلمآ وانت تقولين سايل
 الملوك وخال الملك . فالقت الملكة رأسها بين يديها حزينة كئيبه فقعب الكردينال وقال
 ولست اقصد بذلك احزانك اينها الملكة بل اريد ان تكون ملكة فرنسا عزيزة
 الجانب عظيمة الحرمة واكون انا كذلك حتى يعرفني الجميع كما انا ويقدروني حتى قدرى
 قالت فما اصنع اذن بالله قال تبحين عن اسماء اولئك الابطال الامناء الذين
 خاضوا البحر بالرغم عن ريشليه وتركوا من اتر دمائهم في طريقهم سطرآ يشهد لهم
 بالاخلاص والشهامة ليأتوا لك بحلية اعطيتها ليكنهم فوق هذا الكلام في مسمع الملكة
 وقع السهم فثارت من مكانها غضبي تزيد حنقا ونظرت الى مازارين نظرة تمازجها العظمة
 والحدة وقالت آهيني يا كردينال قال لا ولكنى اريد ان تصنعي لزوجك الاآن ما
 صنعته لعشيقك من قبل قالت ويلاه لا تزال هذه الحادثة حية في صدور الناس وانا
 اظنها اندثرت وتلاشت حتى اتيت انت تذكري بها ضغنا على ابالة ولكن قد احسنت
 فاني سأجزم هذا الامر منذ الاآن حتى لا يعود له ذكر فيما بيننا واطلمك على القصة من
 اولها الى آخرها حتى لا تبقى حاجة في نفس يعقوب قال انى لست اسألك كل شيء
 قالت وانا عزمت على ان اقول لك كل شيء فقد كان في ذلك المهد اربعة رجال
 ابطال تخالمهم جسداً واحداً وروحاً واحدة اتقدوا لي ما هو اعلى من الحياة وارفع ثمناً
 وهو العرض والشرف قال اذن كان الامر في شيء قالت لا يعز على المجرمين الدهاة
 ان يتلاعبوا بالبري ولا سيما اذا كان امرأة يجرح عرضها اقل شيء وانا لقد كان امري
 من هذا القبيل تهمة محضة حتى كدت افنضح وانا والله حلفة صادق بريئة طاهرة ثم
 اخرجت من خزانة عندها علبة ووضعت يدها عليها وقالت اقسم بهذه البقايا المقدسة
 الطاهرة انى احببت يكنهم ولكنه لم يكن عشيقى ولم تكن بينارية كما يشهد الله قال
 ما هي هذه البقايا التى تقسمين بها فاني اخالها ثمنة فأخرجت الملكة من عنقها مفتاحاً
 ذهبياً وقالت للكردينال افتحها انت ونظر بعينك يا توما ومد يدك ففتح الكردينال العلبة

واذا فيها مديّة ملطخة بدم قديم ورسالتان على احدهما نضح دماء وقال ما هذا قالت اما
الرسالتان فهما اللتان ارسلتهما الى بيكنهام في حياتي كلها واما المديّة فهي التي ضربه بها
فلتون فقتله واقرأ الرسالتين تعلم حقيقة كلامي فاخذ الكردينال المديّة الملطخة التي قتل
بها بيكنهام واتى بها لابورت من عنده كما مرّ ذكر ذلك وقد جدد الدم عليها حتى صارت
كأنها في قراب وتأملها ساعة يقلبها في يده ثم ردها الى الدلبة وقال صدقت اليمين قالت
لا بل فاقرأ الرسالتين فانا اريد ذلك وآمرك به حتى نخلص من هذا الامر فلا تعود الى
ذكره مرة اخرى ام تظن اني افتح لك هذه العلبة ايان شئت لا والله فهي المرة الاولى
والاخيرة فاخذ الكردينال الرسالتين واذا احدهما الرسالة التي ارسلتها الى بيكنهام
تطلب منه العقد والثانية تحذره بها من القتل ولم تبلغه الا بعد ان قضى الامر
ثم ردها الى العلبة فاقتلها الملكة وانكأت عليها وقالت تلك حقيقة عذري التي
اتصل بها من هذه الهمة الشنعاء ولكن عليّ ذنباً آخر لا يغفر وهو اني اغفلت امر
هؤلاء الابطال الذين بذلوا حياتهم في خطر الموت لصيانة عرضي من العارواني لم
اكفي ذلك الفارس دارتانيان الا بقبلة من يدي وهذا الخاتم ومدت له يدها التي فيها
الخاتم الذي عرفناه الا انه قد باعه بعد ذلك ليخلصني مرة اخرى لانه انفق ثمنه في
ارسال رسول من قبله الى لندره ليحذر بيكنهام من القتل فهو اذن ملكه فخذة وردده
اليه فهو اولى به والآن فهل عندك بعد شيء آخر تسألني عنه قال لا سوى العفو عن
تهجمي عليك وسوء ظني بك فاني كما تعلمين اسير هواك حتى اني لا غار عليك من
الماضي قالت اذا لم يكن عندك بعد غير هذا فقد قبلت عذرك شاكرة فتركني الآن
اذا شئت فانا في حاجة الى الوحدة والراحة قال اذن اذهب ولكن اتأذنين لي بالعودة
قالت نعم ولكن غداً ثم اخذ يدها فقبها وخرج وذهبت هي الى دي لابورت وسأته
هل نام ابنها قال نعم قالت اذن فاحرض على ان يحترم الكردينال واجهد في ان تعلمه
ذلك ثم عادت الى غرفتها

الفصل الخامس

دارتيان ومازارين

ورجع الكردينال الى قاعته فامر خادمه بالذهاب ثم فتح باب الدار ونظر فوجد دارتيان نائماً على كرسي هناك فايظفه فانته منهيماً وقال العفوي يا مولاي فقد اخذ مني التعب حتى لم املك من النوم قال لا بأس عليك فانك تعبت في قضاء حوائجي فاجرك الله فقال دارتيان في نفسه ارى الكردينال ياطف بي فله در المثل القائل : لا يأسن نائم ان يفيما . ولعل في الامر شيئاً ثم قال له الكردينال اتبعني اذا شئت فتبعه وهو يقول في نفسه اما والله لقد احسن روشفور في السفارة لي وذكركني احسن ذكر فابن تراه يكون ثم دخل الى قاعته ودخل دارتيان وراءه وهو يدير عينيه في زواياها فلم يقف لروشفور على اثر وجلس الكردينال وقال علمت انك رجل حاذق العقل شجاع القلب يا دارتيان وانا اريد الآن ان تظهر ذلك فانا محتاج اليك فهل ارسلت في رسالة في قديم ايامك قال نعم حاربت كثيراً في وقائع عدة وفي كلها انتصرت قال لست اقصد وقتك في الحرب بل لقد كان لك وقائع في غيرها غلبت عليها فسار ذكرها كل مسار ولعلك تذكر رسالة الملكة في طلب العقد وسفرك مع ثلاثة من اصحابك لاجلها فما تصنع لاجلي الآن قال لا اعلم ما تقول يا مولاي ولا من هي هذه الملكة ثم قال في نفسه اراه يستطلع خبايا الاسرار فلا والله لا ينال مني شيئاً فقال الكردينال الا تعلم اني محتاج اليك والى اصحابك الثلاثة قال ان لي اصحاباً كثيرين فابهم يعني سيدي الكردينال قال اصحابك القدماء الذين رافقوك في تلك البعثة فاحك ولا تخش بأساً فان الملكة قد اباحت لك الافشاء وهذا خاتمها معي وانت تعرفه اذ قد بعته لدي زيسار واشترته هي منه دلالة على صدق ما اقوله لك فاما وقد تبين لك الامر وعلمت اني اخاطبك بلسان الملكة فلا تكتم عني شيئاً فقل لي اولاً اين اصحابك قال لا ادري فقد افترقنا من عهد بعيد وكلهم انفصل عن وظيفته ولكنني سابحث عنهم قال وماذا ينقصك قال المال فهو اساس كل عمل حتى كدت مراراً ان اخفق في بعثة الملكة لو لم ابع هذا الخاتم الكريم الذي في يدي قال المحتاج الى كثير فان خزينة الملك فارغة قال اذا كان ذلك فبع هذا

انطام كما بعته انا قال لاداع الى هذا الآن فاذهب وحيء باصحابك وعدكلاً منهم بما تعلم انه يرغب قال واية مهمة تقضي قل متى اجتمعتم نرى في ذلك والآن فخذ هذه البدرة وانفقها في البحث عن اصحابك وتطلبهم من مظانهم ولا تغفل ان تكتب لي عما يجري لك كل يوم ثم ما هي اسماء اصدقائك لاشاركك في البحث عنهم قال الكونت دي لا فير وقد كان يدعى اتوس ودي قالون وهو بورتوس ودير بلاي وهو اليوم مطران دير بلاي وقد كان يدعى اراميس وهم ثلاثة من اعظم اشراف فرنسا تستروا بهذه الاسماء لضيق ذات يدهم ولبعلم سيدي الكردينال انه اذا احسن الصحبة والوفاء لهؤلاء الثلاثة يهزبهم فرنسا بل اوربا باسرها

ثم اخذ من الكردينال اذن السفر وخرج وهو يظن في البدرة ذهباً فاذا به يجدها من الريالات وتبلغ كلها مائة دينار فانطلق بها الى بيته في شارع تيكيتون وهو يندم بخل الكردينال وحرصه

الفصل السادس

دارتانيان في سن الاربعين

لا بأس ان نلم هنا بعض ما جرى لدارتانيان في خلال العشرين سنة التي مرت على روايتنا الاولى فنقول ان هذا الرجل خانه الدهر ولم تساعده الايام بقي في المنصب الذي تركناه فيه من الحراس وكان اول من فارقه اتوس وذهب الى ارض له ورثها في جهة بلوا ثم فارقه بورتوس ليتزوج بعشيقة ثم تبعها اراميس فدخل في الدير وصار مطراناً فاضحى دارتانيان من بعدهم وحيداً منقطعاً لا يجد من يشكو اليه همه ولا من يساعده على احوال دهره واقام ضابطاً في الحراس يبارك الايام وتعاركه حتى اصبح مجرباً خبيراً عارفاً بتقلبات الزمان وغيره ولم يمض عليه قليل حتى انتقل الى فندق في شارع تيكيتون كانت صاحبه جميلة المنظر صغيرة السن حلوة الكلام فعشت دارتانيان وعشقتها على غير علم من زوجها ثم ذهب بعلمها في احدى غدواته ولم يرجع وطال عليه الدهر حتى اشبه القارظ المنزي فحسبته امرأته ميتاً وجعلت تراود دارتانيان على ان يتزوجها وهو يابى بحجة ان قد يكون زوجها في قيد الحياة ثم يرجع فيجدها قد تزوجت

فيحق عليها عقاب الموت حتى قالت له يوماً إذا عاد زوجي فما انت بماجز عن ان تقتله فقال لها اذن نزيد الجريمة ويصبح القتل حتماً فرضيت بذلك واقامت واياه زماناً حتى كانت بعثة فرانس كونتي وندب دارتانيان للقتال فيها فذهب وودعها وهي تبكي احراً بكاء واستقبل نار الحرب ولسان حاله يقول : أعن هذا يسار الى الطعان وفيما هو يقاتل اصابته رصاصة في صدره فسقط في ساحة الحرب صريعاً وظنه اصحابه قتيلاً فتركوه ولبث مفضياً عليه الى الابل فافاق وتحامل بجرحه الى اول قرية فنزل في احد بيوتها فرحب به اهله واحسنوا خدمته وعلاجه حتى شفي وعاد الى باريز ودخل الى الفندق فوجد غرفته مشغولة بثياب رجل آخر فسأل الخدم عن صاحبه فقيل انها خرجت للنزء ثم لم تلبث ان عادت والى جنبها رجل من سويسرا كبير الهامة دميم المنظر فقال لها دارتانيان بعد ان تماقما ما هذا الفتى الى جانبك قلت يريد ان يتنرن بي قال اذن قد ثبت ممت زوجك . فعرض له الرجل واطال معه الجدل ولم يشأ ان يتخلى عن الغرفة ولا عن المرأة فطلبه دارتانيان للبراز قبارزه وجرحه وتره ملقى في حفرة هناك وعاد الى الفندق وقال لخادمه خذ ثياب هذا الرجل واضممها اليه حيث هو جريح في مكان كذا وقل له ان عاد الى هنا فهو غير امين على حياته ثم قال للمرأة يا مدلينا انني لم اطرد هذا الرجل رغبة فيك بل حرصاً على عرضك من ان يعبت به رجل لا يعرف الشرف فيخدعك عن نفسك وانا ذاهب عنك الى فندق آخر فقالت ويلاه يا مولاي كيف تركني وجعلت تبكي وتتوسل اليه حتى رضي بالاقامة عندها في البيت الذي ذكرنا انه ذهب اليه بعد خروجه من عند الكردينال في الفصل السابق

الفصل السابع

حيرة دارتانيان وخلاصه منها

وبينما كان دارتانيان واجماً من لدن الكردينال الى منزله اخذ يفكر في ذلك الحجر الكريم الذي كان له وصار الى يد مازارين . يقول لو عاد هذا الخاتم لي لبعته واشتريت ارضاً حول قصر ابي ثم اتزوج فيولد لي ثلاثة بنين اجعل كبيرهم سيداً شريفاً كاتوس والثاني بطلاً مقداماً كورتوس والثالث رئيس دير كاراميس ولكن هيات فالكردينال ابخل

من ان اتال منه دون ذلك . وفيما هو يسير وقد بلغ اول الشارع الذي فيه منزله رأى
كثيرة من الناس مزدحمة فظن انهم حول بيته ثم دنا منهم فوجدهم لدى بيت جاره وفي
ايديهم المشاعل وهم في ضوضاء وجلبة فسأل عن الخبر فقيل له ان احد السكان هجم
بعشرين رجلاً على عربة يخفها رجال الكردينال فخلص الاسير الذي كان فيها وفر
الى ذلك البيت وهم يبحثون عنه فتركهم دارتانيان وحول الى بيته وخبأ البدره في
مكان ثم جلس يفكر في كيف يجد اصحابه الثلاثة وفي اي بلاد الله هم فقال في سنة
١٦٣٤ وصلتني رسالة من اتوس وكتبت يومئذ في حصار مدينة بيزانسوس يقول لي فيها
انه مقيم في ارض له ولكن لم اعد اذكر ابن تلك الارض والرسالة ضاعت مني فلم يعد
لي بوجدانه امل فلتر بورنوس فقد اتني منه رقعة عام ١٦٤٦ يدعوني فيها الى الصيد في
ارضه ولكني كنت عامئذ في يارن في مأمن ابي رحمه الله فلم اقدر على الذهاب فلابحث
عليها بين الاوراق عساني اجدها . ثم فتح صندوقاً صغيراً عنده يعلوه الغبار واجال فيه
نظره حتى عثر على الرسالة فقرأ عنوانها « في قصر دي فالون » ثم رأى في هامشها
حاشية يقول فيها « قد ارسلت مع البريد الذي يبلغك كتابي هذا رسالة الى اراميس
في دير » ففكر دارتانيان وقال زادني بحاشيته جهالة ففي اي دير اطلبه وفي باريز
مائتا دير وفي فرنسا ثلاثة آلاف ولكن لا بأس فان لدي رسالة اخرى منه فسأرى فيها ثم
بحث عنها فوجدتها واذا فيها

« أيها الصديق اني قد خاصمت رجلاً شريفاً ودعوته للبراز ولما كنت راهب
دير لا اقدر على اشارة امري هذا رأيت ان ادعوك شاهداً لي فتجدني في مساء هذا
اليوم في الساحة الملوكية والسلام »

فتأمل دارتانيان في تلك الورقة ملياً فلم يقدر ان يستفيد منها شيئاً سوى انه ذهب
وكان شاهداً لاراميس ولكن لم يعلم ابن محله وفيما هو كذلك يفكر في امره اذ سمع
صوت كسر الزجاج من نافذته فظن ان اللصوص سطوا على البدره فهب اليها يتفقدتها
واذا برجل قد دخل الغرفة فاستل دارتانيان سيفه وهجم عليه وهو يقول هلكت ويحك
فعلى من تهجمت فقال له الرجل رد سيفك يا مولاي واستر علي ستر الله عليك فما انا
بلص فلما تبينه دارتانيان قال بلانشت قال نعم يا سيدي وانا احمد الله اذ جعل ملجأني

اليك قال ويحك وما اتى بك في مثل هذه الساعة من الفجر والناس نيام تتخطى السطوح
وتدخل من النوافذ قال سأقص عليك الامر فقل لي اولاً هل انت صديق لروشفور
قال نعم فما ذاك قال وانت الذي جئت به من الباستيل قال نعم ولكني لم ارجعه اليه قال
احمد الله على ذلك فان الكونت فرّ هارباً وكان قد استصرخ الناس فاتيت اليه بجماعة
من اتباعي وقيض الله انك لم تكن معه ففككت اسره ولو وجدتك بين خفرائه ما
جسرت على الدنو منك وبذلك تمكن من الفرار وتبعني الشرطة فدخلت في بيت
جارك وخلصت منه الى بيتك وهم لا يزالون يبحثون في الطبقة السفلى فهل يسوك
فرار الكونت قال لا والله بل اسر له كثيراً ولكن اتعلم انك اذا وقعت في ايدي
الشرطة تقتل لا محالة واذا عرفوا انك في داري ياحقني بلل من هذه السحابة لاني
اجرتك وانت خارج عن طاعة الملك ولكن لا تخف وقر عيناً فان ذمامك يلزمني ولست
انسى حسن خدمتك السابقة فانا اذم لك من رجال السلطان قال لو شئت ان تم
جيبك علي فتأمر لي بطعام يا مولاي فتكون قد حفظت نفسي مرتين قال نعم وكرامة
قم فكل ثم اشار له الى المائدة فقام واكل وقل له دارتانيا ان تعرف مقر اصحابنا الثلاثة
قال لا ولكن اعرف مقر بازين فهو خادم في كنيسة السيدة (نوتردام) وقد رأته فيها
مراراً قال اذن فاقم في مكانك وانا ذاهب ثم لبس عباءته وتقلد سيفه وهم بالخروج
فاعترضه بلانشت وقال رويدك يا مولاي كيف تركني وحدي الا يظن اهل الفندق
اذا رأوني انني سارق قال صدقت فهل تعرف لغة ما قال اعرف لغة الفلاماند قال حسن
فهي لغة صاحبة الخزان فاصدع بما تؤمر الآن ثم نادى الامراة فدخلت فقال لها هذا اخوك
قدم من الفلاماند لامرلي معه فاحتفظي به واحسني عشرته مدة مقامه هنا ثم التفت
الى بلانشت فقال قم يا بتر فسلم على اختك وعاتقها فقام الفتى وسلم عليها باللغة الفلاماندية
وهي تعجب منه ثم قالت لدارتانيا كيف يكون اخي ولا اعرفه قال انه ولد بعد
مجيئك الى هنا وانا اعرفه جيداً انه اخوك وهوات الآن توأماً من امستردام فاصنع
معه ما تصنعه اخت مع اخيها من الاحفاء والاكرام ولا حاجة الى زيادة الوصاة ثم
خرج قاصداً كنيسة السيدة

الفصل الثامن

اكتشاف دارتانيان

فلما وصل دارتانيان الى الكنيسة سأل احد خدمتها عن بازين فاشار له اليه في داخل الكنيسة يخدم في الصلاة فذهب دارتانيان واقام على مقربة منه وكان الكاهن الذي يصلي نائب المطران الذي نسيه منذ الآن بالنائب وهو جان فرانسوا دي كوندو الذي كان له شأن مهم في سياسة ذلك العصر بعدئذ اذ استمال اليه دهاء الشعب بتصدقاته عليهم واحساناته المتواصلة اليهم وما ملك الانسان مثل الاحسان على نحو ما سيجيء معنا في عرض هذه الرواية

ولما انتهت الصلاة عاد بازين راجعاً فاعترضه دارتانيان وسلم عليه ثم قال له ابن سيدك اراميس أو المطران دير بلاي قال لا ادري قال تكذب والله فما احد اعرف بمقره منك قال لا وحياتك يا سيدي لا اعرف له مكاناً فاني قد انقطعت عن الدنيا وورغبت في الآخرة فانا الآن اعمل لها واسعى اليها ثم تخلص من دارتانيان ومرّ يعدو الى باب في الكنيسة فوجده واقفله وراءه فوقف دارتانيان في مكانه حائراً لا يدري كيف يأخذ في امره وقد انقطع امله من لقاء اصحابه واذا بيد لمست كتفه فالتفت وقال دي روشفور ما اتى بك الى هنا قال صه واخفض من صوتك اما تدري انني هربت قال عرفت ذلك من خادمي بلانشت الذي كان له اليد الطولى في خلاصك اذ كان رأس القوم الذين استصرختهم فاذا تريد ان تفعل في هذا المكان حتى اتيته قال اولاً اشكر الله تعالى على انعامه عليّ بالفرار من حبسي ثم اقبل النائب لتري اذا كان بالامكان ان نهبط مازارين ونحقق مساعبه قال ويحك ما صدقت ان خلصت من الباستيل وانت تحاول الرجوع اليه قال لا فاني صرت احرص من الحرباء فيا حبذا الحرية ما لذت نسيماً واخف هموماً فوالله لمشتاق الى الهواء النقي اتشفه غير معارض ولا ممنوع وانا لذلك مسافر في سياحة اتمتع بها بمنظر الطبيعة ولطف نسيماً بعد احتجابي عنها قال اذن اكون امّعة لك في هذه المرة قال وما الذي يدعوك الى السفر قال البحث عن اصحابي الثلاثة الذين ما اراك تبجلهم وانا مضطراً الى ان اراهم قبل ثلاثة

ايام قال سر وعلى الله التوفيق وانا ذاهب فاستودعك الله ثم انطلق ودارتانيا ان ينظر اليه ويقول اذهب ايان شئت وافعل ما تروم فلم يعد لي من حبيبة اجزع عليها منك والله من قال

من شاء بعدك فليمت فعايك كنت أحاذر

ثم خرج من باب الكنيسة فاذا هو بيازين يركب فرساً فتربص له حتى انطلق ثم التمس ولداً في دار البيعة فقال له لك دينار اذا عرفت لي وجهة هذا الراكب والى اين يذهب قال نعم وكرامة وانطلق يركض وراءه ولا يدعه يشمر به حتى غاب عن نظر دارتانيا وبعده قليل عاد الصبي فقال لهم الدينار يا سيدي قال هل عرفت وجهة الرجل قال نعم فهات الدينار اقل لك فدفعه اليه فقال ذهب الى نوازي قل ويحك ومتى وصلت الى نوازي وانت لم تغب الا كارتداد الطرف قال لم يكن قصدي نوازي بل اقتفيت الراكب حتى عرفت جواده وصاحبه الذي اكثره منه لعلمي ان صاحب الجواد لا يؤجره لاحد الا وهو عارف ملقى عصاه فسأته فقال لي اكثره مني الى نوازي قل ويحك وهل في نوازي دبر قال نعم دبر عظيم للسوعيين قال احسنت فما اسمك قال فريكه فكتب دارتانيا اسمها لده وقال لا يبعد ان احتاج اليك مرة اخرى فيصلك مني دينار آخر يا بني ثم عاد راجعاً الى منزله

الفصل التاسع

لقيا اراميس

وكانت نوازي لا تبعد عن باريز الا مسافة قليلة فرأى دارتانيا ان يذهب اليها عند المساء لكي لا يعرفه احد فلما هبط الليل تنكر بشيابه وركب جواده وركب بلانشت جواداً آخر وسارا معاً في طريق نوازي حتى بلغ حانة في الطريق فقال اليها وسأل صاحبها عن البيوت الشهيرة في نوازي قبل له ان ليس فيها الا بيتان شهيران اولهما للطران دي باري والاخر للدوقة دي لونكفيل وكانت هذه الدوقة وحيدة عصرها في الجمال البارع والمجد الاثيل وكان زوجها الدوق دي لونكفيل ولم تكن تحبه لانه كان مسناً فعشقت في بادىء امرها دي كوليني الذي قتله الدوق دي كيزني برازجري له

معه لاجلها ثم عشقت بعده البرنس دي كونده اخاه ثم انقلبت تلك المحبة بينهما الى
بغض شديد وعداوة دهما وكانت دي شفريز من قبل مثل دي لونكفيل في ذلك
العصر بالجمال والادب وكان صديقها اراميس صاحبنا المعبود فكان دارتانيان يسير وهو
يفكر في هذه الامور العشقية وفساد اصحابها وتقلب دولهم بدولة الجمال حتى ادركه
بلانشت وقال يا مولاي لما بلغنا الحانة سمعت اثنين يتكلمان عنا فيما اظن اذ سمعت
احدهما يقول للآخر سندركه في هذه الليلة وهذا هو خادمه فاني اعرفه فكن متهيئاً لان
تأتي به حياً او ميتاً وقد راعني ذلك يا مولاي فمساها يقصداننا قال لا نخش فلنا
بيغيتهم ثم سارا حتى خيم الظلام واذا ببلانشت دنا من سيده وقال اما ترى اشباحاً
تحت الليل قال نعم وهذا صهيل الخيل فما لنا ولهم ثم حثا جواديهما حتى قربا لاول
بيت في القرية وهو بيت دي لونكفيل فقال دارتانيان ويحك واين الدير قال في الطرف
الآخر من البيوت قال فاسرع اذن وهمزا فرسيهما فسارا بهما خيباً حتى دنوا من الدير
فارسل دارتانيان خادمه وقال له انظر ماذا ترى هناك وارجع اليّ بالخبر فغاب الخادم
برهة ثم عاد فقال وجدت الدير مقفلاً وفيه نافذة واحدة منارة فمدت دارتانيان بصره
وقال نعم وقد انطفأ النور الآن وفيما هما كذلك اذا بجلبة ثارت الى جانبها فسل
دارتانيان سيفه وتبعه خادمه واذا بجماعة من الفرسان يقولون هو هذا سقط في ايدينا
وهجموا عليه شاهرين السيوف واذا رجل يقول لهم اياكم ان تخطئوه فصاح بهم
دارتانيان ويحكم ومن تطلبون فوقف الفرسان وقال الامير كبيرهم على رسلكم يا قوم
فليس هذا بصوته فقال دارتانيان من دنا منكم الي حتى يناله السيف فهو هالك فقرب
منه رئيسهم وقال ماذا تصنع هنا ومن انت قال لا اقول لك من انا الا على شرط ان
الفاك في البراز اقمعرف دارتانيان ضابط الحرس قال نعم افانت آت الى هنا لتدافع
عنه قال ومن هو الذي تعني لا والله لا ادافع عن احد الا عن نفسي وبعد ان تحقق
القوم انه ليس بيغيتهم تركوه وانصرفوا

فلوى دارتانيان رأس جواده وسار الى الدير وتبعه بلانشت واذا رجل قد تبع
الخادم ووثب على جواده فجاء رديفاً له فصاح الخادم الي يا مولاي فقد تبغني الشيطان
فشهر دارتانيان سيفه واقبل يريد الرجل واذا به قد صاح في وجهه رويدك ايها الصديق

فانا اراميس ثم التفت الى بلانشت وقال له اسرع الى آخر القرية وحث جوادك
فبذل الخادم المهاز في شاكة حصانه فسار به عدواً وهو مردف اراميس

الفصل العاشر

المطران دي بلاي

فلم يزل بلانشت سائراً باراميس حتى بلغ النافذة المنارة من الدير فترجل الثلاثة
وصفق اراميس ثلاث دفعات فانزل له سلم من جبل فصعد عليه وتبعه دارتانيان بعد
ان اشار الى بلانشت بان يأخذ الفرسين الى خان هناك وينتظره حتى يعود . ولما بلغا
الغرفة رفع اراميس السلم واقفل النافذة فنظر دارتانيان الى تلك الغرفة فوجدوها مكسوة
الجدران بأنواع السلاح وعلى كل من جدرانها الاربعة صور الكردينال دي لورين
والكردينال ريشيليه والكردينال دي لاكالت والمطران دي بورد وكلهم بثياب الحرب
فلما اخذ كل منها موضعاً قال دارتانيان من ادلى لك السلم فاني لا أرى عندك احداً
قال هو بازين خادمي الامين ثم دخل الخادم فدهش لما رأى دارتانيان ووقف حائراً
خجلاً فقال له اكذا تكون رجال الكنيسة يا بازين تكذب في المعبد ان ذلك لمعظم قال
اما سمعت ما قيل يا مولاي

والصدق ان القاك تحت العطب لا خير فيه فاعتصم بالكذب

فقال اراميس دعنا الآن من اعذارك واحضر لنا ما لديك من الطعام فخرج الخادم
وعاد بمائدة فجلسا يا كلان وقال له دارتانيان انت مخبري من اين سقطت علينا وركبت
وراء خادمي قال كنت في زيارة ولكن لا يذهب بك الظن الى اني كنت عند الدوقة
دي لونكفيل او اني عاشق لها قال لا وحمالك الله من الخيانة فكيف تكون عاشقاً لدي
شفرير ثم تنصرف عنها الى عدوتها قال نعم سقى الله تلك الامراة واياها فقد كنت
احبها اشد الحب وكانت لي نافعة مفيدة ولكن ما الحيلة وقد عبثت بها الايام حتى نفيت
من فرنسا بأمر الكردينال ريشيليه اذ امر بأن تؤخذ الى قصر لوش وكان يضرب
رأسها هناك لو لم تفر هاربة تحت زبي الرجال مع وصيقتها كاتي وجري لها في احدى
القرى في طريقها حادث غريب اذ نزلت على قسيس وهو يظنها رجلاً فنام واياها في
سرير واحد فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر ولقد رأيتها بعد ذلك وجهت في ان

اقنعها بان الملكة حنة دوتريش تحب الكردينال فلم تصدق بحجة ان الملكة ارفع نفساً
من ان تنزل بحبها الى مثل هذا المنحث مازارين ثم تداخلت بعد ذلك في شأن دي
بوفور فاضطر مازارين الى نفيها مرة اخرى ولكنها عادت واطمأنت لا تلبث ان تقى بنفسها
في ورطة اخرى ولكل امرء من دهره ما تعودا اما انا فلم ارها بعد عودتها الاخيرة قال
دعنا من هذا الآن اتذكر ما جرى لصاحبك الذي بارزته قال لا فذلك زمان مضى
ودولة اعرضت قال كنت اراك وانت حارس تميل الى الرهبانية وتشتاق اليها اما الآن
وانت راهب فارك تميل الى الحرب وترغب ان تعود الى سابق امرك من الانقباس
في غمرات لججها قال نعم تلك سنة الانسان لا يرضى بحال والله من قال

يطالب الانسان في الصيف الشتا فاذا جاء الشتا انكره

ليس يرضى المرء حال واحده قبح الانسان ما اكفره

قال اراك لم تسألني عن سبب طلبي اياك قل لا بل انتظر ان تخبرني من نفسك
قال ألا تريد ان ترجع رجل حرب وتنتقم من اعدائك وتكون رجلاً غنياً شريفاً جماً
التصرف قال بلى فما ذك قال ألا تذكر ايام الصبا والشباب ايام كنا رفاقاً نقتحم الاهوال
ولا نبالى قال سقى الله تلك الايام وحبذا هي لو عادت قال اما تحب ان تعود لك
ونرجع كاحسن ما كنا عليه فقد عرض لي امر يسهل لنا ذلك وقد اتيت في طلبكم جميعاً
ولكني رأيت ان ابدأ بك فكيف انت مع الكردينال قال من ألد اعدائه واشد الناس
ارتباطاً بهم مثل النائب وغيره من الاشراف الذين هم اعداء الكردينال واخصامه بل
انا ارفع نفساً من ان اخدم رجلاً مثله ذني، الاصل خامل الحرمة شديد الحرص جماع
كل صفات السوء ثم هو وان تكن الملكة من حزبه فهي لا تعد بشيء في جانب الملك
الذي هو ضده ولا يلبث ان يبلغ اشده فيكون رب الملك وحده ذلك فضلاً عن ان
الكردينال لا قوة عنده بل هو فريد وحيد يقارمه البرلمان والشعب والاشراف وانا واحد
منهم فانا اذن مع الملك وهو رأس النبلاء قال ان الملك مع مازارين يا اراميس قال
لا بل ذلك في الظاهر والله اعلم بالسرائر قال اذن هي الحرب الاهلية ستثور على نحو
ما قلت قال نعم ولكن للملك قال ان الملك سيكون في مقدمة جيش الكردينال قال
سيكون جسمه هناك ولكن قلبه سيكون في جيش دي بوفور قال اذ كر ان دي بوفور في

سجن فنان قال اذا لم يكن دي بوفور فالامير وان لم يكن الامير فغيره وما تقدم فرنسا رجالاً يقدون جيشها ويقومون بامرها وفوق ذلك فتالا اريد ان اكون مع احد وما يدخل بالراهب في مثل هذه الامور السياسية قال اعذرک فقد كانت امنيتک في الرهبانية وقد نلتها اما انا فاميتي ان اخلف دي تريفل في قيادة الحرس ولا يبعد ان اكون قائد جيوش فرنسا وذلك لم انله الا ان فانا معذور اذا سمعت اليه على قدمي وخاطرت في نواله بدمي والآن انما تخبرني عن بورتوس قال هو في بيكارديا وقد صار يدعي دي فالون وقد اضاف الى ذلك لقب دي براسيه بارض اخذها بهذا الاسم من امراته قال اذن لا تريد ان تكون من جهة مازارين قال لا ولا انت تريد ان تكون من جهة الامراء قال لا فلنكن اذن حراساً على سابق امرنا وتبقى المودة بيننا على وثيق عراها والآن فانا استودعك الله واذا احتجت الي تجديني في شارع تبيتون قال يجب علي ان اشيعك الى خارج الدبر ثم اخذ سيفه والتفت بعباءته ووضع سلماً من الخشب بدلاً من السلم الحبل ونزل ودارتانياں يقول في نفسه ان لوضع السلم الخشبية سبباً لا بد من ان اعرفه فلما بلغنا الارض نادى دارتانياں بخادمه فأتى يقود الجوادين وساروا جميعاً يتحادثون حتى بلغوا آخر بيت في القرية فودع اراميس دارتانياں واثني راجعاً فانتظره حتى ابعد وقال لخادمه والله لا يجوز علي افكك فاقم هنا حتى ارجع ثم انسل تحت الليل حتى صار قبالة النافذة المنارة واستر وراء سياج هناك واذا برجلين قد مرّا من امامه واحدهما يقول للآخر بصوت رخيم كهوت النساء قد اكنشفت ايها العزيز على ففق تحت الطريق تأتيني منه من غير ان يراك احد قال وهيبه لم يكن فوالله اني لا نخطى اليك اعناق السيوف ولا ابالي ومن خطب الحسنة لم يغلبها المهر فعرف دارتانياں انه اراميس فقالت له رفيقته لله انت ما اشد قلبك واربط جأشك على اقتحام الاخطار ولكن اذ كر انك لست لي وحدي بل انت للحرب باسره فلا تخاطر بنفسك فيما لا يعود منه فائدة تذكر ثم هبت الريح فاطارت قبعة الامراة عن رأسها فركض اراميس وراءها حتى امسكها وكان دارتانياں قد تأمل الامراة المسترة تحت زي الرجال فعرف انها الدوقة دي لونكفيل فانتظر حتى تواريها وعاد وهو يقول عرفت انك ضد الكردينال وعاشق الدوقة دي لونكفيل

الفصل الحادي عشر

بورتوس دي فالون دي براسيه دي ياريفون

وكان دارتانيان قد علم ان بورتوس من بيت دي فالون وانه اصبح يدعى دي براسيه دي ياريفون وانه مقيم في ضواحي نوابون فسار ومعه بلانشت يقطعان السهول والجبال تخفضها ارض وترفعها اخرى وقد اوصى خادمه ان يسأل عن بورتوس باسم دي براسيه والا ضاع عليهما المقصود لاشتهاره بتلك البلاد بذلك الاسم وما زالا سائرين حتى رفع لهما قصر في الارض التي يطلبانها فعلما انه لبورتوس واذا امامها رجل راكب جواداً وعليه آثار النعمة وبرزة الشرف فقال دارتانيان اظنه بورتوس يا بلانشت قال لا يا مولاي فان صاحبنا اطول من ذلك ثم ركضا جواديهما وراه فالتفت اليها فاذا هو موسكتون خادم بورتوس فعاد اليها وسلم على دارتانيان ورحب به فقال له اين مولاك قال انت في ارضه تسير ثم التفت الى بلانشت فعانقه عنق الاخ ثم قال لدارتانيان استأذنيك بالذهاب يا سيدي لابشر مولاي بقدمك فهي عنده احسن بشرى قال اراه لم ينسني قال كيف ينساك وهو لا ينفك عن ذكرك ونسم اخبارك تنسم العاشق اخبار المعشوق ثم ركب جواده وانطلق يعدو نحو القصر وتبعه دارتانيان على مهل وهو يسرح طرفه في تلك المروج النضرة والحدائق المزهرة والمياه المتسربة كسائك الفضة على حصي كاولو بين نبات كازمرد فقال في نفسه هذه والله الحياة الطيبة والعيشة الراضية لا حيث انا بين مشا كل السياسة ومخاطر القتال وما اظن بورتوس يستبدل هذه الحياة ليصبحني الى حيث اريد فانا اذن محقق معه كما اخفقت مع اراميس ثم دنا من القصر فوجد بورتوس خارجاً لملاقاته فتعانقا تعانق اللام والالف واخذ يتشا كان للنوى وطول الفراق فقال له بورتوس اجدك لم تنسني ايها الصديق قال

انسائك لا زالت اذن منسية نفسي ولا برحت يبعدك تنكب
وكيف انسائك وانت شقيق الروح وعشيق العبا قال نعم رعي الله تلك الايام فقد

كان لنا فيها صحبة اعذب من قطر الندى ثم تهد وقال اما الآن فاني جاعل هي الصيد في هذه الغابات والتروح بنسبها ثم تهد مرة اخرى فقال دارتانيان في نفسه ارى صديقي على غير ما تدل عليه هيئته من السعادة والهناء ثم جعل بورثوس يبين له سعة ثروته وان دخله في العام اربعمون الف دينار الا انه مع ذلك كئيب حزبن اذ قد ماتت امرأته دي فالون حتى هجر القصر الذي كان فيه معها واختار عليه هذه الارض ثم جلسا يا كلان فقال له دارتانيان اني لاعجب من امرك كيف انك غير راض بهذه الثروة الواسعة والقصور المنيفة والاثاث الفاخر الذي لا يوجد عند الملوك فما الذي يهيك يا ترى ان تناله قال حبذالو كنت باروناً اذن اكون سعيداً وهو الذي ينقصني من اماني هذه الحياة الدنيا فقال دارتانيان في نفسه قد كئيبك الصيد فارمه ثم قال ما تقول اذا كنت قادماً اليك بهذا اللقب الشريف فاجفل بورثوس اجفال الحمل واخذته هزة الطرب وقال لدارتانيان هلم بنا الى الحديقة حيث تبين لي هذا الامر فلما صار في البستان قال له بورثوس وكيف ذلك قال بان نحاظر بارواحنا وتقتحم الاهوال ونخوض غمرات الموت كما سبق لنا ذلك من قبل هذا اذا كنت لا تزال فيك بقية بعد لاستلال السيف قال اما البقية فلا تزال كامنة في الجسم وان سترها الشيب ستر الرماد النار

وفي الجسم نفس لا تشيب لشيبه ولو ان ما في الوجه منه حراب

فاذن سنلاقي الحرب يا دارتانيان قال نعم وتلك عادتنا قال وعلى من ستكون قال اخبرني اولاً هل لك دخل في السياسة قال لا قال أمن حزب الكردينال انت ام من حزب الامراء قال لست من حزب احد قال اذن انت لنا وانا آت اليك من قبل الكردينال مازارين قال وما عساه يريد مني ومن الذي تقدم اليه بذكري قال الكونت روشفور قال هو عدونا فيما اظن قال قد كان ما كان منا والله خير وابقى اما الآن فهو من اقرب اصدقائنا واعطفهم علينا والآن فليس لك الا ان تتبعني ندفع عن الملكة والملك والكردينال ويكون لنا اعظم جزاء من المال والمقار والالقب اذا كنت لا تريد ان تنفق من مالك الوافر حتى يبقى لك لتنفقه في بذخ البارونية وابيها فهل لك بها غنيمة باردة فهي على طرف حسامك اذا جردته لها كان مصيرها اليك اسرع من الكرم الى عطفيك وانا زعيم لك بذلك قل اما تذكر صاحبينا القديمين قال بلى اما اراميس فقد

ذهبت فوجدته رهباً منقطعاً لله فلم يشأ ان ينصرف عنه اليّ واما اتوس فلم اذهب اليه بعد ولا اعلم في اي بلاد هو فهل لك ان تدلني عليه قال هو على مقربة من بلوا في ارض له هناك ورثها من ذوي قرباه فاضحى لديه كونتيتان كونتية لا فير وكونتية براجيلون قال وما تراه يصنع بهما وهو لا عقب له يرثها قال بلغني ان عنده ولدان تبناه وهو كثير الشبه به قال اذن انا ذاهب اليه ادعوه الي شأننا هذا ولكني اخشى ان لا يجييني وان تكون الخمر قد غيرت طباعه فاني اعرفه يحب معاقبتها وكيف كان فانما متجع ارضه فان اجاب كان زيادة في النعمة والتوفيق والاقتنا بالامر وحدنا واذا لم يكن ما تريد فارد ما يكون قال عسى ان يتم امرنا يا دارتانيان فاني ارى نفسي تنازعني الى الحرب فقد طال شوقي لها لطول تركي اباها فانما كالجواد الذي يضر بجسمه طول اللحم ولكن على الشرط الاول وهو ان اكون باروناً قال ذلك ما كفلته لك وعليّ قضاؤه ثم عاد الى المنزل فوجد دارتانيان موسكتون يتبختر بين الخدم ويخطر في مشيته ويشير اليهم بكفه وكلهم خاضع له سامع لقوله فقال له بورتوس ليس يتنا سعيد غير هذا الخادم فهو قانع بعيشته بل يراها فوق الكفاية ووراء الامنية لانه قليل المهم قصر الطموح في العلى والله من قال

لحا الله ذي الدنيا مناخاً راكب فكل بعيد المهم فيها معذب

فهو هنا الحاكم المطلق بين الخدم يديرهم كيف يشاء ويأمرهم بما يريد وسبحان من سخر قوماً لقوم واقام ذل نفس لمر أخرى ثم وصلا الى المنزل فاخذ دارتانيان يستعد للسفر الى بلوا بعد ان كتب للكردينال انه ذاهب اليها وبورتوس للرحيل الى باريز حيث يقابل صاحبه هناك بعد ان يعود من عند اتوس وبعد قليل ركب دارتانيان وغلامه وشيعهما بورتوس الى آخر املاكه وهو يقول لها على الطائر الميمون والملتقى في باريز ان شاء الله

الفصل الثاني عشر

اتوس

وفيما هما سائران في طريق بلوا قال دارتانيان لخادمه انا موقن بان سأرجع من

عند اتوس بخفي حنين ولكن اراني مضطراً الى زيارته عساني احصل منه على نصح حسن فهو رجل عاقل من اكرم الناس واشرفهم نفساً واعزهم انفة واصدقهم نظرة في حوادث الدهر ولكني اخشى ان يكون ولوعه بالخمر واكثره من شربها قد غيرا في طباعه والخمر مفسدة لحسن الطباع وما احسب الا اني سأجده وقد اصبح شيخاً كبيراً يدب على العصا واخاف ان لا يقبل ما سأعرضه عليه وهو علم الله أحسننا عقلاً واوفرنا ادباً ونخوة واشدنا بأساً ومراساً ولكن سئرى ما الذي اليه يصار . ولما دنوا من بلوا بصرا بعربة عليها حطب ووراءها فارسان فتقدم بلانشت الى احدهما وسأله عن الكونت دي لا فير فلما سمع الرجل ذلك الاسم رفع قبعته وقل انا من اتباعه وذهب الى قصره فتقدماني انما واول قصر يرفع لكما فهو قصره فحنا جواديهما حتى بلغا القصر فقال دارتانيان لعلامه ترجل وسل في هذا القصر عن صاحبنا فتقدم الفتي وقرع الباب ففتح له خادم الدار فسأله عن الكونت دي لا فير فقال وصات فادخل فدخل حتى انتهى الى الغرفة التي فيها اتوس فقام اليه الكونت وقال هذا انت يا بلانشت فاين مولاك قال هوذا ورائي وكان دارتانيان قد دخل فماتق اتوس عناق الاحباء الاصفياء فرحب به الكونت اعظم ترحيب ثم اخذه بيده الى غرفته حيث كان عنده جماعة من اشرف تلك الجهة فقال لهم اقدم لكم الكونت دارتانيان ضابط حراس الملك واحد اصدقائي الاصفياء الذين يعدون من اشرف رجال هذا العصر واشجعهم فسلم دارتانيان عليهم واخذ بينهم مكاناً وعاد القوم الى مباحثهم فجعل دارتانيان يتأمل الكونت فيراه لا يكاد يفرق عن عهده به من اشراق الوجه وسواد الشعر وحسن البنية وقوة الاعضاء واعتدال الجسم بخلاف ما كان يحسبه عليه قبل قدومه

وبعد قليل اخذ الناس يرفضون واحداً بعد واحد حتى لم يبق الا الصاحبان واذا بالخدم يقولون في الدار قد عاد راعول وبعد قليل دخل عليها فتى جميل الوجه صبوح الحيا فتأمله دارتانيان فاذا به اشبه الناس باتوس فقال له الكونت دي لا فير مالي اراك اصفر الوجه مضطرباً يا راعول قال بينا انا آت صادفت ابنة دي لا فير قلب في البستان فلما سمعت صوت الجواد انت الي ووثبت عن شفا البستان فانصدعت رجلها فلم تعد تقدر على اقيام قال وهل علمت امها الخائون دي سان ربي قال لا فان

امها في بلوا عند الدوقة دورليان فادركها انت يا مولاي او قتل لي ماذا اصنع لها قال ترجع
فتمخبر امها في الحال فاين هي لويزا المصابة قال وضعتها عند جارتنا ووضعت رجلاها في
الماء البارد قال هلم بنا اليها وذهبوا جميعاً فلما دخلوا كانت الفتاة تبكي فلما رأت راعول
كفكت دمعها وتجلدت وهي تحاول التمس فقال اتوس لراعول اظن ان كل ذلك
بسببك ولولاك ما جرى شيء فصاحت الفتاة لا يا مولاي الكونت واحرج لك القسم
قال اذن فخذها يا راعول الى امها في بلوا ثم دعا بعربة فاجلسها فيها وركب الفتى جواده
وسار الى جانبها وهو ينظر اليها نظرة العاشق الوهان



الفصل الثالث عشر

قصر براجلون

فلما غابت العربة اخذ اتوس بيد دارتانيان وقال تعال نمش في الحديقة الى ان
يحضر العشاء وقل لي اما تعجب من حالي هنا قال نعم كثيراً واخص عجبني منك فانك
لا تزال على سابق عهدي بك لم تتغير في حين كنت احسبني سأجده في غير هيئة ثم
من هذا الصبي الذي حضر الآن لعله احد ذوي قرباك قال لا بل هو ولد يتيم تركته
امه عند احد القسس فاخذته منه ورديته قال اظنه يحبك ويحفظ جميلك معه قال ان
محبه لي تجعل له جميلاً علي فوق فضلي عليه ولولاه لذبت كزهرة انتقطع عنها الماء
والمرء فارقه الشباب بحيث كان سلوتي وعزائي في هذه الوحدة فعلمته ما اعرفه من
فضائل الناس واخلاقهم الحسنة وجنبته اذ تجنبت امامه ما كان بي من قبيح العوائد
وذميم الصفات كالسكر وغيره فادبته وتادبت به فقال دارتانيان وقد خطرت ميلادي
في باله وهل انت سعيد يا اتوس فنظر اليه الكونت نظرة الفاحص الخبير فلم ما يجول
في فكره كأنه مرسوم على وجهه وقال اظنك تعني تويخ الضمير على التي قتلناها قال نعم
فله درك ما ابصرك بخفايا القلوب قال لا فاتي مرتاح البال من قلبها فقد كانت امرأة
غادرة قتلت بعدل ولو تركناها لزادت جرائمها وكثر شرها وينفر الله عما مضى ولكن
قد علمت ان لها ولداً وينبغي ان يكون عمره الآن ثلاثاً وعشرين سنة فهل بلغك عنه
خير قال لا قال واللورد وتر قال بلغني انه مقرب جداً من الملك شارل الاول وهو

الآن يقاسي معه مفض البوى وغصص الدهر وقد قيل

شاركته بالامس في افراحه واليوم انت شريكه في حزنه

قال وما جرى بالملكة هنريت دانكلتر ابنة هنريكوس الرابع عشر قال لا تزال في اللوفر حيث تقاسي شدة الفقر والفاقة وبرد الشتاء لا نار لديها تصلي عليها ولا ثياب عندها تصون بها جسمها من البرد وابنتها مريضة وهي في اشد حال من الضيق والحاجة قال هلا انت الى احدنا تنزل عليه فيقوم بحق ضياقتها وتستغني عن ازارين قال انعرفها يا اتوس قال لا بل كانت امي تعرفها وهي فتاة عند ما كانت من وصائف الملكة ماري دي مديسيس والآن فهل عندك خبر عن بورنوس قال قد فارقه آنفاً قبل ان اتيت اليك ثم قص عليه خبره فقال واراميس قال رأته ايضاً قابلني ولكن بغير ما كنت اتوقع منه من الاحتفاء وهو غير ملوم فقد صار راهباً منقطعاً الى الله

وبعد سكوت قليل قال اتوس هذا راعول قد اقبل فلنر ماذا حل بالفتاة وكان راعول قد دخل الى الفناء بجواده فترجل عنه وهو يعلوه الغبار وتقدم فسلم على دارتانيان فقال له اتوس هذا دارتانيان يا راعول الذي كنت اذكر لك عنه كثيراً فقال الفتي نعم ياسيدي دارتانيان فقد طالما ذكرتك لي مثلاً للشجاعة وكرم الاخلاق قال ان يكن سيدي الكونت قد مدحني فاما مدح نفسه لاني نشأته وصنيعته فما كان بي من خير يذكر فهو من ادبه وفضله فالتفت اتوس الى راعول وقال عسى ان لا يكون في اصابة الفتاة خطر قال ان الطيب قد دعي لها فلم يقدر ان يجزم بشيء الا ان لكثرة الورم ولكنه يخشى ان يكون في رجلها تلف قال ولم لم تطل مكثك هناك قال علمت ان ساعة الطعام قد ازفت فحفت ان اتأخر فاجلئك الى الانتظار وبينما هو يتكلم اقبل الخادم يوذن بالطعام فذهبوا جميعاً الى غرفة المائدة فوجد فيها دارتانيان صورة موقعة فقال لاتوس ما هذه الموقعة قال هي معركة مازينيان صورت في حين اعطى احد اجدادي ويدعى انكران دي لاثير سيفه للملك فرنسوا الاول وقد كسر سيفه في القتال فرماه الملك الى رتبة القديس ميخائيل وانعم عليه بذلك السيف الذي طالما رأته في نظير مقاتله بسيفه ثلاث ساعات من غير ان ينكسر فاولئك والله كانوا ابطال الناس واحلاس الخيل

ثم جلسوا على الطعام وجعل الحارسان يتحدثان راعول باخبارهما القديمة كحصار روشل ومبارزة رجال الكردينال ريشيليه وغير ذلك من ذكر الوقائع ومعارك الحروب الهائلة التي جرت لهما واخذ اتوس ينصح راعول نصائح الحرب ويعلمه على القتال في تضاعيف الحديث حتى انتهوا من الطعام وكان الليل قد اطبق فذهب كل منهم الى غرفته ونام

الفصل الرابع عشر

المدافاة مع اتوس

ولما لاح الفجر بنوره نهض دارتانيان من فراشه ونظر من خلال الستارة التي على شباكها فوجد الدار ساكنة ثم رأى راعول يمشي فيها بهدوء كأنه لا يريد ان يحس به احد حتى دخل الى مربط الخيل فاسرج جواده وفتح الباب على مهل حتى لا يسمع له صرير واخرج جواده فركبه وسار به يعدو في طريق بلوا فعلم دارتانيان انه ذاهب ليرى كيف حال لويزا ويعودها وانه عاشق لها . ولما سطعت الشمس خرج من غرفته فاصاب اتوس في فناء الدار فحياه فقال له اني ارى اثر حافر ادى الباب فما الذي جرى قال رأيت راعول عند الفجر قد ركب جواده وسار في طريق بلوا قال هو ذاهب لميادة حبيته لويزا واظنه لم ينم ليله ذلك قال عجباً كيف يعشق فتى لا يتجاوز الخامسة عشرة فتاتاً لا تعدو السابعة من عمرها قال لا تعجب فان العشق على قدر السن والهوى سنة في الناس يعلق بالطفل في مهده وكلما شبَّ شبَّ الحب في الكبد ولكني ارى ان ذلك سيليه عن مستقبل امره فيخرج فتى مخشاً ولذلك فقد رأيت ان ابعد عنها وارسله الى باريزوان كان ذلك مما يشق عليه ولكن حزن شهر يكفي مؤونة يأس دهر قال صدقت فلنر له وظيفة في الجند قال ألا تزال في وظيفتك يا دارتانيان قال نعم افلا تريد ان نعاود سيرتنا الاولى من معاناة الصعاب وخوض الغارات قال مع من وعلى من قال وما يهملك من ذلك قال الا تعلم ان من واجب النبلاء ان لا يقفوا خدمتهم وحياتهم الا الملوك قال ذلك ما ادعوك اليه قال حياً وكرامة بشرط ان لا تكون ممزوجة بخدمة الكردينال فقد يلوح لي من كلامك واستعجائك

انك آت من قبل ذلك الايطالي اللثيم مازارين الطامع في اختلاس الملك بالمر
والخداع الذي يدعي انه من حزب الملك وهو عدوه والذي تطاول يده الى الامراء
من نسل المنرك فسجنهم اذ لم يستطع ان يقتلهم ثم هومع ذلك بين الملكة ويعث
بها ولا يبعد ان ثور بسببه الحرب الاهلية في فرنسا على ساق وقدم هذا الذي تدعوني
الى خدمته يا دارتانيان قال خفض عليك يا اتوس ومن قال لك اني اخدمه فانت هنا
وارث ارضاً تفنيك عن الناس وبورتوس اصبح غنياً قادراً واراميس اضحى راهباً مقيداً
اما انا فمن اي شيء اعيش اذا لم اخاطر بدمي واحمل مشاق الخدمة فانا اذن لا ازال
في الحراس ولو كان لي مثل ما كان لاحدكم لا تقطعت عن هذه الوظيفة وانفردت
بنفسي كما انتم تفعلون قال والآن فما تريد قال اتيت استشيرك في امري او اطلب منك
الذهاب معي فانت تعلم اننا اربعة اركان لا يقوم احدنا بغير الآخر قال ذكرت لي ان
بورتوس اصبح ذا ثروة فهل ذلك صحيح قال نعم ولكن هم الفتى لا تنقضي فهو يطلب
الآن ان يكون باروناً قال قد عرفت ذلك من اراميس فقال دارتانيان في نفسه ارى ان
اتوس واراميس على رأي واحد وبينهما مكاتبة فلا حول ولا قوة الا بالله

وفي تلك الساعة دخل راعول فقطع المحادثة فقال له الكونت كيف حال الصبية
يا بني قال في خطرياً مولاي حتى لقد خشى الطيب ان تكون عرجاء وكل ذلك
بسببي فلولاى ما وثبت واصابها ما اصابها فقال اتوس لا تأس يا راعول فكل شيء
مقدر على الانسان والله ولي الامور يدبرها كيف شاء ثم ذهبوا الى الطعام وفيما هم يأكلون
اذا بخادم البريد قد جاء برسالتين لاتوس ورسالة لدارتانيان ففرض اتوس الرسالة الاولى
فتبين لدارتانيان من خطها انها من اراميس ثم فض الثانية فظهر له انها كتابة امرأة اما
دارتانيان فوضع الرسالة في جيبه حتى فرغوا من الطعام فقام وقال اذن استأذنتك فانا
راجع الى باريز ولعلي اراك هناك عن قريب ثم نادى خادمه وامر باسراج الفرسين
فاسرجها وودع اتوس وراعول بعد ان سأل عن خادمه كرمود فقال له انه اعاره الى
احد اصحابه ثم جال في متن جواده فخرج به يعدو اما اتوس فقال لراعول تهباً فانا
ذاهبون اليوم الى باريز واذهب فودع الفتاة لويزا وارجع الى رسلك فذهب واما
دارتانيان فلما ابعد عن المكان فض الرسالة واذا فيها

« ارجع الى باريز في الحال » « ج . م »
ثم نظر على هامشها هذه الحاشية « مر في طريقك على صراف الملك قتل له
اسمك وأره الرسالة التي ملك فيعطيك ، ايتي دينار »
فمجب دارتانيان من كرم الكردينال على اشتهاره بالبخل وقال لأمر ما جدع
قصير انفه ثم حث جواده وسار خادمه بلانشت وراءه الى باريز

الفصل الخامس عشر

الدوق دي بوفور

وكان السبب في استدعاء دارتانيان ان ، ازارين بينما كان ذاهباً في مساء احد
الايام الى غرفة الملكة مر بقاعة الحفاظ فسمعهم يتكلمون بصوت عال فاحب ان
يقف على محادثتهم فدنا من باب القاعة واصاح اليهم سمعه فاذا احدهم يقول كل ما
يقوله كوازيل فصدقوه وما ينيء بحدوثه فكانه قدحدث فهو ليس بمنجم فقط بل هو
ساحر وتمثلوا

اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حزام
فقال آخر احذر ايها الصديق ان تكون صديقاً له فينالك منه شر لانه لا يبعد
ان يحاكم فهو ينيء بالامور قبل حدوثها فلو قال للكردينال ان الاسير فلاناً سيفر في يوم
كذا او ان الدوق دي بوفور سيهرب من محبسه فانه يكون كما يقول
فجزع الكردينال لذلك ودخل بين العساكر وقال سمعتم تذكرون ان بوفور قد
فر فقال احدهم لا يا مولاي ولكن يوجد رجل يقال له كوازيل يتكهن بان الدوق دي
بوفور سيخلص قبل عيد العنصرة فقال الكردينال لعل هذا الرجل مصاب بعقله قال
لا يا مولاي فهو لم ينيء عن امر الأجرى فقد قال ان الملكة ستلد غلاماً وان دي
كوليني سيقتله دي كيز في البراز وان النائب سيكون كردينالاً ورأينا ان ذلك قد تم
الا في النائب ولكنه لا يبعد ان يتم

فقال الكردينال اذن من رأيك ان دي بوفور سيخلص من سجنه قال نعم حتى لو
عرض علي سيدي الكردينال منصب دي شافيني من رئاسة قصر فنسان حيث يسجن

الدوق ما قبلت به وبعد مرور العيد سيكون شرّاً في الجوالق فوقف مازارين يفكر برهة ثم خرج وعدل عن الذهاب الى غرفة الملكة فسار الى غرفته ودعا بخادمه برنوين وامره بان يدعوه لرئيس الشرطة الذي اقامه لحراسة دي بوفور وان يوقظه عند ما يأتي . ولقد كان ذلك الاهتمام من الكردينال في امر السجين لشدة خوفه منه وحرصه على ان يفر من يديه حتى لقد كان يحلم به في منامه انه هرب فينتبه مذعوراً خائفاً بحيث كان غير ملوم اذا اُثر فيه كلام العساكر وحمله على زيادة الحرص

ولما كانت الساعة السابعة من الصباح دخل عليه برنوين ليوقظه فوجده يقظان فقال له الكردينال هل فرّ دي بوفور من قنسان قال لا اظن يا مولاي ومع ذلك فسل رئيس الشرطة لارامي فقد حضر حسب امرك من قنسان قل فادخله عليّ في الحال فخرج الخادم ثم عاد بالرئيس فقال له الكردينال اسمت ما يقال من ان الدوق دي بوفور سيفر من قنسان اذا لم يكن قد فرّ فاضطرب الضابط لذلك ثم قال كيف يهرب يا مولاي وهو في حبس القصر في قنسان في قاعة كثافة جدرانها سبع اقدام ونوافذها مشبكة بعتلات الحديد كل واحدة منها مثل ذراع البكر قال ليس تخفي ذلك بعسير على من بروم الفرار قال ولكن يوجد في قاعته اربعة حراس وفي القاعة التي الى جنبها اربعة آخرون وهم لا يفتلون عنه طرفه عين قال نعم ولكنه يخرج من محبسه فيلعب بالاكر قال ذلك لعب مباح للاسرى يا مولاي ولكن اذا امرت بمنع عنه فخشي مازارين ان ذلك يريد حنق في الدوق عليه فاذا فرّ لا يعفون عنه فقال لا بأس دعه يلعب ولكن مع من يكون لعبه قال مع ضابط الحرس او معي او مع سائر الاسرى في ساحة السجن قال ألا يدنو اثناء لعبه من جدران الحبس قال الا يعلم مولاي ان جدران السجن ارتفاعها ستون قدماً عن الارض فلا يلقي الدوق بنفسه عنها الا وهو مخاطر بحياته ومغرر بها على الموت الا اذا انقلب عصفوراً وهو محال قال احذر عليه يا لارامي فقد قال لديه اربعين طريقة للفرار قال لو كان فيها طريقة نافعة لفر من زمان طويل ثم يذكّر مولاي ان حاكم قنسان هو دي شافيني وهو ليس بصديق لدي بوفور قال صدقت ولكنه قد يتغيب احياناً قال واذا غاب اقوم انا مقامه واذا غبت انت قال يخلفني حارس شديد الاتباه والحذر على السجن وقد دخل في الخدمة من ثلاثة

اسابيع فوجدت له فيها بلاء حسناً يستحق معه ان يكون ضابطاً وهو خير خلف لي متى غبت قال وما اسمه ومن ادخله ومن ابن هو قال يدعى كريمود سعى له بهذه الخدمة عندي وكيل الدوق دي كرامون وهو من احد اقاليم فرنسا احدث حدثاً في اهله فغضبوا عليه فأتى الى باريس قال وهل انت واثق منه قال كما اثق من نفسي فضلاً عن انه قليل الكلام جداً حتى لقد ظننته اخرس وهو خير حارس لهذا الامير قال اذن فعد به برضاي عنه وترقيته اذا احسن الحراسة وانتبه الى التحفظ ثم جعل يسأل الضابط بعض سوالات عن حالة الاسير وسيرة حياته وكانت الساعة قد صارت تسعة فصرفه ثم ذهب الى الملكة فقص عليها الامر كله فقالت يا ليت لنا خادماً مثل كريمود لدى كل امير سجين قال ذلك غير عسير فسئري في الامر ثم كتب الى دارتانيان بسرعة الرجوع كما تقدم معنا في الفصل السابق

الفصل السادس عشر

حالة دي بوفور في سجن قنسان

كان هذا الدوق في السجن قائماً تحت الحفظ الشديد والحرص التام بعد ان كان رب اللوفر والمقرب من ملوكه وامرائه وهو حفيد هنريكوس الرابع ملك فرنسا من اشد شجاعتها بأساً واعلام في الشرف رأساً حتى جاء مازارين فخلفه في مكانه واسقط حرمة فاض الدوق لذلك وكبر عليه الامر فخشيت الملكة من عاقبة غضبه فحبسته في قنسان فاقام فيه خمس سنوات في غرفة لا تليق برفع مكانه وعالي مجده وهو في اشد الضيق واصعب الحال فلبس مازارين تارة وسوء حظه اخرى وهو كالاسد في القفص ثم اخذ بعد ذلك بصور صور مازارين كاقبح ما يكون على ورق سميك كان عنده بقطع من الفحم وكان الحارس عليه المسيو شافيني فلما رأى منه ذلك انف الكردينال من هذه الصور فنع عنه الاوراق وقطع الفحم حتى ضاق به الامر فاشترى كلباً وجعل يعلمه اللعب بان يضع له عصاً يشب من فوقها حتى اذا قال له ان كنت تحب مازارين فشب يمتنع ويهرب فيضحك منه الحراس الا انهم لم يلبثوا ان قتلوا الكلب وبعد ذلك بقليل اتى له بحارس يلاحظ طعامه ويخدمه يدعى لارامي وهو الذي دعا به الكردينال كما مر في الفصل السابق

ثم خاف الكردي نال عليه ان يقتل نفسه فيلحق به ناره فامر ان ترفع عنه كل جارحة وعوضه عن سكين الطعام بسكين من الفضة مدورة الرأس وكان خوف الكردي نال ذلك في محله لانه اسمع الدوق ان سجنه سيكون الى مماته حتى ان الحراس غرسوا له في ساحة القصر عيداناً من الشجر ليستظل عليها متى كبرت وصارت باسقة دلالة على ان مقامه سيطول في السجن فلما اعياه امر الخلاص اخذ يحاول ان يستميل اليه لارامي الوعود وتزيين المناصب فكان كأنه ينفخ في رماد وذهب لارامي واخبر دي شافيني بما خاطبه به الدوق فزاد حرصه عليه وزاد في عدد حرسه حتى جعلهم ثمانية يحيطون به اينما سار في ساحة ذلك السجن الرفيع فخطر له ذات يوم ان يستميلهم ويفريهم على خليصه فجمعهم ووقف فيهم خطيباً وقال ايها الجنود ألا بعز عليكم ان تروا ابن هنريكوس رابع اسيراً بين ايديكم وانتم تدررون اني كنت سيد باريز وحاكمها المطلق بخشاني ملك ويتحامي جانبي انما تطلقوني فاذهب الى هذا الخنث مازارين في اللوفر فابرج طنه واريجكم منه واكون رب الامر بعده فاجعلكم من اخص حرسى واقرب اتباعى . ولكنه كان اخيب من القابض على الماء بل زاد التحفظ عليه والضيق حتى ان لارامي لا يفارقه على الاطلاق ولكنه كان طيب العشرة حسن المسامرة فكان مديقاً للدوق في محبسه وعشيراً له في اوقات حزنه اذ كان يلاعبه بالاكر في ساحة سجن فيقتصر عليه طول ايام الاحتباس ويسليه في تلك الوحدة الشغناء وما زال دوق في هذه الحال حتى دخل كريمود في جملة حراسه وما نظن القارىء يذهب عليه ان كريمود هو خادم اتوس الذي كان كسيده قليل الكلام الا فيما ندر

الفصل السابع عشر

كريمود

فلما دخل كريمود في جملة حراس الدوق جعل دي شافيني يكلمه فلا يجيبه الا لاشارة او اللفظ القليل حتى قال في نفسه والله لم يخلق هذا الرجل الا ليكون حارساً ، سجين فله دره ما اقل كلامه وارزن هيئته فاخذه الى غرفة الدوق وقال له بك ان تلاحظ مولاك فلا تنفل عنه قط ولا تدع بين يديه ما يطعم او يجرح فأخنى

برأسه علامة الطاعة وكان الدوق عاشقاً للخاتون دي موتبازون ويأمل ان يعود فيراها مرة اخرى ولذلك لم يشأ الا ان يكون مزيناً رأسه وممشطاً شعره فطلب مشطاً من الرصاص فأذن له به فكان يضعه امامه حتى دخل كريمود فلما رأى المشط امام الدوق اسرع اليه واخذه ووضع في جيبه وهو كأنه صنم لا ينس بكلمة فاستاء الامير لذلك وقال ويحك لم يعد ينقصني الا انت فن انى بك الي فلم يرد عليه فازداد الامير غيظاً ونادى لارامى فجاءه فقال من هذا الخبيث الذي اخذ المشط مني قال هو احد حراسك يا مولاي واظنك تسر منه كما سررنا منه انا ودي شافيني فقال ولم اخذ المشط فسأله لارامى فاشار كريمود بيده الى اسنان المشط وقال حادة تطمن فقال السجنان اصبحت والله فقال الامير ويحك ما يقول قال ان كل آلة تطمن محظورة على سيدي الامير واقد اخطأت اذ اعطيتك المشط ولم اتبه الى اسنانه فقال الامير في نفسه ويلاه أرى ان هذا الحارس الجديد سيكون بلاء علي ولما كان اليوم الثاني وجد الامير قطعة من الزجاج فاخذها واتى باغصان وجعل يمرق عنها التمشر قتلاً للوقت الطويل فلما رآه كريمود دنا منه واخذ الزجاجه من يده فقال له لارامى ويحك ولم اخذت الزجاجه فاشار الحارس اليها وقال حادة نبحر فكبر امر وجوده على الامير ورأى انه سيزيد حياته كرباً وشقاءً وسر منه السجنان وزاد عجبه به واتكاله عليه واستمر كريمود يلاحظ على الامير كل ملاحظة لا تخطر ببال امهر السجنانين حتى تضايق منه وسر به السجنان كثيراً وجعل الامير يتوقع غرته حتى اصابه في غرفته وحده فهجم عليه والقي بيده على عنقه يريد ان يقتله تخلصاً منه فاشار اليه كريمود بالسكوت ثم اخرج من جيبه ورقة واعطاه اياها فاخذها الامير على انفراد وقرأ

ايها الامير العزيز

ان حامل رسالتي هذه اليك فتى امين السر طيب السريرة وهو خادم لاحد الاشراف من حزبنا فاتكل عليه في امورك وثق به في كل ما تريد فقد رضي ان يدخل في وظيفة حارس عليك ليساعدنا على فرارك الذي نسعى فيه . ثم لا حاجة ان اوصيك بالصبر والتجملد فقد دنا وقت الاطلاق ان شاء الله

ماري دي موتبازون

فبقي الامير ذاهلاً من هذا الامر العجيب اذ قبض له الدهر صديقاً طالما تمنى
 قربه منه ليث اليه امره ثم هو يينغضه لانه لم يعرفه ثم التفت الى كريمود وقال اعازم
 انت علي اسعاني وآت لاجلي قال نعم قد الامير يده اليه بماال فأبى اخذه وقال قد
 وصلني اجري قال اذن ماذا نصنع الآن قال تطلب ان تلعب بالاكر وتحذف باثنتين
 او ثلاث منها الى ما وراء خندق السجن فتجد هناك رجلاً بلباس الفلاحين فتناديه بان
 يرميها اليك قل فهمت والله درك فاطلب مني ما تريد قال لا اريد منك يا مولاي
 سوى اننا اذا هربنا اكون انا المقدم قبلك في الفرار لانك اذا امسكت انت اعدت
 الى حبسك اما انا فيكون عقابي القتل لا محالة ولا يلام هارب من حنقه قال صدقت
 وسيكون لك ذلك قال ثم اطلب منك شيئاً آخر وهو ان تستمر على ان تنظر اليّ بالعين
 التي كنت تنظرني بها قبل الآن من الحنق والبغض والا انكشف الامر ثم طرق باب
 الغرفة فاخفى الامير الرسالة في جيبه والقي بنفسه على سريره كما كان يفعل عند الملل
 وفتح كريمود الباب فدخل لارامى وكان راجعاً من عند الكردينال بعد ان جرت له
 المحادثة كما مر من قبل فقال لكريمود ابشري يا بني فقد احسنت الشهادة فيك لدى
 الكردينال فانت خادم امين صادق فقال الامير لامة الله عايه وعلى من اتى به فوالله
 لقد كدر عليّ حياتي فوق كدرها حتى لقد ضاقت نفسي من سكوته واشتقت الى
 مجيئك لاحادثك فانت عشير انيس حبيت اليّ طول الحبس استمتاعاً بموانستك قال
 اذن يسر منك الكردينال قال اظنك آتياً من عنده قل نعم فهو الذي دعاني ليستخبر
 عنك فانت هم الوحيد قال ويحك اما تطيعني فتكون لك مني السمادة فتعطيني ثيابك
 البسها واذهب اليه باسمك فاقله واعدود قال لله انت يا مولاي فقد ارسل اليّ يشدد
 عليّ بالتحفظ عليك فكيف اتركك وقد كان ذلك منه لانه سمع من احد المنجمين انك
 ستغلت من حبسك قبل عيد العنصرة قال هيهات هيهات لما توعدون ولكن تعال
 نلعب بالاكر قال تأذن لي اولاً يا مولاي ان اذهب فأكل لاني جائع وقد وعدني الذي
 اخذ حانوت الصانع مارتو الذي يعمل الحلواء انه يطعمني عنده اليوم منها بشرط ان
 اجعل طعامك من عنده ليكن له منك ربح وهو علم الله يا مولاي صناع اليدين حاذق
 في عمل الحلواء وسترى من صنعه ما يسرك ثم خرج وخلفه ضابط آخر

الفصل الثامن عشر

قرص الحلواء

ولم يمض قليل حتى عاد لارامى وكان الميعاد المحدد للامير قد دنا فاقام يلعب هو والسجان بالاكر فجعل يرميها بعزم شديد حتى تجاوزت السور وانخندق ووقعت فيما وراءها فدنا الامير من ذلك السور المرتفع فوجد فلاحاً يعمل في حديقة هناك فناداه فالتفت فاجفل الامير لمراه اذ عرف انه روشفور الذي كان مسجوناً ثم قال له رد لنا هذه الاكر اذا شئت فجعل روشفور يرميها داخل السور متفرقة فاشتغل الحراس بجمعها واذا بكرة وقعت بين رجلي الامير فعلم انه مقصود بها فدهسها في جيبه خفية ثم انتهى اللعب ومضى الى غرفته فاغلق بابه ومزق الكرة واذا فيها رسالة قد كتب بها

« ان اصحابك ساهرون على خلاصك يا مولاي ووقت فرارك قد دنا فاطلب بعد غد من سجانك ان تاكل قرص حلواء من صنعة خليفة بانو في حانوته وهو نوارمون خادم منزلك ولا تقطع القرص الا وانت منفرد . فتجد فيه ما يسرك ولا تنس ان تلقي اعتمادك على كريمود فهو خادم مخلص امين »
روشفور

وما فرغ من الرسالة واخفاها حتى دخل عليه لارامى فجعل بمحادثته عن الطعام وطيبه ثم قال له ان العيد بعد غد افلا تريد ان تصنع لنا طعاماً طيباً نأكله معاً قال نعم على شرط ان يخدمنا كريمود وان يكن وجوده يثقل عليك فانا امره ان يقف وراءك فلا تراه ولا تسمع كلامه قال قبلت بشرطك والشرط املاك ولكن اشتهي ان آكل قرص حلواء من صنعة هذا الرجل الذي اخذ حانوت مارتو فانك قد شكرته كثيراً ومدحت لي صنعته . ثم خرج لارامى وخلفه ضابط آخر واقبل المساء فنام الدوق الى الصباح فلما استيقظ دخل عليه لارامى وقال قد حضر الطعام واليوم نأكل فرويداً نصرف الحراس حتى يخلو لنا الجو ثم جعل يرسل كلا منهم في حاجة يستنبطها حتى ابعدهم جميعاً ولم يبق الا كريمود والامير فقال الامير هل تحضر لنا قرصاً يا لارامى قال نعم فقد اوصيت الرجل عليه وقلت له ان يتأتق فيه لانه لك ثم دعا بكريمود فقال له ان سيدي الامير يشرفني بان يواكني غداً وجها لوجه وستكون انت خادمنا فالطف

في الخدمة ما استطعت ويكون ما يبقى من ثمالة الشراب وفضلة الطعام لك تأكله
وحدك والآن ياسيدي الامير فاني خارج لامر يتعلق بي في السجن وتديره افتريد ان
نلعب بالاكرو بعد ان ارجع فاشاركريمود الى الامير ان اجب بنعم فقال نعم ولكن لا
تطل الغياب ولما خرج لرامي اخرج كريمود من جيبه ورقاً وقلماً من رصاص وقال للامير
اكتب ما املي عليك فكتب

« كل شيء حاضر الى مساء الغد فاستعدوا لنا بالحرس اللازم والخيل الجياد من
الساعة السابعة الى التاسعة وسيكون نزولنا من النافذة الاولى »

ثم وقع توقيعه فاخذها كريمود ووضعها في احدي الاكرو وقال الآن يعود لرامي
قلعب واياه بالاكرو وتربي بهذه الكرة الى الحفرة خارج الخندق فيلتقطها الرجل الذي
عرفته بالامس قال ويحك الا تشرح لي كيف يكون فرارنا قال ذلك محظور علي
يا مولاي حتى يؤتون اوانه قال ومن هم الذين ينتظرونني فيما وراء الخندق قال لا اعلم
قال اذن فقل لي على ما يحتوي قرص الحلواء على الاقل قال على خنجرين وسلم من
حرير وسدادة للغم فأخذ الخنجرين والسلم ونضع السدادة في قم لرامي حتى يحتبس
صوته وقد قضي الامر وان غداً لناظره قريب

الفصل التاسع عشر

حادثة ماري ميشون

بينما كانت هذه المحادثة جارية بين الامير دي بوفو وكريمود لتدبير الفرار كان
فارسان يتبعها خادم داخاين الى باريز من شارع سان مارسيل وكان هذان الفارسان
الكونت دي لافير والفيكونت دي براجلون وكان الفتى لم يقدم باريز قبل ذلك فجعل
الكونت يشرح له عن شوارعها وبيوتها وطرقها حتى بلغ شارع برج الحمام القديم فنزلا
في فندق هناك يسمى رينارفيز واخذ كل منهما حجرة فقال الكونت للفتى البس احسن
ثيابك وكن على اجمل هيئاتك وبالغ في التزين ما استطعت فاني مقدم بك على شخص
بعد نصف ساعة قال عسى ان لا يكون ذلك لزواج فانت تعرف جي لاويزا وارتاباطي
بها قال ليس في الامر شيء من ذلك وان يكن لا فرق بين الامرين فاني ذاهب بك

الى امرأة واريد ان تجبها قال وهل هي جميلة قل لقد كانت من ست عشرة سنة اجمل امرأة في فرنسا باسرها فدخل الفتى الى غرفته ولبس احسن ثيابه وافخرها ثم خرج وله وجتان كأنهما شقتا فمر فاستقبله اتوس ضاحكاً وقال في نفسه انت لم تعجبها هيئته فلا حسنت بمينها صورة بعدها ولما كانت الساعة الثالثة بعد الظهر سار واياه حتى بلغا شارع سان دومنيك فدخل به اتوس في قصر فاخر وتقدم الى بوابه وقال استأذن لي في الدخول على الدوقة دي شفريز وقل لها اني الكونت دي لافير فشي البواب وتبعه الرجلان في رواق طويل حتى دخل في بهو واسع في صدره باب مقفل فوقف الرجلان في ذلك البهو ودخل الخادم الى الحجرة المقفلة وقال الكونت دي لافير

وكانت الدوقة دي شفريز التي ذكرناها في روايتنا السابقة في عرض الكلام من اجمل نساء فرنسا واشرفهن وان تكن بلغت من العمر في ذلك العهد نحو الاربعين سنة وكانت جالسة في غرفة صغيرة على كرسي فاخر وفي يدها كتاب تقرأ فيه فدخل عليها اتوس بعد ان اوصى الفتى باللبث في البهو وهو لا يلبس ثوباً من الخمل الازرق مطرزاً بالذهب وعلى جنبه ذلك السيف الثمين المهدي الى جده من الملك فرنسوا الاول كما سبق القول فوقفت له الدوقة اجلالاً وامرته بالجلوس فجلس وقال استبيحك العفو يا سيدتي عن دخولي عليك بغير سابق عهد بيننا فاني اريد ان احادثك نصف ساعة في شأن خطير قالت ذلك اليك فقل ما تشاء قال لكن اريد ان تكون هذه المحادثة بيني وبينك لا يحضرها ثالث ولا يكدرها زائر فاشارت الدوقة الى البواب وقالت له اخرج وخذ علينا الباب فلا تأذن لاحد بالدخول فخرج

فلما خلا بهما المكان قالت الدوقة لاتوس قل يا سيدي فانا سامعة ولكن تعذرني اذا استخبرتك من انت فاني اراك من النبلاء ولكني لم انظر في القصر فهل انت خارج من الباستيل قال لا ولكني آخذ في شأن قد يقود اليه اما اسمي فقد اخبرك به البواب ولقد كان لي اسم آخر وهو اتوس فلعلك تذكرينه قالت نعم اذ كر هذا الاسم ولكن من عهد بعيد فساعدني على التذكار قال احد الحراس الاربعة وهم دارتانيان وبورنوس واتوس وارانيس قالت نعم ارانيس فهو شاب جميل وشاغر رقيق فانا اشكرك لانك ذكرتي هذه الذكري قال اتأذنين لي ان اذكر ذكري اخري قالت قل

كونت ما تشاء قال تذكرين ان اراميس كان مرتبطاً بفتاة غسالة في تور يزعم انها ابنة
مه وتدعى ماري ميشون قالت نعم عرقها فهي التي كانت يرأسها في حصار روشل
حذرنا من قتل بيكنهام قال نعم هي هي أفضحين لي بالكلام عنها قالت نعم قل ولا
نل الاخيراً قال اذن اكون جاحداً جميلها اذا ذكرتها بالشرق قالت عجباً كيف تدعي فضلها
انت لا تعرفها كما قلت قال نعم ولكن لا يخلو انا التقينا مرة في حياتنا قالت قل بالله
عجل فقد زدني رغبة في سماع كلامك قال ان ماري ميشون هذه التي كانت تدعى
سالة ثياب هي امرأة سامية الشرف جداً حتى انها كانت تدعو الملكة باختها وهو
سرف لو تعلمين عظيم فقالت وقد تهديت نعم ولكن كل ذلك قد مضى وتغير فقال
إفد كانت الملكة مصيبة في تسميتها هذه الامراة بأختها فانها قد اخلصت لها اخلاص
لاخاء وخدمتها واخاها ملك اسبانيا اجل خدمة قالت نعم وهو ما حسب لها الآن
كبر جريمة قال فلما اراد الكردينال السابق أن يقبض على ماري ميشون هذه ويقودها
لى قصر لوش احست به الملكة فارسلت لها كتاباً مدرجاً في مخمل قالت نعم قد كان
ذلك قال وكان حامل هذا الكتاب الامير دي مارسيلاك فادر كما قبل ان يدركها
يسول الكردينال وكان معها خادمة لها تدعى كاتي فالبسها لباس الامراء من الرجال
البس خادمها لباس الخدم واركبهما فرسين كريمين فسافرتا من تور تحت الخفاء
ذهبتين الى اسبانيا فلم تزالا سائرتين حتى بلغتا قرية صغيرة تدعى روش لايل واقعة
بين تيل وانكولم فاجفلت الدوقة اجفال المتعجب وجمدت عيناها على اتوس فقال لها
ويبدأ أيتها الدوقة فان ما سيأتي بمد لاغرب مما مر قالت قل بالله وعجل قال وكان
تلك النهار ١١ تشرين الاول وكانت تلك القرية حقيرة وليس فيها ماوى المسافرين
سوى بيوت الفلاحين القذرة فأنت ماري ميشون لعزة نفسها من المبيت عندهم فطرقت
باب راهب هناك وكان الراهب قد خلع ثيابه واقام في سريره فامرهما بالدخول فدخلتا
وكانت ماري ميشون في ثياب الفرسان تلك اجمل فارس في الدنيا فتضيفت الراهب
نضافها وخادمتها وقال لها اذا شئت يا سيدي فهذا عشائي فكلامه ولكما نصف الغرفة
ننامان فيها فضحكت المرأتان ثم شكرتاه ودخلتا فاكلتا من طعامه ونامت الخادمة على
كرسي هناك . فاجفلت دي شغريز وقالت لا ادري كيف تعرف هذا الامر اذا لم تكن

الشیطان في صورة الانسان فعاد اتوس الى كلامه فقال وكانت ماري ميشون بارعة في الجمال واللاطف والفصاحة والرقّة تصبى الحليم وتستهوئى الراهب فرأت ان تنام مع ذلك القسيس ما دام لا يعرفها حتى يقول انه سعد في زمانه ليلة وضاجع اجمل نساء الدنيا فنامت معه ولم يكن الراهب بحطبة معها بلغ به الطهر والتعفف
فكان ما كان مما است اذ كره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

فقبضت الدوقة على يد الكونت وقالت بالله كيف علمت ذلك ومن انت حتى اتصل بك هذا الامر قال ذلك هين التأويل فان احد الفرسان النبلاء كان قد سبق ماري ميشون الى تلك القرية وتضيف راهبها ثم دعى الراهب لرجل يجود بنفسه في قرية اخرى فترك منزله لذلك الفارس وغاب ليلته تلك ثم جاءت ماري ميشون بعد ذلك فنزلت على ضيف الراهب ونامت معه وهذا الرجل يا سيدتي هو انا الكونت دي لا فير فبهتت الدوقة برهة ثم ضحكت وقالت اذن قد صادفت ماري ميشون اكثر مما كانت تأمل اذ كان ضجيمها رجلاً شريفاً لا راهباً قال والآن فانا آت اليك مقر بذنب لم اسأل عنه فاني لما نهضت في الصباح وجدت ضجيمتي لا تزال نائمة فلبست ثيابي ودنوت من الخادمة فعلت انها كاتي وان سيدتها ... فقاطمته الدوقة وخشيت ان يقول دي شفرير فقالت ماري ميشون قال نعم ثم خرجت فركبت جوادي وسرت لشأني قالت او لم ترجع بعد ذلك الى القرية قال نعم بعد مضي سنة فزرت الراهب فوجدته مرتبكاً في امر طفل عمره ثلاثة اشهر التي اليه في ملفه فيها بكرة مال ورقة مكتوب فيها ١١ د تشرين الاول سنة ١٦٣٣ > فوق الراهب لذلك في حيرة ولم يدر ما معنى هذه الرقعة لان ماري ميشون كانت قد سافرت قبل ان يعود وعند جهينة الخبر اليقين. قالت الا تدري ان ماري ميشون لما عادت من فرارها الى باريز بعثت تطلب الطفل اترييه عندها قال وبماذا اجابها الراهب قالت قال لها ان سيداً شريفاً لا يعرفه اخذ الصبي وتعهده بتربيته قال نعم ولقد اصاب بما ذكر قالت فهمت الآن فان هذا النبيل هوانت ابوه قال اخفضي صوتك يا سيدتي فانه هنا قالت وقد نهضت مرتاعة ابني هنا ابن ماري ميشون بالله ابن هو فاني اريد ان اراه قال رويدك يا دوقة واحذري ان يعرف اباه وامه قالت اذن انت كتمت عنه سره واتيت به الي لتهجم بالسروور علي فله

درك من رجل شريف كريم ثم قبضت على يده وقبلتها فحاذبها يده وقال اتيت به
ليك لتساعديني في امره فاني قد ريتنه تربية حسنة واخرجه رجلاً نبيلاً والآن فاني
ارى ان الحوادث تدعوني الى ان اعاود ماضي حياتي من تقحم الاخطار وخوض
نمزات الموت في سبيل الحزب المتسي اليه وسألني بنفسني غداً في حادث قد تكون فيه
هياة حياتي فلا يبقى لهذا الفتي الاك تمهدين له سبل العلاء ومراقي المجد قالت لا تخش
نكل مالي فهو له ولكن كيف اصنع بقلبه قال ذلك لا يهيك فقد اعطيته ارض براجيلون
اتي وورثها ولقب فيكونت وعشرة آلاف دينار كل سنة قالت ان شكرك يا سيدي
لكونت فوق مبلغ الوصف واعظم من دائرة الكلام فبالله اين اراه قال هو هنا في هذا
لبهو في انتظاري ثم قام الى الباب فامسكته الدوقة وقالت هل هو جميل فتبسم الكونت
قال مثل امه ثم فتح الباب و اشار الى الفتي فتقدم حتى وقف بالباب فلم تمالك الدوقة
ن ان تصيح صيحة الفرح عند مرآها ذلك الغلام الجميل فقال له اتوس تقدم
افىكونت وقبل يد الدوقة فتقدم الفتي وركم على ركبته امامها وقبل يدها ثم التفت الى
نوس وقال اتقول يا سيدي الكونت انك آت بي الى امرأة شريفة كانتك تخشى ان
هاب اذا قلت لي انها الملكة قالت لا يا بني لست بالملكة ولو كنتها لانعمت عليك
كل ما يمكن الملكة ان تنعم به والآن فاي وظيفة تريد قال ليس للشرفاء يا سيدي
لا حمل السلاح وقد رباني سيدي الكونت لا كون فارساً في الحرب في عسكر الامير
الت ذلك اقدر ان احصل لك عليه برسالة من الدوقة دي لونكفيل الى اخيها الامير
نه لا يعصي امرها فقال اتوس التمس منك يا سيدي ان يكون ذلك عاجلاً فاني
اريد ان يبقى الفىكونت في باريز الى مساء القد حتى لا يعرف احد انه يعرفني
الآن فانا اتركه عندك لان لي اعمالاً اقضيها واجده مساء في الفندق فنذهب بعد
لك معاً الى المطران سكارون ثم ودعها وخرج

الفصل العشرون

المطران سكارون

كان في شارع تورنل منزل مشهور في باريز يعرفه اهلها كلهم لانه كان متدى

العلماء والادباء وأولي الظرف والادب فيجتمعون فيه عند المطران سكرتون يتداولون الحديث ويتناقلون الاخبار والاشعار ولم يكن هذا المطران راهباً بل دعي كذلك لانه كان يملك ابرشية مطرنة فلقب بها وكان رجلاً مهذراً طيب المعاشرة لطيف الحديث يحب اللهو والتكات فلما كان احد المرافع لبس ثوباً من الريش وخرج لزيارة اصحابه بذلك الشكل الغريب فتبعه الفتيان والصبيان يصفقون وراهه ويرمونه بالحجارة وهو يركض هرباً منهم حتى بلغ نهراً فالتقى بنفسه فيه وقطعه الى الضفة الاخرى وهو يتحدر عرفاً وكان النهر شديد البرودة فاصيب بمرض شديد وتقبضت اعضاؤه حتى اعيا الاطباء شفاؤه فصنعت له محفة يحمل فيها واقام في باريس مدة ثم زار الملكة حنة دوتريش فخبرته فيما يريد فقال اريد ان ادعى مريضك وصنيعتك فاجابته الى ذلك ودعي من ذلك الحين مريض الملكة براتب عينته له مقداره ١٥٠٠ دينار فاقام على ذلك برهة من دهره حتى زاره في ذلك العهد النائب الذي كان ضد الكردينال فاستاء الكردينال لقبوله هذا الزائر حتى اذا كان صبيحة اليوم الذي نورد فيه هذا الفصل بعث بخادمه بالصك الى الخزينة ليقبض له الراتب فاجيب ان ليس في الخزينة مال لاجله ولم يكن الظهر حتى شاع هذا الخبر في باريس باسرها فلم يعلم به اتوس من رجلين كانا في الشارع فقال للكونت براجيلون ألا نذهب فنزور هذا المطران قال من تراه يكون هذا الرجل حتى قامت باريس لاجله على ساقٍ وقدم أوزير هو ام ملك قال لا بل هو رجل بسيط غضب عليه الكردينال لانه هجاه والآن فتى بلغنا بيت الرجل نجد فيه المطران دير بلاي وهو اراميس فاآخذه الى ناحية واكله فتجعل انت تروح تلقانا ونجي كذلك تريد ان تكلمنا ولكن لا تفعل ولا نسمع ما تقول قال نعم ثم انطلقا حتى اتيا بيت المريض فوجداه غاصاً بالنبلاء والاشراف بين رجال ونساء فاستقبلها اراميس وقدمها للمريض فسر بمراهما ولا سيما براعول واخذ كل منهما موضعاً وسد قليل دخل الخلق واستأذنت اللعائون بوليت فالتفت اتوس الى راعول وقال له تأمل هذه الزائرة التي ستدخل فاتها ذات شأن في التاريخ فهي التي قتل عندها الملك هنريكوس الرابع ثم دخلت المرأة فعجب الفتى من مرآها وهي في ريع الشباب كيف عرفت الملك هنريكوس وكلته وكانت بارعة في الجمال والادب فتجمع الناس حولها يسلمون عليها وتقدمت الى

المريض فسلمت عليه وعزته عما اصابه ثم جلست واجالت نظرها في الناس حتى استقر على راعول فقال له اتوس هوذا المرأة تنظر اليك فاذهب اليها وحيها فذهب وقال اتوس لاراميس متى تكلم قال متى كثر الناس فاني اخاف الآن ان يفتنونا وبعد ذلك دخل النائب فلم على الناس وعزى المريض وجعل يشتم الكردينال مازارين وشدة بغله ثم اذن بالدوقة دي شفرير فدخلت وسلمت على الناس ثم جلست واجالت نظرها فيهم حتى رأت راعول واتوس واراميس فاحمر وجهها خجلاً فسرتة بمروحتها ثم انشغلت بمحادثة الناس ثم نظر راعول فرأى امرأتين داخلتين احدهما صبية جميلة الهيا سوداء العينين والشعر والثاينة صفراء نحيلة يظهر انها اكبر من الاولى فقال في نفسه والله لا اخرج من هنا حتى اخاطب الصغرى الجميلة وكان اراميس في خلال ذلك قد دنا من النائب الذي يسمى دي رنز فكلمه النائب همساً فاجعل فقال له تظاهر بالضحك لئلا يفتضح الامر فضحك وذهب الى نافذة هناك فوقف تلقاها وتبعه اتوس فجعل راعول يدور حولهما حتى اذا امنا السماع قال اراميس قد تم الامر قال متى قال غداً في الساعة السادسة في سان ماندي قال ومن قال لك قال الكونت دي روشفور ثم دنا منها احد الحضور فقيرا الحديث الى مذاكرة الشعر وافترقا فدخلوا في الجماعة بمحادثاتهم في الشعر وضروبه ثم دنا راعول من سكارون وجعل بمحادثته وكلت الى جانبه تلك الفتاة التي اعجبته فسأل المريض عنها فقال انها تدعى الهندية الجميلة تلقياً واسمها الاصيل فرانسواز دويني وهي حفيدة اغريبا الشهير صديق الملك هنريكوس الرابع وقد لقبت بالهندية لاتها قادمة من المارتينيك آنفاً فرجع الفتى بصره ونظر اليها فوجدها تنظر اليه وتبسم ثم تداخلت في محادثة سكارون فيما كان آخذاً به من ذكر احد النبلاء توصلت الى محادثة راعول حتى تمادتا برهة وفي خلال ذلك نادى دي شفرير بانوس وقالت هذه رسالة الوصاة لراعول ليدخل في جيش الامير قال اذن يكون سعيداً بان يكون مديوناً لك بمجمل قالت ليس في الامر ما يوجب ذلك ثم دعت بمربتها وودعت الناس ونزلت فدعا اتوس راعول وقال له شيع الدوقة الى عربتها واشكرها على احسانها اليك فلما خرج راعول اتت الهندية الى سكارون تستأذنه بالذهاب فسلمت عليه وانصرفت وهو يتبعها نظر العاشق حتى خرجت . اما راعول فبعد ان اوصل الدوقة الى عربتها اخذت

رأسه قبلك وقالت كن شجاعاً في الشأن الآخذ به واذكر قبلي لك تزدد شجاعةً وبأساً ثم ودعته وانصرفت وعاد فوجد اتوس فاخبره انه عين فارساً في جند الامير فسر لذلك لانه كان من اقصى امانيه ثم اخذت الناس متراجع حتى لم يبق احد في المنزل فقال اتوس لراعول استعد غداً فانك راحل الى معسكر الامير حيث عينت فارساً ثم ذهبنا الى بيتها

الفصل الحادي والعشرون

الوداع

ولما كان اليوم الثاني نهض اتوس باكراً ومشى الى حجرة راعول وقلبه يقطر دماً لقرب الفراق فوجده نائماً فوق قبائه ينامل في باهي جماله وهو كأنه خشف غزال نائم وكان قد اعد له كل ثقل السفر في خرج فلما افاق وجد الكونت واقفاً امامه فقال هذا انت يا سيدي الكونت ولم لم توقظني قال اردت ان ابيك حتى تأخذ حظك من النوم فقد اتعبك الامل والآن قم فارتد ثيابك ثم نادى الخادم اوليفون فالبسه فلما انتهى قال له اعد لي لوازم السفر فقال له اتوس قد اعدتها انا لك قبل ان تستيق فقال انت يا سيدي تعد امتعتي وانا نائم لقد ثقلت علي متك قال ذلك لتزيد محبتي عندك قال كيف تزيد وهي قد بلغت بي حداً الا مزيد بعده كما قيل

الله يعلم لو اردت زيادةً في حب عزة ما وجدت مزيداً

قال والآن فهل لم يعد ينقصك شيء فتقدم الخادم وقال يتقصه سيف يا مولاي فانك قد امرتني بان آخذه منه امس قال سنرى في ذلك ثم مشى نحو الباب وتبعه راعول وهو ينتظر ساعة الوداع فلما قرب من الباب رأى ثلاثة افراس فقال كيف هذا اترافني يا سيدي الكونت قال نعم اريد ان اشبعك قليلاً فاركب فركب الفتي جواده واوحى اتوس للخادم ما اوحى ثم ركب فرسه وسارا وعاد الخادم الى المنزل ولم يسر الفارسان غير بعيد حتى خازمها الخادم من جهة اخرى فلما ابدا قليلاً نظر اتوس الى فرس راعول وقال اترى يا بني كيف فرسك يعلو شدة الزبد تبعاً وغمي كأنه خارج من مربطه وذلك لانك تدني رأسه بالجمام وتشد حزامه كثيراً وذلك عيب في الفارس

الذي تقف حياته في متن جواده واذخار جريه فاياك ان تغفل عن هذا الامر فان
 الفارس بالفرس ثم لقد رأيت منك امراً آخر وهو انك تمد ذراعك كثيراً عند اطلاق
 الغدارة وذلك خطأ في الرمي فخطيء به الهدف فاذا اردت الرمي فاعتمد في يدك على
 كوعك وبذلك تصيب ثم اذا نازلت قرنك بالسيف فاياك ان يلعب العيش برأسك
 فان ذلك يكشف مقاتلتك لخصمك بل كن رزيناً ثابتاً تضع الضربة في حيث ترى واذا
 نازلت احداً بالرماية فلا ترم قبله فانك ان فعلت ذلك كنت على خوف ان لا تصيب
 فتبقى اعزل لدى خصمك وهذا الخوف يضعفك عن الالامة فخطيء واذا رماك
 خصمك فاحبس فرسك وامره يطع بك فانك بذلك تحيد عن رصاصته ثم اذا
 سقطت جريحاً في ساحة الحرب وكنت لاتزال فيك بقية فانتقل من وراء قومك يميناً
 او شمالاً فانك اذا بقيت وانهمز قومك مروا عليك فداستك الخيل بحوافرها واياك اذا
 جرحت ان لا تكتب لي قال نعم وكرامة وفيما هما سائران اذا باثنين من الشرطة يقول
 احدهما للآخر هوذا فارس ثانٍ ذاهب الى الجيش فيما اظن فالتفت اليه اتوس وقال
 ومن كان الاول قال فتى مثل هذا بلباسه وشكله قد مر بنا وتدل هيئته على انه
 ذاهب الى الحرب فالتفت الفتى الى الكونت وقال اذن يكون لي رفيقاً قال اظنك
 لا تدركه فان لي معك كلاماً يعقبك عن لحقه ثم ترجلا لدى كنيسة ووكلا الخادم
 بالخليل ودخلا فأشار اتوس الى خادم الكنيسة فمشى امامهما الى قبر في الكنيسة فتعه
 ووزلا في سلم الى مكان يكسوه الخمل وينير فوقه فتدبيل من الفضة معلق بالسقف
 فأشار اليه اتوس وقال لراعول امامك في هذا القبر رجلان احدهما كان الملك الاجل
 والثاني كان وزيره ولكنه كان اشد منه بأساً واكثر نفوذاً في الدولة ولكنه لم يلبث ان
 مات الوزير وتبعه الملك بعد ان كان الوزير رجل فرنسا الفرد وبطلها الوحيد بل لقد
 كانت فرنسا في يده اطوع من ثواب يديرها كيف شاء وانالم اكد اقلت منه الا بجرمة
 الذن وشق النفس فاعلم يا بني ان تميز بين الملك والمملكة فان الملك بشر مثلنا اما
 المملكة فمن روح الله فاذا بلغت اشدك ولحقت بالرجال فاتبع في خدمتك الجواهر ولا
 تفرنك الاعراض وانا والله الآن يا بني لكأني انظر الى مستقبل امرك من خلال
 سحابة فاراه احسن من ماضينا وشتان ما بين الامرين فلقد قضينا نحن ماضي حياتنا في

عهد وزير بلا ملك اما انت فتقضي غابر ايامك في عهد ملك بلا وزير فاذا وجدت الملك ظالماً عاتياً وهو من لوازم الملك بالطبع فأقم على حب المملكة وخدمتها فهي الجوهر الباقي وروح الله القدوس يرسلها من رفيع مجده الى هذه الارض الدنيا فنصبح نحن الاشراف النبلاء على عظم قدرنا وجلالة فخرنا في جانب هذا الضريح مثل هذا الضريح في جانب عرش الله فقال الفتى اذن انا اخدم الملك وابذل نفسي في سبيل خدمته او خدمة المملكة ومتى رأيت ان دمي سيسيل اصرفه الى سبيل رفعتها واسفكها في مجاري مجدها واثباتها قال بارك الله فيك فهكذا كنت ارجو منك فخذ هذا السيف الصارم فقد اشتمله ابي احد اشرف المملكة وعظماؤها ثم تقلدته انا بعده وما اذكر اني عدت به من غارة الا وهو يسم من فعالي فان كنت ترى نفسك ضعيفاً عن استلانه الآن فدعه في غمده الى يوم يوئديك غضباناً ويثنيك راضياً فأخذ الفتى السيف وتقلده وقال ان هذا السيف من اعظم ما اهديتني يا سيدي فانا اعدك اني لا اشينه ولا اردته الى غمده الا شريفاً ثم قبله ونهض فماتت الكونت وعاتقه وهما يبكيان أحر بكاء ثم نادى اوليفين الخادم وقال له ترافق راعول الى الحرب حتى يلحقك كريمود فيقوم مقامك لديه وتعود انت ثم ركب الفتى جواده وهو يشير يده الى الكونت مودعاً حتى غاب عن بصره فعاد الى الكنيسة ورجع يسأل الله نجاة ابنه ونجاحه

الفصل الثاني والعشرون

الفرار

وكانت الساعة تمر على دي بوفور في حبسه كالدهور وهو يتصور كيف تكون حالة الكردينال عند ما يبلغه خبر فراره فيسبم كأنه اطلق من سجنه حتى كان اليوم الثاني وهو يوم العيد فاعطى الحراس بعض دنانير وامرهم ان يذهبوا فيشربوا بها وكان دي شافيني قد سافر في رحلة قريبة الى بعض القرى فلم يبق في السجن الا كريمود ولارامي والامير وبعد قليل نصبت المائدة وأتي بذلك القرص من الحلواء فجلس السجان بعد ان اقبل الابواب كلها قبالة الامير وجلس كريمود وراه فقال الامير والله يا لارامي لو قيل لي ان في باريز ارغد منك عيشاً ما صدقت قال نعم وذلك تقربي منك حتى اني لا احب

ان تخرج من هذا السجن ابدأ لشدة ولوعي بك قال اذن انت نمجني قال نعم ولكن لا اريد ان تخرج من هنا وما عساك تصنع اذا خرجت سوى انك تحدث حدثاً آخر فتوضع في الباسنيل حيث لا نجد انيساً الا الجدران وكان الدوق يكلم السجن وهو ينظر الى الساعة متبهاً حركاتها حتى يآزف الوقت ثم عقب السجن قال ولعمري لقد احسنت الملكة اليك اذ وضعتك في هذا السجن فكفتك عذاب الدنيا ومشاكلها واني لاعد ذلك يداً لها عندك قال اذن اكون كافر نصتها اذا طمعت بالخروج من هنا قال نعم ولكن ما اخالك تطمع في ذلك قال لا يخلو الامر من بعض الطمع قال وبالوسائط الاربعين التي لديك قال ان لم تكن فبم قال اذن فاشرح لي هذه الوسائط اذا شئت فنظر الامير الى الساعة فوجد انها بعد عشر دقائق تدق سبعة ولحظ ذلك كرمود فاتي بالقرص الى امام الامير واعطاه السجن مدياً ليقطعه بها فاخذها وقال اذن اشرح لك الوسائط التي اعتمد عليها اولاً قال نعم قال كنت آمل ان يكون سجاني رجلاً مثلك حسن الاخلاق فاحتال في ادخال غلام لاحد اصحابي الامناء عنده فيساعدني على الفرار ومتى حصل هذا الفتى عندي بسهل علي عرفان الاخبار من الخارج قال وكيف ذلك قال بان ترسل لي الرسائل في الاكر كما جرى أمس اذ رأينا ذلك الفلاح الذي رد لنا الكرة وارسلنا له مثلها فعرف كل منا ما عند صاحبه من غير ان يشعر بنا احد قال اشكرك يا سيدي على ذلك لاني صرت اتبه الى الاكر قال نعم ثم اقول لاصحابي كونوا في يوم كذا في ساعة كذا في عبر الخندق واخيل في ايديكم قال السجن وقد داخلته الرهبة ذلك حسن بشرط ان يكون للخيل اجنحة فتطير اليك فتستطيعها قال ليس ذلك بلهم بل ان اجد انا سبيلاً للنزول اليها كانت يكون سلباً من جبل قال وهل يرسل السلم في الكرة قال لا ولكنه يرسل في شيء آخر كقرص حلواء مثلاً ولو عرفت ان صانع هذا القرص هو نوارمون خادمي الامين لمان عليك فهم الامر فقال السجن وقد ارتعدت فرائسه ثم ماذا قال ثم يمرض علي لارامي ان اكل معه قرصاً من هذه الاقراص فيأتي لي به ويصرف حراسه كما فعل الآن ويبقى لدينا كرمود وهو الرجل المخلص الذي دخل ليخلصني كما ذكرت لك حتي اذا كانت الساعة السابعة وقد دنت افتح القرص فاخرج منه خنجرين وسلباً من جبل وسدادة للفم فاضع احد هذين

الخنجرين على صدر لارامي واقول له « هي الضرورة تدعوني فاذا نبست بكلمة فانت هالك » وكان الامير يتكلم وهو يقارن القول بالفعل حتى فرغ واذا الجارحة في يده تلمع ورأسها على صدر لارامي فطار الصواب من رأس السجاني وغلب عليه الوجع فذهل حتى ارتبط لسانه وقال وهو يتلجلج بصوت يقطعه الخوف ما اظنك تقتلني يا مولاي قال اذا لم تحمل دون فراري فلا حاجة لي في قتلك قال ولكن اذا تركتك نهرب فانا رجل مدرس البيت قال ذلك اعرضه عليك قل اذن انت مصمم على الفرار قال نعم ثم دقت الساعة فقال كريمود اذهب الوقت فقال الامير ما رأيك يا لارامي ثم شد على الجارحة حتى وصلت الى صدره فوجد ألمها فقال لا تحرك من مكاني فافعل ما انت فاعل واعف عن حياتي ولكن التمس منك قبل ان تذهب ان تربطني وتشد الوثاق ما استطعت حتى لا يقال عني اني واظنك على الفرار ثم اذا قتلت فاذا كريا مولاي ان لي امرأة وابنة اولاد قال انا كفيل بهم فاسرع كريمود وقام الدوق فربط السجاني يديه ورجليه ووضع في فيه السدادة واكثر فوجه من الامتعة والكراسي ليدل ذلك على انه كافح قبل ان يربط ثم اخذ كريمود منه المفاتيح ففتح الابواب حتى وصل الى السور فربط السلم وقال له الامير لقد عاهدتك ان تنزل قبلي فانزل فنزل حتى اذا بلغ ثلاثة ارباع الجدار اقطع به الحبل فسقط يهوي في تلك الحفرة فانتشله اثنان كانا يتظرانه هناك وقال احدهما للامير انزل يا مولاي فان الارتفاع من طرف الحبل الى الحفرة لم يتجاوز الخمس عشرة قدماً والارض هنا رطبة وعليها نبات فنزل الامير على الحبل حتى بلغ آخره فرمى بنفسه فجاء واقفاً في الحفرة ونظر فاذا في اعلاها روشفور اما الاثنان اللذان كانا بها فلم يعرفها فقال لهما ساقضي واجب شكركما في غير هذا الوقت اما الآن فاتبعاني ثم صعد وهما يتبعانه فركب جواده وربط كريمود وهو مغشى عليه على جواده ثم امتطيا فرسيهما وساروا بافراسهم يعدونها ملء فروجها والامير يقول لفرسه

هلا ما لبادر عليك امارةً نجوت واما تحمليين طلبقُ

الفصل الثالث والعشرون

وصول دارتانيان

اما دارتانيان فكان قد عاد من بلوا بعد ان قبض سقجة الكردينال وبلغ باريز بعد مصيرة ثلاثة ايام ومعه بلانشت فلما كان في بعض اسواق باريز بصر بورتوس في بعض نوافذ فندق شفرت وكان لابساً الفخر ثيابه وازهاها حتى كانت المارة تعجب منه ومن هيئة النعمة عليه فبعد ان سلم دارتانيان عليه اخذه الى ناحية وقال احسنت اذ لست الفخر ثيابك فاني ذاهب بك الى الكردينال قال وما تراني اصنع عنده ويرانى اهل البلاط والمملكة قال لم يعد من بلاط ولا ملكة يادي قالون فهلتم بنا فان في الامر عجلة قال اتأخذ الخدم معنا قل خذ موسكتون فنه كفاية فأمره ان يسرج فرسين كريمين كانا لبورتوس وان يضع عليهما الغدرات قفل وهو يستعيز بالله من الشيطان وشر السلاح ويندب حسن ايامه في براسيه حيث كان مع بورتوس في رغدٍ وهناء فلما ذهب الفتى لاسراج الفرسين قال بورتوس لدارتانيان وانت ألا نجد ثيابك قال لا بل احب ان اقابل الكردينال على هيتي هذه من الغبار والاضطراب ليرى اني اسرعت في خدمته ثم أخذ كل منهما سيفه وركبا وموسكتون وراهما وساروا خياً الى قصر الكردينال بين جماهير الناس المتجمعة في عيد العنصرة فبلغوه عند الساعة السابعة وصعد الصاحبان الى قاعة القصر فقال دارتانيان لبورتوس اذا دخلت على الكردينال فلا تهبه وسلم عليه بابهة وكبر والا ظن خضوعك دليل ضعف ثم دخلا على الكردينال فقابل دارتانيان بالترحاب فقال قد اتيت يا مولاي حسب امرك وصحبت معي دي قالون احد اصحابي القدماء الذي يخفي شرف لقبه تحت اسم بورتوس وهو احد ابطال فرنسا وشجاعتها المشاهير وكان مازارين يحب الجنود الباسلة ويستأثرها فلبث برهة يتأمل في بورتوس وتناسب اعضائه وكبرها وهو كانه ينظر الى سلام المملكة قائماً في جسم هذا الرجل بين دم وعظم ثم التفت الى دارتانيان وقال وابن صاحبك الاخراب قال وجدتهما في شغل بينهما عن المجيء الا ان ولكنهما سيأتيان بعد ذلك اما دي قالون فقد أتى معي جياً لخدمة الكردينال وان يكون وافر الثروة قال احسنتا وابي فما الذي يطعم به

صاحبك قال انه مالك ثلاث اراضٍ احداها ارض دي فالون والثانية دي براسيه
والثالثة دي بيرافون ولذلك فهو يرغب ان تكون احدى هذه الاراضي بلقب بارون
فسر الكردينال لذلك لانه لم يجد في الامر دفع مال وقال ذلك علينا هين وانت
يا دارتانيان فما الذي تريد قال ان الكردينال السابق رحمه الله قد انعم علي رتبة ضابط
الحراس قال اذن تريد ان مازارين ينعم علي برتبة القائد قال نعم قال وهو هين
ايضاً وسنرى فيه ولكن اية خدمة تحب يا دي فالون أخذت المدائن أم خدمة الحرب
فهم بورنوس بالاجابة فسبقه دارتانيان وقال انت صاحبي علي شاكلي يحب المآخذ
الخرجة وتمعم الاعمال الخطيرة التي يخافها الناس بعيدة المنال او مستحيلة قال ذلك
ما دعوتك لانه لان لي امرأ يشغلي احب ان استريح منه . . . ولكن ما هذه الجلبة
في الدار وفيما هو كذلك اذا بصوت رجل يقول ابن الكردينال ابن الكردينال فظن
مازارين ان رجلاً آتٍ لقتله فخاف وتقهقر ووقف بورنوس ودارتانيان دونه واذا برجل
دخل اصفر الوجه معفر الثياب وقال للكردينال لا بد يا سيدي ان احادثك سرّاً وعلى
عجل فاتا دي بوان رئيس الحراس في سجن قنسان فانتبذ الصحابيان ناحية من الفرقة
ودنا الضابط من الكردينال وقال هرب بوفور من سجن قنسان فلم يكن وقوع الصاعقة
علي ازارين باشد من وقوع هذه الكلمات في اذنه فاصفر وجهه وسقط على كرسيه
وقال ويلاه كيف هرب قال تدلى من اعلى الشرفة قال ولم لم ترموه بالرصاص قال
لانه كان ابعد من المرمى قال وماذا كان يصنع دي شافيني قال كان غائباً ولقد دخلنا
فوجدنا لارامي مكتوفاً اشد كثاف وفي فيه سداة والى جانبه خنجر قال واين الحارس
الجديد قل ذلك صديق الامير وقد دخل ابواطه على الفرار فالتى الكردينال برأسه
على كتفه وتنفس نفساً ظن معه ان كبده قد تصدعت فدنا منه دارتانيان وقال اتا
بذلك نضيع الوقت سدى فلو امرتنا بان نمجري على اثره علنا قبض عليه قبل ان
يخرج من فرنسا قال انت قبض عليه وكيف تقدر على ذلك وهو لا شك في جند
قال والله لا قبضن عايه ولو خباثته بين انايها الاسد فقال بورنوس نعم وانا اذهب معه
فقد اشتقنا الى ملاقاته صدور الخليل قال وهل تقدران على لحاقه قال اذا كنا اسرع
افراساً منه قال اذن فخذنا ما شئنا من الجند واتبعاه وهذا امري بذلك ثم كتب لها

مرأ وقال بهذا تتعلق البارونية يا دي فالون و انت يا دارتانيا ان فلك ما تشاء اذا عدت بالدوق ميتاً او حياً فاذها على بركات الله فخرجوا مسرعين ونزلا سلم القصر الى الدار وقالوا خيولكم يا قوم وفي اقل من دقيقة ركب معها اثنا عشر فارساً وتبعها موسكتون وساروا ينهبون الارض عدواً بخيلهم فداس دارتانيا ان رجلاً في طريقه ولكنه لم يعبأ به لخطارة الامر واهيته

الفصل الرابع والعشرون

الطريق الاعظم

وما زالوا سائرين يقطعون شوارع باريز سراعاً حتى خرجوا منها ودنوا من فنسان وقد أخذت الخيل تلهث تبعاً فرأوا قبلة الخندق جماعة من الناس ينظرون الى الخيل المدلى من السور وهم في اهتمام وحبيرة فدفع دارتانيا ان جواده نحو رئيس الشرطة وقال هل تبعم الهاربين قال نعم ولكن ما نرانا ندركهم فان افراسهم جيد قال وكم رجل هم قال اربعة وجريج فالتفت دارتانيا ان الى بورتوس وقال انهم اربعة يا بارون فابشر بالنجاح ثم قال للرئيس ومن كم ساعة هربوا قال من ساعتين وربع قال واي طريق اخذوا قال ذلك محظور علي ان اقله فاخرج دارتانيا ان ورقة وقال هذا امر الملك قال اذن فاعد الى الحاكم قال واين هو قال في نزهة له فلمبت سورة الغضب بدارتانيا ان فمد يده بالامر الى الضابط واخرج غدارته بالاخري وقال ويملك يا ابن الفاعلة انهزأ بي اقرأ امر الملك واجب والا طار رأسك في أي طريق ساروا فقال الضابط وقد اخذه الجذع من طريق فاندوموا من باب سان مور قال اذا كنت كاذباً فانت هالك ثم لوى رأس جواده وتبعه قومه حتى بلغوا الباب فوجدوه مقفلاً فاجبروا البواب على فتحه وخرجوا منه بالخيل كما اندفق السيل في الليل ولكن افراسهم كانت قد تعبت فصارت تقصر ولم يسيروا غير بعيد حتى وقف ثلاثة منها ووقع فرس من الثعب فقال دارتانيا ان لبورتوس ان فرسينا كريمان ونحن بطلان فلا حاجة لنا بالجد ما دام بغيثنا اربعة قال صدقت وبذل شاكلة جواده المهماز وصار من بقي من القوم على اثره وهم يسوقون سوق الهارب حتى قطعوا اثني عشرة غلوة في ساعتين وقد لهنت الخيل

وكلت قوائمها وعلا الزبد على اشداقها واحمرت مناخرها كأنها تنفخ ناراً فقال بورتوس
لم تعد الخيل نحلنا فلنسترح قليلاً قال لا والله بل نزجها حتى تقتلها فاني ارى آثار
الاقدام قريبة العهد ولا نبعد ان ندركم وساروا وكان الليل قد اقبل ولم يبعدوا حتى
وقف جواد موسكتون فقال بورتوس هذا اول جواد لي هلك قال لا تأس عليه
فسيعوضك منه الكردينال الف دينار ثم همز جواده وكان قد اعجب فسقط به وجاء
واقفاً الى جانبه وهو يكاد يموت غماً واسفاً واذا بجواد بورتوس قد سقط فاصبحا راجلين
قل دارتانيان لا حول ولا قوة الا بالله نام عصام ساعة الرحيل وما تم كلامه حتى
سمع صهيل جواد على مقربة منه الى امامه ثم ادركهم موسكتون راكضاً على رجليه وهم
بالكلام فاسكته دارتانيان واذا بالصهيل قد عاد فقال قد وصلنا الى الخيل فيها يا قوم
واخذ كل منهم غداراته في يديه وساروا عدواً حتى بلغوا الى بيت فاقضها دارتانيان
وقال رويداً فانا اقضي الامر وحدي ثم افعل كما افعل ودنا الى خادم قابض على ازمة
الخيل وقال قد اشتريت منك هذه الجواد قال هي لا تباع ولا تمار قال اذن آخذها
اغتصاباً ثم وضع رجله في الركاب واستوى في سرج احدها واقتدى به صاحبه فصاح
بهم الخادم رحبكم يا موالي فان هذه الافراس آتية من سفر بعيد وقد استراحت آنفاً
من نصف ساعة قال دارتانيان ذلك كاف لجاحها قال الا تدري انها خيل موتبازون
قال اذن هي جواد والله فاعلم انك اذا نبست بكلمة قتلناك ثم ركبوا وساقوا فصاح
الخادم وانهاالت في اثره الرجال فصاح بهم دارتانيان اذا رميت تصيرون جوادكم فانظروا
فيما تفعلون ثم حث جواده فطار به وتبعه رفيقه فقال دارتانيان اعلمت يا بورتوس
ان هذه خيل موتبازون عشيقة دي بوفور الهارب قال اذن ندرك الامير على خيله ثم
رأى جواده قد قصر به وجعل الدم يسيل من جانبيه فجعل يسير به وهو يجر خطاه
حتى قال دارتانيان ماذا ارى هناك فقال بورتوس اذن انت ابصر من فرس فماذا ترى
قال شراراً فاسرعاً ثم تقدموا فمثر جواد احدهم بفرس صريع ثم رأوا جواداً آخر
فقال يظهر ان القوم مثلنا فقال بورتوس نعم ولكنهم عديدون قال لا بأس فانهم مها بلغ
عددهم يخافون منا لانا طالبوم

الفصل الخامس والعشرون

المقابلة

وبعد مسيرة عشر دقائق رفع لهم شهبان اسودان يتقدمان اليهم تحت ظلام الليل فقال دارتانيان لبورتوس خذ حذرك فقال ويل لمن يقدم علينا ثم تقدموا فصاح بهم احد الشبهين من انتم فلم يجيبوها واقبلوا عليها فسمعوا صليل السيوف تنصت من اغماها وازناد الغدارات تفتح ففعل الحرسيان كفعالها واذا بالشبهين قد وقفا في وجهها وصاح احدهما من انتم فقال دارتانيان ارجعا او فاتنا ميتان وما اتم كلامه حتى دوت طلقتان من يدي الشبهين فراحتا خائبتين ورمى دارتانيان خصمه فقتله وقارب بورتوس الآخر وضربه فصرعه فقام يمدو فتبعه موسكتون ورماه برصاصة فقتله واستمروا في مسيرهم واذا بفارسين آخرين قد انفصلا عن جماعة الامير واقبلوا عليهم فصاح بهم دارتانيان خليا عن الطريق فقال من تريد قال الامير ودنا من احدهما وضربه بسيفه فقتله ثم اطلق بورتوس وخصمه معاً والتفت دارتانيان فوجد صديقه قائماً الى جنبه فقال اظنك قتله قال اجدني اصبت جواده ولكن لا بأس فما كل رمية تصيب ثم حرك دارتانيان جواده واذا به يتعثر حتى سقط وكانت رصاصة الخصم الاول قد اصابت صدره واذا بموسكتون قد ادركه بجواد فقال ويحك وأني لك هذا قال هو ركوبة الذي قتله فاركب بسم الله مجراها فركب وحشا غدارته واذا بفارسين آخرين قد اقبلوا عليهم ثم صاح موسكتون اصبت يا مولاي قال ومن رماك قال الذي قتلت جواده فالتفت بورتوس فوجد الرجل قادماً وهو يحاول استلال سيفه فانصب عليه واعجل عن السيف فضره به بجمع يده على رأسه فسقط كانه ثور وسار الى جانب دارتانيان نحو الفارسين المقبلين حتى اذا دنوا منها صاح بهما دارتانيان خليا عن الطريق بامر الملك فقال احدهما ليس للملك هنا من امر ثم دوت طلقتان احدهما من دارتانيان والاخرى من خصم بورتوس فاصابت الاولى قبة الفارس والثانية عنق جواد دارتانيان وصاح الفارس الى اين تذهبان قال الى حيث التفت رحلها ام قشعم فخليا عن الطريق قال تصلان بعد قليل ثم رماه برصاصة فذكر دارتانيان نصيحة انوس فادنى عنان جواده

فطفي به فاضابت الرصاصة بطنه فسقط تحت دارتانيان فقال صاحب الرصاصة اري
قتالنا راجعاً على خيل ليست من بغيتنا فالسيف اصدق يا فارسان ثم نرجل عن جواده
واستل سيفه فقال دارتانيان وقد سل سيفه انصفت والله فالسيف يعرفني واعرفه ثم
التقا السيوفان كما تلتقي الساعة بالصاعقة ودارت رحي الضرب بينهما فوجد دارتانيان
من خصمه بطلاً عنيداً وحاذقاً مجرباً وهو لا يرى منه الا بريق سيفه لحوول الظلام
بينهما وكان بورتوس قد حشا غدارته وقال لخصمه خذها ويحك ثم اطلقها عليه فلما
اضابت نارها تعارفت الوجوه فصاح دارتانيان اتوس قال نعم دارتانيان قال نعم ورفع
كل سيفه وصاح اتوس اياك ان تطلق يا اراميس فقال بورتوس هذا انت يا اراميس
ورمي بغدارته واقبل كل من الخصمين على صاحبه يعاقبه فقال دارتانيان لاتوس تحول
دون الامير يا اتوس وقد تعهدت بالقبض عليه اتى اذن لتعيس مخذول فكشف اتوس
صدره وقال اقلني اذا كنت في الامر فضيحة لك وكان موتي يسهل سيديك فصاح
دارتانيان واكرباه لم اكن احسب والله ان رجلاً في الارض يحول بيني وبين بغيتي ولم
تكن انت في حسابي فماذا اقول للكردينال واذا بصوت قد طلع من وراء صاحبه يقول
تقول له انه ارسل في طلبي رجلين يقاتلان اربعة او عشرة ولكن لا يقاتلان حسين
فصاح اتوس واراميس الامير ثم حالا دونه ورجع دارتانيان وصاحبه خطوة الى الوراء
اجفالا وهيبة وهما يقولون خمسون فارساً فقال الامير نعم واذا لم تصدقا فانظرا فنظرا
واذا هما بين فوارس عدة يحيطون بهما احاطة السوار بالمعصم ثم قال واني لما سمعت
صوت القتال ظننتكما عشرين فارساً فأتيت بقومي لانظر ما الخبر عساني اجد سبني بعد
طول احتباسي ولكني لم اجد الا اثنين فقال اتوس لم تخط يا مولاي فانهما اثنا
يساويان عشرين فقال الامير هلم سيفيكما وسلما فقال دارتانيان ان هذا لا يكون فتحرك
بعض الفرسان من قوم الامير وهما بالاطباق عليها فصاح بهم اتوس مكانكم يا قوم
لتزى ثم اخذ الامير الى ناحية وكلمه سرّاً فاجابه ليكن ما نشاء يا كونت فانا احمل من
جھيلك علي ما لا اقدر معه على رفض اول طلب لك ثم التفت الى رجاله وقال تفرقوا
يا قوم وانما يا دارتانيان ودي فالون فانما مطلقان فتفرق الفرسان دائرة واسعة تقطعا
دارتانيان وصاحبه فترجل اراميس واقبل مع اتوس اليها وقال اتوس لدارتانيان

أتأسفان بعد الآن على انكما لم تسفكا دماءنا قال اعوذ بالله بل نأسف على انا حلوانا ذلك بعد ان كنا كالماء والراح فقال اراميس اذن فكونا من حزبنا فقال اتوس لا يا اراميس فقد فضت التقادير بان يكونا من حزب مازارين كما قضت علينا ان نكون من حزب الامير فقال بورتوس اذن نحن اعداء وفي حساب من كان ذلك فتهد دارتانيان ولم يجب فاخذ اتوس يده وقال انه ليمز عليّ والله ما جرى وان قلبي ليقطر دماً من هذا الامر وما تنكر انا افترقنا واصبح كل منا في حزب ولكن الحرب لم تنشب بعد ولنا عليها عهد نجريها قبل ان ندخل في غمارها قالوا اصبت قال فعينوا لنا موضعا نجتمع فيه فتقسم تلك الايمان قالوا في الساحة الملوكية في باريز مساء غد في الساعة العاشرة من الليل ثم اتشوا كل فريق منهم الى جهة فقال لها الامير اذا رأيتا مازارين قولا له ان في الامير بقية بعد قال دارتانيان وانت اذا رأيتة قتل له انا بذنا جهدا في سبيل خدمته ولكن حالت دوننا التقادير ثم مضى اتوس فاتي لهما بجوادين فودعاه وانطلقا وقد تبعهما كريمود خادم اتوس فقالا له الى اين تذهب قال ارافق راعول الى الحرب وفيها هم سائرون عنثروا بموسكتون جريماً يئن وهو لا يقدر على الركوب فوكلا به. كريمود وانطلقا الى باريز فرأيا فارساً ذاهباً من قبل الامير الى مازارين يحمل كتاباً منه يذكر فيه الفارسيين احسن ذكر وانه سيصلي عليه نار الحرب فبات الكردينال على أحر من جمر الغضى وهو يعجب من دارتانيان وفعله

الفصل السادس والعشرون

اربعة اصحاب قدام

فلما كان اليوم الثاني اجتمع دارتانيان وبورتوس في الفندق فقال له ماذا قال لك الكردينال قال دارتانيان سألتني عن امرنا امس فاخبرته انا كنا اثنين نقاتل خمسين فرضي عني وعك وشكر منا ولكن كبر عليه امر الرجل الذي دسته فانه المسيو بروسول وهو احد اعضاء البرلمان وبعد ذلك دفع لي ثمن افراسك يا بورتوس الف دينار قال صفقة رابحة والله . ولما كانت الساعة التاسعة قال بورتوس هذه الساعة التاسعة وقد دنا الميعاد للساحة الملوكية قال دعني من هذا الامر فلست بذهاب ولا اقدر ان ارى

رجلين حالا دون مرامي وانا اخشى ان يكون في الامر شيء قال يجب ان نذهب
لئلا يقولوا اننا فزعنا ونحن قد قاتلنا جندهما وهم خمسون افلا تقدر عليها وهما اثنان قال
قد علمنا امرهما من امس وانهما مع الامير فما فائدة ذهابنا الاآ قال اتحذر منهما
حقيقة يا دارتانيان قال نعم من اراميس من يوم صار راهبا قال لا بد من الذهاب
فنادى دارتانيان يبلانشت وقال له اسرج الخيل واحس القدارات فانا لا نأمن
صاحبتنا فنعمل

وكان اتوس واراميس قد دخلا باريز في تلك الساعة فقال اتوس لو ملنا الى بعض
الفنادق فترعنا سلاحنا قل اخطأت بل نذهب بالسلاح فهو موعد حرب يا اتوس قال
قد اهدت المرمى واسأت الظن قال لا وحياتك يا كونت بل هو فصل الخطاب بيننا
وسترى ما سيكون فخذ حذرک منها قال اتظن انهما يمدان ايديهما الينا انك اذن لمجنون
قال ذلك لا يقال بين الاصدقاء ولكنه يقال بين الاعداء ولقد اسأنا اليها امس
ومنعناها بغيثها فضاعت معها آمالها قال واذا لقيناها بغير سلاح فكيف تكون خجالتنا قال
هيات ان يذهبا بغير سلاح وسترى صدق قولي ومع هذا فانا قادمان من سفر ولا
لوم علينا اذا حملنا السلاح قال ويلاه انك لتدعي فوادى بهذه الظنون يا اراميس وان
ذلك لا يخال فاذهب انت بسلاحك وانا اذهب اعزل قال لا والله لا ادعك تذهب
الا بالسلاح فانت حزب بأسره ولست رجلاً فرداً الآن قال اذن شأنك ثم تسلحا
وسارا حتى بلغا المكان فوجدا دارتانيان وبورتوس قادمين يجران سيفيهما ووراهما خادم
لها حتى التقوا فقال اتوس ابن تريدون ان نجتمع فقال اراميس ان باب الحديدية مقفل
فكيف العمل وفيما هم كذلك اتى البواب ففتح لهم وقال تقسمون لي بانكم لا تبارزون
فقال اراميس لا حاجة للقسم فانا اصدقاء لا تبارز فهمس دارتانيان في اذن بورتوس
ان اراميس لم يشأ ان يقسم فخذ حذرک ثم دخلوا فصل سيوفهم ليهرب بعضهم بعضاً
واقام الخادمان على الباب

فلما دنوا الى شجرة مخبية وقفوا فقال اتوس ان اجتماعنا يا قوم دلالة على عريق
ودادنا فقال دارتانيان ما لنا ولهذا الان فلنأخذ في الالم قال انا على ما تريد فهل لك
شكوى مني أو من صديقي اراميس قال نعم لما رأيتك في قصر براجيلوت وعرضت

عليك امري لم تجبني بصراحة عن حقيقة امرك بل خنتني عن القصد وانت قد فعلت
مثله يا اراميس وكلاكما ملومان فقال اراميس لا لوم علي منك يا دارتانيان فقد اتيت
الي تطلب رأيي في مازارين فاجبتك انه غادر لثيم ثم لم اتعهد لك باي لا اخدم احداً
فاذا خدمت الامير فلا لوم علي وما دمت انت في حزب فما علينا اذا كنا في حزب
آخراً ما لم تتساو في الملامة وعند ذلك فلا لوم فقال دارتانيان وقد ثار به الغضب أرى
ان الرهبانية قد احسنت تأديك يا اراميس ثم نهض فنهض اراميس معه ونهض
الاثنان الاخران وأهوى اراميس بيده الى قبضة سيفه فامسكه اتوس وقال اراك
يا دارتانيان قادماً الينا وفي رأسك بقية سورة من امس واني اظن ان كرم اخلاقك
وصحبة عشرين سنة تمنعك عن الغضب ساعة لاني اعلم ذلك من نفسي فاني اذ وبخت
علي هفوة اقر بها . فآثر هذا الكلام في دارتانيان وساعده نفوذ اتوس علي قلبه فقال
كان يجب عليكما انت وصاحبك ان تطلعاني على دخيلة امركما وما انما عازمان عليه
حتى لا ألقى بنفسي في طريق احدكما عقبه لي فيها كما وجدتكما امس ولكن ذلك انا
ملوم به لاني لم احذر عاقبة السلم الخشبية التي يضعها اراميس في شباكها ليصعد عليها
بعض الناس . فعلم اراميس ان دارتانيان رأى معه الدوقة دي لونكفيل ناشتل به
الغضب وقال عد الي ما يعنك يا دارتانيان فهو اولي لك قال صدقت ولكن يمز علي
أن ارى الرياء والخداع واسكت عنها ثم سل سيفه وهما بالقتال فتقدم اتوس
بما يعهد فيه من العنفوان والخيلاء وسل سيفه وضربه علي ركبته فكسره والتفت الي
اراميس وقال افعل كما فعلت فانه واجب فتوقف فقال انا امرك فافعل فاصفر اراميس ولوى
سيفه فكسره وانهد دارتانيان وبورتوس سيفيها فرفع اتوس يده وقال علي يمين الله وعهده
لا اسل في وجه احدكما سيفاً أو انظر الي احدكما بعين الغدر فلقد عشنا معاً في السراء
والضراء وسفكتنا دماً حتى امتزج ثم نحن مشتركون في بعض الجرائم ايضاً اذ حاكنا
مخلوقة وقتناها بغير اذن وان تكن تستحق القتل افنحن الاربعة علي شديد ولائنا ووثق
المرى من ودادنا يفصل بيننا مازارين وقد رغنا انف ريشيليه وكان ارفع منه بدرجات
وكان ما كان من سابق امرنا معه ومع الملكة فانا استميحك عذراً يا دارتانيان لاني
سلت سيني في وجهك فابغضني بعد ذلك او احببني فانا لا ازال احبك قتل يا اراميس

كما قلت فردد اراميس من امثال ذلك الكلام ايماناً وثيقة بانه لا يبغض صاحبيه ولا يكرههما ثم تلاه دارتانيان وبورتوس قال اتوس بارك الله فيكم فهكذا قد كنت ارجو من رجال كرام مثلكم فلتكن مودتنا ثابتة وليكن كل منا وصاحبه بمكان الكليتين من الطحال فلا تقدر الملوك ولا الامراء على تفريقنا او افساد ذات يتنا فقال دارتانيان نعم فلنكن حراساً بقلب واحد ولتكن رايتنا ذلك المنديل الذي وضعناه علماً في حصار روشل عساكم تذكرونه وطرز عليه الكردينال ثلاث زهرات من الزنبق فأمنوا جميعاً على ذلك واقسموا على صليب كلف مع اراميس وتفرقوا والحزن ملء قلوبهم وامر الوداع شديد

الفصل السابع والعشرون

سفر راعول

نعود بالقارىء الآن الى راعول الذي تركناه بعد ان ودع اتوس فانه سار يركض جواده وهو فرح بقربه من الحرب يردد في ذا كرته وصايا اتوس فيفخر ويزهى ثم تخطر له لويزا فيحزن كمن يودع عصر الصبا وعهد الشباب واللهو وما زال سائراً على حاله تلك حتى بلغ قرية فترجل لدى فندق وجلس على خوان في ساحته وطلب من صاحبه ورقاً وحبراً فأتاه بهما وقال له قد مررت على من ساعة فتى شريف مثلك يتبعه خادم فجلسا على هذه المائدة واكلا ثم انطلقا افلا تريد ان تأكل قال لا ولكن اعط خادمي ما عندك من طعام وشراب قال نعم وكرامة ثم ذهب واستمد راعول فكتب سيدي الكريم

اكتب اليك كتابي هذا بعد مسيرة اربع ساعات اشكوك فيه لذعة الوداع ومرارة النوى وعساك فيه عاذري فانت تعلم ما يخالج قلبي من ولائك والاخلاص لك وفي مأمولي انك تكتب لي قريباً من نصائحك ما اعده حياة ثانية وعمراً جديداً وما اكرم عليك يا سيدي الكريم ان قلبي يحدثني بانك آخذ في شأن خطير قد يؤدي بك الى خطر هائل ولم اجسر ان اسألك عنه ولكني اسأل الله لك السلامة فهي سلامة لي ولا فضل للداعي اذا اعتبر. ثم التمس منك اذا كتبت لي ان تذكر ما يردك من

اخبار بلوا عن صديقتي لاقالير وهل في خطر ام سلامة هذا واني علم الله لا اقطع لك
من قلبي ذكراً اخاله يمثلك لي فالد بقربك في الوهم الى ان يمن الله باللقاء والسلام
ولما فرغ من الرسالة اودعها البريد وسار حتى بلغ قرية فسأل عن الشاب الذي
تقدمه فقيل له انه سبقه بثلاثة ارباع الساعة فقال لخادمه اذن ندركه يا وليقين فهو لنا
نعم الرفيق ثم تقدما حتى بلغا قرية فاكلا فيها وسألا عن الشاب فقيل لهما انه فعل مثل
فعلها وقال انه سيدت في نوايون فقال راعول لخادمه هلم نبتني نوايون قال هي بعيدة
ياسيدي وخيلنا اضر بها التعب فالاولى ان نيت هنا ثم نرحل عند الفجر قال اما تدري
ان سيدي الكونت دي لا فير يريد ان اعجل حتى ابليخ الامير في اليوم الرابع ثم سارا
يبحثان جواديهما حتى بلغا رابية تشرف على النهر فوجدوا بعض فرسان على حافة النهر
يريدون ان يعبروه فعلم راعول انهم الرجل الذي تقدمه وخدمه فنادى باعلى صوته
يستوقفهم ولكنه كان بعيداً عنهم فلم يسموه فوخز جواده فخرج به كالبرق حتى دنا من
النهر واذا به يسمع صراخاً فقال لخادمه ويحك هل تبصر صاحب هذا الصراخ قال نعم
يامولاي ان جبل السفينة قد انقطع وهذا فارس بجواده يطارد موج النهر وقد اشرف
على الفرق ثم حث جواده فعدا به ينهب الارض حتى بلغ حافة النهر ثم وخز الجواد
فتزل به الى النهر فصاح خادمه ويلاه يامولاي ماذا تصنع فلم يجبه الفتى وجعل يسبح
بجواده نحو الغريق سباحة ماهر وخادمه يصيح ويولول حتى دنا من الغريق وقال له
تشدد ياسيدي فقد اتاك المدد وكان اوليفين قد خشي على راعول فرمى جواده في
النهر وهو يقول هلكننا والله وفيما هما كذلك كانت السفينة قد جرت مع تيار الماء فوثب
منها رجل اشمط الناصية وجعل يسبح بعنف نحو الغريق واذا بالفتى يغطس تحت الماء
فصاح به راعول تشدد يا فتى فقال هيهات هيهات ثم مرت المياه فوقه فاخفت صوته
فرمى راعول بنفسه عن ظهر جواده وتركه وشأنه واسرع في السباحة نحو الغريق حتى
ادركه وقد مال عن جواده فاخذ بيده واطاها على عرف الفرس فتشبث به تشبث
الغريق بالخشبة ورفع رأسه وأخذ راعول بلجام الجواد وقاده حتى وضع حافره على
شاطئ النهر وصعد يحمل الفتى وهو على آخر رمق فصاح الرجل الاشمط الحمد لله على
الخلاص فقال الفتى نعم الحمد لله ثم التى بنفسه عن الجواد بين يدي راعول فاخذه الى

عشب هناك فالتقاء عليه برفق وفك أزراره وفتح الفتى عينيه ونظر الى راعول نظرة ملئها الشكر وقال لولاك لقتني علي فقال راعول لم افعل الا الواجب يا سيدي وليس في قضاء الواجب شكر واذا بالرجل الاشمط قد جاء الى راعول وقال ان جميلك لا ينسى يا سيدي فقال الفتى للرجل هذا انت يا دارمينج اظن اني ارهبتك ولكن ذلك من قبلك فانك لم تعلمني السباحة فيما علمتني فقال والله لو اصابك مكروه ما جسرت على المثل بين يدي المارشال فقال راعول وكيف كان امر ذلك قال الشاب بينما نحن في عرض الهر قطع جبل السفينة الموصول بالشاطئ، فصاح من معي من النوتية فأجفل جوادي ووثب بي الى الماء فارتبكت لجهلي السباحة حتى عقت الجواد من مسيره وكدت اغرق لو لم تداركني بيدك وتنقذ حياتي من مخالب الموت فقال راعول عفواً يا سيدي فما انا الا خادمك وعبدك فقال انا الكونت دي كيش وابي المارشال دي كرامون واذا قد عرفت اسمي فتكرم علي بذكر اسمك فقال انا الفيكونت دي براجيلون ثم صبغ وجهه الحياء لانه لم يقدر ان يسمي والده كما فعل الكونت قال قد ملكتني يا سيدي الفيكونت برقة لطفك وجميل صنعك فأنا اعاهدك على الاخاء قال وانا والله اشد رغبة منك في العهد قال والان الى اين تذهب قال الى معسكر الامير يا كونت قال وانا والله كذلك اذن نكون رفيقين فقال الرجل مؤدب الكونت هلم يا فتيان فان ثيابكما يقطر منها الماء وانا اخشى ان يصيبكما ضرر وتلتحق الاتباع والثقل في الفندق الذي امامنا ثم ركبوا وانطلقوا يعدون الى الفندق

الفصل الثامن والعشرون

المقاتلة

ولم يقم القوم في نوابون الا ليلتهم تلك ثم استيقظ الفتيان صباحاً وركبا فرسيهما وتبعهما الخدم وسارا جنبيين وكان الكونت دي كيش قد نشأ في باريز وربى في بلاطها فجعل يحدث راعول عن ماضي اخباره في ذلك القصر وانه يعرف كل اشراف باريز ثم استرسل معه الى حديث العشق فعلم راعول انه يكتم عنه سرّاً من هذا القليل كما كتم راعول سر حبه للويزا ولم يزال سائرين على حديثها ذلك سحابة يومها حتى

بلغنا قرية ارأس وقربا من ساحة القتال

وكانت الجيوش الفرنسية ضاربة من بونتامارك الى فلانيان وكان يقال ان الامير
مقيم في « يتين » وكان جيش الاعداء ضاربا بين كاسال وكورتراي يشنع بالناس وينهب
بيوتها حتى هربت منه الى المدن المحصنة وكانت ارأس مكتظة بجماهير الهاربين وكلهم
يقول ان الامير على وشك اصلاء نزل الحرب على الاعداء فبات الفتيان في غرفة واحدة
في ارأس حتى طلع الفجر فنهضا واعدوا سلاحهما واذا بنخبر قد شاع بين الناس ان الامير
دي كونده قد دخل يتين ذاهبا منها الى كارفين بعد ان ترك فيها حامية من الجند
فعزم الفتيان على مبارحة ارأس الى يتين ومنها يذهبان الى كارفين وكان مربي الكونت
دي كيش عارفا بتلك الطرق والبلاد فاشار بان يجعل سيره في طريق متوسط بين
طريقي لانس و يتين حتى اذا بلغوا ابلين يستخبرون منها عما هو جار وفي الساعة السابعة
من الصباح ركب القوم وهم ثلاثة موال وثلاثة خدم وكلهم بالعدة الكاملة فقال الكونت
لراعول الا ترى اننا نحارب اذا التقينا بشرزمة من الاعداء قال كيف لا ونحن كلنا
بالسلاح فتقدم المربي وقال للكونت رويدك يا بني فقد اوصاني ابوك بان اوصلك اليه
حيا فلا تخاطر بنفسك الآن ومتى حصلت في ساحة الحرب وبرئت ذمتي منك فشأنك
باقتحام الموت اذا كنت تشبهه وفي اثناء مسيرهم كانوا يلتقون بجماهير الفلاحين هاربين
بمواشيهم الى الجبال من وجه العدو حتى بلغوا ابلين فعملوا من اهلها ان الامير نازل
بين كامبرين وفانتي فاوصى راعول من يخبر كرىمود عن وجهته ليتبعه اذا جاء ثم ساروا
حتى قربوا من غابة تعترض في طريقهم فقدموا امامهم اثنين من الخدم فلم يكادا
يدخلان في الغابة حتى سمعا طلقات رصاص فعادا راكضين فاخبرا انهما سمعا طلقات
من آخر الغابة فاشار المؤدب بتنكب الطريق وان الغابة مشغولة بكمين فقال الكونت
للخادم هل رأيتما احدا قال نعم فوارس صفر الثياب يتغافلون بين القصب فقال المربي
هم اسبانيون فارجعوا يا قوم وما اتم كلامه حتى دوت طلقة اخرى وتلاها صراخ
الاستنجد فحمل الفارسان عن غير اذن المؤدب وتبعها ثلاثة غلمان حتى دخلوا في
الغابة وفي ايديهم الغدارات وما زالوا سائرين حتى دنوا من آخر الغاب فتطلع الكونت
دي كيش وقال فرسان يا فيكونت ثلاثة منهم مشاة وثلاثة ركب قال وما يصنعون قال

يظهر لي انهم يقتشون ثياب قنيل او جريح فهم قطاع طريق فسلم عليهم وكان المرابي قد أدركهم فقال بالله ارجعوا ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة فلم يسعاه وحسب وهو يصيح وراءهما حتى اتبه الفرسان الثلاثة الاسبانيون فاقبلوا عليهما وتركوا رفاقهم يقتشون القتيلين اذ كان قد ظهر للفارسين انهما اثنان لا واحد فتلقى الفريقان ورمى دي كيش الذي امامه فاخطاه ورمى صاحبه راعول فاصابه في زنده اصابة خفيفة فرماه راعول فقتله وتقدم رفيقه وصوب الى راعول الغدارة فذكر الفتى نصيحة اتوس فهمز جواده فراحت الرصاصة خائبة الا ان الجواد عثر به فسقط وجاءت رجله تحت سرجه واذا بالاسباني هجم عليه وفي يده الغدارة مقلوبة يريد ان يضربه بها على رأسه فحاول الفتى استلال سيفه او غدارته فلم يقدر ورأى الغدارة تهوي على رأسه فانغض عينيه واذا بالكونت دي كيش سبق ضربة الاسباني ووضع الغدارة على عنقه وقال سلم أو فأنت هالك فالتقى الرجل غدارته من يده فدعى الكونت باحد خدمه وقال قيده وان تحرك فاقتله ثم ترجل الى راعول فقال له الفتى سرعان ما وفيت الجميل يا اخي فواحدة بواحدة سواء ولولاك لقتني علي قال ولكن الفضل للمتقدم ايها الصديق فهل انت جريح فاني اراك منحضباً بدمائك قال لا فجرحي خفيف ولكن خذ بيدي لانهمض من تحت جوادي فاتي خادمان فانهضوا الجواد ووقف راعول على قدميه سليماً وقال ماذا جرى بالجريجين قال اظهروا اجهزوا عليهما قبل ان نصل واخذوا سلبهما وهربوا فسلم نر ما آل اليه امرها



الفصل التاسع والعشرون

الراهب

فلما بلغا الصريعين وجدا احدهما مطوحاً قتيلاً والآخر جريحاً مسنوداً الى شجرة وقد اصابته الرصاصة فوق الفخذ فتقدموا اولاً الى القنيل ونظر كل منهما الى رفيقه نظرة منكرة فقال راعول هو راهب يا كونت قطع الله يداً تمتد الى رجال الله فقال خادم الكونت تعال يا سيدي الى هذا الجريح فهو جندي قديم من عهد الكردينال السابق عسانا نساعدته على الحياة فنقسم الجريح وقال اما الحياة فلا سبيل اليها ولكن تساعدني

على المات فقال له راعول أراهب انت قال لا ولكن رفيقي هذا راهب مدينة يتين
 قد حمل ذخائر الكنيسة يريد ان ينقلها الى مكان امين لان الامير بارح المدينة
 وستدخلها الاسبان غداً فلم يشأ احد أن يرافقه خوفاً من الاعداء فتبعته انا أذود عنه فلم
 يفسح الله في الاجل والآن فأنا في اشد الالم وأريد من ينقلني الى بيت قريب قال
 لتسعى في الشفاء قال لا بل لا اعترف فقال راعول اظنك لست في خطر كما تحسب قال
 لا يا مولاي لم يعد أمل في الشفاء فان الرصاصة قد دخلت الى الامعاء فأعينوني على
 الانتقال الى مكان اجد فيه راهباً او فابعثوا لي براهب الى هنا يكن لكم أجر عند الله
 ولا تضيعوا الوقت سدى فاتما زمني قصير فاما أن تنقلوني الى اول قرية في طريقكم أو
 ان تقسموا لي بانكم ترسلوا لي اول راهب تجدونه ولكن قد لا يجسر احد على المجيء
 اليّ فأموت بلا اعتراف فوا كرهه اني اذن لتعيس فتقدم اليه دي كيش وقال لا تياس
 يا فلان فسفعل لك ما تريد ونسأل عن بيت نجد فيه لك مأوى أو قرية نجد فيها
 لك راهباً قال آجركا الله فان على مقربة من هنا قرية ان لم تجدا فيها راهباً فان وراءها
 ديراً فاتيأ لي براهب منه كائناً من كان فقال دي كيش لمؤدبه اصنع لهذا الرجل محفة
 من شجر واحمله عليها انت وانخادمان وانا ذاهب مع الفيكونت نبحت عن راهب قال
 اذهبها ولكن لا تتعرضا لخطر فذهبا يركضان فرسبهما حتى بلغا القرية فاوصيا صاحب
 فندق فيها ان يهيئ سريراً للجريح ويطلب له جراحاً ثم سارا يبحثان عن راهب واذا
 رجل راهب قد رفع لهما راكباً على بغلة فساقا اليه وقال له راعول بوقار هل انت راهب
 ياسيدي فاجابه الراهب بصوت خشن مالك ولهذا السؤال ثم ضرب بغلته فسارت
 به عدواً فهمز الكونت دي كيش جواده في اثره حتى صار امامه وقال له اجب فان
 لكل سؤال جواباً قال نعم ولكنني مخير بين ان اجيب او لا اجيب قال ولكن اذا كان
 الامر مهماً يجب ان نجيب فان وراءنا جريحاً يوجد بنفسه وهو في حاجة الى راهب فان
 كنت قسيساً فاتبعنا والا فقل لست بذلك فتبسم الراهب تبسم الابالسة حتى اقشعراً
 منه جلد راعول وقال نعم انا راهب قال اذن تذهب الى هذه القرية أمامك فتجد في
 فندقها جريحاً فتعرفه قال اذهب قال واذا لم تذهب فاعلم انك تجد وراء بغلتك فرسين
 يسبقان الريح فنقتلك عند ذلك قتلة مجرم قال قلت اني اذهب وسأفعل ثم ساق بغلته

وسار قبعه الفارسان عن كئيب وقال دي كيش اني لم ار قط كهصورة هذا الراهب في القبح وعلائم الخبيث فقال راعول والله لقد كنت انظر اليه وانا كاني انظر الى الشيطان في صورة الانسان حتى اقشعرّ بدني منه فساعد الله الجريج عليه ويا ليتني قتلته وكفيت الناس قبح منظره وكانا قد دنونا من القرية فوجدنا الخدم آتين بالجريج يحملونه على محفة فلما رأى الراهب قادماً تبسم ولاحت عليه سمات الفرح فدنا منه الفارسان وقالوا له قد بذلنا جهدنا في أمرك تقرباً من الله وابستغاء لوجهه الكريم وكنا نحب أن نرى خاتمة أمرك لو لم نكون مستعجلين قال بارك الله فيكما فقد انتشلنا الغريق ودرأنا الحريق ثم تقدم راعول الى صاحب الفندق فدفع له الاجرة عن الجريج وقال له اذا ورد عليك رجل صفته كيت وكيت يريد كريمود فقل له اني أمسي في كامبرين وانا اسمي براجيلون واسمه كريمود ثم تبع اصحابه وكان الجريج قد وصل الى الفندق فلما رآته امرأة صاحبه قبضت على يد زوجها فقال لها مالك قالت ألا تعرف هذا الجريج فهو سياف مدينة بيتين القديم قال عرفته وكان الراهب قد سمع هذا الاسم فتغير لونه فقيل له لقد كان جلاداً ثم تاب الى الله ورضي عنه فلا تعذبه في الاعتراف فدخل الراهب الى الحجره حيث وضع الجريج وانصرف خادم الفارسين وعند ذلك وصل رجل الى الفندق وأشار الى صاحبه بان يأتي له بشراب فجاء بزجاجة فقال له هل مرّ بك فتى حدث لا يتجاوز الخامسة عشرة يدعى براجيلون قال نعم أفأنت المسمى كريمود قال لم تخطِ فأين أجد الفيكونت قال تقدمك بربع ساعة فهو يكون عند الظهر في مازينكارب وعند المساء في كامبرين قال كم تبعد مازينكارب قال تبعد غلوتين ونصفاً قال حسن ثم ملا كاسه خمراً وشرب واذا بصرخة خرجت من حجره الجريج فوقف كريمود وقال ما هذا قال صراخ من غرفة الجريج قال وأي جريج قال جلاد مدينة بيتين القديم لاقاه جماعة من الاسبان فجرحوه الى الموت وقد اتى به الى هنا وجيء له براهب يعرفه فقال كريمود وقد عاودته ذكري القدم أليست صفاته كيت وكيت قال نعم هو بعينه فهل تعرفه قال رأته مرة واذا بامرأة الرجل قد اتت تقول هل سمعت قال نعم وفيما هم كذلك سمع صوت آخر اخفض من الاول ثم عتبه تهديداً فقال كريمود يجب ان نرى ما هذا فان الصوت اشبه بصوت الذبيح ثم وثب الى باب الحجره ودفعه فلم يفتح فصاح فلم

يسمع جواباً فدفع الباب فانفتح ودخل فوجد السم قد صبغ ارض الحجره ولا اثر للراهب فيها فقال صاحب الفندق اين الراهب فذهب كريمود الى نافذة هناك مفتوحة وقال أظنه هرب من هنا فانظروا أين بقلته فنظروا فلم توجد فتحير صاحب الفندق وامراته وكريمود ولبثوا برهة كأن على رؤوسهم الطير ثم دنا كريمود من الجريح وتبينه ثم قال هو بعينه والله فقال له صاحب الفندق وهل لا يزال في قيد الحياة فد كريمود يده الى صدر الرجل ليحس قلبه فعثرت بقبضة خنجر غارق الى نصابه فاجفل مذعوراً وقال اسرع بجراح يا رجل وانا ابقى هنا فخرج الرجل وامراته يكيان

الفصل الثلاثون

تفصيل ما تقدم

قد سبق لنا القول ان الراهب لم يأت الى الجريح الا مكرهاً ولو لم يتهدهه الفارسان لاتخذ سبيل الفرار ولكنه الجي الى ذلك فاضطر الى اتمام الامر فلما دخل على الجريح تبينه الجريح وقال انك صغير السن جداً يا سيدي الراهب قال نعم فان الذين يلبسون ثوبي هذا لا يلتفت الى سنهم فقال له الجريح بالله يا ابي الا ما تلطفت معي في الكلام فاني رجل على شفا الموت قال آتجد الالم شديداً قال نعم وهو في النفس اشد منه في الجسد قال سري في تخليص نفسك ولكن هل انت حقيقة جلاد يتين كما قيل فقال الجريح وقد خشي ان هذا اللقب يقسي عليه قلب الراهب نعم يا سيدي ولكن من خمس عشرة سنة ومن ذلك العهد لم اضرب عنقاً قط قال وهل انت جازع من صنعتك قال ان كل عنق ضربتها بأمر السلطان لم اخش غائلتها ولا تبعه ذنبها لاني مأمور بها ولكني من عهد تلك الليلة التي كنت فيها آلة انتقام خاص لارفع السيف على احدي خلائق الله ويلاه من تلك الليلة ثم تملل وهز رأسه علامة اليأس فقال له الراهب وقد اخذ بهم في الامر امض في كلامك فقال وقد مضى علي من عهد تلك الليلة الهائلة عشرون سنة وانا اجتهد فيها بالمبرات ووضعت الخير كفارة عن ذلك الذنب ومحواً لتلك الجريمة فكنت انفر من القتل واخلطت بحياتي في سبيل خلاص غيري من الموت حتى كنت مثال الشفقة والرحمة بعد ان كنت آلة العذاب والنعمة فسميت

في التقرب من الله وتوزيع الصدقات على المساكين والتماس السماح من اعدائي عن
 زلاتي معهم ولكن لم يجدي كل ذلك شيئاً بل اقد كنت ارى كل ليلة في منامي
 خيال تلك الامراة امامي فقال الراهب اذن هي امراة قتلها قال ويلاه نعم قتلها ظلاماً
 فكان قتلي لها جريمة لا عدلاً ثم اغمض عيني وتهد فحشي الراهب ان يموت ولا يتم
 فقال له امض في حديثك لئري ما سيكون من امرك فقال واني علم الله لم امر في ليلة
 أو خوض في نهر الا حسبت الاشجار تقرعني والريح تزجرني فاحس بيدي قد ثقلت
 على كتفي وأرى النهر امامي دماً سائلاً يقول لي استهدف لعقاب الله وسخطه فقال
 الراهب اظنك تهذي من الحمى يا رجل قال لا والله بل هي الحقيقة المرة الطعم فاننا اذكر
 اني ضربت عنقها بيدي ثم قذفت بها في النهر فحملها وأنا احسب اني احسنت عملاً
 وكنت سيف عدل من عند الله قال وكيف كان ذلك قال بينما انا ذات ليلة في منزلي
 اتاني رجل في يده امر مكتوب فبعته وقد نلت حتى اتبيننا الى اربعة رجال من
 النبلاء وانا احول أن احجم عن قصدي لاني تبينت فيه الجور والظلم فتردني رهبة
 العصيان لذلك الامر المكتوب فسرنا معاً غلوات وكلنا سكوت لا ينيس احد منا بكلمة
 حتى بلغنا غرفة منارة فأشاروا لي الى امراة فيها وقالوا هذه التي يجب أن تقتل فقال له
 الراهب ويحك وهل اطعت قال نعم فان تلك الامراة كانت من الابالسة الاشرار
 فقد قيل لي انها سممت زوجها وحاولت قتل سلفها الذي كان بين هؤلاء الرجال
 وسممت امراة في دير هناك بعد ان سعت في قتل بيكنهام قبل ان تبارح انكلترا قال
 اذن فقد كانت انكليزية قال لا بل فرنساوية ولكنها تزوجت في انكلترا فاصفر وجه
 الراهب وجعل يتصبب عرقاً ثم قام الى الباب فاقفله بالمزلاج وعاد فقال انت مخبري
 الآن من هؤلاء الرجال قال أحدهم غريب واظنه انكليزياً والاربعة الباقون فرنساويون
 بزى الحراس قال وما اسمائهم قال لا اعرفها سوى اني سممت الفرناويين ينادون
 الانكليزي بلقب ميلورد قال وهل كانت الامراة جميلة قال نعم فوق الجمال حتى لكأني
 بها الآن جاثية لدى رجلي تصلي وعيناها شاخصتان الى السماء كأنهما عينا ملك كريم ولم
 أعد اعرف بعد ذلك بأية يد قاسية ضربت عنقها الجميل فزاد اصفرار الراهب
 واضطربت اعضاؤه حتى صار كالصغور بلله القطر وقال اندري ما اسمها قال لا سوى

اني اعلم انها تزوجت مرة في فرنسا ومرة في انكلترا قال فا صفاتها قال شقراء اللون جميلة
الوجه زرقاء العينين طويلة الشعر حلوة النظرة رخيصة النعمة قال وانت قتلها وكنت آلة
لهؤلاء المحتشين الذين لم يجسروا على قتلها ولم تشفق على صباها وجمالها وضعفها فقال
الجريح وا أسفاه قات لك ياسيدي انها كانت الشيطان في صورة الملائكة حتى انها لما
تذكرت ما فعلته بي هان علي قتلها قال وما فعلت بك انت قال سمعت في قتل اخي
وكان راهباً اذ اغرته على الفرار من الدير وكان عشيقها الاول فويلاه يا ابناه ألا تغفر
لي قال نعم اذا قلت لي كل شيء قال قد قلت ولم ادع شيئاً مكتوماً قال قتل لي ما
كان اسمها في الصبا فقال قد دنت المنية يا ابناه فاغفر لي قال قل اسمها ثم اغفر لك
وانت في حل مما فعلت فقال الجريح بعد ان كادت نفسه تفيض تدعى حنة دي بويل
قال كيف قلت حنة دي بويل أعلى ثقة انت مما تقول قال نعم فاغفر يا ابناه أمت
بسلام فقال الراهب بصوت يقف له الشعر على الرأس أمثلي وبحك يغفر لك انني لست
براهب قال ويلاه اذن من انت قل انا جون فرنسيس دي وتتر قال لا اعرفك قال
اظنك تعرفني اذا قلت لك ان هذه الامراة امي فلما رنت هذه الكلمات في اذن السياف
صاح الصبيحة الاولى التي ذكرناها وقال رحماك رحماك ساحني بالله واعف عني ان لم
تكن كراهب فكابن قال أنا اغفر لك هبهات ذلك محال أما الله فليغفر لك اذا شاء قال
ويلاه ياسيدي رحماك قال لا رحمة لمن لم يرحم فمت تعبساً مذنباً واذهب الى النار
وبس المصير ثم سل خنجراً من ثوبه وطمع به صدره فخاص الى النصاب وقال هكذا
قصدي وعند ذلك صاح الجريح الصبيحة الثانية فقام الراهب من غير ان ينزع
المدية من صدر الجريح ووثب من النافذة وانسل الى بغلته فركبها وسار حتى بلغ اول
وكنة في الغابة فخلع فيها ثياب الراهب ولبس ثياب فارس وسار ماشياً حتى بلغ اول قرية
فاشترى منها جواداً وسار عدواً الى باريز

الفصل الحادي والثلاثون

كريمود يتكلم

فقام كريمود وحده بقرب الجريح وخرج صاحب الفندق يلتمس مساعداً

وخرجت امرأته تسأل الله نجاة المصاب ثم فتح الجلاد عينه وقال اما من معين ويلاه
أما في هذه الدنيا صديق يعين على الحياة او المات هبها صارت الفتيان حمماً ثم مد
يده الى صدره فعثرت بالخنجر فتهد كمن أفاق من غفلة والتي يده الى جانبه فقال له
كريمود تشدد فقد دنت المعونة فنظر اليه الجريح نظرة التأمل وقال من انت قال
صديق قديم قال بالله أين التقينا قال من عشرين سنة في احدى الليالي اذا اخذك
سيدي من يتين الى ارماتبير قال عرفتك فأنت احد الخدم الاربعة فمن اين انت
أت قال مررت من هنا فلت الى هذا الفندق لاستريح فقبل لي ان سياف يتين
جريح ثم صرخت الصرخة الاولى فاقبلنا عليك وفي الصرخة الثانية كسرنا الباب قال
وهل رأيت الراهب قال وأي راهب تعني قال الراهب الذي كان معي قال لم أف
له على اثر واطنه فر من هذه النافذة أهو الذي طمنك قال نعم فالتفت كريمود الى
الباب وهم بالخروج فقال له الجلاد الى اين تمضي قال على اثره قال اياك واياه واحذر
منه ما استطعت فانه قد انتقم مني بعدل واطن ان الله يتوب علي بعد ذلك قال أي
شيء تعني قال ان الامراة التي قتلها بامر مواليم قال ميلادي تريد قال اكذا تدعونها
قال نعم وأية علاقة بين الراهب وبينها قال هي أمه قال وبمك وهل عرف سر الامر
قال نعم حسبته راهباً فاعترفت له بكل ما جرى فقال كريمود وقد سال عرقه بارداً على
جبينه قاتلك الله ما اقلك وهل ذكرت له اسم احد منا قال لا لاني لا اعرف احداً
منكم ولكني ذكرت له اسم امه في صباحها فعرفنا وعرف ان عمه كان معكم ثم سقط على
فراشه محلول القوى فاراد كريمود ان يخفف عنه فمد يده الى قبضة الخنجر فصاح به
الجريح دع المديفة في صدري فانك ان اخرجتها خرجت نفسي على اثرها فابث
كريمود برهة لا ينطق ثم لعلم جبينه وقال اذا عرف هذا الرجل باقي الاسماء هلك
سيدي لا محالة فقال له الجلاد اسرع اذن وحذره اذا كان حياً وحذر اصحابه فاني
لا اري موتي يكون نهاية هذا الامر قال والى اين تراه ذهب قال كنت ذاهباً الى
باريز حين اتاني به فتيان شريفان ذاهبان الى المسكر يدعي احدهما الفيكونت دي
براجيلون قال تبارك الله تعالى ولكن ألا تظن ان هذه الامراة نالت جزاء اعمالها فكان
قلها عدلاً قال ان ساعة الموت تصغر جرائم الناس وتعظم جريمة المحتضر ثم سقط

منشياً عليه واذا بصاحب الفندق قد دخل يتبعه جراح وقوم كثيرون فوقفوا لدى الباب ينظرون ما سيكون وتقدم الجراح الى الجلاد وقال يجب ان نخرج المدينة من صدره فذكر كرمود قول الجلاد ان خروج نفسه واقف على خروج الخنجر فاشاح بوجهه حتى لا يرى ثم تقدم الجراح فحل عرى المصاب حتى ظهر صدره فاذا المدينة غارقة فيه الى نصابها فانزعها فتعلم الجريح ثم فتح عينيه وتهدت تهدأ كانت فيه نفسه فاخذ كرمود المدينة تقطر دماً واثار الى صاحب الفندق فتبعه فدفع له الاجرة وركب جواده وسار

فخطر له في باديء الامر ان يرجع الى باريز ولكنه خشى من انشغال بال راعول عليه على قربه منه فحث جواده حتى بلغ قرية مازينكارب ونزل لدى فندقها فوجد راعول جالساً على مائدة مع الكونت دي كيش ومريه فدخل عليهم فقام اليه راعول وعانقه وقال كيف حال سيدي الكونت وهل هو آسف على فراقي أجيني فان لدي اخباراً جمة اقصها عليك جرت لي في طريقي ويلاه لم لا نجيب وما بالك اصفر وما هذه الدماء فقام الكونت وقال هل انت جريح والا فما هذا الدم فقال كرمود انه ليس بدمي بل هو دم ذلك الشقي الذي خلفتموه في الفندق جريحاً مات بين يدي وقد عرفت من هو فقال المرابي قلت لكم انه سيوت وقد عرف ذلك من نفسه فطلب راهباً فاصفر كرمود لكلمة الراهب وقال اذن استودعكم الله فانا عائد الى باريز فقال راعول كيف تعود الى باريز وقد جئت لتكون معي بل اوليفين يرجع وانت تقيم قال لا بل اوليفين يبقى وانا اذهب فقد جرى في الامر تغيير لا اقدر ان اقله فأذن لي بالذهاب قال لا والله لا ادعك تذهب فاقم فقد امرت قال أتريد ان يقتل الكونت دي لاثير ثم انعطف الى الباب فعلق به راعول وقال اكذا تتركني وتمضي فأقيم بمدك في بلبال فقل بالله يا كرمود ما الامر قال لا اقدر ان اقول لك الا امرأ واحداً وهو ان الراهب الذي اخذتموه الى الجريح اذا لقيتموه فلا تعفوا عن دمه ولو كان بين السماء والارض حتى تخالطه سيوفكم ولا تبرحوا عنه حتى تأكدوا موته فان حياة خمسة رجال واقفة على موته . ثم وثب من الباب وركب جواده وسار عدواً الى باريز فباع جواده في الطريق ودفع ثمنه اجرة البريد ليسرع في الوصول

الفصل الثاني والثلاثون

قبل القتال

وبعد ان خرج كريمود بقليل دخل صاحب الفندق على المسافرين وهو يصيح الاسبان الاسبان قتل دارمنج المربي بيبي الخليل وصعد الفتيان الى اعلى مكان في الفندق فرأيا في جهة لانس جيشاً من الاسبان بين ركب ومشاة يزحفون على يتيين قفزلا وركب كل منها جواده وتبعها الخدم ومعها الاسير الاسباني حتى بلغوا كاهيرين فسألوا عن الامير فقيل لهم انه ذهب الى ناسي وكان الامير قد جاءه ان الاعداء يذهبون الى استير فاخرج جيشه من يتيين وجمعه بين فيال شابل وفتاتي وجلس هو والمارشال كرامون في غرفة وقد خفي عليهما أثر الاعداء واصبح الامير في حيرة وبلبال واذا بضابط دخل على المارشال وقال له ان قوماً يطلبونه فخرج وريثما تواري سمع دوي مدفع بالقرب منهم ثم عاد المارشال الى الامير وقال ايأذن مولاي بان يدخل عليه ابني الكونت دي كيش ورفيقه الفيكونت دي براجيلون فانهما قد عرفا مقر العدو الذي نبحت عنه قال لست آذن فقط بل ارغب فليدخلوا فدخلا وسلما على الامير فقال تكلموا اولاً ثم ننظر في امر السلام فان المهم لدينا امر العدو فجعل الكونت دي كيش يقص على الامير ما نظراه في مازينكارب من امر العدو ووجهتهم وراعول فيما بين ذلك يتأمل في ذلك الامير الشهير الباسل الذي طارصيته في اوريا باسرها بسعة فتوحاته وكثرة انتصاراته وكان عمره يومئذ نحواً من سبع وعشرين سنة وهو مرتب القامة حديد النظر عليه علائم الشجاعة والبأس فعلم من حديث دي كيش ان العدو زاحف على سان فنسان ومنها الى لانس ليحتلها ويقطع الجيش الفرنساوي عن فرنسا الا انه لم يقدر ان يعرف من الكونت عدد ذلك الجيش وهل هو كل الجند أو فرقة منه فتقدم اليه راعول وقال ايأذن مولاي بالكلام قال قل ايها الفتى الجميل فقال ان لدينا اسيراً اسبانياً فلو شئت نسأله فقال دي كيش نعم وقد نسيت فطرب الامير لهذه البشري وقال عليّ بالاسير ثم اخذه دي كيش الى ناحية فاخبره بخبر راعول فعاد وهو يقول له عرفت ان معك رسالة من اختي الدوقة دي لونكفيل توصيني بك ولكني أرى من كلامك

خير وصاة تشهد لك قال أظفت يا مولاي وتكرمت وهذه الرسالة فقد شغلني عنها امر
المدو وقال لنرى الآن امر الاسير فقد اتى أما الرسالة فساخذها منك بعد ذلك ثم
دخل الجند بالاسير يرسف في قيوده وكان لم ينبس بكلمة من ساعة أسر فقال له
الامير من اية امة انت فاجاب الاسير ببعض كلمات من لغة غربية لا تفهم فقال الامير
اظنه يتكلم اسبانياً فهل فيكم يا قوم من يحسن هذه اللغة فيقوم لي مقام الترجمان
فقال راعول انا ايها الامير فاذن لي اكله ثم تقدم الى الاسير وقال له بالاسبانية يسألك
الامير من اية امة انت فاجاب الرجل بلغة اخرى فقال له الامير ماذا يقول يا بني
قال يقول انه الماني ولكنني في ريب من زعمه لانه لا يحسن اللفظ قال اذن انت تعرف
الامانية قال نعم يا مولاي قال فسله اذن بها فاجمل الفتى بكلمه وهو لا يكاد يجيب حتى
قال لست باسباني ولا الماني انا ايطالي فقال الامير علي سؤاله فانا احسن هذه اللغة
الا ان الاسير ابى ان يجيب وجعل يتملل ويتضجر فقال الامير وقد غضب ان هذا
الاسير قد اخذ قاتلاً وقد عرضنا عليه ان يشتري نفسه بالكلام فابى فاضربا عنقه فلما
سمع الاسير ذلك اصفر وجهه واضطرب فاخذ الجند حتى بلغ الباب فوقف فحذبه
فقال باللغة الفرنسية المصحى رويدكم فساتكم فقال الامير قد تم الامر وعرفنا السر
فقل ما عندك قال ولكن على الشرط الاول انك تعفو عني قال اجل قال اذن فسل
قال من اين مر الجيش الى ليس قال من بين سان فنسان واور قال ومن قائده قال
الكونت فيونسالدانيا والجنرال بك والارشيدوق بنفسه قال وم عدد رجاله قال ثمانية
عشر الف رجل معهم ستة وثلاثون مدفعا وهم زاحفون على لانس فالتفت الامير الى
من حوله وقال ارايتم يا قوم فقال المارشال نعم فقد صدق حرز الامير قال اذن ناد
بالقواد لتجمع الجند فانا سنزحف الليلة ونهاجم العدو غداً ان شاء الله قال يذكر مولاي
ان جندنا كله لا يبلغ ثلاثة عشر الف مقاتل قال ألا تعلم انه بالجند القليل يكون النصر
المبين وم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ثم التفت الى
الشرطة وقال خذوا الاسير واحرصوا عليه فان حياته معلقة بما قاله فان كان صادقا نجا
والا هلك فخرجوا به والتفت الامير الى الكونت وقال يا كونت اظنك مشتاقاً الى ابيك
فاقم هنا معه وانت ايها الفتى اذا لم تكن تمباً فاتبعني قال راعول نعم ولو الى برك الغماد

قال قد سررت من جودة لسانك وكلامك وسنرى غداً ما سيكون من كفك وحسامك فقال المارشال وانا فما اصنع قل تقيم هنا حتى تجتمع الجيش ثم تنتظر فاما انت ارجع اليك او ان ارسل اليك رسالة لتأتي به اليّ . والآن فاريد عشرين فارساً كرام انخيل سراهما يكونون معي وبهم كفاية ثم نظر الى راعول وقال كيف جوادك قال ان جوادي قتل في صبيحة اليوم فركبت جواد خادمي قال اذن فانزل الى مربوط خيلي وتخير لك من بينها جواداً وبالغ في انتخابه فانت في حاجة الى فرس كريم فنزل راعول الى مربوط الخيل وتخير اجودها واجراها واسرجه بنفسه كما علمه اتوس واقبل فوجد الامير راجباً جواده فقال له اعطني الرسالة التي معك وامش الى جانبي ثم اخذ الرسالة وربط عنان جواده بالسرج وهمزه فعدا به وراعول الى جنبه وفض الرسالة وجعل يقرأها والجواد يعدو به في طريق لانس الى ان فرغ منها فقال لراعول يقال لي عنك هنا انك فتى اديب شجاع ولعلي ارى ذلك منك فيقترون الخبر بالخبر . وكان هؤلاء الفرسان كلما تقدموا في طريقهم تزيد طلقات المدافع ودويها حتى علم الامير انهم اصبحوا على قيد غلوة من ساحة الحرب وصاروا يقرب قرية اوناي واذا بالفلاحين يتقاطرون فراراً من الاسبان حتى رأوا الامير واقبلوا اليه وعرفه احدهم فقال عسى ان تكون آتياً يا سيدي الامير لتطرد عنا هؤلاء الكلاب الاسبان قال نعم اذا شئت ان تكون لي دليلاً قال جاباً وكرامة يا مولاي فالى ابن تريد ان تذهب قال الى مكان عال اكشف منه لانس وضواحيها فهل اقدر ان اثق بك وهل انت فرنسوي قح قال انا جندي قديم من موقعة روكروي يا مولاي قال بارك الله فيك فخذ هذا الهيمان جزاء بلانك في روكروي والآن فهل تريد جواداً أم تذهب راجلاً قال بل اذهب راجلاً فانا جندي من المشاة ومع ذلك فانا ذاهب بالامير في طريق لا تسلكها الخيل قال هلم اذن ولا نضع الزمن فسار الرجل يعدو امام جواد الامير وتبعه رجاله حتى بلغ بهم جبلاً حرجباً فسمعوا دوي المدافع يزداد فترجل الامير وامر احد ضباطه وراعول بان يفعلا مثله وأمر الباقين بان يقفوا حراساً في ذلك الحضيض ثم صعد وبعد قليل بلغوا الى بقايا قصر خرب على قمة ذلك الجبل فنظر الامير الى ما حوله نظرة خبير ارتسمت له فيها هيئة القتال والنصر ثم اخذ قلماً من رصاص وكتب

ايها المارشال

لا تمضي ساعة حتى تصبح لانس في حوزة الاعداء فاقبل اليّ بالجيش كله تجديني في فاندن حيث اخط مراكز الجند وغداً نسترجع لانس ونكسر الاعداء باذن الله ثم التفت الي راعول وقال له تأخذ رسالتي هذه الي المارشال لا تلوي على شيء حتى توذيها اليه فاخذ الرسالة ونزل فركب جواده وسار يهب الارض حتى وصل الي المارشال فدفعها اليه وكان قد انتهى الي المارشال قسم من الجيش وهو مقيم ينتظر سائره فلما وردته الرسالة سار في رأس من عنده وخلف الدوق دي شاتيلون لبتبعه بالبقية ولما كانت الساعة السابعة مساءً وصل المارشال الي الموعد وكانت لانس قد وقفت في يد الاعداء واقطع دوي المدافع عنها فلما ارخى الليل سدوله اخذت الجنود تتوارد فامر الامير بان لا تضرب بوقات ولا طبول حتى اذا كانت الساعة التاسعة وقد حلك الظلام سار الامير في طليعة جيشه حتى تجاوز اوناي فرأى لانس والنار تشب من بعض بيوتها فمين لكل قائد مركزه فجمل المارشال كرامون في الميسرة والدوق دي شاتيلون في القلب ووقف هو في الميمنة واخذ معه راعول واعطى الكونت دي كيش لايه الا ان الفتيين طلبا ان يناما معاً قضاءً للوداع فناما في خيمة واحدة بعد ان كتب كل منهما كتاباً واعطاه لصاحبه حتى اذا قتل بوصله لمن هو باسمه ثم تعانقا عناق الاخاء وناما وكان كرهود قد وصل الي باريز فوجد الفرسان الاربعة في فندق فاخبرهم بانخبر فارتاعوا واخذ كل منهم سيفه وخرج

الفصل الثالث والثلاثون

رسالة شارل الاول

تقطع بالقاريء نهر السين الي دير الكرملين في شارع القديس يعقوب فنقول انه عند الساعة الحادية عشرة من الصباح خرجت راهبات ذلك الدير من صلاة اقمها لاتتصار الملك شارل الاول وكان فيمن خرج منهن امرأة وفناة لابستين السواد كارملة ويثيمة دخلتا الي حجرتيها فذهبت المرأة الي منصة فركمت عليها وانسكت الفتاة وراءها وهي تبكي وكانت هيثة المرأة وملاحظها تدل على الجمال الباهر لولان غيرتها الدموع حتى

محت باهي لونها وكانت الفتاة باهرة الحسن الا ان الحزن غير لونها وكان يظهر ان عمر
المرأة اربعين سنة والفتاة اربع عشرة سنة فلما جثت المرأة قالت اللهم احفظ بعلي وابني
او فارحني من هذه الحياة المرة فقالت الفتاة يا رب احفظ امي فقالت لها أمها ان أمك
لا تغني عنك شيئاً في هذه الدنيا يا هنريت فقد اصبحت لا ملك لها ولا بعل
ولا ابن ولا مال ولا اصدقاء بل هي مهجورة من العالم اجمع ثم خارت قواها فسقطت
بين يدي ابنتها وهي تبكي اشد بكاء فقالت لها الفتاة تشددي يا اماء ولا تحزني فقالت
وقد اقلت برأسها على كتف ابنتها ويلاه ما اشقى الملوك في هذه الايام فلقد صرنا الى
حالة لم يعد يلتفت الينا فيها احد

فكم نخطر في بال ولا نخطر في بال

بل نرى كلاً يجرّ النار نحو قرصه ولقد كان لي بعض العزاء والسوى ايام كان اخوك
هنا اما الآن فقد سافر فاصبح لا يقدر على ارسال اخباره اليّ او الى ابيه وتعلمين
انني رهنت حليّ وبعت اثوابي واثوابك لادفع اجر الخدم الذين ذهبوا معه ولولا
ذلك لذهب وحده وقد صرنا الان الى حال لا تقدر ان تعيش فيها الا من هبات
الراهبات فنحن فقراء الى معروف الله . فقالت الفتاة ولم لا تشكين امرك الى الملكة
اختك قالت واسفاه يا بنيّ فان الملكة ليست ملكة بل يوجد من يحكم عوضاً عنها
باسمها وستعرفين ذلك قالت اذن فاذهي الى الملك ابن اختك وان شئت فانا اكله
قالت ولكن الملك ابن اختي ليس بملك بعد بل هو في اشد العوز كما قال لنا لابورت
خادمه قالت اذن فلنشك امرنا الى الله ان الله بصير بالعباد ثم ركعتا تصليان . ولا
ينحني على القارئ ان الكبرى منهما حفيدّة الملك هنريكوس الرابع ملك فرنسا وزوجة
الملك شارل الاول ملك انكلترا والصغرى ابنتها ولما فرغت من الصلاة اقبلت راهبة
على الباب وقالت لها ان سيداً شريفاً قدم من انكلترا ومعه كتاب لكما واسمه اللورد
وتترفقّات الملكة وابشراي اللورد دي ونتر صديق زوجي ادخله بالله فخرجت الراهبة
ودخل اللورد فجثا على ركبته ودفع الكتاب الى الملكة وهو مغلف بغلاف مطرز بالذهب
فقالت له الملكة انك تحمل الينا يا لورد ثلاثة اشياء لم نرها من زمن طويل وهي ذهب
وصديق مخلص ورسالة من الملك زوجي وسيدك وانه ليهمني ان اعرف ما فيها قال هل

اخرج قالت لا بل تبقى فاقرأها امامك لاني اريد ان اسألك بعض المسائل فتأخر اللورد خطوات ووقف منهياً ففضت الملكة الرسالة وقرأت

امرأتي العزيزة

كتابي اليك وقد بلغ الامر حده ولم يبق لي من نعمة الله رجاء الا جيشي في نازيبي الذي اكتب اليك منه الآن وانا منتظر جيش شعبي العاصي علي فاقاتله فاما ان انتصر فاتابع القتال واما ان انكسر قاموت الا اني اذا لم يقض الله بالنصر اريد ان ابذل جهدي لا اعتصم بشطوط فرنسا ولكن لا ادري هل تقبل فرنسا ملكاً شريداً طريداً مثلي يحمل اليها مثال العصيان والخروج عن الطاعة فوق ما هي عليه من مثل ذلك الآن فانا اكل هذا الامر الى باهر حكمتك ووافر عقلك وقد حملت رسولي اليك من سائر احوالي ما يتجاني القلم عن ذكره فرايك في الوقوف عليه موقفة ان شاء الله ثم بدلاً من ان يوقع « شارل الملك » وقع « شال الذي لا يزال ملكاً » فلما فرغت للملكة من الرسالة نظرت الى اللورد وقالت ليكن غير ملك او ليكن مغلوباً طريداً ولكن ليحس فاني ارى العرش في هذه الايام قد اصبح موقف خطر ومقام هلاك لا اريده له فبالله قل لي يا لورد ولا تكتمني شيئاً ابن الملك وكيف حاله . قال واكره يا سيدتي هو في حال بلغت من اليأس والخطر مبلغاً لا يشعر به هو فانه قد خلق الله فيه روحاً من اللطف والاخلاص لم يعد يرى معه الشراسة والخيانة وان انكلترا قد اصبحت واعوذ بالله في حال من الحدة والغضب لا نحمد الا بالدم قالت ولكن ماذا صنع اللورد مونتروس فقد سمعت انه منتصر مظفر وكان له نصر حسن في مواقع الدون والنور وكيليت وانه زاحف على الحدود ليلاتي لملك وينضم بجيشه اليه قل نعم ولكنه التقي بليسلي على الحدود وهناك فارقه النصر لسوء الطالع فانكسر في فيليبوغ وهرب لابساً ثياب الخدم وهو الآن في زوج او ضواحبها قالت حفظه الله فانه اعزني ان ارى الاصدقاء الامناء الذين خاطروا بحياتهم في سبيل خدمتنا بخلصون من الموت والآن اذ قد عرفت حالة زوجي من اليأس قتل لي ماذا يريد قل ان تسعي في استجلاب رضى الملك والملكة عنه وقبولها اياه في فرنسا قالت ويلاه يا لورد فان الملك صبي بعد والملكة امرأة ضعيفة والامر كل الامر في يد مازارين قل وهل ترينه يريد

أن يكون له في فرنسا شأن كرومويل في انكلترا قالت هبهات ذلك منه فهو ايطالي جبان ضعيف يحب الجرائم ولكنه يخافها وليس له عضد الا الملكة لدى البرلمان بخلاف كرومويل الذي يعضده المجلسان ولذلك فاني اراه لا يقدر ان يغتينا في شيء بل لا يبعد أن يكون علينا فقد ظهر لي أنه متبرم من وجودي وابني في فرنسا ومستنقل فوق الثقل حتى انا صرفنا هذا الشتاء في اللوفر بغير مال ولا كساء بل بغير خبز ولا نار قال يا للعار تلك ضيافة ابنة هنريكوس وامرأة شارل قلت اذن فقدر كيف تكون ضيافته للملك قال ولكني سمعت بوشك قران بين الامير دي غال والخاتون دورليان قالت نعم ذلك ما كنت آمله في بادئ الامر لان العروسين يجب كل منهما الآخر وكانت الملكة تساعدهما في ذلك أما الان فقد عدلت عن رأها وأصبح الدوق دورليان بعد ان سهل لابنته أسباب الغرام يمنحها عن أن تأمل ذلك القران فويلاه يا لورد اني والله لاحب أن أموت كما قد يموت الملك بعد أن أقاسي شدائده من أن أعيش شحاذة كما أفعل الآن

قال تصبري يا سيدتي ولا تيأسي فان صوالح فرنسا المرتبكة الآن تقضي عليها بان تنظر الى اضطراب جيرانها من الشعوب قالت ولكني أخاف أن يكون بين كرومويل ومازارين امر قال ما اخال ان مازارين يدخل في تحالف مع مثله صيانة لشرف الملك والملكة قالت اذن فملم بنا اليه ولكن اذا رفض الطلب وانكسر الملك فما يكون قال اذن يهرب الى هولانده حيث البرنس دي غال على ما سمعت قالت وهل لديه كثير من امثلك يعتمد عليهم في فراره قال لا يا سيدتي ولكني آت لاجد له خدماً في فرنسا فان لي اصحاباً اعرفهم من القدم قالت فاسع اذن وعلى الله ادراك النجاح ثم ركبت في عربتها وركب اللورد جواده وسار الى جانبها

الفصل الرابع والثلاثون

رسالة كرومويل

وبينا خرجت الملكة هنريت من الدير ذاهبة الى القصر الملوكي وصل فارس الى باب القصر وترجل عنده وتقدم الى الحجاب بالدخول الى مازارين وكان الكردينال

شديداً تحجب والحذر فكانت حجرتة داخل ثلاث حجر على باب كل منها حرس فصعد
الفارس الى الحجرة الاولى واستأذن فاخذه الى الحجرة الثانية ومنها الى الغرفة الثالثة
حتى وجد برزوين خادم الكردينال فقال له ان معه رسالة من الجنرال أولبقيه كرومويل
الى الكردينال مازارين فليستأذن له على الكردينال فدخل الخادم واستأذن فقال له
مازارين وكيف هيئة الرجل قال انكايزي قح بشقرة شعره وزرقة عينيه قال فهاث منه
الرسالة فخرج الخادم وقال للشاب ذلك فقال ينبغي ان يرى الكردينال الرسالة وحامها
وهي هذه فقال له ليكون على يقين من وجود رسالة واتني لست رسولاً بسيطاً بل فوق
العادة فدخل الخادم ثم خرج وقال ادخل فدخل وفي احدى يديه قبعة وفي الثانية
الرسالة فقال له الكردينال هل تحمل رسالة وصاة لي قال نعم وهي هذه فاخذها الكردينال
واذا فيها

ان حامل رسالتي هذه موردون احد ثقتي بضع الرسالة بين يدي سبدي الكردينال
مازارين ومعه رسالة أخرى يؤذيها اليه بعد هذه « اولبقيه كرومويل »
ثم قل حسن فاعطني الرسالة الاخرى واجلس ففعل الفتى وجلس فجعل الكردينال
يقلب الرسالة بين يديه من غير ان يفتحها واراد ان يستطلع طلع الرسول قبل ذلك
فنظر اليه وقال انك صغير السن يا موردون فكيف تقوم بسفارة قد يعجز عنها كبار
الساسة قال ان عمري يا مولاي ثلاث وعشرون سنة واذا اعتبرت الامر كنت اكبر
منك ستاً وان لم اكن مثلك حكمةً وعقلاً قال وكيف ذلك قال ان اعوام المصائب
مزدوجة وانا من عشرين عاماً اقتحم المصائب قال اذن انت فقير معدم قال كانت لي
ثروة من ستة ملايين ولكنها اخذت مني قال انت اذن لست من العامة قال لا بل لو
تكنيت لكنت لورداً تسمع بسماعه اشرف اسم في انكلترا قال وكيف تدعى الآن
قال موردون فعلم مازارين انه لا يريد ان يشهر اسمه فنظر اليه متأملاً وقال وهل لك
اهل قال لم يبق لي الا واحد منهم قال وهل يساعدك على دهرك قال قد تقدمت اليه
ثلاث مرات التمس عضده وفي كلها يأمر خدمه بطردي فقال مازارين (وقد ظن انه بوقع
الفتى في شركه حتى يبوح) لقد همني امرك جداً يا فتى ألا تعرف ولادتك قال لم اعرفها
الا من زمن يسير وقد كنت قبل ذلك احسب نفسي صديقاً لقيطاً قال ألم تنظر أمك

قال بلى رأيتها وانا طفل فقد اتت ثلاث مرات الى التي تربيني وانا اذكر آخر مرة رأيتها فيها كاني اراها الآن قال ومن ربك قال امرأة فرنسوية ربتي حتى بلغت الخامسة من عمري ثم انقطع عنها مددي فارسلني الى انكلترا فدرت اتوسل في شوارعها حتى رأني رجل يدعى كنيكستون فاخذني اليه وعلمني الديانة البروتستانية وساعدني على البحث عن اصلي فخاب مسعانا جميعاً حتى قبض لي الاتفاق عرفان الامر والله من قال

ربما اعجز الفتى الامر سعيًا واجتهادًا وجاءه مجافًا

قال وهل عرفت ما جرى لامك قال علمت انه قتلها ذو قربي لها وساعده في قتلها اربعة من اصحابه وانتي قد نزع مني لقبى ومالي الملك شارل الاول قال عرفت الآن لماذا تخدم كرومويل فانت تبغض الملك قال نعم قال ان قصتك عجيبة يا موردون اثرت بي كثيراً ولكني ارى ان حسن طالعك قضى عليك بخدمة رجل عظيم يساعذك في امورك واذا شئت فانا اساعذك ايضاً أريد ان اكلم لك هذا الرجل الذي زعمته من اهالك قال أجرك الله يا مولاي فانا اكله بنفسي قال انه اساء معاملتك قال ولكنه لا يسيتها هذه المرة قال وهل لديك طريقة بمن عليك ها قل لا بل يخاف مني عندها فنظر الكردينال الى الفتى برهة ثم فض الرسالة وقرأ

الى جناب الوزير الفاضل الكردينال مازارين سلام عليك

اما بعد فقد اردت يا سيدي ان اعرف ما يجول في خاطرك من جهة أحوال انكلترا الحاضرة فان المهلكتين فرنسا وبريطانيا اقرب في الجوار من ان لانهما احدهما بالآخرى وان الانكليز قد اصبحوا الآن يرمون عن قوس واحدة نخلع الملك شارل واحزابه والتخلص من شدة ظلمه وغدره ولما كنت قد اختارتني العامة لاكون في رأس جيشها كنت اعلم من غيري بمقادير الامور واحوالها والآن فانا قائم بامر الحرب وقد عزمت على محاربة شارل حرباً يكون فيها فصل الخطاب بيني وبينه وانا على وطيد الامل بالنصر لان آمال العامة معي ويمين الله تعضدني فاذا حقق الله املي واتاح لي النصر لم يكن لشارل مفرع في انكلترا او اوكسيا هذا اذا لم يوتر او يقتل وعلى ذلك فلا يبقى له الا الاعتصام بفرنسا حيث يجمع مالا وجنداً لمعاودة قتالنا . ونحن نرى ان

فرنسا قد كفاها قبول الملكة هنريت فهي قد كانت مكرهه لذلك لان هنريت من سلالة ملوكها بخلاف شارل فان فرنسا اذا قبلته وساعدته تعاكس الشعب الانكليزي وتعاديه وتضرب بانكلترا كثيراً ولذلك فانه يهمني يا سيدي الكردينال ان اعرف نوايا فرنسا في هذا الشأن فان صالح المملكتين في وجهة واحدة وان تخالف المفزى فان انكلترا في حاجة الى السكون الداخلي لتخلع ملكها وفرنسا في حاجة الى ذلك السكون لتثبت عرش ملكها ولذلك فاتم في عوز الى السلام اكثر منا

ثم ان مشاكلكم الحاضرة مع البرلمان والامراء الذين يحاربون اليوم اكم وغداً عليكم وهياج العامة عليكم بقيادة النائب واضطراب حبل الملك عنكم يمسككم فيما اظن عن معاناة حرب خارجية تدخل بها انكلترا مع اسبانيا عليكم اذا قبلتم شارل ونصرتموه ولذلك فقد اردت ان اكتب لك بهذا التضم قوة جنديك في داخل المملكة ولا تغرر بالجيش فيما لا فائدة منه ودع انكلترا وشأنها وتكن علامة ذلك منك ابعادك شارل عن فرنسا اذا اتاها وعدم عضده بمال أو بجند

والما كانت رسالتي هذه سرية رأيت ان ابثها اليك مع رجل من اخلص رجالي وفي مأمولي انها تقع منك موقع القبول لما اعهد فيك من الحزم وثاقب الرأي واذا تأخر عني جوابها الى خمسة عشر يوماً اعدّها ضائعة غير مقبولة والسلا عليك من

اوليفيه كرومويل

ثم التفت الى موردون وقال ان جوابي على هذه الرسالة سيكون مرضياً الكرومويل فوق الرضى حتى انه يجهل ما افعل لاجله فاذهب اذن وانتظر جوابي في بولونيا وعدني انك تسافر صباح غد قل أعدك يا مولاي ولكن كم أنتظر الجواب قال اذا لم يصلك في عشرة ايام فأنت مطلق في السفر . ثم ان حوادتك قد همتني كثيراً ورسالة كرومويل بشأنك قد رفعتك في عيني فقل لي بأي شيء اقدر ان افيدك فوقف موردون مدة يفكر فيما يجيب ثم همّ بالجواب واذا بالباب قد فتح ودخل برنوين را كضاً الى اذن الكردينال فاوحى فيها بان الملكة هنريت قد دخلت في القصر الآن يصحبها شريف انكليزي فالتفت الكردينال الى موردون وقال قد سمعت ما قلت لك من ان تنتظر جوابي في بولونيا وان شئت فني غيرها لكن اريد أن لا يعلم احد انك اتيت باريز قال

اذن انا ذاهب ثم انعطف الى الباب من حيث دخل فقال له الكردينال لا تخرج من هنا فاني اريد ان تبقى مقابلتنا مكتومة ولكن فاخرج من هذا الرواق فاخذه برنوين في رواق طويل حتى انتهى الى باب فاخرجه منه ثم عاد مسرعاً ليدخل الملكة هنريت على الكردينال

الفصل الخامس والثلاثون

مازارين والملكة هنريت

فخرج الكردينال لملاقة الملكة الى صحن الدار واظهر لها من الاكرام والاحتراف ما ظنه كفارة عن ذنب بخله عليها ولم يدر ان البخل دنس لا يذهب وعار لا يمحي يكتسب به صاحبه سبة الابد وعيب الدهر وكان يقول في نفسه اراها تبسم لي واظنها آتية في اقتراض مال ثم ادار فص خاتمه الى باطن كفه ليتظاهر امامها بالفقر والقلة لانه عرف انها قادمة في طلب شيء وعجب من تبسمها له مع استحقاها منها الفضب والنفور فقالت له ما اتى بي اليك كالت بجول في نفسي ان اتقدم به الى الملكة اختي ولكني رأيت الامور السياسية تتعلق بالرجال وتساق اليهم قال قد ابلغت يا مولائي وتفوضت وانا دون ما تذكرين ثم دخلا الى الغرفة فاجلسها امامه وقال تفضلي ياسيدي بأمرك على أطوع عبيدك فقال هيئات يا سيدي فقد صار يصعب علي التفضل بالامر لطول العهد به وصار الاجدري ان اصير الى جانب الانماس فهو انجح وقد اتيت به اليك عساه يصادف منك قبولا قال تفضلي فعبدك سامع قالت هو امر يتعلق بالحرب القائم بها زوجي على رعيته الخارجة عن طاعته واطلك تجهل هذا الامر ولعله قريباً ينغمس في قال تكون فيه نهاية امره بين الهلك والمهلك قال نعم يا سيدي فانا جامل هذه الحرب اذ ان لدينا من امثالها ما يهينا عن اعظم منها قالت اذا اخبرك بان زوجي شارل الاول على وشك اثاره حرب تكون فصل الخطاب فاذا انكسر وسلم من الموت يريد ان يلتجئ الى فرنسا ويعيش فيها كاحد رعاياها الخاضعين فماذا تقول في هذا الامر قال اتظنين ايها الملكة ان فرنسا على ما بها من الاضطراب والفتنة يكون فيها مفرح امين للملك فهي عاجزة عن تثبيت التاج على رأس ملكها لويس الرابع عشر فكيف تحمل

تاجين قالت ان ذلك التاج ليس فيه ما تظن من الوقر واني لست اطلب ان ينسج
لزوجي اكثر مما صنع لي فنحن ملوك نرضى بالقليل يا سيدي الكردينال قال انت غير
زوجك ايتها الملكة فانت ابنة ذلك الملك العظيم هنريكوس الرابع قالت اخن هو الذي
دعاهم الى قبولي بينكم ولكن ألا تذكر يا سيدي ان هنريكوس الرابع قد مضى عليه مثل
حال زوجي فأنجده انكلمته ولم تكن ملكتها اليصابات بذات قرني له قال اخنك يا سيدي
لم تعني كلامي لاني لا احسن التكلم بالفرنسوية قالت اذن فتكلم بالاطالية فان جدتي
ماري دي مديسيس قد علمتنا اباها قبل ان ينفيا الكردينال السابق واني والله لم اكن
اخن ان جدي هنريكوس كان بحسب قبل موته ان اسرته لا يكون لها من يشفق عليها
بعده فجرى العرق على جبهة مازارين وقال لا يا سيدتي فان اعتبارنا لك واشفاقنا عليك
عظيمان حتى لو اتى الملك شارل حفظه الله الى فرنسا لانزله في بيتي ولكني أخاف عليه
من الشعب ان يشور على ذلك البيت فيحرقه كما احرق بيت المارشال دانكر قالت فماذا
تجيبني الآن قال اتأذنين لي ان اشير عليك بنصيحة قالت قل فان نصيحة مثلك من
الحكام لا ردت عليها قل انه ينبغي للملك ان يدافع عن نفسه حتى لا يبقى في قوس
الدفاع منزع قالت قد فعل وهذه الموقعة الوشبكة ستكون آخر مواقعه فماذا تقول اذا
انخذل قال اشير ان يبقى في انكلترا فان الشعب سريع النسيان للوكة فاذا قدم فرنسا
ضاع منه الملك قالت اذا كان ذلك رأيك فابعث له مدداً من مال ورجال فاني قد
بعت كل ما لدي حتى لم يبق عندي جوهرة ولا غيرها وانت تعرف ذلك ولو بقي عندي
شيء لاشتريت به حطباً اصطي عليه مع ابنتي في هذا الشتاء قال تعلمين يا سيدتي ان
الملك اذا اقرته على عرشه يدغرية لم ينفعه ذلك ما دامت رعيته نافرة منه فقالت
الملكة وقد ضجرت والآن قل لي نعم أو لا اذا اتى الملك الى فرنسا اتقبله فيها وان
بقي هناك اتعمده بما قلت لك قال ذلك امر لا اقدر ان اجيبك عليه الآن ولكني
سأسعى فيه ما استطعت الى السعي سبيلاً فانا اذهب الى الملكة استشيرها ثم نعرض
الامر على البرلمان قالت على البرلمان الذي يجار بك الآن وتجاربه يا كردينال كفى
قد علمت ما تريد ولقد اخطأت في قصدي اياك اتكل امري الى البرلمان وهو عدو
الملوك تلك اذن صفقة لم يشهدا حاطب ثم نهضت غضبي واقفلت الى الباب والدمع

يجري على خديها كالدر انقطع سمطه وسارت وجباه الحراس نحرًا امامها حتى بلغت دي وتر فاخذت بيده وسارت وقال الكردينال لما خلا بنفسه قد تخلصت بحمد الله ثم نادى برنوين خادمه وقال انظر الفتى الانكليزي هل لا يزال في القصر فخرج الفتى ثم عاد ومعه دي كومنج فقال للكردينال ان الفتى لما خرج من الدار وقف في احدى نوافذها مندهلاً ثم نزل فركب جواده وسار ولكن ألا يذهب سيدي الكردينال الى الملكة فقد بلغني ان لديها اخباراً جديدة عن العسكر ولم يتم كلامه حتى دخل رسول من قبل الملكة يطلب الكردينال ان يذهب اليها.

وكان دي كومنج قد صدق في قوله فان موردون بينا كان خارجاً بصبر بدي وتر في الدار الاخرى فوقف باهتساً كأنه ينظر الى شيء آخر ولو رأى دي كومنج وجهه لرأى الغضب والبغضاء في عينه حتى تقدم ان يكسر الزجاج الذي يفصله عن دي وتر وينقض عليه وعلم ان دي وتر ألد الاعداء لهذا الشاب ولكن الفتى رجع عن عزمه ونزل فركب جواده وسار في شارع ريشليه واذا بعربة الملكة قد خرجت من القصر ودي وتر الى جانبها على جواده وكانت الملكة قبل ان تخرج من الدير قالت لابنتها ان تنتظريها في القصر الذي كاتنا تسكنان فيه فتبع موردون العربة حتى دخلت تحت الرواق المظلم فذهب بجواده ووقف في احدى زوايا الرواق لا يتحرك كأنه صنم

الفصل السادس والثلاثون

المدأولة

فلما خلا دي وتر بالملكة قال لها ماذا جرى قالت ما كنت اتوقعه من رفضه قال ايرفض الكردينال وفرنسا قبول ملك شقي ذلك امر غريب قالت لم اقل فرنسا يا لورد بل الكردينال وهو ليس بفرنساوي قال وهل رأيت الملكة قالت ذلك شيء بعيد فان الملكة لا تقول نعم اذا قال الكردينال لا أم اجدك لا تدري ان فرنسا في يد هذا الايطالي يديرها كيف يشاء ولا يخطئ ظني اذا قلت ان كرومويل قد بعث فخره قبل ان يذهب اليه فقد كان يكلمني وهو يضطرب وعزوه ثابت في الرفض ثم ألم تنظر تلك الحركة في القصر من اسراع الخدم وارتباكهم فلعل في الامر خبراً جديداً قال نعم

ولكن ليس من انكلترا فانه يصعب ان يصل منها خبر فقد قاسيت اشد العذاب في طريقى بين الاعداء حتى خلصت اليك انا وخادمي توني وفوق ذلك فما اخن الملك يفعل شيئاً قبل جوابك قالت اذن تقول له انني لا اقدر على شيء بل انا اقسى مثله أو اكثر لدي قوم يتظاهرون لي بالحب وهم يضحكون اذا بكيت فقل له ان يموت ملكاً كريماً في ساحة الحرب وانا سأتبعه بعد قليل فاموت قال اتذهب عنك الشجاعة والتجملد يا سيدتي الملكة فاصبري فان الامل لم ينقطع حبله بعد قالت هيهات لم يعد لنا من صديق غيرك يا لورد . اللهم اتذهب المروءة ورجالها من الناس قال لا يا سيدتي فان لي اربعة اصحاب قالت وماذا تفني اربعة رجال في مثل بلائنا قال اذا وجد اربعة ابطال كالذين ذكرت يؤثرون الموت على الحياة فانهم يقدرون على امر عظيم وقد مر لم بلاء اعظم من هذا فخرجوا منه كما يخرج السهم عن القوس قالت واين نجدهم قال ذلك ما اُحار فيه فان عهدي بهم طويل من عشرين سنة واني والله لم ار الملك في خطر الا ذكرتهم قالت وهل هم اصحابك قال ان احدم ردي علي حياتي بعد ان كانت في يده ولكن لا ادري اذا كان لا يزال على عهد ودادي أما انا فلا ازال أرى وده قالت وهل هم في فرنسا قل هو ما اظنه قالت فاذا كر لي اسماءهم عساني اعرف احدم قال احدم يدعى دارتانيان قالت عرفته أليس هو ضابط في الحراس ولكن مالنا وله فقد علمت انه مخلص للكردينال قال اذا صدق ذلك فقد انقطع الامل وكنا من المنضوب عليهم من لدن الله قالت والبقية قال يدعى الكونت دي لاثير أما الاثنان الآخرا فقد ذهب عني اسمهما قلت اذا وجدت احدهما وكان مخلصاً للملك هان عليك وجدان الاثنين الآخريين قال نعم ولعلك تذكرين ان الملكة حنة دوتريش خلصت من هول عظيم في غابر ايامها قالت نعم مع بيكنهام في شأن عقد فيما اخن قال نعم فهم الذين خلصوها من ذلك العار وبذلوا دماءهم في سبيل صياتها ولكنها اغفلت امرهم ومكافأتهم قالت اذن فابحث عنهم ولكن ما يصنع اربعة رجال بل ثلاثة اذ لا يجب ان لاتعتمد على دارتانيان قال اذا لم يكن دارتانيان فتمن اربعة لاني معهم واذا كان لدى الملك اربعة ابطال يحفظونه من الاعداء في الحرب وبعضدونه بالمشورات والنصائح ويحمون ظهره في الفرار ففهم كفاية ان لم يكن لاتتصار الملك فلا اقل من خلاصه اذا هرب ومتى صار

في فرنسا فليقل مازارين ما شاء ان يقول

قالت اذن فابحث عنهم يا لورد وعدم بانني اذا عدت ملكة انهم على كل منهم بدوقية واوقر رواجهم ذهباً ابحت بالله ولا تغتر قال سافل ولكن تعلمين ان الوقت قصير والملك يتظر جوابك على مثل الجمر قالت واكرباه هلكننا يا لورد واذا بالباب قد انفتح ودخلت هنريت الصغيرة فحاولت امها ان تخفي اضطرابها فتجلدت وحاولت التبسم ولكن لم يخف امرها على الفتاة وقالت اتبكين يا اماه وحدك ولا ابكي معك فتبسمت الملكة وقالت ما وراءك يا بنية قالت قدم فارس شاب من المعسكر وهو يريد ان يراك ومعه رسالة من المارشال كرامون قالت ومن هو هذا الفارس قالت فتى لا يتجاوز السادسة عشرة يدعى الفيكونت دي براجيلون قالت ادخله ففتحت الفتاة الباب ودخل راعول حتى اتى الى الملكة فجثا على ركبته وقال اني احمل اليك رسالة يا سيدتي من صديقي الكونت دي كيش وما انظ هذا الاسم احمر وجه الفتاة لسماعه فنظرت اليها امها شزراً وقالت لها كيف قلت انها من المارشال كرامون فقال راعول ذلك ذنبي ايتمها الملكة فاني دخلت باسم المارشال ولكن الرسالة ليست من خطه بل لقد جرح في يده فكتبها ابنه الكونت قال قد اترتم الحرب اذن ثم اشارت اليه بالتهوؤ قهص وقال نعم فهمت الفتاة ان تلقي اليه بعض اسئلة تهمها ولكنها خشيت من امها فسكتت ولحظت الملكة ذلك فرق لها قلبها وقالت لراعول هل اصاب الكونت دي كيش شيء فانه يهمننا أن نسأل عنه لانه من اصدقائنا قال لا ياسيدي بل لقد كان له بلاء حسن في تلك الموقعة حتى ان الامير عاقبه في ساحة الحرب فبرقت اسارير الفتاة من الفرح وصفقت صفقة الجذلان ولكنها خجلت فادارت وجهها الى وردة وراءها وجعلت تشمها وفضت الملكة الرسالة وقرأت

سيدتي الملكة

كتابي اليك ولم يسمدني الحظ بان اخطه بيدي لجرح اصابني في يدي اليمنى فوكلت ابني الكونت دي كيش بكتابه وكيف كان فان كاتبه خادم مخلص كايه اخبرك فيه اننا انتصرنا في موقعة لانس انتصاراً يزيد في قوة الكردينال والملكة ونفوذها في اوربا ولذلك فانا اتقدم اليك بالنصح ان تعتني هذه الفرصة لعرض شأن زوجك الملك

على الحكومة وحامل رسالتي هذه اليك الفيكونت دي براجيلون صاحب ابني المخلص
اذ قد خلع حياته من الموت وهو فتى شريف المحتد تقدرين على ان تأمنيه على كل
رسالة لي بالكلام أو بالكتابة والله تعالى يطيل بقاءك المارشال كرامون
وبينا الملكة تقرأ الرسالة كان راعول ينظر الى هنريت الفتاة فيرى في عينيها سمات
الشكر والسرور حتى لم يعد عنده ريب في انها عاشقة لصديقه الكونت دي كيش ولما
فرغت الملكة من قراءة الرسالة قالت هنيئاً لكم اهل فرنسا تنتصرون في مواقعكم وغاراتكم
واكن على بلدح قوم عجفي وان بالاثلاث لهما لا يظلل ولقد صدق دي كرامون حيث
قال ان هذا النصر يغير هيئة اوربا ولكن اخاف اذا لم يقدنا ان يضرنا ، واني اشكر
ايها الفتى لاخباري بهذا الامر ولولاك ما عرفته الا غداً أو بعد غد او الى ان لا يبقى
احد في باريز يجبهه فقال راعول ان اللوفر هو القصر الثاني الذي بلغه هذا النبأ ولم
يطرق اذن احد بعد ولقد نشدني الكونت دي كيش ان اتقدم اليك بهذه الرسالة قبل
ان اسلم على مر بي فقال دي ونتر وهل مري بك من عشيرة براجيلون فاني اعرف رجلا
من هذه العشيرة فهلاً يزال حياً قال لا فذلك قد مات ومنه ورث مر بي ارض براجيلون
قالت الملكة وكيف يدعي مريك يا بني قال الكونت دي لافير يا سيدتي فاجفل اللورد
لذلك اجفال المنذهل ونظرت الملكة اليه نظرة المسرور وقالت كيف قلت الكونت دي
لافير أما دي ونتر فلم يك يصدق ما يسمع فصاح براعول أحق ما تقول ايها الشاب
أوليس الذي تعني رجلاً شريفاً كان حارساً في عهد لويس الثالث عشر وعمره الآن
نحو ثمان واربعين سنة قال هو بعينه يا سيدي ولقد كان اسمه اتوس كما سمعت ذلك من
دارتانيان فالتفت اللورد الى الملكة وقال سبحان الله عداد نعمه يا سيدي وتبارك اسمه
وتعالى ثم قال لراعول وهل هو في باريز وأين يسكن قال في شارع كينيكو في فندق الملك
الاعظم شارلمان قال اذن اكلفك بان تتقدم اليه بان يبقى في منزله فاني اريد ان اراه
بعد قليل قال سافعل يا سيدي اذا اذنت لي الملكة بالانصراف قالت قد اذنت فاذهب
يا فيكونت مشيعاً بالشكر فسلم الفتى وخرج واقام اللورد والملكة يتحادثان برهة بصوت
منخفض حتى لا تسمع الفتاة ثم استأذن بالانصراف فقالت له الملكة قد كنت احتفظت
بهذا الصليب من الماس وهو هدية أمي وهذه العوذة وهي هدية زوجي وهما يقومان

بخمسين الف دينار ولقد كنت اقسمت اني أموت جوعاً ولا افارقهما فاما وقد مست الحاجة اليهما وكان ينفقان في سبيل شريف فاحفظهما لديك واذا احتجت الى المال في بعثك هذه فبهما غير، أسوف عليهما ولكن اذا قدرت على ان تردهما عليّ فقد احسنت اليّ احساناً يفوق كل احسان يقدمه رجل شريف الى ملكة وانا اقسم انه يوم يعود نجم سعدي ابذل لمن يأتيني بهما ما استطيع ان ابذله قال سأجهد في رهنهما يا سيدتي الى ان يقضي الله امراً كان مفعولاً وانا الآن ذاهب الى ملاقاته الكونت دي لا فير واعطيك الجواب غداً ثم خرج وهو لا يملك دمه على مصيبة هذا البيت الفاجعة وسبحان من جعل الدهر دولاً تدور

الفصل السابع والثلاثون

العم وابن الاخ

فسار اللورد وخادمه الى جانبه وهو يلتفت الى قصر اللوفر المرة بعد المرة واذا به يرى فارساً يمشي وراءه على مقربة منه فذكر به خيالاً رآه في القصر الملوكي فقال لخادمه أتري هذا الرجل ياتوني فقال نعم قال أتعرف اي الناس هو قال لا سرى اني رأيت قد تبعك من القصر حتى دخلت في اللوفر فانتظرك حتى خرجت وهو الآن يتبعك قال اخذه جاسوساً من قبل الكردينال فلا نعبان به ثم همز جواده فسار به عدواً فبعه الفارس وهو يفعل فعله حتى بلغ الفندق فصعد الى غرفته وبينما التي قبضته رأى خيالاً في المرأة التي امامه فالتفت واذا بموردون على عتبة الباب فلما رآه اللورد أخذه الاصفرار ووجد حتى ما تحرك فيه عضو ووقف موردون لدى الباب كانه آلة تقمة من عند الله وبعد برهة من سكوت كله كلام قال له اللورد قد ظننت أيها الفتى انك علمت من سابق أمرك معي ثقل منظر عليّ فأخرج من هنا او انادي الخدم فيخرجوك كما فعلت بك في لندره فاني لست بعمك ولا اعرفك فقال الفتى ساء فألك يا عماء فالك لا تجسر على طردي في هذه المرة اما انكارك انك عمي فقد بان فساده لما علمته من امر كنت اجعله من سنة قال وما يهمني امرك وسيات عندي عرفت أم لم تعرف فقال الفتى بابتسامة ارتعدت لها فرائص اللورد يهملك كثيراً يا سيدي العم فلقد اتيت اليك اول

مرة أسألك عما فعلت بميراثي ثم أتيت اليك مرة ثانية أسألك شرف لقي والآن أتيت التي اليك سوءاً أشد رهبة وهولاً من الاولين فاقول لك كما قال الله لأول قاتل « قايين ماذا فعلت باخيك هايل » وانت يا ميلودر ماذا فعلت بامرأة اخيك التي هي امي فاجفل اللورد اجفان الحبل وقال أمك قال نعم امي يا ميلورد قال سل عنها الجحيم فهو ماواها فتقدم الشاب حتى صار امام اللورد وقال بل سألت عنها سياف يتين فاجابني فسقط اللورد على كرسي منحل القوى كأن ساعة هبطت عليه من السماء وتعلم لسانه عن الكلام فقال له موردون انك ورثت أمي مال زوجها فقتلتها ودافعتني عن ذلك المال ثم جحدتني لقي فليست اعجب بمد ذلك اذا رفضت عرفاني فانه يصعب على المحتلس ان يتقرب من الذي اختلسه وعلى القاتل من الذي ايمه وكان اللورد قد ذكر جرائم ميلادي وفضاعة ذنوبها فهض هادئاً رابط الجأش ونظر الى الفتى نظرة تشق القلوب قبل الجلود وقال اذا شئت ان تعلم مكنون هذا السر فاعلم من أية النساء كانت من تسألني عنها فهي امرأة غادرة قتلت اخي باسم وحاولت أن تقتلني فخلصت منها وفي يدي شاهد عليها فاذا تقول قال اقول انها أمي قال ثم استخدمت رجلاً كريماً طيب السريرة فاغرتة على قتل بيكنهام اغتيالاً ولي على ذلك دلائل فاذا تقول قال هي أمي قال ثم عادت الى فرنسا فسممت في احد اديرتها امرأة كان يعشقها احد اعدائها ولي على ذلك برهان فاذا تقول قال كيف كانت فهي أمي قال ثم ماتت بعد ذلك بيد رجل اساءت اليه بعد ان حكم عليها بجريمة القتل فلو كان الجلاد اخبرك بكل شيء لقال لك انه قتلها مسروراً بثار اخيه فهي ابنة فاجرة وزوجة عاهرة وامرأة اخ ناكرة وحليلة جائرة عاشت والناس تنسدها

وكنت اذا نزلت بدار قوم رحلت بخزية وتركت عارا

حتى ماتت مأخوذة بجرائمها بغيضة من الله والناس غير مأسوف عليها وكان موردون يسمع وشرار النضب يتطايرون عينيه فصاح بصوت مله الحنق والغيظ اسكت لا اباً لك انما هي أمي وكلما زعمته من جرائمها وعيوبها لا علم لي به سوى اني اعلم ان قد كان لي أم تواطأ عليها خمسة رجال فقتلوا شرقتة وانك أنت عمي قد ناديت معهم بقتلها والآن فاسمع ما اقول لك حتى لا نمحى كلمة منه من صدرك ان هذا القتل الذي

صيرني لقباً فقيراً شريداً أنت مسئول عنه أولاً ثم اتقدم بثاره الى سائر اصحابك
وشركائك متى عرقهم ثم احمرّت عيناه وتقدم الى اللورد وهو يرغي ويزبد كأنه يريد
ان يقتله فأب اللورد بيده الى قائم سيفه وتبسم في وجه الفتى ابتسامة من لا بهاب
الموت وقال أريد قتلي اذن اعرفك ابن ميلادي فتلك طبايعها وما تلد الحياة الا الحياة
وان العصاة من العصية قال لا أريد أن اقتلك الآن لاني ان فعلت ضاع عليّ اكتشاف
اصحابك فاذا عرقهم فعند ذلك فاجزع فاني قتلت سياف يتين غير مشفق ولا راحم
ولقد كان اخفكم جرماً واصفركم ذنباً ثم افنتل الى الباب ونزل مسرعاً فامتطى جواده
وسار به عدواً وسقط اللورد على كرسي وهو يقول أحمدك اللهم اذ لم يعرف غيري



الفصل الثامن والثلاثون

الابوة

بينما كان هذا الحادث الهائل يجري في غرفة اللورد كان اتوس جالساً في منزله والى
جانبه راعول فقال له هل حضرت تلك الموقعة الهائلة يا براجيلون قال نعم ولقد كانت
هائلة شديدة حتى ان الامير اطلق فيها الرصاص احدى عشرة مرة بنفسه قال كيف
رأيت الامير يا بني قال بطل الحرب ورحاها ولقد كنت اتأمله كل مدة القتال فراه
اجمل الناس واحلام وما احسن ان يدعي المرء بدي كونده ويكون بطلاً كهذا لا
تهزه الحرب ولا يجزع لها فقد اتينا الاعداء مشاة وامرنا لا نطلق اولا فزحف على
الاسبان وهم في مكان ارفع منا وبنادقهم في ايديهم حتى اذا صرنا على قيد ثلاثين قدماً
منهم التفت الامير الى الجنود وقال يا قوم انكم مقدمون على قتال شديد وضرب
دراك ولكنكم بعد ذلك تكونون ارباب النصر وعند الصباح يحمد القوم السرى ثم رفع
سيفه وقال اقرعوا البوقات قال اتعرف ان تكون مثله يا راعول اذا اقتضى الامر قال
نعم لاني استحسننت فعله ثم لما صرنا على عشرين قدماً منهم صوبوا الينا افواه البنادق
فصاح بنا الامير انحنوا يا قوم فقد دنت الساعة قال وهل داخلك خوف يا راعول قل
نعم ولا ا كذب الله فانه لما اطلقت البنادق ظننا الجحيم فتحت علينا وشعر من بقي منابحر
نارها فانغضت عيني وذكرتك ثم فتحتهما فوجدت نفسي حياً سليماً واكثر من ثلاث

العسكر صرعى فظارت الى الامير فوجدته ينظر اليّ فاحتسمت واوردت جوادي العدو حتى صرت في وسطهم قال وهل سرّ منك الامير قل نعم عرفت ذلك من قوله لي حين بعثني الى باريز مع دي شاتيلون الحامل يبارق النصر للملكة حيث قال اذهب فان العدو لا تقوم لهم قائمة قبل خمسة عشر يوما وانا لا حاجة بي اليك الآن فامض وسلم على من تحبهم وقل لاختي دي لوزنكفيل انني اشكرها على اهدائك اليّ فاتيبت يا سيدي وانا اظن انك تسرّ لمراي فحذب اتوس الفتى وقبله في جبينه وقال لقد بدأ سعدك يزهوا راعول فان الدوق صديقك ومارشال فرنسا يحبك وسلالة الملك قائدك وقد قابلت في يوم واحد ملكتين فله درك قال قد ذكرني يا سيدي امرأ فاني لما كنت لدى ملكة انكلترا رأيت عندها رجلاً نبيلاً لما سمع مني ذكر اسمك ظهرت عليه الدهشة والسرور وزعم انه من اصحابك وانه يريد ان يزورك قال وكيف يدعى قال لم اسأله ولكنني عرفت من لهجته انه انكليزي المحتد فاطرق اتوس يفكر في رجل انكليزي يعرفه واذا باللورد قد ظهر على الباب وقال اللورد ونتر يا اتوس قال نعم فاهلاً بك وسهلاً ثم قام اليه وعانقه عناق الاخاء وقال له مالي اراك كثيراً يا لورد قل صدق نظرك يا كونت ثم جعل ينظر حوله كمن يريد الخلوة فعلم ذلك راعول فخرج وقال اتوس خلا لنا الجر فلتكلم في امرك قل لا بل تكلم في امرنا فان ابن ميلادي هنا قال عرفت ذلك من كريمود فقد صادفه بين بيتين وارس وعاد على اعقابه يخبرني بامره قال اذن فقد رآه كريمود قل بل عرف من رجل يجود بنفسه قال أليس جلاد بيتين قال واني لك عرفان ذلك يا لورد قال عرفته من فم القتال فقد كان عندي الساعة وجرت لي معه محادثة شديدة فيا ليتنا قلنا الولد مع الوالدة قال ومما نخاف يا لورد ألسنا رجلاً ندافع عن انفسنا وهذا غلام غرّ ظفر بسيف بيتين في ساعة غضب فقتله اما الآن فقد هدأ ذلك الغيظ فقال اللورد انك لا تعرف هذه السلالة يا كونت قال مها كانت فان التعاقب يضمها ونحن لا نزال متحذرين فلا خوف علينا ولكن فلنعد اليك فما الذي جاء بك الى باريز قال امر مهم ستقف عليه ولكن ما الذي سمعته عند الملكة هنريت احقيقة ان دارتانيان من حزب الكردينال ولا اقصد بذلك أن الوم الكردينال او اشكره ولكن هل انت من حزبه ايضاً قال ان دارتانيان رجل جندي في خدمته فهو يخدم

الحكومة وانت تعلم انه ليس بندي ثروة يعيش منها بل هو عايش من خدمة الحكومة
فان اصحاب الاموال الطائلة مثلك يا لورد نادرون في فرنسا قال هيات ذلك فاني الآن
أشد فاقة منه ولكن فلنرجع اليك قال تريد ان تعرف اذا كنت لمازارين فانا اقول لك
انه اصغر من ان ينالني يا لورد فقال اللورد وقد أخذته هزة الطرب أشكرك يا كونت
وافر الشكر على قولك هذا واحمد الله على انك لست من حزب مازارين ولكن هل
انت حرّ مطلق قال ما الذي تعني بالحرّ المطلق قال اعني هل انت مقترن قال لا قال
فا هذا الغلام الجميل عندك قال غلام ربيته وهو لا يعرف أباه فما الذي تريد مني قول
هلاً تزال صديقاً لبورتوس وارانيس قال نعم ولدارتانيان ايضاً فانا لا تزال اربعة اصحاب
كالماء والراح في الامتزاج ولكن متى اقتضى الامر الى مقاتلة مازارين أو الدفاع عنه
فنحن قسمان قال افرايميس مع دارتانيان قال لا بل هو معي قال أتقدر أن تعرفني به
قال نعم متى شئت قال وهل تغير منه شيء قال قد صار مطراناً فقط قال ذلك برهبنى
يا كونت لانه لم يعد قادراً على اقتحام المخاطر قال لا بل بالعكس فقد زادت شجاعته
ضعفاً أتريد ان ابث براءول ليجي به قال قد يمكن ان لا يجده هناك فهل تقدر ان
تجيب عنه قال نعم كما اجيب عن نفسي قال أتعهد ان تجي لي به غداً في الساعة
العاشرة الى رصافة اللوفر قال وهل في الامر براز قال نعم براز يسرك أن تكون فيه
قال والى اين نذهب قال الى ملكة انكلترا فقد أوصتني أن آتيها بك قال ومن اين
تعرفني قال انا اعرفك وكفى قال انا رهين أمرك ما دمت قد عقدت لسانك معها ولكن
ألا تفضل بالمشاء معي قال لا فان مقابلة ذلك الشاب قد قطعتني عن شهوة الطعام ولعلها
تشرد عني النوم في ليالي هذه ولست أدري أي شيء أتى به الى باريز فانه لم يأت
لاجلي لجهله بامر سفري وهو علم الله يخيفني مرآه لاني أرى به تذكّار دماء قال وما تراه
يصنع في انكلترا قال هو من أخلص خدم اوليفيه كرومويل قال ومن دعاه الى هذا
الشأن وقد كان ابوه وامه كاثوليكين قال بغضه للملك وحنقه عليه اذ قد حكم في امره
انه لقيط فنزع منه ماله وحظر عليه ان يتكفي بلقب دي ووتر قال وكيف يدعى الآن
قال موردون قال لحاه الله ملحد في دينه ويسافر في فرنسا بلباس الرهبان قال عجباً
وكيف ذلك قال نعم وبه سمع اعتراف السيف ووقف على السرّ قال علمت الآن

حقيقة امره فهو رسول من كرومويل الى مازارين وقد صدقت الملكة في قولها اننا
سبقنا فاستودعك الله الآن الى غد قال ارى الليل حالكاً جداً وقد لا يكون معك
خادم قال معي توني وهو خادم أمين فنادى اتوس بخدمه الثلاثة وقال هيثوا السلاح
ونادوا الفيكونت وبعد قليل دخل الفتى فقال له الكونت ترافق اللورد الى فندقه واياك
أن يدنوا منه احد فقال اللورد عجباً فمن تظنني يا كونت أجبان انا والله لا سرت في
خفارة احد غير سيني قال لا بل غريب لا تعرف باريز وشوارعها فامض بحفظ الله
فخرج وسار كرمود امام الجميع وفي يده مشعل وفي الاخرى غدارة حتى بلغوا فندق
اللورد بعد ان صادف كرمود فارساً في زاوية الشارع فشد عليه فهرب منه ثم عادوا الى
الكونت فأخبروه بوصول اللورد سالماً

ولما كان الصباح استيقظ اتوس فوجد راعول امامه لا بساً ثيابه فقال له تعذرني
يا سيدي اذا عزمت على فراقك قال ألم يبق لك الا يومان قال بل عشرة أيام فاني
لست بذهاب الى المعسكر فتبسم اتوس وقال الى ابن اذن تمضي ولا حرج عليك في
عدم اجابة سوالي فانك قدصرت رجلاً وبغت اشدك فتمضي حيث تشاء قال هييات
ان يخطر ذلك لي في بال أو أحاول الخروج عن طاعتك وانت مربي الكريم بل أنا
ذاهب اصرف يوماً في بلوا ولعلك تضحك معي لذلك قال لا يا بني ومعدور أنت غير
ملوم قال اذن تأذن لي بالذهاب قال نعم وكرامة قال فانا اذهب اولاً الى الدوقة دي
شفريز اشكرها على صنيعها معي ثم سلم وخرج

الفصل التاسع والثلاثون

التماس الملكة

فكتب اتوس رسالة الى اراميس وبمشها مع خادمه يسأله فيها الحضور الى رصافة
اللوفر في الساعة العاشرة ولما حان الوقت ذهب اتوس الى الرصافة فوجد اللورد ونتر
قائماً بانتظاره وبعد قليل اقبل اراميس فسلم على اللورد وقال الى ابن نذهب فان كان
الى براز فان سيني ليس معي ولكن تأذنان لي باحضاره فقال دي ونتر لا حاجة اليه فنحن
ذاهبون في زيارة الى ملكة انكترا ثم ساروا حتى دخلوا في اللوفر حيث تسكن الملكة

فوجدوا عليه من علائم القمر ما برق له قلب الجراد اذ رأوه خالياً من الاثاث معفر
الجدران مكسر الزجاج عاري الارض من السماط ولا حراس ولا خدم على أبوابه
وكانت الملكة لما سمعت خفق نهالم في ساحة القصر خرجت للتلقاهم فرجبت بهم فدخلوا
يقلبون الطرف في ذلك المسكن فقالت لهم كيف رأيتم منزلي فقال اراميس انه ليعز علينا
ان نرى ابنة هنريكوس الرابع على حالها تلك في بلاط فرنسا فقالت الملكة لذي ونتر
أليس المتكلم من الفرسان قال هو يا سيدتي المطران دير بلاي فاحر وجه اراميس
خجلاً قال اني وان اكن ثياب الرهبان فاني حرسى قح ولو كنت عالماً بانى سأمثل بين
يديك للبت ثياباً ترينني فيها اهلا لان يكون سبني مجرداً في سبيل رضاك ولكن لا
عبرة بالثياب

اذا كان في لبس الفتى شرف له فما السيف الا غمده والحمايل

فقال ونتر ان دير بلاي احد الحرسيين الابطال من عهد الملك لويس الثالث
عشر الذين ذكرت لك عنهم ثم التفت الى اتوس وقال وهذا الكونت دي لا فير الذي
تغني شهرته عن تعريفه فقالت لها الملكة لقد كنت من بضع سنين اذا رميت بطرفي
أرى حوالي أشرافاً واموالاً وجنوداً تطيعني لاول اشارة ولاقل رمزاً أما الآن فانظروا
في أية حال أصبحت والى أية ذلة صرت ليس لي من صديق في هذه الحياة الدنيا الا
اللورد ونتر واتما لما يلوح لي من علائم الشهامة والمروءة عليكما فقال اتوس نحن رهبنا
امرنا اذا كانت حياة ثلاثة تكفي في سبيل خلاص حياتك قالت بارك الله فيكم ولكن
اعلموا انني لست انكده الملكات حظاً بل انا اشقى الامهات وأتعس الزوجات فان ابني
الدوق ديورك والبرنسس كارلوت بعيدان عني تحت خطر الاعداء وذوي الاطماع
وزوجي الملك في انكلتر قائم على احد من السيف واضيق من السوار في سبيل يطلب
فيها الهلاك كانه عاشق له واقراوا هذه الرسالة تعلموا فأخذها اتوس وقرأها وقال ما صنع
ملازرين قالت أبي قبوله قال لحاه الله ما الأمه والآن فما تريدان ان نصنع قالت
أتصبران على المصائب قال اني ورفقي دير بلاي رهبنا امرنا وطوع يديك وانما نحن
سهمان من سهامك فلنرم بنا الملكة حيث شاءت من الارض قالت لله انما ما اشرفكما
نفساً واطيبيكما غرساً ولكن انت يا دير بلاي فما تقول قال انا تبع للكونت دي لا فير اتبعه

حيث شاء ولا اقول له لماذا ولكن متى كان في الامر خدمة لك فانا اهوى سباقه وان
 يكن في كل فضل رب كل سباق قالت جزا كما الله فوالله لقد نفسما الكربة وجلوتما
 الغمرة فانا وقد رضيتما بخدمة ملكة منقطعة طريفة فان الملك الآن في جماعة من اشرافه
 النبلاء على خوف من فقدانهم بين الايكوسيين الذين هم قومه فاذهبوا الى انكلترا
 وانضموا الى الملك وكونوا له عضداً ونصيراً فلا تفارقوه لحظة عين وانا اعدكم وعد
 صادق لامكافأة لكم فان ذلك قد يسوكم ولكن تحبباً اليكم انني ابذل لكم اذا نجازوجي
 وعدت الى ملكي كل ما تقدر ملكة ان تبذله وذلك يمين الله عليّ والا برئت من ديني
 وأبي فقال اتوس ومتى نرحل يا سيدتي قالت واظرباه اذن قد رضيتم قال لقد تجاوزت
 الحد يا مولاتي في تطفنك على خدمة نوديتها في سبيل الله اذا أعنا ملكاً وملكةً فانما نحن
 لك جسداً ونفساً فقالت الملكة وقد برقت دموع الفرح في عينيها هي اول مرة يا كونت
 داخلي فيها سرور الامل والرجاء من خمس سنوات فانكم تخدمون الله في خدمتنا وهو
 أدري بمكافآتكم عنا واعلم بما يداخل قلبي من عرفان جميلكم عليّ والآن اذ قد قبلتم
 بأمرني فتخدموني صديقة لكم واعرضوا عليّ ما شئتم من اموركم عساني اقصيها فقال اتوس
 ليس لنا من طلب قبلك الا الصلاة فمدت الملكة يديها للحرسين فقبلها وقالت لدي ووتر
 بصوت خفي اذا احتجت الى المال فبع الذخائر التي اعطيتك فانها تقوم بخمسين الى
 ستين الف دينار وانفق ثمنها على هذين الرجلين حتى يعيشا عيشة ملوك ثم اعطت كلاً
 منهما رسالة واحدة واخرى من ابنتها هنريت الى الملك شارل فودعوها وخرجوا
 فلما صاروا في السلم قال دي ووتر اذهبا انما في طريق وانا اذهب في اخرى لندراً عنا
 الشبهات ثم تلتقي في الساعة التاسعة من هذا المساء على باب سان دينيس فنركض خيلنا
 ما استطاعت ركضاً ثم نأخذ محلاً في البريد فاذهبا مشيعين بالشكر مني ومن الملكة ثم
 افترقوا فلما ابعده الحرسيان قال اراميس ماذا تقول في هذا الشأن يا كونت قال شديد
 وخيم العاقبة قال ولكنك قبلت به قال نعم وذاك شأني في صعاب الامور وعظائمها ولا
 سيما ما عاد منها بالخير فان الملوك قائمون بالنبلاء والنبلاء لا يقوم شأنهم الا بالملوك فنحن
 اذا خدمنا الملكة فقد عاد علينا قل نحن ذاهبون لنقتل في انكلترا يا كونت وما
 اکتك امري انني ابغض الانكليز فهم ثقلاء سنة كل امرء يشرب الجمعة قال ايها

افضل وأولى أنبقى هنا ندور حول الباسئيل والسجن على خطر السقوط فيهما أم نذهب
فنقاتل قتالاً يبقى أثره ويحسن خبره ونحن رجالان حرّان لا وراءنا ولا أمامنا
فليس لنا على ما فات حزنٌ ولا خوفٌ لنا مما نلاقى

قال صدقت ولكن فلنرجع الى امر هو حقير ولكنه مهم هل معك مال قال مائة دينار
بشها لي شريكى من براجيلون ولكنى سأعطي نصفها لراعول وانت فما معك قال والله
لو قلبت جيوبى وخزائنى ما وجدت فيها اكثر من عشرة دنانير ولكن اللورد دى وتتر
غنى فما علينا قال لا بل هو فقير فقد اخذ كرومويل ماله قال اذن نلتبس من بورتوس
فهو غنى قال لا اياك وافشاء الامر حتى ياتي الله بالفتح او امر من عنده والآن فما
تصنع الى المساء قال اقضي امرين يلزمني قضاؤهما اولها اني ابارز النائب فقد اعياى
امره من مزاحمتى على كل عمل آخذ به حتى لقد ظننته اراميس آخر فاقتله واستريح
منه قال لا تعرض نفسك للهلكة يا اراميس فما لنا وله فانت اليوم ملكة انكلترا فلا
تسع الا في سبيل صلاحها قال اصبت وقد سبق السيف العذل وانت فما تصنع قال لي
زيارتان اقضيها ثم اكتب رسالة فتجدني بعد ذلك عند الساعة الثامنة او بجيء عند
الساعة السابعة فأكل معاً قال حسن وافترقا فذهب اتوس فزار الخاتون دى فاندوم
والدوقة دى شفرين ثم كتب الى دارتانياان هذه الرسالة :

ايها الصديق

كتابي اليك وانا مسافر مع اراميس في شأن مهم ولقد كنت احب ان اودعك
بالبنان لولا ما يحول دون ذلك من ضيق مسافة الوقت . ثم ان راعول قد ذهب الى
بلوا وهو جاهل بامر ذهابي فقم مقامي في تمهده والتحفظ عليه واذا قدر الله واقطعت
رسائلي عنكما ثلاثة اشهر سوياً فقل له ان يفتح صندوقى في بلوا بالفتاح الواصل اليك
فيجد فيه لفة اوراق باسمه والسلام عليك

ثم ارسل الرسالة مع خادمه ولما كانت الساعة المعهودة قدم اراميس بلباس الفرسان
فاعلمه اتوس بالرسالة وقال هل انت مستعد للسفر قال متى شئت قال كنت احب ان
اودع دارتانياان ولكنه شيطان مارد يعرف خبايا القلوب من الوجوه ثم جلسا يا كلان واذا
بالخادم قد عاد من عند دارتانياان ومعه جواب الرسالة وهو :

سيدي الكونت

لما كان السفر الطويل على مثلكما يستلزم مالاً للنفقة فقد بعث اليكما بنصف المال الذي أخذته من مازارين فسافرا على الطائر الميمون أما قولكما انه قد يمكن ان لأراك فذلك لا اصدقه فان من جمع قلباً وسيفاً مثل قلبك وسيفك لا يحول دون نفاذه شيء وأما راعول فاعتني به عنايتي بابني والسلام عليك ثم أخذ من الخادم خمسين ديناراً واقسمها مع رفيقه مشاطرة وأخذ كل منهما خادماً من خدم اتوس فأخذ اراميس بليزوا واتوس كويمود ثم ركبوا وهما بالمسير واذا بخادم اقبل من عند بورتوس برسالة الى اراميس يقول فيها

ايها الصديق — علمت من دارتانيان انك ذاهب والكونت دي لافير في بعثة تستغرق شهرين أو ثلاثة فاحببت ان ابعث اليكما بمائتي دينار تقسمانها فأنا غني عنها اليكما وهي هدية على مقداري لا مقداركما فاذهبا مصحوبين بالسلامة

دي قالون دي براسيه دي ياريثوند

فقال لله در صاحبينا ما اكرم نفسيهما وأبسط كفيهما فلنقسم هدية بورتوس كما فعلنا بهدية دارتانيان فاقسمها ثم سارا الى باب سانت دينيس فوجدوا دي ونتر قائماً بانتظارهما فساروا معاً

الفصل الأربعون

المقابلة

ولم يزل الثلاثة سائرين حتى بلغوا بولونيا ودخلوا المدينة وقال لهم دي ونتر لنفعل هنا ما فعلناه في باريز ويتخذ كل منا طريقاً دفعاً للريب وأنا ذاهب الى صاحب فندق هنا قديكون لي فيه رسائل وانما فاذهبا الى اول فندق تجدانه وبعد ساعتين تلاقيانني على المينا فنركب البحر ثم افترقوا فسار اللورد في سبيل وسار الحرسيان في سبيل آخر حتى بلغا البحر فاخذنا يتمشيان على الشاطئ واذا برجل شاب اصفر الوجه ازرق العينين خبيث المنظر يدنو منهما كأنه يريد ان يكلمهما ثم يرجع عن قصده وكان الرجلان يتحدثان في شأنهما ثم ذكر اراميس اسم دي ونتر فاجفل الشاب له واقبل عليهما وقال لهما بمتهى

اللطيف اخذنا آتين من باريز ياسيدي او انكما غريبان هنا فقال اتوس لابل آبان من باريز فهل من خدمة نودبها لك قال ألا تفضلان عليّ بالاخبار عن مازارين فقد قيل انه سقط من الوزارة فقال اراميس ذلك امر غريب فقال اتوس غريب وغير غريب فان نصف فرنسا يطرده ونصفها يشد ازره فقال الشاب اليس هو هارباً أو في السجن قال اتوس ليس هو كذلك الآن قال اذن فاعذراني لتقبلي عليكما ثم سلم وانصرف فقال اراميس لرفيقه ماتقول في هذا السائل قال اما رجل مهذار او جاسوس قال وكيف نجيبه على كل سؤال قال سألني بلطف فأجبتة على ما سأل قال لعله جاسوس قال كأننا من كان فلسنا في عهد ريشليه الذي يقفل المواني لاقل هاجس قال كيف كان الامر فأنت محطى في اجابتك اياه بما ذكرت قال وانت محطى ايضاً اذ ذكرت اسم دي ووتر الم تر كيف اجفل له ووقف قال كان ينبغي اذ قد رأيت منه ذلك ان لا نجيبه وترده قال اذن هو البراز قال وهل صرت تخاف من البراز قال نعم عند ما اكون مستعجلاً في امر فاني اتكبه ثم اني قد زادت رغبتني في ان ارى هذا الشاب عن كسب واملك تهزأ بي ولكني اسألك من تراه يشبه من النساء فتأمل اراميس برهة وقال لله درك فانه اشبه بميلادي من الماء بالماء واذا بدني وترقد اقبل مسرعاً يلتفت الى ورائه حتى ادركها فقال له اتوس ما بالاك تجري مذعوراً قال لما دنوت من هذا الكتيب رأيت خلفه . . ثم التفت مذعوراً وقال هلم نساfer فان السفينة في انتظارنا ثم التفت مرة اخرى فقال له اراميس ما بالاك تلتفت هل نسيت شيئاً وراك قال لا ولكني منشغل البسال فهمس اتوس في اذن رفيقه ان قد رآه ثم وصلوا الى القارب فانزلوا الخدم وتبعوهم فلما حصلوا في البحر رأى اتوس رجلاً يسير على شاطئ البحر وهو يعجل في مشيته حتى يقابلهم وكان الظلام قد بدا فتبين انه الشاب الذي سأله فقال في نفسه هو جاسوس لا ريب فيه ثم دنا الشاب حتى وقف على سد البحر فلما مخر القارب بهم اتقل الشاب من السد الى صخر شامخ ليراهم عن قرب فقال اراميس جاسوس والله يا اتوس فقال دي ووتر من تعني قال هذا الشاب الذي تبعنا وسألنا وسمع كلامنا وهو هذا فالتفت اللورد فرأى الفتى واقفاً على الصخر حاسر الرأس فقال هو والله وقد خيل لي اني رأيتة فلم تحطى نظرتي قال اراميس ومن هو قال ابن ميلادي فقال كرمود هذا هو الراهب اذن

وكان الفتى قد سمع مادار بينهم فقال نعم ايها العم انا ابن ميلادي والراهب وصديق
كرومويل وقد عرفتك وعرفت اصحابك فاقشعرت اجسام الثلاثة لهذا الصوت وشعروا
ان غضب الله سقط عليهم مع انهم يهزمون جيشاً فقال اراميس هو ابن ميلادي بالورد
قال ويلاه نعم قال عليّ تدبير امره ثم اخذ غدارته وصوبها الى الفتى وهم باطلاقها واذا
اتوس اهوى بيده عليها فردها عن الهدف باسرع من ارتداد الطرف فراحت رصاصها
خائبة فقال له اراميس قاتلك الله فقد كدت اقتله وكنت على يقين من ان رصاصي
تصيب صدره قال يكفي انا قتلنا الام اما هذا فلا ذنب له فتهقه الفتى ضاحكاً بهم
وقال عرفتم فاذهبوا فارتعش جسم اراميس لصوته واصفر وجهه حتى لاح ذلك عليه
فقال له اتوس رويدك يا اراميس اولسنا رجلاً قال نعم ولكن هذا الفتى شيطان فلم
تدعني اقتله وكانوا قد بعدوا عن البر فقال انظريا اتوس انه لا يزال مكانه فما اتى به
الى بولونيا فقال دي وقر انه يتبعني قال اتوس لو كان يتبعك لاتي على اثرك ولكنه
سبقك الى هنا فباليتني لم ارد يدك يا اراميس ولكن قدر فكان ثم وصلوا الى السفينة
فصعدوا اليها ونظروا الى الصخر واذا بصوت الفتى يقول لهم استودعكم الله وفي
انكثرا الملتقى

الفصل الحادي والاربعون

الصلاة لانتصار لانس

كان خبر انتصار مدينة لانس قد بلغ اللوفر مع دي شاتيلون يحمل اليه اثنين
وعشرين راية غنمها الفرنسيون من الاسبان فشاخ امره في باريز وابتهج له البلاط
الملوكي وخضع البارلمان لمازارين فكان انتصاره ضعفين بين داخلي وخارجي وسراهل
باريز من هذا النصر سروراً زائداً فلما كان يوم الاحد اقبلت الحوانيت والبيوت وخلت
الشوارع من الناس ولم يبق في المدينة احد الا ذهب الى كنيسة السيدة لحضور صلاة
الانتصار فكثروا يردون اليها كأنهم جيش جرار على غابة من الهدوء والسكينة ثم جاء
حراس الملكة يقودهم كيتو وابن اخته كومنج بالبوقات وآلات الطرب
وكان فريكه الغلام الذي تقدم ذكره يمشي في مقدمة الحراس مسروراً طرباً من

الانعام شأن الصبيان في كل احتفال حتى بلغ بيت بروسل فصعد اليه وقال للخادمة انه يريد ان يراه لانه سمع انهم ينوون له شراً في القصر ومدّ بها صوته حتى سمع الرجل وان دليل ذلك مرور الحراس من امام بيته فخرج بروسل وقال يا بني ان ذلك امر معتاد من مرور الحراس في مثل هذا الاحتفال فلا تظن له معنى آخر ثم أمر له بطعام وعاد الى غرفة امراته وطلب ما يأكل . وكان دارتانياً قد خرج مع بورنوس بفرقة من الحراس الى باب الكنيسة ولما كانت الساعة العاشرة اطلقت المدافع مؤذنة بخروج الملك من اللوفر ومرّ لويس في وسط جماهير الناس يحييهم وهم ينادون باسمه حتى اذا كان في بعض الطريق انفصلت عن موكبه عربة من عربات كومنج وسارت يخفها اربعة حراس حتى بلغت شارع كريستوف وهو مقفر من الناس لاشتغالهم بالاحتفال فوقفت هناك وكان كومنج واقفاً الى جانب الملكة ينتظر تمام الامر الذي بدأت به في اللوفر فلما انتهت الصلاة قالت له اذهب والله يرعاك فذهب وكان الغلام فريكة قد رآه فبعه ينظر ماذا يصنع فسار حتى وقف على باب بروسل احد اعضاء البرلمان وقرعه ثم التفت فرأى فريكة فقال ما تصنع هنا وبحك قال اريد ان ادخل على بروسل قال وهل يسكن هنا قال نعم قال وفي أية طبقة قال في البيت كله قال واين اجده الآن قال في الطبقة السفلى لان فيها قاعة الاكل والآن وقت الطعام ثم فتح الباب فدخل كومنج يتبعه فريكة الى قاعة المائدة فوجد بروسل جالساً على الطعام ومعه امراته وابنتاه الى جانبيه وابنه لوفير في آخر المائدة فلم عليه وقال انا حامل امرأ من الملك يقضي عليّ بان اقبض عليك فاتبعني اذا شئت واكف نفسك قراءة هذا الامر الطويل العريض فوقعت هذه الكلمات وقوع الصاعقة في تلك الاسرة ففاضت دموع المرأة وعانت الفتاتان اباهما فقال كومنج اسرع يا سيدي فانه يجب ان نطيع الملك قال ان صحتي لا تسمح لي بان أسجن الآن فاطلب المهلة قال ذلك محال فان الامر مشدد يجب أن ينفذ في الحال فقال لوفير احذريا كومنج ان تشدد فتدفعنا الى ما لا خير فيه واذا بالخادمة الشطاء قد ظهرت في الباب وقالت اذهب يا كومنج واربح نفسك أتقبض على أبي الشعب وحاميه ويحك ألا تدري على من هجمت فتبسم كومنج خلفه عقلاً وقال لبروسل سد فاهها واتبعني قالت سنرى كيف يسد في ثم وثبت الى النافذة ففتحها وصاحت اليّ

أيها الناس انهم يقبضون على بروسل سيدي فقال كومنج أطيع الملك يا بروسل أم تجاهر بعصيانه قال لا بل أطيع قال اذن فاسكت هذه العجوز فقالت انا عجوز ستري فعل العجوز ثم عادت الى الشباك وعاودت الصراخ والاستغاثة فامسك كومنج يدها وجذبها واذا بصوت أشد من صوتها قد خرج من ناحية أخرى يصيح الينا الينا فقد قتل بروسل أيها الناس فانتشر الصوت في الشارع وتناقلته الناس فقبلت جماهيرهم تسد الفضاء فاخبرهم فريكة بالامر وان المركبة آتية لتأخذ بروسل فمجم ذلك الشعب على الحراس هجمة واحدة واشتبك القتال بينهم حتى اجلوه عن المركبة وهم يصيحون باسم الملك فلا يجيبهم أحد واذا بفارس قد اقبل يشق الصفوف بصدر جواده ثم صاح انا لكم يا حراس وكان ذلك الفارس فتى لا يتجاوز السادسة عشرة من العمر فترجل عن جواده واستل سيفه وهجم على الشعب فردم واوقفهم في مراكزهم ثم اقبل كومنج يسوق بروسل امامه واهل بيته يصيحون بالويل والحرب والشعب يهدر ويقول اكسروا المركبة وخلصوا الرجل فصاح بهم راعول من تقدم فهو هالك ثم ضرب اول رجل دنا منه فجرحه فانهزم يهدر كالبعير من الالم وكان سبب حضور راعول انه لما عاد من بلوا حسب وعده خطر له ان يحضر الاحتفال فاقبل الى الكنيسة واذا به يسمع باسم الملك فوخز جواده ورد الشعب وكان منه ما كان أما كومنج فأدخل بروسل الى المركبة ودخل وراه واذا برصاصة سقطت عليه فخرقت قبعته وجرحت أحد الحراس في ذراعه فرجع كومنج رأسه فرأى لوفير ابن بروسل فقال منتقابل يا اخي ثم دفع العربة فسارت بين جماهير الناس يركب بعضهم بعضاً من شدة الزحام وهم يصيحون فليقتل الضابط حتى انتهت آخر الشارع فوقفت خيلها وقد كانت من مصادمة الشعب وراعول يسير امامها بسيفه يفرق جماعات الناس عنها وهم ينادون اقتلوا الحراس والضابط ويطلقون بعض طلقات في الهواء ترهيباً وتهويلاً ثم تزايد صراخهم وزحامهم حتى قلبوا المركبة وشعر راعول ان صدره قد ضاق وساعديه قد كلاً من الضرب وقد خضبه الدم وزاد الغضب بكومنج في المركبة حتى كاد يموت غيظاً واشتغل الحراس كل بنفسه وكاد الاسير ينخلص من حبسه واذا بصوت قد دوى يعرفه راعول ورجل اقبل يضرب بسيفه عن الايمان والشهائل حتى بلغ الى راعول فضمه اليه وقد كاد يسقط من الكلال وقال ويل

لهم اذا كان قبلاً ثم نظر الى من حوله نظرة الاسد فاجفلوا منها اجفال النقد فصاح راعول دارتانيان قال نعم والحمد لله اذ وجدتكم سالماً ثم التفت الى جنده وقال شأ نكم بهم ايها الرفاق ولا تبخلوا عليهم بالسيوف فانفرج الشعب عنه الى مدى بعيد وكلهم يعدو القهقري فاطل كومنج من المركبة وهي ساقطة وقال عافاك الله يا دارتانيان وانت ايها الفتى فما اسمك حتى اخبر به الملكة فهم راعول بالجواب فهمس دارتانيان في اذنه اسكت وانا اجيب ثم قال لا تضع الوقت يا كومنج واخرج من المركبة والنمس غيرها قال واي مركبة اجد هنا قال اول مركبة تمر من هنا نسخرها فلا يمانع اصحابها في سبيل خدمة الملك فاسرع واخرج باسيرك والا عاد الينا الشعب بالسلاح فاستخلصوه وهذه مركبة قادمة فاستوقفها ثم همس في اذن راعول ايك ان تذكر اسمك فقال كومنج انا ذاهب اليها واذا عاد الشعب فاطلقوا عليهم الرصاص فقال دارتانيان ايك وذاك والا فسد الاول بالاخر فذهب كومنج الى المركبة فانزل منها ركبا وعاد بها فاخرج بروسل من المركبة الساقطة فرآه الشعب فعاد الى الصراخ والضجيج وعاود الكرة على المركبة فقال دارتانيان اذهب يا كومنج وهو لاء عشرة حراس يحمونك وانا واقف هنا بعشرين ارد عنك الشعب فاسرع ولا تماهل فسارت المركبة عدواً وهاج الناس على دارتانيان فاطبق بقومه عليهم فهربوا منه مذعورين وبقي واحد منهم واقفاً لا ينهزم حتى دنا منه دارتانيان فصوب عليه غدارته ورماه فامحنى فاصابت الرصاصة قلبه ثم اثنى الى الرامي يريد ان يقتله فقال له راعول رحماك يا دارتانيان فهذا ابنه قال نعم يا سيدي انا ابنه وقد سلمت اليك سلاحي قال ويحك انج بنفسك فان قبضت عليك فانت هالك فذهب الفتى يمدو هارباً حتى اختفى في عطفة الشارع وقال دارتانيان لراعول لقد احسنت يا بني اذ رددت يدي عنه ولو نفذ فيه المكروه لاحزني قال انا اشكرك على خلاصه ثم على خلاص نفسي بيدك ولولاك كنت امرءاً هالكا وفيما هما كذلك اذا بال عشرة الحراس قد عادوا من صحبة كومنج فقال لهم دارتانيان عساه وصل سالماً قالوا لا فقد كسرت المركبة الاخرى قال ذلك من سوء التدبير فقد كان يجب ان يختاروا مركبة متينة فان المركبة التي تحمل بروسل يجب ان تحمل عشرة الاف رجل والآن فارجعوا اتم الى مرا كزكم وانا اذهب وحدي فذهبوا فلما خلا دارتانيان براعول قال له هل تشعر

بشيء قال نعم بدوار في رأسي وحمى فقد اصبحت بمحجر قال واين جوادك قال نزلت
عنه لا دافع عن كومنج ولم ادر اين ذهب ولكن هو هذا فنظر واذا فريكه ممتطياً
الجواد وهو يسوقه ويقول بروسل بروسل فقال له مكانك يا فتى وهات الجواد فتظاهر
الفتى انه لا يسمع واستمر في ميدانه فاخذ دارتانيان غدارة من حزامه وقوم زنادهما
وكان الفتى قد رآه يفعل ذلك فوقف وقال هذا انت يا سيدي الضابط فقال دارتانيان
وقد عرفه اذ ارسله وراء بازين كما تقدم ذكر ذلك ويحك سرت سلال خيل ولص
بادية قال لا يامولاي بل لقد كنت ابحت عن صاحب هذا الجواد فهو فارس جميل
شجاع ثم التفت فرأى راعول فقال هو هذا فالحمد لله اذ وجدتك وسلمه الجواد وانطلق
يعدو فسار الفارسان لا يعارضهما احد حتى بلغا فندق شمرت حيث يسكن دارتانيان
فسأل عن بلانشت فلم يجده فجلس مع راعول وقال كيف تجدك الست معجياً بنفسك
قال نعم لاني خدمت الملك قال ومن اوصاك بذلك قال الكونت دي لا فير قال الا
تعلم انك قد خدمت مازارين الآن ولم تخدم الملك فاياك ان يعرف الكونت او اميرك
دي كونده انك فعلت ذلك فانها يفضيان عليك لانك لم تضع الاشياء في موضعها اما
انا في غير مقامك وذلك اشكرك لانك ساعدتني ثم الومك لاني وصيك بعد مريك
قال اني لا افهم كيف تقول قال ستفهم ثم اخرج له رسالة اتوس بالسفر فجعل الفتى يجيل
عينه فيها وهو يبكي وقال اكذا يفارقني الكونت ولا يودعني ورسالته تدل على انه صائر
الى خطر الموت قال لا تظن ذلك يا بني فهو ذاهب في رحلة سيرجع منها قريباً فلا
ينشغل بالك فاذهب الآن وانظر دي شفرير والنائب واذا رأيت بروسل فعاثقه كان
لم يكن ينكأ شيء مما كان قال سأفعل كل ما تقول وان لم اكن افهم شيئاً قال ذلك
ستفهمه بعد والآن فلنر ما بال دي قالون قادماً ممزق الثياب وكان بورتوس قد ظهر
لدى الباب فقال ما يضرني اذا مزقت ثيابي وقد مزقت في نظيرها جلوداً فقد صادفني
جماعة من الشعب ارادوا ان ينزعوا سيفي مني فصرعت منهم اكثر من عشرين ولم
اكذ اخلص اليك من الزحام الا بعصب الريق ثم جلسا برهة وأوصيا راعول بأن لا
يخرج من البيت حتى يهدأ الاضطراب وذهبا معاً الى الكردينال

الفصل الثاني والاربعون

شحاذ في سان اوستاش

وكان دي كومنج قد سبقها الى اللوفر فقص على البلاط ما فعله دارتانيان ورفيقه من خدمة الملكة ثم وصل الحارسان فقابلهما مازارين بكل احتفاء واکرام وبعد قليل اتى رسول الملكة يطلبه فذهب و اشار اليهما بتبائه فارياه ثيابهما ممزقة معفرة فقال هي اغمر من سائر ثياب القصر لانها ثياب القتال وكان البلاط في ذلك العهد زاهراً بالبلاء والاشراف باسماً بالسرور والانتصار على الاسبان وعلى الشعب لان بروسل كان قد قبض عليه وأرسل الى سجن سان جرمن خارج باريس وقبض على بلانكفيل في ذلك الحين ايضاً وسجن في فنسان ولما دخل الكردينال يتبعه الحارسان كان كومنج جالساً بقرب الملكة يقص عليها أمر بروسل فلما بصر بدارتانيان وبورتوس داخلين وراء الكردينال قام الى دارتانيان وقال هذا يقص عليك الامر أحسن مني لانه مخلصي ولولاه لرماني الشعب في الهرم في التهرمت غريقاً فتكلم يا دارتانيان بما جرى وكان دارتانيان من يوم صار ضابطاً في الحراس قد اجتمع كثيراً مع الملكة في حجره واحدة ولكنها لم تكن تكلمه قط ففي تلك المرة قالت له أتؤدي الي مثل هذه الخدمة وتسكت يا دارتانيان فقال ليس لي ما اقوله سوى اني واقف حياتي في خدمة الملكة وأقصى أماني أن اصرف تلك الحياة في سبيل نصرتها قالت ذلك ما نعهده فيك أيها الفارس ونسراً بان نشرك عليه على رؤوس الناس قال تأذن لي مولاتي بان اقدم لها رفيقي احد الحراس مثلي فهو رجل بطل قالت وما يدعى قال هو في الحراس بورتوس واسمه الحقيقي دي فالون فقال بورتوس دي براسيه دي برافيوند قالت ذلك لقب طويل اكتفي أن اعرف منه الاول وعند ذلك دخل الحاجب واستأذن للنائب فكان لذلك الاستئذان استغراب ودهشة في كل الحضور لعلمهم ان النائب من حزب الشعب ضد مازارين الا انه رأى من واجب الادب أن يزور الملكة ويهنتها بانتصار لانس فلما أذن به الحاجب اخذ الحضور يتوقعون ان يسخروا به الا انه لما دخل تكلم بكلام فصيح بهت له الجميع وانصرفوا عن سابق عزمهم الى استحسان كلامه غير انه ختم خطابه بما ضحك

منه الجميع حتى الملكة فغضب وقال ارا كم تحبون الحرب الاهلية يا قوم فسرى ثم خرج
مغضباً فقال الكردينال لدارتايان اتعرف هذا الرجل عند الضرورة قال نعم وكان النائب
وهو دي كونده قد خرج وهو يقول في نفسه سأريهم غداً كيف يضحكون متى ثارت
الحرب الاهلية على ساقٍ وقدم

ولما بلغ النائب بيته قيل له انه قد قدم اليه فتى يسأله عنه وهو ينتظره في ديوانه
وانه لوفير بن بروسل فسرّ بذلك ا كبر سرور واسرع الى الديوان فوجد الفتى فيه معفر
التياب مخضباً بالدماء فلم عليه وقال له كن على يقين من اني اقسامك حزنك في حادثة
اليوم ايها الفتى قال اصادق انت فيما تقول قال أي والله قال اذا كان ذلك فاعلم ياسيدي
ان عصر الاقوال قد مضى وصرنا الى عصر الافعال فان شئت ان تفعل لا يمضي ثلاثة
ايام حتى يخرج أبي من سجنه وبعد ستة اشهر تكون كردينالاً فانا اعلم انك لم تنفق على
الشعب من صدقات مالك ستة اشهر لحب خالص بل ذلك مأرب لا حفاوة فانت
رجل حكيم شجاع وانا رجل اكره البلاط واريد الانتقام منه فلم لي احزابك من
الشعب أسلم اليك احزاب أبي من البارلمان وبذلك لا يمضي علينا ثمانية ايام حتى تصير
باريز في يدنا وعندها يسمح البلاط بالكره بما لم يكن يجود به بالرضى قال أتدري يا لوفير
انها الحرب الاهلية تعرضها عليّ في كلامك قال نعم وهي ما تستعد له من أمدي ليس
يسير وقد كسبك الصيد فارمه قال الامر خطير يقتضي له تفكير وتأمل قال وكم من
الزمن تريد لذلك قال اثنا عشرة ساعة تكفي قال نحن الآن في الظهيرة فعند منتصف
الليل اكون عندك ثم ودعه وانصرف فارسل النائب فجمع رهبان الشعب ونوابه فقال
لهم جاهدوا بالثورة وادخلوا في اذهان العامة ان الملكة ظالمة وان نكبات فرنسا من
مازارين عشيقها وابدأوا الآن بالعمل على بركات الله وبعد ثلاثة ايام نرى كيف تكون
النتيجة ومن كان منكم له نصيحة يؤديها فليق فذهب الجماعة الا ثلاثة رهبان راهب
سان مري وراهب سان سييليس وراهب سان اوستاش فقال لهم دي كوندي اتظنون
انكم تعضدونني باكثر من رفقاتكم قالوا نعم قال ابدأ يا راهب سان مري قال ان في
حيي رجلاً يقدر ان يفيدك كثيراً يا مولاي وهو تاجر في شارع لومبارد له نفوذ وكلمة
عند التجار الذين بجواره لانهم اخفض منه ثروة ومقاماً ويدعى بلانشت وقد قام بفتنة

من مدة شهر ونصف فارادوا قتله فهرب قال وكيف نجده قال اظن انه لم يقبض عليه
 وسأعرف مقره من امراته لانهما تعرف عندي قال اذن فابحث عنه واتني به عند الساعة
 السادسة فذهب وتقدم راهب سان سيليس فقال ان لدي يامولاي رجلاً شجاعاً داهية
 خدم احد الامراء فصيره راية عصيان ورئيس فتنه فاذا شئت احضرته اليك قال وما
 اسمه قال الكونت دي روشفور قال اعرفه ولكنه ليس في باريس قال نعم وهو في شارع
 كاسيت من ثلاثة ايام قال ولم لم يأت الي قال بلغه عنك انك تكاتب البلاط لتصلح
 امرك معه قال قل له انه مكذوب واتني به في الساعة الثامنة فذهب وقال النائب لراهب
 سان اوستاش هل لديك مثلما لصاحبك قال احسن منها قال ان احدها قدم لي كونتاً
 فصاك تقدم لي اميراً قال لا بل اقدم لك رجلاً سائلاً شحاذاً يتبعه فقراء باريز باسرها
 ولا يقولون له الى اين لانه رأسهم وكبيرهم وهو رجل فقير يتسول على باب كنيسة
 سان اوستاش من ست سنوات واظن انه محطي خطيئة كبرى فهو في الثامن والعشرين
 من كل شهر يقدم لي ثمن قداس عن نفس ماتت موتاً فظيماً قال وكيف يدعى قال
 يزعم انه يدعى ماليار ولكن لا اظن ان ذلك اسمه الحقيقي قال اتظن اننا نجده الان
 في مكانه قال نعم قال فاذهب بنا اليه فان كان كما قلت كنت احسن الناس فائدة لي
 ثم لبس دي كوندي لباس الفرسان وتقلد سيفه واثف بعباءته وخرج
 ومشى الراهب امامه حتى بلغا شارع بروثير ناشار الراهب الى الكنيسة وقال
 هذا صاحبنا في مكانه فنظر كوندي الى الجهة المشار اليها فرأى رجلاً فقيراً جالساً على
 باب الكنيسة فالتقى في رده ديناراً ودخل وكان الفقير يستدل من هيئته على انه يبلغ
 نحو السبعين من العمر فقال له الراهب انا آتيان لتحدثك في بعض الشأن قال ذلك
 فوق قدرتي يا مولاي قال نريد ان نعلم منك رأيك في حوادث اليوم وما الذي سمعته
 من الداخلين الى البيعة والخارجين منها قال انها حوادث مكدره ياسيدي الراهب لا
 تعود تبعتها الا على الساكنين من الشعب اما الذي يقال عنها فان كل الناس غير
 راضين منها وكل يشكو من سوء مصيرها ولكن اذا قلت كل الناس فكاني لم اقل
 احداً قال ما الذي تعني بذلك قال اعني ان كل هذا الضجيج والشكوى والتضرر
 يست الاسحابة صيف يصدق فيها ما قيل

وربما ابرقت سحب فاقطرت الا كما يتفضي البحران بالعرق
ما لم يكن لها رئيس يتولى امرها ويقوم باعبائها فقال دي كوندي انك لتمجيني ايها
الرجل أفلا تحب ان تدخل في حرب اهلية اذا ثرنا بها وجعلناك رأسها لسلطتك على
اصحابك قال حياً وكرامة يا مولاي بشرط ان تكون بامر من الكنيسة أبلغ بها اقصى
اماني من توبة الله علي قال انها ليست حرباً عن اذن الكنيسة فقط بل هي ربها أما
غفران خطايك فامر نكله بعد ذلك الى اصحابه من رؤوس الكنيسة كطران باريز
والنائب فقال له الراهب اعلم يا ملياراني انا الذي قدمتك لهذا السيد الجليل وهو سيد
شريف يتحمل عنك كل تبعة في هذا الامر فقال له دي كوندي أظن ان سلطتك
كافية على اصحابك قال نعم فهم لي اطوع من بنائي واتبع من ظلي قال أتعهد لي
بخمسين رجلاً ذوي شدة وبأس اذا احاطوا بالقصر الملوكي يهدمون جدرانها الى الارض
وهم يصيحون ليسقط مازارين كما سقطت اسوار اريحا من نفخ الابواق قال اظن اني
قادر على اكثر من ذلك واصعب منالاً قال اتكفل لي بان تقيم عشرة متاريس في
سكك المدينة في ليلة واحدة قال اتعهد بخمسين ثم احميها في اليوم التالي قال انك
لتكلم بمجرد تزايد سروري بك فخذ هذه الصرة واستعن بها على امرك واضرب لي
موعداً اراك به الليلة عند الساعة العاشرة ويجب ان يكون في مكان مرتفع لتظهر منه باريز
ويرى اهلها كل اشارة تبو منه واحسن ما يكون حصن باريز ثم تعاهدا على ذلك
وانصرف كل منهم في طريق

الفصل الثالث والأربعون

حصن باريز

وقبل ان تكون الساعة السادسة عاد دي كوندي الى منزله حتى اذا دنت الساعة
المذكورة دخل عليه راهب سان ماري ووراءه بلاشت فقال للنائب هذا يا سيدي
الرجل الذي ذكرته لك فقال له النائب أمستعد انت لخدمة الشعب قال نعم فانا ألد
اعداء مازارين وقد امر بضرب عنقي قال وكيف كان ذلك قال لاني خلصت من ايدي
حراسه سيداً نبيلاً كانوا يقودونه الى الباستيل بعد ان اقام فيه خمس سنين واضن

مولاي لا يجمله وهو الكونت دي روشفور قال نعم بلغتني هذه الحادثة فانك قد هيبت ذلك الحمي عليه قال نعم يا مولاي فان الحرب تعرفني واعرفها وايست هي باول مرة استقبلت فيها الموت وقد مضى علي من امثالها ما هو اعظم منها

وايس يخاف من خوض السواقي فتي قد خاض في البحر الكبير

ولقد خدمت مولاي دارتانيان نحواً من سنتين وهو احد ضباط الحرس قال يقال عنه انه من حزب مازارين قال ذلك لا عبرة به فهو رجل في خدمة الجيش يدافع عن مازارين لانه يأخذ رزقه منه اما نحن السكان فقتل مازارين لانه يسلب مالنا منا ويصادرنا به قال انك لفتى شجاع فهل اقدر ان اثق بك قال اظن ان سيدي الراهب قد كفاني موثونة الكلام في ذلك قال نعم ولكن اريد ان اسمع ذلك العهد من فيك قال اني لك على العهد بشرط ان ترمي بي باريز فادكها الى الارض قال ذلك ما نرومه منك فكم رجل تقدر ان تجمع في الليلة قال ليس هو الا ان ارفع لوائي فيجتمع تحته ثمانمائة رجل قال أما والله لو كان لي في كل حي من احياء باريز رجل مثلك لاجتمع عندي جيش جرار ثم هل تطيع الكونت روشفور قال انا له اطوع من ثواب ولو صار بي الى النار فاية علامة تميز بها عدو الكردينال من صاحبه قال قشات يضعها في قبته فخذ هذه الصرة واوصيك بالكردينال خيراً فضحك وقال نهبت غير نائم ثم خرج فبعه الراهب وبعد قليل دخل عليه راهب سان سيبايس والكونت دي روشفور فقال هذا انت يا روشفور قال نعم فهل عزمت الآن قال ذلك عزمي من زمان وسنبداً الليلة بالاستعداد وغداً بالعمل قال وانا اقدم لك خمسين جندياً وعدني بهم احد اصحابي عند الضرورة قال ايس هنا كل الامر فما فعلت بدي بوفور قال هو في فاندنوا ينتظر ان اكتب اليه بالعودة الى باريز قال اذن فاكتب اليه الآن قال وهل انت واثق من امرك قال نعم كل الثقة فاكتب اليه بان يعجل فان عشرة من الامراء يتنازعون قيادة الفتنة فان تأخر ذهبت عليه الرئاسة وقل له ذلك من قبلي وانا افوض له كل امر الحرب اما السياسة فائخذها على نفسي لاني اريد ان اكون كردينالاً قال اذن قد عزمت انت ابعث له برسول ليكون هنا بعد خمسة ايام فما هي العلامة قال قشات في القبعة فسلم روشفور وخرج وتبعه الخوري

وكانت الساعة التاسعة ونصف فنظر النائب الى حصن باريز فرأى في احدى نوافذه نوراً فعلم ان الشحاذ ينتظره هناك فسار اليه وصعد الى اعالي الحصن فوجده في غرفة عالية فقال له هلاً نزال على الوعد من انك تأتي بخمسمائة رجل لا فقد تحصل معي القان وسأريك البرهان ثم قام الى ثلاث شمعات في النافذة فاطفأها الواحدة بعد الاخرى فقال له دي كوندي ما هذا قال علامة لرجالي لاقامة المتاريس فاذا نزلت الآن فاحذر من الزلل والعتار قال نعم وانجبه الى الباب يريد الخروج واذا بالسائل قد حال بينه وبين الباب فظن انه يريد به شراً الا انه ركم امامه وقال له باركني ياسيدي قال ويحك ومن تظني قال اعرفك انك النائب وان تكن بلباس الفرسان ولم يخف عليّ امرك لاول نظرة وانا اريد منك ان تغفر لي زلة اتيها فقد كنت في بادىء امري في الباستيل وسأقص عليك بعد ذلك ابن كنت قال حسن سنرى في الامر ثم نزل السلم وسار

الفصل الرابع والاربعون

الفتنة

وكانت الساعة عند ذلك نحو الحادية عشرة فسار النائب في شوارع باريز وهو يرى اشباحاً تحت الليل بعضها يقتلع البلاط وبعضها يحفر الحفر. وكلهم سكوت كأنهم خيالات لا حس لها فعرف ان ذلك من عمل الشحاذ ثم مشى قليلاً فرأى الحوانيت فتفتح واصحابها يأتون بالسلاح لكل اعزل في الشعب وكل ذلك على سكوت وهدوء حتى لم يكذب يحس منهم من احد أو يسمع لهم ركزاً وما زال كذلك يسير في شوارع باريز حتى بلغ الرصافة الجديدة فتقدم اليه رجل وقال من انت ولعلك من اصحابنا قال ألا تعرف اصحابك يا لوفير قال نعم فاعذرني ثم رجع وسار دي كوندي في طريقه حتى بلغ حصن نسل فرأى صفاً من الرجال كأنهم اعمدة الرخام بأرديتهم البيضاء ثم اشار احدهم اشارة فهبطوا كلهم في الارض حتى ظن دي كوندي انها ساخت بهم ولم يبق واقف سواه ثم رفع احدهم طرفه فرآه فاقبل اليه ووضع الغدارة على عنقه فتبينه النائب وقال اخفض سلاحك يا روشفور قال هذا انت يا مولاي قال نعم فما تصنع قال هم الخمسون

رجالاً الذين ذكرتهم لك وانا ذاهب بهم في نفق تحت الارض قال اذهب بحفظ الله
ثم سار الى منزله

ولما طلع النهار نهضت اهالي باريز فلم تكدر تعرف المدينة من كثرة المتاريس فيها
والرجال المسلحين وراؤها حتى ظنوا الحرب نارت فيها على ساق وقدم وكان رجال الفتنة
يمسكون كل رجل ليس على قبعة علامتهم ويضطرونه الى ان ينادي معهم فليمش
بروسل وليسقط مازارين فاذا ابى ضربه أشد الضرب وعلى هذا اصبحت المدينة كلها
متارس ورجال بالسلاح يسرون افواجا وفي ايديهم علم منشور مكتوب عليه « انظروا
حالة الشعب » ولا نسل عن حالة الملكة والكردينال عند ما اصيحا ونظرا هذا الامر
قد اخذ منها الاضطراب والجزع واصفر مازارين اصفرار الموت واسرع الى مقصوده
فجمع ما عنده من المال في صندوقه ولبس في يديه اثنان احجاره الكريمة زاعماً بذلك انه
يخلصها من ايدي الشعب . اما الملكة فدعت بالمارشال دي ميلباري وامرته ان ينظر
في سبب هذا الامر فاخذ مائة وخمسين من رجاله واراد ان يخرج بهم من اللوفر من
جهة رصافته فصادف روشفور بقومه فردوه فتحول الى الرصافة الجديدة فوجد لوفير
بجيش من الشعب فرموه وجنوده بالرصاص والحجارة قتلوا منهم ثلاثة وهزموم فتحولوا
الى جهة اخرى فصادفوا بلانشت فصددم على اعقابهم فتحولوا الى جهة اخرى فلاقم
الشحاذ بتاريسه ورجاله فهجموا عليهم يريدون اختراقهم فاطبق عليهم بلانشت بقومه
من ورائهم وحصرهم ودارت رحي الضرب وكثر العويل والصراخ ولمت بروق السبوف
وانقضت صواعق الرصاص واشتد الخطب واذا بدي كوندي قد اقبل على الشعب
وصاح بهم بالوقوف فوقوا و اشار اليهم بيده فانصتوا فقال ايها الناس هذا المارشال دي
لاميلباري يريد ان يدخل الى اللوفر ويلتمس من الملكة بالنيابة عنكم اطلاق بروسل
ثم التفت الى المارشال وقال اتعهد بذلك يا مارشال قال نعم فصاح الشعب ابعث
النائب وليسقط مازارين ثم ساروا بانتصار ورو المارشال . هم يهللون ويكبرون
اما مازارين فبعد ان اتم اموره وجمع ماله نادى بدارتانيا فحضر ومعه بورتوس
فقال له ما الذي يجري في باريز قال فتنة شديدة يا مولاي والشعب هائج يرغي
ويزبد حتى اني لما مررت انا ورفيقي دي فالون في السكة اجبرنا الشعب على ان نتادي

ليسقط مازارين الا انا وجدنا اصحاباً لنا ممنوعونا من ذلك ووضعوا لنا هذه العلامة من
القش في قبعتنا وان شئت فانظريا مولاي من النافذة فنظر واذا بالمارشال عائد حاسر
الرأس وجنوده مجرحة مهشمة والحراس يصوبون بنادقهم على الشعب فقال دارتانيان
ماذا يريدون ان يفعلوا قال مازارين امرتهم ان يرموا الشعب اذا دنا من القصر قال
اياك ان يطلقوا والا زاد هياج الشعب فدك القصر الى الارض وما اتم كلامه حتى
اطلقت عدة رصاصات من الحراس فهاج لها الشعب وجعل يطلق الرصاص على القصر
فينزل كالطر حتى مرت رصاصة منه من نافذة الكردينال فكسرت الزجاج فقال الكردينال
يا ويحهم كسروا الزجاج وهو ثمين فقال دارتانيان لا تأس يا سيدي الكردينال فقد لا
يمضي قليل حتى لا يبقى زجاج في القصر باسره قال وكيف نفعل الآن قل ترد لهم
بروسل فهو لا خير فيه ويحسب عليك رجلاً قال وانت يا دي فالون فكيف ترى قال
ان ترد لهم بروسل قال اتبعاني فاني اريد ان اكلم الملكة في هذا الشأن ولكن هلاً
تزالان لي قالان نحن على الوعد قال فانتظراني في هذه الحجرة ثم دخل

الفصل الخامس والاربعون

الفتنة صارت ثورة

وكانت الحجرة التي دخلها الحارسان بامر الكردينال لا تنفصل عن حجرة الملكة
الا بستارين كشيئين بينهما فرجة ينظر منها ويسمع فنظر الفارسان فوجدا الملكة قائمة
في وسط المقصورة وهي صفراء من الغيظ ووراءها كونهج وفيليكه وكتو ووراءهم
جواربها ونساءها وكان امامها الوزير سيكويه يقص عليها حوادث الفتنة وفعل الشعب
به اثناء مروره وكان مازارين في اثناء ذلك قد دخل ووقف وراءها فقالت لسيكويه
كيف ترى الامر قال شديد عظيم قالت وبم تشير قال برد بروسل للشعب قالت هيهات
ذلك محال وما اتمت كلامها حتى دخل المارشال ميلباري حاسر الرأس معفر الثياب
فقال اهلاً بالمارشال اظنك قومت الشعب عن زينته قال لا يا سيدي فقد قتل من
جندي عدة وذهبت قبعتي برصاصة ولو لم يتداركني النائب لذهبت في سبيل القبة
قالت نعمد الله على سلامتكم قال ولكني لم اعد سالماً الا بشرط ان اقل اليك طلب

الشعب فاتي والله قد خضت نيفاً على اثني عشرة حرباً لم أفزع في واحدة منها كما فزعت من الشعب الآن قالت وما يطلب الشعب قال ارجاع بروسل قالت هيهات هيهات لما يطلبون قال انتِ وشأنك ثم هم بالخروج فقالت الى اين قال أردت الجواب الى الشعب قالت اني لا اريد ان ارسل مثل هؤلاء الرعاع قال ولكني رهنت لساني مهم فلا بد من ذلك وهم في انتظاري فانا ما دمت مطلقاً لا بد من ان اعود اليهم قالت أتظن انه يعجزني القبض عليك قم يا كيتو . . . واذا بالكردينال قد تقدم وقال انا اشير عليك بامر قالت قل بشرط ان لا يكون ارجاع بروسل قال لا بل هو استدعاء النائب قالت كيف استدعيه وهو اصل الفتنة ورأسها قال ذلك خير فهو الذي يقدر أن يسكنها وكان كومنج واقفاً لدى نافذة ينظر فقال هو ذا النائب يبارك الشعب وهم لديه ركم وسجود فتقدم الجماعة الى النافذة وقال مازارين عجباً كيف انه نائب ويركم امامه الشعب ولو كنت انا الكردينال امامهم لمزقوني ارباً ارباً ولكن تأذن سيدتي الملكة باستدعائه قالت اذهب يا مارشال وادعه وصبر الشعب كما انا صابرة عليهم فخرج والنفت دارتانياان الى بورنوس وقال كيف ينتهي الامر يا ترى قال سترى ما يكون وبعد برهة عاد المارشال بالنائب فتقدمت اليه الملكة بعين الغضب وقالت ما تقول في هذه الفتنة قال انها ليست فتنة بل هي ثورة قالت ان الشعب أبعد من ان يقوم بثورة ولكن سترى كيف ان نظام الملك يرد كل شيء الى نصابه قال ألاسمع منك هذا دعوت بي فقال مازارين لا بل لترى رأيك في هذا الشأن قال أحقاً ان مولاني الملكة دعت بي لهذا الامر من المشورة قالت نعم فما الذي كنت تصنع لو كنت في مقامي قال كنت أردت بروسل الى الشعب قالت واذا لم اردّه فما ترى يكون فقال المارشال اخن انه لا يبقى حجر على حجر في باريز فقالت الملكة ليس اليك يساق الكلام بل الى دي كوندي قل اذن أجيب بما اجاب به المارشال فصعد الدم الى رأس الملكة وقامت عيناها في أم رأسها وقالت ارد بروسل تلك صفة لم يشهدا حاطب فقال الكردينال لا والله بل صفة رابحة ونصيحة راجحة فنحن نرد بروسل للشعب ميتاً أو حياً فقال النائب اذا رددته ميتاً فقد انتهى الامر ولكن على غير ما تظن ثم التفت الى الملكة وقال ان عدم استحسانك ما قلته يدل على أن لديك امراً احسن تجربينه وما اخن ان حكمة الملكة ونصراها تسمح بأن تبقى باريز

في مثل هذا الهياج قالت اذن هذه المعركة التي كانت امس فتنة وصارت اليوم ثورة
تصبح غداً حرباً قال نعم واعظم من حرب قالت هل نسي الشعب الشريعة قال انها سنة
بؤس على الملوك ايها الملكة ألا تنظرين الى انك لترا قالت بلى ولكن ليس لدينا اوليفيه
كرومويل بحمد الله قال وما ادراك فان امثال هذا الرجل امثال الصواعق لا تعرف الا
متى انتقضت قالت ألا تقدر أن تسكنهم يا كوندي فانهم يطيعونك قال حال الجريض
دون القريض أيها الملكة ولم يعد لها جهم من دواء سوى أن يطلق لهم بروسل وعند
ذلك يعودون الى الطاعة فيقاصن منهم كل مذنب قالت أفلا أقدر على ذلك الآن
قال ان كنت حبلي قلدي غلاما فقال دارتانيا ان الله در هذا الرجل ما اشد جناه
واطلق لسانه وعند ذلك اشارت الملكة الى الناس بالخروج فخرجوا الا مازاربن وهم
النائب ان يتبعهم فاشارت اليه بان ابقى واجلس فجلس فقال دارتانيا لرفيقه اغتلبها
ستقتله فوالله لئن مدت اليه يده لا قطعنها بسيفي هذائم جلست الملكة والكردينال
وقالت للنائب قد خلونا فاعد مشورتك قال ردي بروسل الى الشعب فهو الصواب قالت
اما والله لم اعد ادري الملكة انا ام غيرها وهو لاء شعبي ام سوامم وانه لاخف علي
ان اقتل بروسل بيدي من ان اردة اليهم ثم هجمت على دي كوندي هجوم اللبوة
فردها الكردينال وقال ماذا تصنعين ثم خاطبها بالاسبانية فقال امصابة انت بعقلك
يا حنة والا فما الذي تفعلين انما كين العامة في مشاجرتهم ام لا تعلمين ان هذا الراهب
الذي امامك هو شعب باريز بأسره فاذا اهنته نزع تاجك عن رأسك في اقل من
ساعة فاستعملي الآن الرفق واللين ثم متى طالت يدك فافعلي به ما تشائين فقال دارتانيا
لبورتوس اياك ان تقول للكردينال انني افهم الاسبانية والا فاني هالك ثم قالت الملكة
لا نواخذنا ايها النائب بما عاملناك فاني امرأة معتادة على ان اطاع وقد كبر علي الامر
حتى خرج بي عن حد التحفظ قال تخطئين يا سيدتي اذا ظننت انني اعصيك في
الالحاح بما اشير عليك فان الشعب لا يريد منك شيئاً ولا ينوي لك عصياناً بل هو
يطلب منك بروسل ليكون رعية لك يجري على سنن المملكة قالت سنرى في الامر
وفي تلك الساعة سمعت ضجة حول القصر ثم دخل كومننج وقال ان الشعب قد قتل
الحراس وهو يحاول ان يكسر ابواب القصر فأمري بما اذا ثم ارتفع من الشعب صوت شديد

تزعزعت له أسس القصر فقالت كم عندك من الجنود قال ستائة رجل قالت ضع مائة منهم حول الملك واهجم بمن بقي على هؤلاء الرعاة فجلهم عن القصر اذهب ولا تلوعلى احد فخرج واذا بأحد ابواب القصر قد انكسر فسمع له صوت فقال مازارين قد هلكنا بأسرنا انا وانتِ والمملك فاسرعت الملكة الى الباب وجعلت تنادي كومنج فقال لها مازارين هيهات سبق السيق العزل واذا بالباب الآخر قد انكسر وارتفع ضجيج الشعب في القصر فقال مازارين للنائب خلص الملكة يا كوندي ففتح كوندي النافذة فرأى لوفير في رأس جيش من الشعب فصاح بهم قفوا فان الملكة توقع على الامر فقالت كيف قلت فقال مازارين ذلك لا بد منه يا حنة فوقمي بالله فكذا أمرت فسقطت الملكة على كرسي وكتبت

« حارس سجن سان جرمن يطلق سراح بروسل بعد اطلاعه على هذه الرقعة » ثم وقعت بتوقيعها فاخذ النائب الامر والاح به للشعب من النافذة فصاح القوم فليحي بروسل وليحي النائب ثم خرج دي كوندي ولما اقبل الباب وراه اشارت حنة اليه يدها وقالت لحاك الله ما ادهاك اما والله لاسقينك ثمالة هذه الكاس فاراد مازارين ان يدنو منهم فقالت اذهب عني فلست برجل ثم خرجت غضبي فقال والله بل انت لست امرأة ثم خطر في باله ان الحارسين يسماهانه فاسرع الى فرجة الستارين فوجد الحجر فارغة وكان دارتانيان لما خرجت الملكة خرج بصاحبه مسرعاً وعاد الكردينال الى مقصورته

الفصل السادس والاربعون

المصائب تحدث الذكرى

فدخلت الملكة الى غرفتها ترغي وتزبد وهي تقول عجباً والله من هذا الشعب وافعله فلقد رأى البرنس دي كونده اول امير من السلالة الملوكية تقبض عليه ماري دي مديسيس ثم رأى تلك الملكة بنفيها الكردينال ثم رأى دي فاندوم ابن هنريكوس الرابع اميراً في فنسان فلم يقل من اجلهم شيئاً ولم يحرك ساكناً ثم رأى رجلاً كبيراً من اواسط الناس يقبض عليه ويسجن فهاج لاجله ذلك الهياج الله اكبر ما الذي طرأ على المملكة والى اية حالة صار بها الدهر . وكان الكردينال قد دخل الى حجرته

بروح فيها ويحيى ويقول صعب على الانسان ان يلجأ الى الخضوع ولكنها حال لا بد
ان نحول ودولة للشعب لا بد ان تدول وما يهتنا بروسل وهو اسم بلا عمل
ولما كان اليوم الثاني اطلق سبيل بروسل فدخل باريز في مركبة فاخرة بحفه الشعب
عن الايمان والشمال وكلهم مسرور بعودته يحملون السلاح امامه وينادون فليحي
بروسل ابو الشعب فيقع كلامهم هذا موقع السهم في اذن مازارين اما النائب فدخل
الى البرلمان دخلة ملك عظيم وامر الشعب بالتحرد من السلاح ورد المتارين الى مكانها
اعتماداً على انه اذا مست الحاجة يعود كل ذلك في اقل من يوم فماد بلانشت الى
حاتوته غير خائف من ان يقتل لعله انه اذا فعل به ذلك ينتصر له الشعب كما اتصر
لبروسل ورد الكونت روشفور الجنود التي عنده الى اماكنها وعاد الشحاذ الى باب
الكنيسة يستعطي. ولما هدأت الحال وسكن الاضطراب عاد دارتانيان الى منزله حيث
امر راعول ان لا يخرج وصرفه الى المعسكر فماد. اما روشفور فاستاء لانتهاء الامر
على حاله تلك لانه كان قد كتب للدوق دي بوفور ان يعود الى باريز وخشي ان يأتي
فيانها ساكنة كأن لم يكن فيها شيء مما كان فذهب الى النائب واستشاره في الامر
فقال دعه يقدم فان امرنا لم ينته بعد بل لم نزل في بدايته قال ومن انباك بذلك قال انا
اعرف الملكة وما يجول في قلبها من الحقد علينا فهي لا تقيم على انكسار وذلة وقد علمت
انها كتبت للامير ان يعود الى باريز بالجيش مسرعاً قال اذن يجب ان يحضر الدوق
دي بوفور وفي ذلك اليوم شاع في المدينة خبر قدوم الامير دي كونده بالجيش حتى
طبق ضواحي البلدة وكثر تحدث الناس بما يكون وما لا يكون وخافوا سوء العاقبة من
الجنود فجعلوا يجتمعون ويقولون لماذا لا نأخذ الملك ونضعه في قصر المدينة فانه خطأ ان
ندعه ينشأ بين اعدائنا بثيرونه علينا ونحن لوريناه على يد النائب نخرج ملكاً محبباً لنا
ساعياً فيما يكون فيه صلاحنا ثم اصبحوا في اليوم التالي على سابق امرهم فلم يمد يري احد
منهم الا بالسلاح الكامل فكانوا يسرون في المدينة كاسراب القطا
ولما كانت الساعة الخامسة كان مازارين قد كتب الجواب لكرومويل بعد ان مضى
على موردون بانتظاره ستة ايام وما كاد يفرغ منه حتى قرع الباب السري فلم ان
الطارق الملكة لانه لا يأتي سواها من ذلك الباب ففتح لها فدخلت بلباس التفضله وهي

تزهو جمالاً وبهاء والفرح يجول في عينيها فقال لها مابالك يا حنة فإني أراك فرحة مسرورة
قالت نعم يا غيليو لاني وجدت واسطة اسكن بها هؤلاء الرعاع قال فما هي قالت الا
تدري انهم يريدون ان ينزعوا الملك لويس مني قال نعم ويضربوا عنقي قالت ولكنهم
أبعد من ان ينالوا شيئاً من ذلك فإني أريد ان أفرّ منهم انا والملك وانت والامير وهو
قد وصل أمس قال هيهات ذلك محال قالت لا تقل محال فليس في الدنيا محال فان
لدينا مالاً ورجالاً وشجاعة فنفرّ يا غيليو من باريز ثم يصبح اهلها فيرونها خالية من الملك
والملكة ثم نحاصرهم فيها فلا تقوم لهم بعد ذلك قائمة ووالله لادكنها بعد ذلك الى الارض
غير مأسوف عليها قال وكيف السبيل الى الفرار وهو شديد الخطر ولا لوم عليّ اذا خفت
منه فان الشعب نائر عليّ يريد قتلي فكيف اقدر ان امرّ بينه انظري من النوافذ تري
الرجال كراديس حول القصر وفي ايديهم السيوف والبنادق فلا سبيل لنا للهرب الا اذا
كنا طيوراً قالت الملكة وقد اخذ منها الغضب اذن انا اسيرة قال نعم وهو ما تريه
رأى العين فثار غيظ الملكة واحمر وجهها من الغضب وخرجت من الباب نائرة كلبوة
فقدت اشبالها ودخلت الى حجرتها فجلست على كرسي تبكي ثم فكرت طويلاً فخطر لها
رأى استصوبته قهضت وقالت قد خلصت والحمد لله فان لدي رجالاً يسلمني من باريز
كما تسلم الشعرة من العجين ولكني ائمت اليه بنسياتي اياه عشرين سنة في حين كان
يجب عليّ ان اجعله مارشال فرنسا فان الملوك اذا انعمت اغنت بخلاف ما فعلت انا
من نسياتي دارتانيان ثم قامت الى ورقة فكتبت عليها

الفصل السابع والاربعون

المقابلة

وكان دارتانيان وبورتوس ينامان في غرفة واحدة وكل منهما سيفه تحت رأسه وغدارته
الى جانبه ففي ذلك الصباح طرق الباب عليهما برسالة لدارتانيان من قبل الملكة فقال
بورتوس عجباً وما عساها تكون فاخذها دارتانيان وامر الرسول بالخروج وقرأها ثم قال تم
الامر ايها العزيز وستصبح بارونا واصبح قائداً للحرس فاقرأ فاخذ بورتوس الرسالة واذا فيها
« تحب الملكة ان تسلم دارتانيان فليتبع حامل رقعته »

ثم قال وأي معنى في ذلك قال تعلم اني لم ادع الا لشدة حاجة الي وان الملكة لا تذكرني بعد عشرين سنة الا لامر ذي بال فاشحذ حسامك واصلح غدارتك فان الامر سيكون في حاجة اليها قال لعل في الامر حيلة نصبت لنا قال لا فليس الآن وقت الحيل والحال اجل من ذلك ثم جعل يلبس ثيابه واذا بالباب يقرع وخدام مازارين قد اقبل يحمل رسالة الى دارتانيان يدعوه فيها اليه فقال دارتانيان قل له انني بعد نصف ساعة اكون عنده فخرج وقال بورتوس اضن الدعوتين لمعنى واحد قال سنرى فانا اذهب الى الملكة اولاً ثم الى الكردينال ثم نادى بخادم الملكة وقال له سر امامي فسار وتبعه دارتانيان حتى بلغ به القصر فادخله الى حجرة يشطرها حجاب فاقام فيها ينتظر واذا بيد يضاء كالمرس تشق ذلك الحجاب ثم دخلت الملكة حتى وقفت امامه وقالت اهذا انت يا دارتانيان اهلاً بك وسهلاً وها أنا الملكة اما تعرفني قال لا قالت عجباً الا تذكر ان الملكة احتاجت في ماضي ايامها الى فارس بطل فوجدته وقضى حاجتها ولا تزال تحفظ له في قلبها احسن ذكرى قال لا اذكر من ذلك شيئاً قالت كيف كنت ذا كراً ام ناسياً فان الملكة الآن في حاجة الى ذلك الفارس البطل قال اعجب والله كيف تحتاج الملكة الى رجل واحد وحوها رجال ابطال امناء في خدمتها مجتهدون في قضاء حاجتها نجد عندهم من دهاء الرأي وشدة البأس ما لا تجد شيئاً منه في عبدها هذا العاجز فهمت الملكة ذلك الملام في معرض المدح واحست بتأثيره عليها فقالت ان كل ما ذكرته من صفات من حولي من الرجال صدق لا ريب فيه ولكني لا اتقي اعتمادي الا عليك وحدك لاني اعرف اخلاصك للكردينال واريد ان يكون لي منه نصيب وعليّ حسن جزائك افتصنع لي الآن ما صنعه ذلك الفارس النبيل الذي تزعم انك لا تعرفه لملكته قال اتارهن بكل ما تأمرين به ايها الملكة قالت اتحب الراحة قال ذلك الامر اجله لاني لم اذقه قط قالت ألك اصحاب قال نعم ثلاثة اشنان منهم رحلا عن باريز الى حيث لا ادري وواحد بقي معي قالت يكفي فانت وصاحبك بجيش فاذهب الآن وعد عند الساعة الخامسة واياك ان يعرف بمقابلتي لك احد قال نعم ثم خرج فتحول الى حجرة الكردينال فقال له بماذا يأمر مولاي فنظر اليه الكردينال برهة وقال الست قادماً من عند الملكة قال ومن قال لك ذلك قال لم يقله لي احد ولكني عرفته قال يسوتني ان اقول

لك انك واهم فيما تقول قال اني رأيتك قادماً من نحو حجرتها قال ذلك لاني دخلت من السلم الاخرى فعلم مازارين ان استنطاق دارتانيان صعب فتركه وقال فلنعد الى شأني اذ لم ترد ان تقول لي شيئاً عن شأنك افتحب السفر قال انا ابن الطريق يا مولاي قال وما يمسكك في باريز قال لا يمسكني شيء سوى امرك قال اذن تأخذ هذه الرسالة فتؤديها الى صاحبها ويظهر لك اسمه متى مزقت الغلاف الاول قال امضي ولكني التمس منك ان تذهب الآن الى عند الملكة وتقول لها انني ارسلت دارتانيان في بعثة تطول غيبته فيها قال رأيت كيف انك قابلت الملكة قال قدومهم من اخبرك بذلك قال اذن فما الداعي لما تقول قال امر لا اقدر ان اقله أفأعيد لك الالتماس قال لا بل اذهب فانتظري هنا وخرج فغاب قليلاً ثم عاد اصفر الوجه مضطرب الاعضاء فجلس على كرسي فقال دارتانيان اظنه غاضباً عليّ وسيأمر بسجني فوالله لئن فعل ليخالطه سبني ثم اقتل نفسي على اثره ويدي لا يدعمر ووبعد برهة من التفكير قال الكردينال صدقت يا دارتانيان فانك لا تقدر ان تسافر فاذهب الآن وعد اليّ في الساعة الخامسة قال لا اقدر يا مولاي فان لي موعداً اخرأ ضربته قال عرفت الموعد وهما سيان فاصدع بما تؤمر فخرج وهو يقول ذلك امر عجيب وسر غريب لو عرفه النائب لاشتراه بمائة الف دينار ثم ذهب واخبر صاحبه بما جرى

الفصل الثامن والاربعون

الفرار

ولما عاد دارتانيان الى القصر عند الساعة الخامسة كانت باريز قد هدأت لان الشعب نال ما كان يسأله من اطلاق بروسل وكان البلاط قد استراح من تهديداته وسر بقدوم الامير من لانس بعد الانتصار ففصت ساحة القصر ومقاصيره بالامراء الكرام والغيد الحسان لحضور الالعاب التي تقيمها الملكة حنة دوتريش . وبعد ان فرغوا من الطعام قام مازارين الى حجرته وكان دارتانيان ينتظره في القاعة فاخذ بيده وقاده الى الحجره وقال له اني ملق عليك امراً لم يلقه وزير قبلي الى ضابطه بمثل هذه الثقة بك والاعتماد عليك قال هو ما ارتاح اليه يا مولاي لاني اتوقع خدمة مثله من امير مديد

قتل ما تشاء قال اني واطم بين يديك الليلة سلام المملكة وعبادها فان الملكة قد عزمت على ان تخرج بالملك الى سان جرمن في خارج باريز وهو ما اخذت عليّ العهد بان لا افشيه لاحد ثم عرفت به الكردينال فله من ضعف النساء فهن لا يزلن ضعيفات ولو كن في ذروة القدرة وشمخ الدولة ثم عقب الكردينال فقال أتذهب في هذه المهمة قال جاً وكرامة يا مولاي قال اعلم اني لم اختر سواك من كل رجال فرنسا لهذا الامر الخطير وبذلك يكون سلام فرنسا بين يديك قال انا عارف بعبء الامر وقادر على حمل تبعته فلا تخش بأساً قال اتظن انك يهاجمك الشعب في الطريق قال ذلك غير بعيد وان حصل لادوسن بالملك على هاماتهم حتى اخلص به الى خارج باريز مع الملكة وانا مستول عنها مشتمل عليها ثم تكون نفسي دون نفسيها قال انك لبطل يادارتانان وانا فما تصنع بي اذا اردت الخروج قال ان امرك صعب ياسيدي الكردينال اذ لا يبعد ان يعرفوك قال واذا كنت في هذا الزم فهل يعرفوني ثم نزع جيبه فبان من تحتها لباس الفوارس مطرزاً بالفضة قال ذلك يخفف من صعوبة خروجك بشرط ان تنادي مع الشعب ليسقط مازارين ولكن بلهجة فرنساوية لا تخالطها عجمة الايطالية والا هلكنا قال ذلك ما احرص عليه قال أعلى يقين انت من انه لا يعرف احد قصد الملكة والا فان شاكي السلاح كثيرون في المدينة والامر لا يخلو من خطر شديد فارتعدت فرائص الكردينال وقال اني على يقين من جهل الناس بأمرنا ودليل ذلك اني لم اطلع عليه سواك فانا اريد ان اتقدم الملكة في السفر لاني اذا رافقتها ضاعفت الخطر عليها وان تبعها قل اعتناء الحراس بي بعدها فاقتل شر قتلة ولذلك فانا اريد ان اتقدمها فقال دارتانيان صدقت ثم التقي بنظره على خاتم الملكة في يد الكردينال بعد ان كان في يده فادار الكردينال فصبه الى باطن كفه وقال ولذلك فانا اريد ان اسافر قبلها من باريز وأكل هذا الامر اليك قال رضيت به وان يكن صعباً قال لم لا تقول ذلك في خدمة الملك والملكة قال لانها ملكي وملكتي وحياتي لهما كيف كانت يطلبانها متى ارادا قال تعني انه لما كانت حياتك ليست لي فتخاطر بها في شأني وجب عليّ ان ابتاعها منك ثم ادار نص الخاتم الى ظاهر كفه فرآه دارتانيان وتبسم فقال له الكردينال وهو ينزع الخاتم من اصبعه فخذ هذا الخاتم فقيده كان لك من قبلي وهو جدير بان يرجع اليك الآن علامة على ثقتي بك

فأخذه دارتانيان وتأمل حجره ليرى هل هو بعينه خاتمه القديم فلما تحققه أوج فيه أصبعه وهو مسرور فقال الكردينال وهو ينظر اليه نظرة الوداع لقد كان هذا الخاتم عزيزاً عليّ جداً ولكنني أسمح لك به الآن راضياً مسروراً قال وأنا آخذه شاكراً حامداً والآب فلنعد الى امرك فمتى تريد ان تسافر قال في الساعة العاشرة قال والملكة قال في منتصف الليل قال قد سهلت عليّ الامر فاني اذهب بك اولاً ثم اعود فأخذ الملكة قال ولكن كيف تخرجني من باريز قال ذلك امر عليّ تدبيره قال وانا افوض اليك السلطان فيه فخذ من الحراس من شئت فذلك خير طريقة للفرار قال لك لا للملكة قال وكيف ذلك قال دع التدبير عليّ وكل العسل ولا تسل ثم خرج فناداه الكردينال اتحمل تبعه كل الامر قال لا ولكنني ابذل الجهد وافرغ الوسع

فعليّ ان اسعى وليس علي ادراك النجاح قال اذهب فقد اتكلت عليك والقيت مقاليدي اليك وعند الساعة التاسعة ونصف تجدي مستعداً قال ألا يأذن لي سيدي الكردينال بان ارى الملكة لاتلقى اوامرها من فيها قال قد قاتها لك وكفى قال لعلك نسيت منها شيئاً فأنا أريد ان اراها قال سأخذك اليها ولكن اياك ان تذكر شيئاً مما جرى بيننا قال ان ما قيل بيننا لا يختص الاً بنا قال اتقسم علي انك لا تذكر شيئاً قال لا فاني اذا قلت نعم أو لا ثبت عليها فنحن قوم لا يحوجهم شرف انفسهم الى الايمان قال كما تريد فقد سلمت اليك نفسي غير مسئول عنها ثم دخل على الملكة وخلفه ينتظر في القاعة وبعد قليل خرجت الملكة وقالت اشكرك يا دارتانيان لانك شددت في ان تراني قال وهو ما التمس منك العذر فيه لاني اردت ان اتلقى اوامرك منك قالت هل عرفت عزمي قال نعم وانا باذل دونه نفسي قالت اذن فكن هنا عند منتصف الليل وكن علي يقين من عرفاني جميلك واني لا انساك في هذه المرة كما نسيتك من قبل قال بل انت ربة الفضل كيف كنت في حالي التذكر والنسيان ثم سلم وخرج والتفت الى الستار فرأى نعل مازارين من تحته فعلم انه كان واقفاً يسمع فقال قبلاً له ما اخبث نفسه واقبل ثقتة بالناس

ولما كانت الساعة التاسعة ونصف من الليل اقبل دارتانيان الى القصر فأخذه برنوين الى حجرة الكردينال فوجده قائماً بانتظاره في زي الفرسان وهو يرتجف خوفاً

فقال هيا بنا يا سيدي قال انت وحدك قال ان معي دي فالون وهو ينتظرنا في مركبته خارج القصر فنذهب بها قال من غير حرس قال نحن فوق الكفاية وفي واحد منا غناء قال انك لترهبني يا دارتانيان بشجاعتك افلا تأخذ معنا خادمي برنوين قال ان المركبة تضيق عنه فدعه واسرع فسيبعك ثم نزلا في السلم حتى انتهيا الى حديقة فسارا منها الى باب صغير فاخرج الكردينال مفتاحاً وجعل يحاول ان يفتح الباب وهو لا يقدر ان يهتدي الى ثقب القفل لاضطراب يده من الخوف فأخذه منه دارتانيان وفتح وخرجا ثم اقتله وابقى المفتاح معه ليرجع فيأخذ الملكة من ذلك الباب ثم ركبا المركبة فجلس الكردينال في الوسط والحارسان الى جانبيه وامر الحوزي (السائق) ان يسير بهم الهوينا حتى لا تدل سرعتهم على الحرب وبعد مسير غير بعيد عارضهم جماعة وقال احدهم من يعيش فقته بهم دارتانيان وقال مازارين وكانوا قد رأوا المركبة بغير سلاح ولا حرس وسمعوا مزاح دارتانيان فتركوهم وهم لا يشكون في انهم اصحاب فسارت بهم المركبة برهة فاوقفها قوم آخرون وقال احدهم من يعيش فقال دارتانيان للكردينال وقد عرف الصوت تستر حتى لا يراك احد ثم اطل من باب المركبة وقال هذا انت يا بلانشت قال نعم يا مولاي فالى اين تذهب قال ان بورتوس قد بارز رجلاً فخرج في كتفه وانا ذاهب به الى سان كلو لتغيير الهواء فقال بورتوس من داخل العربة بصوت ضعيف قد جرحت يا بلانشت فان وجدت طبيباً فابعث به اليّ فاني متألم كثيراً فتنحى بلانشت وهو يقول اللهم اشفه اللهم خفف عنه ثم قال لرجاله خلو عنهم فتركوهم فساروا غير بعيد فقابلتهم عصابة اخرى رجالها اشبه بقطاع الطريق وكانوا رجال الشحاذ فوضع بورتوس يده على غدارته وقال خذ حذرک يا دارتانيان فقال الكردينال ما هذا قال امر خطير يا مولاي ما نرانا نفلت منه الا بجريرة الذقن فتقدم احدهم الى المركبة وقال من يعيش فقال له دارتانيان عجباً الا تعرف مركبة الامير قال ليس هنا من امير فافتح لنرى من معك فقال بورتوس لدارتانيان كيف نصنع قال نمر على اجسادهم ثم صاح بالحوزي وكان موسكوت خادم بورتوس فرفع سوطه ليضرب الخيل فقال الرجل الذي ظهر انه رئيس العصابة مكانكم والا ضربت عراقيب الخيل فقال بورتوس كيف يضربون عراقيب الخيل وهي غالية جياذ قال مازارين انا اضاعف لك ثمنها فاسرع قال ولكن ألا تدري انهم اذا

قتلوا الخيل تقتل على أثرها وهذا رجل قادم الى جهتي فما اصنع به قال دارتانيان اقله
بيدك اذا قدرت فانه لا ينبغي ان نرمي الرصاص الا عند الضرورة التصوي ثم نظر
فاذا الرجل الرئيس يدنو منه فامسك غدارته من خلاف واطل ليضربه بعقبها حتى اذا
دنا الرجل منه اجفل وقال دارتانيان واخجلاله منك دعوه يمرُّ وكان بورتوس قد ضرب
الرجل الذي اقبل عليه بجمع كفه فسقط صريعاً وضرب السائق الخيل فسارت تعدو
حتى خرجوا من البلد ووقفت المركبة عند قصر الملكة فقال دارتانيان للكردينال اشكر
الله يا مولاي على السلامة قال نعم واشكركا بعده فافعلنا مثل ذلك للملكة قال لا بل افعل
ذلك وحدي فاستوص يا بورتوس بالكردينال خيراً واحرص عليه وانا اذهب ثم دس
غدارته في حزامه والتف بعباءته وخرج يريد باريز

الفصل التاسع والاربعون

مركبة النائب

فدخل دارتانيا من باب ريشليه وسار في شارعها حتى بلغ احد القصور فرأى على
بابه مركبة فتبينها فاذا بها مركبة النائب تنتظره على الباب والسائق نائم على كرسيه
فقال هذا والله الاتفاق الحسن والسعد الطالع ثم فتح باب المركبة فولجها ولمس السائق
وقال اذهب الى القصر الملوكي فلم يشك الرجل في انه سيده النائب فسار به حتى بلغ
القصر فوقف بالمركبة لدى الباب ثم نزل دارتانيان منها فلما رآه السائق اجفل وهمم
بالصياح فاسرع اليه ووضع الغدارة على عنقه وقال اذا تكلمت فانت هالك ثم التفت
فرأى اثنين من اتباعه الحراس يتمشيان في ساحة القصر فنادى احدهما وقال اصعد الى
مكان هذا السائق واذهب بالمركبة الى باب الحديد ففعل ثم انزل السائق وهو يرجف
كالقصبه ونادى الحارس الآخر فقال له احتفظ بهذا الرجل واينك ان يقات واثنى به
ثم ارجع فاقم معه في محبسه وان صاح فاقتله ففعل الرجل ما امر به وذهب دارتانيان
فوجد برنوين فقال له اذهب فقل للملكة اني اتيت ثم انزل بهذه الثياب فضعها في
المركبة فذهب

وكانت الملكة قد صرفت نساءها وخدمها الى خارج البلد واقامت تنتظر فلما كان

نصف الليل طرق برنوين الباب واخبرها بقدم دارتانيان فقالت اذهب وقل لذي لا بورت ان يلبس الملك ثيابه وخرجت الى دارتانيان فقالت ما الذي صنعت قال وصلت الكردينال سالماً الى قصر الملكة واتي لا آخذك بركة تنتظرنا على الباب قالت برك الله فيك فاتبعني الى حجرة الملك ومشت وسار وراءها فدخلت على لويس في مقصورته ووقف دارتانيان لدى الباب فلما رأى الملك امه ترك لا بورت وجرى اليها فاشارت الى دارتانيان بالدنو فدنا فقلت لابنها هذا يا ابني دارتانيان احد ابطال فرنسا وشجعانها المشاهير وهو على مثال الابطال القدماء الذين يحكى لك عنهم فاحفظ اسمه وتأمل وجهه حتى لا تنساه فانه سيخدمنا الليلة خدمة عظيمة فبسم الصبي ومد يده للحارس فركع على ركبته وقبلها واذا بدوي بعيد سمع في المدينة فقالت الملكة ما هذا فقال دارتانيان هذا صوت الشعب في هياجه قالت اذن يجب ان نهرب قال كلي الى الامر يا سيدتي واعيريني امرك هذه الليلة امر به وانهي فاتي في حاجة اليه قالت افعل ما تشاء فانت مطلق وكان الشعب قد دنا فقال الملك ماذا يريد الشعب قال سترى يا مولاي ثم خرج وكان الجمع قد احاط بالقصر وبعد قليل عاد الى الملكة فقالت ما هذا قال علم الشعب انك هربت بالملك فاتوا ليروا حقيقة الامر ويمرحوا القصر اذا كان صحيحاً قالت ويلاه ما هذا الخطر قال اواثقة انت بي قالت كل الثقة قال فافعلي ما اقول قالت قل يا ذهاب دي كومنج برجاله الحراس فيتفرقون في غرف القصر قالت اذهب يا ذهاب دي كومنج فذهب قالت ثم نصنع ماذا فان صراخ الشعب يزيد قال انه يريد ان يرى الملك قالوا لى ان يراه نائماً في سريره دفعاً لشبهات فرارك به قالت صدقت فافعل ما تشاء ولو كبر على الامر فقال اذهب يا ذهاب وقل للشعب انهم سيرون الملك في سريره ولكن ليخضوا من اصواتهم لئلا ينتبه قالت ايدخل اكثر من اربعة منهم قال بل كلهم ايتها الملكة قالت اذن يشغلونا الى الصباح فيفوت ابان الفرار قال لا يطول الامر اكثر من ربع ساعة وانا زعيم لك بذلك قالت فاذهب يا ذهاب واصدع بما امرت فقال الملك لماذا نجيب طلب الشعب فقالت الملكة ذلك واجب يا بني قال اذا قيل لي يجب فلست بملك فقال دارتانيان يا اذن لي الملك بان اسأله قال قل قال ألا تذكر انك كنت تلعب احياناً في الحديقة فيظلم الجو بالسحاب ويدوي الرعد القاصف كأنه يقول لك ادخل

الى البيت فهو واجب قال نعم ولكن الرعد صوت الله قال وصوت الشعب اشبه بصوت الرعد ثم دخل لابورت فقال قد اسكت الناس وهم سيدخلون بعد خمس دقائق قالت لو وضعت احد بنيك يا لابورت مكان الملك في السرير ونسافر نحن في خلال ذلك فقال دارتانيان اياك وهذا الفعل يا سيدتي قالت في الشعب من يعرف الملك فهلك باسرنا قالت صدقت ولا تزال مصيباً قم يا لويس وتظاهر انك نائم قال افعل ولكن لا اريد ان يمسي احد منهم فقال دارتانيان انا هنا يا مولاي فكل يد تمد اليك لا ترجع الى صاحبها . فاذهب يا لابورت وبشرهم بقرب الدخول وانت يا سيدتي فقفي لدى الباب وانا اقف وراء الستار لا بذل حياتي دون الملك اذا قضي الامر ففعلوا ودخل الشعب فقالت لهم الملكة يا ايها الناس ادخلوا وانظروا فدخلوا وهم يقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى هية من الملكة والملك وفي رأسهم بلاشت فرآه دارتانيان من وراء الحجاب وعرفت الملكة انه رئيسهم فقالت ادخل يا رجل وانظر هل هربت بالملك أم لا يزال هنا قال لا يا سيدتي فانه هنا قالت اذن فاخرج وقل للشعب ما رأيت قال اذا لم اقله لهم انا فسيقوله اصحابي هؤلاء ولكن تأذنين لي ان اتحقق اذا كان الملك أم لا قالت اذا كان فيكم من يعرف الملك فليدخل ويره فتقدم رجل ملفت بعباءة حتى دنا من السرير واكب على الغلام يتأمله فنظر اليه دارتانيان فعرف انه النائب وخشي ان يكون من قصده السوء للملك فاهوى بيده الى قائم سيفه فقال النائب هو بعينه الملك حفظه الله فردد الواقفون من الشعب لفضة امين فقال بلاشت اشكروا يا قوم فضل الملكة علينا واطفها بنا واخرجوا فأنحى القوم وخرجوا حتى اذا غابوا خرج دارتانيان من وراء حجابها ونزل الملك من السرير وقال فلنساfer فقالت الملكة لدارتانيان لقد اشرت علي الليلة باصوب النصائح وافضل المشورات قام فضلك وقل ما يصنع الآن قال تلبسين الملك وتتبعيني واياه الى باب الحديقة ثم نزل فرأى الحارس جالساً مكان السائق فقال له تذهب فتأتي بجواددي وجواد دي فالون وتتبعني بها الى قصر الملكة فان لم تجد هناك احداً فالى سان جرمن فذهب الرجل ولبس دارتانيان ثياب السائق وجلس على كرسيه ثم خرجت الملكة من الباب يتبعها الملك واخوه الدوق دانجو فلما رأت المركبة وعلامتها اجفلت مذعورة وقالت مركبة النائب فقال دارتانيان نعم وانا

الذي اتيت بها فاركي باسم الله مجراها فركبت ووضعت ابنيها حفا فيها وقالت لذي لابورت اصعد معنا قال لا والله أأكون مع الملكة في مركبة واحدة قالت اصعد فليس الآن وقت الابهة والملكية فصعد وسارت المركبة يستحشا دارتانيان بسوطه وكلما قابلها احد ورأى علامة النائب عليها يتنحى عنها حتى خرجت من البلد وبلغت القصر حيث مقر الكردينال فلاقاهم الكردينال بالسرور وهو يقول لدارتانيان لله درك من رجل يساوي ثقله ذهباً

واراد مازارين ان يستمر في طريقه الى سان جرمن فمنعته الملكة انتظارا لاشراف الملكة الذين واعدتهم ذلك المكان فلما كان الصباح اقبلت العجلات من باريز تباعاً تحمل الاشراف والنبلاء كالامير دي كوندو والدوق دورليان وكثير من الدوقات والاميرات الحسان الا الدوقة دي لوفكفيل أخت الامير دي كوندو فانها لم تحضر بحجة انها مريضة ثم تبعهم بعد ذلك المارشالان ميلباري وفيلبروا وكيو وفيليه وكومنج ثم الحارسان اللذان ساعدا دارتانيان وهما يقودان جوادين له ولصاحبه فركبا وسارا في مقدمة ذلك الجمع الشريف الى سان جرمن فبلغوها سالمين ودخلت الملكة الى القصر وتبعها الناس فقالت يا قوم ان القصر رحب بسعكم ولكنهم لم يحسبوا حسابكم فلم يهينوا لنا الا ثلاثة أسرة لي سرير وللملك سرير فقال الامير بصوت منخفض ولما زارين سرين فقالوا اذن ننام على المنصات والبساط وان اقتضى الامر فعلى البلاط واقاموا مثل ذلك يضحكون ويمزحون فذهب دارتانيان برفيقه وقال له هل لك في غنيمة باردة قال نعم فما ذاك قال نذهب فنشتري من القش بثن زهيد ثم نأتي به الى امام القصر ونضعه في ايدي خادمينا فيديعانه لهؤلاء الامراء باغلي ثمن لانهم في حاجة الى حشايا يتوسدونها واذ لم توجد فليس احسن من القش يقوم مقامها قال صدقت وذهبا ففعلا ما ارادا وعاد كل منهما بحزمة الى القصر فتوسدها بعد ان جمعا عند خادميها شيئا كثيراً من الحزم فراهما الامراء فقالوا لها اني لكما هذا قال ابتمناه من غلامين قبالة القصر فذهبوا يشترون الحزمة بالدينار والدينارين حتى جمع الحارسان مالا كثيراً وكان قد اطبق الليل ونام الناس واذا بخادم اقبل الى دارتانيان فقال له الكردينال يدعوك فقام وترك بورتوس في الفراش وتقلد سيفه وغدارته والتف بعباءته وخرج حتى دخل

على الكردينال فقال له لقد سرتني شجاعتك يا دارتانيان فهلا نزال مصمداً على ان تكون قائد الحرس ورفيقتك على ان يكون باروناً قال نعم يا مولاي قال اذن فخذ هذه الرسالة الى انكلترا ثم اخرج له الرسالة التي كان اخذها منه قبل الفرار من باريز وهي في غلاف ابيض غفل من كل عنوان قال ولمن اخذها قال متى بانتي لندره تفضها فتجد داخل هذا الغلاف غلافاً آخر معنوفاً فتؤديها الى صاحبها واياك ان تفضها في غير لندره قال وما اصنع عنده قال تصدع بكل ما يأمرك به والان تذهب الى بولونيا فتجد فيها فتى اسمه موردون فتبعه الى حيث يذهب بك قل نحتاج الى مال انا ورفيقتي دي قالون ولندره غالبية الاثمان فتشهد الكردينال وقال أيكفيهما الف ريال قال لا قال اضيف عليها مائتين قال حسن ولكن تكفل لي قيادة الحرس ولصاحبي البارونية اذا عدنا سالمين قال نعم وانا زعيم لكما قال ألا تأذن لي بالذهاب الى الملكة قال لا بل اسرع فان الزمان قصير فخرج في الحال وسار الى الاصطبل وقال لخادم الكردينال اذهب فايقظ دي قالون بامر الكردينال وقل له ان يلاقيني في مربط الخيل فذهب وابقظه فمض ولبس ثيابه وخرج ونام الرجل مكانه وهو يحمد الله على سريره كلف غيره دنائير واخذه غنيمه باردة



الفصل الخمسون

اخبار اراميس

ولما حصل دارتانيان في الاصطبل ايقظ موسكتون خادم بورتوس وامره ان يسرح الخيل وما اتم اسراجها حتى اقبل بورتوس وقال الى م دعوتني قال الى بعثة اصير بها قائد الحرس وتصير بها باروناً ولكن يجب ان نذهب قبلاً الى باريز لشأن تقضيه ثم ركبوا خيولهم وساروا حتى دخلوا باريز فوجدوا الشعب يقوم ويقعد غبظاً على فرار الكردينال فلما وصلوا الى منزل دارتانيان تلقته مادلين بالترحيب فقال لها اجمي كل مالك واحرصي عليه واقضي ديونك اذا كان لك ديون واذا كان عليك فلا تدفعي لان باريز لا يطول امرها حتى تصير الى الرماد قالت أتركني في مثل هذا الخطر قال نعم فان الامر جل عن العتاب فهل لي عندك من رسالة قالت نعم وصلتني هذه للرسالة باسمك آنفاً ففضها وقرأ

« أيها العزيزان دارتانيان ودي فالون كتابي اليكما قد يكون آخر كتاب فادعوا لي
الله لاني واراميس في اشد الضيق ومتهى الشدة ان لم يتداركنا الله برحمته ولطفه
« اوصيك يا راعول خيراً واذ كرك بالاوراق التي في بلوا فاذا مضى على كتابي هذا
شهران ونصف ولم اتبعه بتاليه فافعل بها ما اوصيتك وسلم لي على الفيكونت سلاماً
كثيراً والسلام عليك من اتوس »

وفي ذيل الرسالة هذه الحاشية « اذا صادقما في الطريق فتى يدعى موردون فبالنا
في التحذر منه وهذه وصاتي اليكما فاحفظاها » ثم رأى تحت تلك الحاشية هذه العبارة
« قد اوصاكما اتوس براعول وانا اوصيكما اذا قابلتما موردون ألا تبغلا عليه بالسيف »

التوقيع

اراميس

فقال دارتانيان لقد اصبحنا في مشكل فان موردون هذا هو الذي سنلاقيه في
بولونيا وتبعه الى انكلترا قال اذن قتلة وتنصرف عنه الى صاحبينا قال كل ذلك
في العزم لولا ان رسالتهم مبهمه لا تدل على مكانهما فيها بنا الآن تقرأ السلام على
راعول ثم ركبوا خيولهم وانطلقوا الى المعسكر فوجدوه نازلاً بين سان اومير ولامب
فبحث الحارسان عن راعول فقرأه السلام من اتوس وقال له انه يرجع قريباً ودفعا
اليه المال ثم ودعاه وسارا يتبعهما الخادم في طريق بولونيا فلما قربا منها بصرا برجل
يتطلع الى الطريق كأنه ينتظر قادماً فتقدم اليهما وقال ألسنا قادمين من باريز برسالة
من الكردينال الى رجل انكليزي فقال دارتانيال ما عدوت الصواب قال فانا الرجل
واسمي موردون فنظر الحارسان كل منهما الى رفيقه باجفال وذكرا وصاة اتوس فقال
الفتى أنرتابان في صحة قولي لاظهرها لكما بالبرهان قلا لا بل نحن على ما نروم قال
نسافر الآن اذا شئتما فان اليوم آخر ميعادي مع الكردينال وقد ابطأت في بعثتي
والفلك معد لملنا فلوم تأتيا لذهبت وحدي فان القائد اوليفيه كرومويل ينتظرنى على
احر من الجمر أفليس معكما رسالة باسمه فقال دارتانيان معي رسالة داخل غلاف غفل
اوصيت ان لا افضه الا في لندره فاما وقد برح الخفاء فافضه الآن ثم مزق الغلاف
فاذا داخله غلاف آخر مكتوب عليه

« الى اوليفيه كرومويل قائد جنود الامة الانكليزية »

فقال موردون اسرعا بالله فان الزمان قصير قال لا بل نلبث حتى نأكل ثم تبمك فاقم قليلاً فلا بأس وانتظرنا على الشاطئ « فما اسم الفلك قال « العلم » قالا اذن بعد نصف ساعة نجدك على الميناء ثم انصرفا الى الفندق فقال دارتانيان ما رأيك في هذا الشاب قال ان انفذ فيه وصاة اراميس قال ذلك ليس في الامكان فهو رسول كرومويل وفي قتله خطر الآن فاصبر حتى تنفسح الاوقات فاعله يعود بنا الى فرنسا فتسوي امرنا معه ثم بلغنا الفندق فاكلا وعادا الى الميناء فوجدا موردون في انتظارهما فركبا قارباً الى الفلك ومعهما موردون وموسكون وكان دارتانيان يلاحظ الفتى ويقول لاراميس على حدة يخال لي انه يشبه انساناً ولا اذكر من هو ثم وصلوا الى الفلك فنشر شراعه وسار بهم الى انكلترا

الفصل الحادي والخمسون

خيانة الايكوسيين

ترك العلم بمخبر في المائش لا الى لندره حيث كان يظن دارتانيان وبورتوس انهما ذاهبان بل الى ديرهام حيث ورد الى موردون رسائل تأمره بالذهاب اليها وتنتقل بالقاري الى معسكر الملك شارل الاول في ناحية لاتين بقرب مدينة نيوكاسل حيث كان ضارباً بين النهرين على حدود اكسيا وانكلترا وكان ذلك عند منتصف الليل والقمر يحجب بالنمام ويسفر فظهر بنوره خيام جنود الملك وكان في طرف المعسكر خيمة واسعة فيها جماعة من الجنود الايكوسيين يتداولون في بعض الامور برئاسة لوين زعيمهم والى جانبها رجل بزى الفوارس نائم على الارض ويده على قبضة سيفه وعلى مقربة منه رجل آخر مثله يحدث حارساً اكوسياً ولا يكاد يفهم منه لانه غريب اللسان عن اللغة الانكليزية ولما كانت الساعة الواحدة من بعد منتصف الليل اتبه الفارس النائم ونظر حوله فرأى نفسه وحيداً فقام ومراً بقرب الفارس الذي كان يحدث الحارس وسار وبعد قليل انتهت المحادثة وسار الفارس الآخر في طريق الاول وكان ينتظره على مقربة منه فلما انتهى اليه قال له السابق بلهجة فرنسوية كافصح ما يكون ما الذي

جری ایہا الصدیق قال لم یعد لنا وقت فیجب ان نسرع ونحذر الملك قال وما عسى ان یكون فی الامر قال حکایة یطول سردھا وستسمعھا بعد قلیل فانی اخشی ان یسمعنا احد هنا فہلک فیہا بنا نخبہ اللورد وترثم سارا حتی بلغا آخر المعسكر ووقفا لدى خیمہ هناك وقل احدھا باللغۃ الانکلیزیة لخادم علی بابھا ہلا یزال سیدک نائماً یا تونی قال لا اظن یا سیدی الکونت فہو الآن قد وصل بعد ان فارق الملك فادخلا وانظرا ثم رفع سجد المضرِب واذا اللورد وتر جالس لدى فرجة فیہ يتأمل فی السماء فدنا منه فلم یشعر بہما حتی وضع احدھا یدہ علی کتفہ فالتفت فعرَف اتوس وارامیس فد لہما یدہ مسلماً وقال ألا تنظران القمر فانی اراء بلون الدماء فقال اتوس یجب ان ننظر الی الارض قبل ان ننظر الی السماء فهل انت واثق من الایکوسین الذین اتتمہم الملك علی نفسه بقیادة الکونت لوین قول لا فهل انما آتبان بنخبہ فقال اتوس نعم یا لورد وارید ان اکلم الملك قول انه نائم قال ان الامور التي سألتیہا الیہ یجب ان تبلغہ الساعة وقد کان ینبغي ان تصلہ قبل الآن ایضاً . وكانت خیمہ الملك موصولة بنخبہ اللورد وبینہما رواق فدخلوا فراوا الملك شارل الاول نائماً بثیابہ وكان اتوس یتقدمہم فجعل يتأمل وجہ الملك الشریف الاصفر وشعرہ المسدل علی جینہ المبلل بالعرق فتهدتہداً شديداً فاستيقظ الملك وقام معتمداً علی یدہ وقال هذا انت یا کونت دي لافیر فما الذي اتی بک فی مثل هذه الساعة أخبر تحمله قال نعم یا سیدی فقد حزرت الامر ولكنه خبر سوء قال لا بأس فان سعد قدومک بمحو شؤم الخبیر فقل ما علمت قال ان کرومویل قد وصل اللیلة الی نیوکاسل قال وهو آت لیحار بني قال لا بل لیشتريک من الایکوسین باربعمائة الف دینار انکلیزی قال هیبات ذلك محال فانی اعرف رجالی الایکوسین وامانتہم قال لا بل ضاع ظنک یا مولای فقد علمت انہم باعوک منهم بمائتی الف دینار تقدماً قال ذلك لا اکاد اصدقه بل لا اکاد اصدق انی اسمہ قال لا تعجب فان اخوة یوسف قد باعوه بثمن بخس دراهم معدودة والیہود باعوا السید المسیح علیہ السلام قال ومن عاقد هذا البیع الخاسر قال الکونت لوین وقد سمعت منه ذلك بأذنی فتهد الملك تنهداً ظن اتوس ان کبدہ قد تصدعت بہ وقال الایکوسیون خلصائی الاخصاء وخدمی الامناء ومواطنی الاعزاء یفعلون بی ذلك انظر کیف تقول یا کونت قال هو

الحقيقة يا مولاي فلقد كنت نائماً وراء مضرب الكونت لوين فسمعت كل ما دار بينهم من هذا القبيل قال متى تسلم السلعة يا كونت قال في صباح هذا اليوم فاسرع يا مولاي فالزمان قصير قال وما تراني اصنع وقد بيع دمي قال تقطع لاتين الى اكوسيا فتضم الى اللورد مونتروز فهو لا يبيعك قال وما اصنع في اكوسيا سوى اني اثير حرب الاحزاب وهي غير جديرة بالملوك فلا والله بل دعهم يسلموني ويكسبون بي سبة الابد قال لا اعارضك يا مولاي في ان ذلك منك شأن الملوك الحقيقي بهم ولكني اؤخذك على عزمك هذا في جانب انك زوج واب فانا قادم اليك من قبل امرأتك وقنانك وابنيك اللذين لا يزالان في لوندريه لاقول لك عش يا مولاي فتلك ارادة الله

فقام الملك عند ذلك وشد حزامه واشتمل بسيفه ومسح جبهته من العرق وقال ماذا ينبغي ان اصنع قال ألا يوجد في جيشك فرقة تثق بها فقال الملك كيف رجالك يا دي وتتر قال كسائر الرجال تتلاعب بهم الاهواء والضعف فانا آمن ان أكل البهم حياتي اما حياتك فلا فقال اتوس اذا لم يكن عندنا فرقة فنحن ثلاثة نكني فليركب الملك جواده وليس بيننا فنجتاز به لاتين ونبلغه ايكوسيا فيخلص قال أجمعون على ذلك يا قوم قالوا نعم قال فاسرجوا الخيل اذن ففعلوا فقال اركبوا قالوا ألا تودع اصحابك قال واي اصحاب لي سواكم فيها بنا واخلوا الدار تنعي من بناها ثم ركب جواده وقال اركبوا فوق اتوس مبهوتاً وأشار بيده الى خط اسود يسير على شاطئ لاتين فقال ما هذا ترى فقال الملك هذا الضباب قال لا بل هو اعظم من ذلك يا مولاي فهو العدو خارجاً من نيوكاسل ليحصرنا وهذا سلاحه يلمع قال اذن نرى جندنا الايكوسيين فقال اتوس على ماذا عزمتم قال على ان اقمحهم بالايكوسيين فامر على اجسامهم ثم لوى عنان فرسه وسار الى مضرب الكونت لوين وسار الحرسان في اثره وقالوا لذي وتتر اذهب فرتب فرقتك فقد نحتاج اليها فذهب وتبعها الملك حتى بلغ خيمة الكونت لوين فترجل ودخلها فقام كل من فيها وقالوا الملك قال نعم الملك يا قوم اتى ليحاسبكم عما تفعلون فقال دي لوين ما الذي جرى يا مولاي قال جرى ان كرومويل وصل الليلة الى نيوكاسل وقد عرقم ذلك ثم لم يخبروني به وانه قد خرج الآن بجيشه من المدينة ليقطع علي طريق لاتين وكان ذلك بعلم حراسكم ثم لم يخبروني وانكم قد بعموني من

البارلمان بمايتي الف دينار ويا ليتكم بعد ذلك اخبرتموني بالامر ذلك ما جرى يا قوم فتجيون بماذا فقال لوين ولسانه يتلجلج انت مفروور يا مولاي ومكذوب في الخبر قال لا بل رأيت العدو رأي العين يقطع علي طريق اكوسيا فنظر الضباط كل منهم الى الآخر وقطبوا حواجبهم فقال لوين نحن مستعدون لان نبرهن لك على ظاعتنا قال لا اريد سوى برهان واحد وهو ان تركبوا معي لاقتحام هولاء الاعداء فقال لوين ذلك لا يكون يا مولاي لانك لا تجهل المدينة التي بيتنا قال ان العهدة قد اثلت بخروجهم من المدينة علينا قوموا معي قاتلهم ونخلص منهم الى اكوسيا والا فتخيروا بين امرين اما ان تكونوا جبناء أو ان تكونوا خونة ففضبت منه الجماعة حتى انقلبت احداهم واز بدت اشداقهم وقالوا لقد وعدنا ان نخلص انكلترا وايكوسيا من ملك شرب دماء اهلها نيفاً على عشرين سنة ونحن لا نزال على الوعد فانت يا شارل ستوار اسيرنا منذ الآن ثم تقدم منهم رجلان الى الملك وهما بالتبض عليه واذا بهما سقطا قتيلين من يدي اتوس وارايميس فاجفل القوم لهذه المساعدة المفاجئة وبهتوا في اماكنهم فاخرج الفارسان الملك من المضرب فركب جواده وساروا يعدون الى خيمة الملك فلقوا دي وترف في رأس فرقة فانضموا اليهم

الفصل الثاني والخمسون

الثار

فلما دخل الاربعة الى خيمة الملك سقط الملك على كرسي وقال قد هلكت والله فقال اتوس لا يا مولاي بل خدعت فنهد الملك وقال نم خدعت وهو ما يعز علي ان يصل الي من الايكوسيين الذين ولدت بين اظههم وآرتهم على الانكليز قاتلهم الله فقال اتوس ليس الآن وقت الشكوى ايها الملك بل هي ساعة يظهر فيها بأس الملوك وشجاعة النبلاء فقم يا مولاي فان حولك ثلاثة رجال لا يخذعونك ويا حبذا لو كنا خمسة قال ذلك لانه ذكر دارتانيان وبورتوس قال فما تقول الآن قال اري ان يقف دي وترف في رأس فرقة ونأخذ نحن جانبيك فتشق بك صفوف كرومويل حتى نخلص بك الى ايكوسيا فقال ارايميس ولي رأي آخر وهو ان يلبس احدنا ثياب الملك

ويركب جواده فيشتغل الاعداء به عنه فيفر من بينهم فقال اتوس نطقت بعقل يا اراميس ويا حبذا لو شرف الملك احدنا بذلك قال كيف ترى يا لورد قال ما من طريقة تخلص بها يا مولاي الا هذه فاختر منا من تريده لهذا الامر وعجل فان الوقت ضيق قال ان الذي سيقع عليه ذلك منكم يكون نصيبه القتل او السجن الموثب فقال دي ووتر وهو نهاية الشرف يا مولاي لمن يكون خالص ملكه . فنظر الملك الى اللورد والدمع يجول في عينيه ونزع من عنقه وسام الروح القدس وقلده لدي ووتر وهو راكع فقال اتوس اصاب الملك في اختياره لطول خدمة اللورد له فنظر الملك اليهما وقال وانما سيكون لكما مني جزاء مثل ذلك ثم ذهب الى خزانة في خيمته واخرج منها وسامين من الجار يتشير فقال اتوس ذلك لا يكون يا مولاي فهو فوق قدرنا لانه وسام الملوك وانما نحن من اواسط الشرفاء قال ان لم تكونا من الملوك فان قاييكا ملكات فاركع يا كونت فركع وقلده الوسام من الكنف الواحد الى ما تحت الابط الاخر ثم رفع سيفه وعضاً عن ان يقول له جرياً على العادة « قد رقيت الى رتبة الفرسان فكن شجاعاً اميناً شريفاً » قال « انت شجاع امين شريف وقد رقيت الى رتبة الفرسان » ثم التفت الى اراميس وقال اركع ايها الصديق فركع وقلده الوسام الاخر بتلك الالفاظ ثم عانق الاثنين فقال دي ووتر وقد اخذه الازدهاء من تشريف الملك اياه بوسامه نحن مستعدون يا مولاي فر امرك قال لنهرب يا قوم فقال اتوس لا يا مولاي بل لنشق جيشاً وهي الشجاعة لا الهرب قال وحقيق بالملك ان يموت وقائم سيفه في كفه فيها بنا ثم خرج الثلاثة وتبعهم الملك وتقدمهم دي ووتر وعلى صدره الوسام ليوم الناس انه الملك فراوا فرقة اللورد مصطفىة والايكوسيين واقفين وقفة الحرب فقال الملك اظنهم ينصروننا فقال اتوس اذا كان ذلك من عزمهم فسيبعوننا ثم سلروا حتى دنوا من جيش الاعداء واذا برجل قد تقدم الجيش فقال الملك هذا كرومويل قال اراميس اذت فاخفض قبعتك على عينيك يا مولاي حتى لا يعرفك فان في يده منظاراً فقال اتوس ليتنح الملك قليلاً فاني اريد ان اكلم اللورد شيئاً فتحنى الملك ودنا اتوس من اللورد وقال ارى ان نتقسم فرقتين فرقة تكون فيها انت وفرقة نكون فيها نحن والملك فان لم يعترضنا احد انضمنا وشققنا الاعداء وان عارضنا الجيش انفردت له انت برجالك

فقاتلتموه حتى لا يبقى منكم من يقوم في يده السيف ونكون نحن قد فررنا قال نعم ثم
ركب جواد الملك وركب الملك جواده وركب الفارسان فرسيهما وسار دي وتر في
رأس الفرقة الاولى والملك شارل الاول في رأس الفرقة الثانية وكان الايكوسيون ينظرون
الى ذلك بعين الحياء والخجل حتى خرج عدة منهم وكسروا سيوفهم ثم عادوا الى صفوفهم
فقال الملك ان لي في ذلك بعض العزاء فليسوا كلهم خونة ولما ساروا غير بعيد تعرضت
فرقة من جيش كرومويل لفرقة اللورد فقال اتوس اذا قام اللورد بما اوصيته به فقد
نجونا وكان دي وتر قد استقبل الاعداء بقومه وامرهم باستلال السيوف فخرجت من
اغمارها خروج البرق من خلل السحاب وامر الملك الايكوسيين فلم يمتشق احد سيفه
فقال عرفت الخونة والله لا نفلح ابداً وكانت فرقة دي وتر لما دنت من العدو تخطت
عن اللورد وسارت متفرقة تنسل بين الغابات فقال الملك خذله قومه فيها نصره ثم
اقبلوا على اللورد وهو لم يبق حوله من قومه الا خمسة عشر رجلاً واذا بجيوش الاعداء
قد اقبلت عليهم وفارس على جواد ادم يعدو في مقدمة الاعداء فقال دي وتر هذا
موردون الغادر واقبل سائر الجيش على دي وتر وهم يقولون هذا الملك فخذوه حياً
فصاح بهم موردون ليس هذا بالملك فلا تغتروا فانت لست بالملك يا دي وتر بل
انت عمي ثم سدد اليه الغدادة واطلقها فمقت رصاصتها من صدره واختلفت رجلاه
على عنق فرسه فسقط وهو يقول قتاني الثائر فقال له موردون اذكر أمي يا لورد ثم لوى
عنان فرسه واثني راجعاً واطبق الجيش على اتوس واراميس فسلا سيفيهما وقال اتوس
اضرب يا اراميس لمجد فرنسا ضرب مستبسل واعملا السيف بمن حولها وزاد عليهما
العدد وبرقت على راسيهما النصال واذا بفارس يشق الصفوف حتى دنا منهما واطبق
على اتوس وهمس في اذنه سلم سيفك اليّ فليس ذلك بتسليم ثم اطبق فارس آخر على
اراميس وقال له مثل ذلك فرفع اتوس نظره وقال دارة... فسدت دارتانيا فاه
بيده وقال صه والا هلكت ثم اخذ منه السيف وسلم اراميس سيفه لبورتوس الذي
اطبق عليه واذا بموردون قد اقبل وهو يقول ارموها بالرصاص فقال الضابط قد سلما
فلا حاجة الي قتلها واخذ دارتانيا وبورتوس اسيرهما الى خارج ساحة الحرب ففرق
لها الناس عن جثة وتر قتيلاً وموردون مكب على جواده ينظر اليها نظرة المثني فسد

اتوس يده الى حزامه فقال له دارتانيان ماذا تفعل قال دعني اقله قال اياك ان تتظاهر
بمرفانه والا هلكنا جميعاً ثم التفت الى موردون وقال انظر ايها الصديق ما احسن هذه
الغنيمة فقد اسرنا فارسين من رتبة الجاريتير فنظر موردون الى الاسيرين بعينين
كانها قطعة دم وقال هما فرنسويان فيما اظن فقال دارتانيان لا اعلم افرنسويان اتما فقال
اتوس نعم ثم التفت الى دارتانيان وقال ويحك دعني اخلص الملك قال لم يعد يجدي
وما هو فانظره فنظر واذا بشارل مقبل على رجله في وسط فرقة تهيئه الاعداء
احاطة السوار بالمعصم وهو على اسكن ما يكون من حالاته وجيئته يتصب عرقاً فقال
احد الاعداء هذا الملك الظالم قد اقبل فقال موردون لا بل هذا الملك شارل الذي
ياخذ ميراث رعبته فرقع الملك بصره ونظر اليه شزراً فاطرق موردون من هيئته ثم
التفت الى اتوس وارانيس وهما في يدي رفيقيهما وقال لهما تعساً لهذا اليوم ما اقبحه
ولكنه ذنب نجيله على الايام فاين دي ونتر فارتبك الرجلان واحتبس لسانهما حزناً
وغماً والتفت الملك واذا بجثة دي ونتر ساجحة بدمائه فنظر اليها نظرة الحزين من غير
ان يتأوه او يدمع له طرف ثم جثا امامها على ركبته ورفع رأس اللورد قبله في جيئته
ثم نزع من عنقه الوسام ولبسه فقال دارتانيان لاتوس هل قتل دي ونتر قال نعم ومن
يد ابن اخيه فهو اول وائر منا رحمه الله

وعند ذلك تقدم ضابط الفرقة وقال يا شارل ستوار اتسلم نفسك الينا فقال الملك
يا توميلزون ان الملوك لا تسلم انفسها ولكنها تغلبها الكثرة قال فمات سيفك فسل الملك
سيفه وكسره على ركبته ثم قدم له جواده فركبه وقال انا لكم يا قوم فخذوني الى حيث
شتم ثم نظر الى دي ونتر نظرة الوداع وقال اراه يتحرك فان كان لا يزال فيه دماؤه
فعالجوه فقال موردون وهو يتبسم تبسم الالباسة لا تشكن في موته يا شارل فان
الرصاصه خرقت فواده ثم ساروا بالملك اخيراً حتى اذا دنوا من المدينة اتى امر الى
الضابط توميلزون بان ياخذ الملك الى هولدايني كاسل ثم سارت الرسل في الجهات
تبشر بان شارل قد وقع اسيراً في يد شعبه الانكليز



الفصل الثالث والخمسون

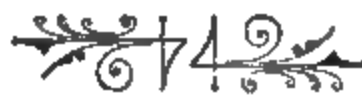
اوليفيه كرومويل

فتقدم موردون الى دارتانيان وبورتوس وقال ألا تذهبان الى القائد فقال دارتانيان بلى ولكن بعد ان نضع اسيرنا في مكان امين أفلا تعلم انهما من النبلاء وفدية كل منهما الف وخمسة دینار فنظر موردون اليهما نظرة لا يوصف خبثها وقال اوكل بهما بهض فرساني فهو خير لكما فقال دارتانيان لا بل نحن اولى بحراستها وما اظنها يفران اذا تمهدا لنا بذلك

والعهد معتقل الكريم وقيدهُ والى الوفاء يقودهُ بلسانهُ

ثم نذهب بعد ذلك الى القائد فنأخذ ما يأمرنا به الى الكردينال قال اتسافران كذا في الحال قال لم يعد لنا شأن في انكلترا فان بعثنا قدمت ثم ذهبا باسيريها فدعا موردون باحد فرسانه وقال له تتبع هذين الرجابين وتنظر اين يضعان اسيريها وتعود الي حيث انتظرني على باب المدينة . ثم اتنى راجعاً الى معسكر كرومويل وكان القائد قد اختلى في مضربه وامر بان لا يدخل عليه احد الا ان الحراس لما كانوا يملكون مكانة موردون عنده اذنوا له فدخل فرأى القائد كرومويل مديراً ظهره الى الباب وهو غارق في بحار الفكر فوقف الفتي واخذ بماضتي الباب ثم التفت القائد وقال الم أمر بان لا يدخل علي احد فقال الفتي ظننت ان ذلك الامر يعدوني واذا شئت فاني اخرج قال هو انت يا موردون اذن فادخل قال قد ايتت لاهتتك يا مولاي قال وبم تهشني قال بقبضك على شارل ستوارفانت الآن صاحب انكلترا قال لقد كنت صاحبها قبل ذلك اذا كان الشعب في حاجة الي لقاء الملك فاما وقد قبضت عليه فقد تغيرت الحال فهل رأيته قال نعم قل وكيف هيته قال ساكن الجأش رابط القلب قال وماذا قال ودع اصحابه فقال وهل بقي له اصحاب وهل دافع عن نفسه قال لا فقد خذله قومه الا اربعة من رجاله قال ولان سلم سيفه قال لم يسلمه بل كسره قال حسناً فعل ولقد كان الاولي به ان لا يزال يضرب به حتى يموت ثم سكت برهة وقال وقائد فرقه ماذا حل به قال قتله انا قال ومن هو قال الورد وتر قال ويحك قلت عمك

قال اني لا اريد ان اتقرب من كل خائن لانكثرا قال انك لشديد صارم يا موردون
قال اذا امر المولى فليس على العبد الا الطاعة اما تذكر ان ابراهيم رفع مديته بامر الله
على اسحق وهو ابنه عليها السلام قال ولكن تعلم انه لم يقتله قال قد نظرت فلم ار من
يفديه بذبح قال امري لقد احسنت في الجواب فكيف كان بلاه الرجابين الفرنسيين
قال ابليا احسن بلا. قال لله در الفرنسيين ما اشد اقدمهم في المارك فلقد خال لي
اني رأيتهما بمنظاري في طليعة الجيش ولكن على اترك يا موردون قال نعم وذلك من
تقصير جواديهما لا من تقصيرهما قال وما فعل الايكوسيون قال اقاموا على عهدنا فلم
يحركوا ساكناً قال قاتلهم الله فهل تقدمت قادتهم الرشوة قال نعم وذلك في الليل
الفاتت قال اذن قل لهم ان يذهبوا الى جبالهم حيث يخفون عارهم عن اعين الناس اذا
كان للعار ساتر فاني لم يعد بي اليهم حاجة فاذهب قول اريد ان اسألك مسألة قبل ان
اذهب والتمس منك التماساً يا سيدي اذا فسحت لي في الكلام قال قل قال اراض
انت عني قول نعم فقد فعلت فوق ما يطالب منك قال افلست انا المشير عليك باتباع
الملك من الايكوسيين قال بلى ونعم المشورة هي قال افلم احسن السفارة لك في فرنسا
قال بلى وحصلت من مازارين على ما اروم قال وهل لم يكن لي بلاه حسن في القتال
قال نعم فما تقصد بهذه المسائل قول ان اقول لك ان ساعة الجزاء قد اذفت اذا اذنت
به فهو هين عليك وفوق اماني قال وما ذاك قال هو في يدي اذا سمحت لي به قال
اسمح بشرط ان لا يكون فوق الامكان قال قد اسر اليوم اسيران وانا استوهبها منك
قل لعلهما عرضا عليك فدية طائلة قول لا بل هما فتيان فيما اخن قال وهل هما من
اصحابك قال نعم من اعز الاصدقاء وأخلصهم لي قال وهبتهما لك فافعل بهما ما
شاء قال قد غمرتني بفضلك يا مولاي وطوقنتني من جميلك اطواقاً لا يحلها موتى في
سبيل رضاك ثم اكب على يده وقبلها فقال اكذا تقنع بالقليل يا موردون قال ذلك
فوق الكفاية يا ميلورد ثم خرج والسرور يفيض من أسرة وجهه



الفصل الرابع والخمسون

النبلاء

بينما كان موردون يسير الى مضرب كرومويل كان دارتانيان وبورتوس يقودان اسيريهما الى المنزل الذي اعد لها مسكناً في مدينة نيوكاسل وكان دارتانيان قد اطلع على ما اوصى به موردون احد فرسانه من اتباعهم فجعل يتظاهر بالقسوة في معاملة اسيريه حتى بلغ بهما المنزل وهو على زاوية الشارع وامامه حديقة غناء ونوافذه مشبكة بالحديد بحيث كان اشبه بالسجن فادخل الحارسان اسيريهما وامرا موسكتون ان يقودا فراسهم الى المربط فقال بورتوس لدارتانيان لم لا ندخل معهم قال يجب ان نرى ما يريد هذا الفارس القبل الينا بجماعة من قومه فلما دنا الفارس سأل دارتانيان عن قصده فقال انه آت ليساعده على حفظ الاسيرين فشكره وعاد الى صاحبه بورتوس فقال له ما اشد هذا النهار يا دارتانيان قال كيف تسميه شديداً وقد وجدنا فيه صاحبينا قال نعم ولكن في حالة لا نروهما قال لا بأس فهذا الذي قدر لنا فلندخل الآن وننظر فيما ينبغي ان نفعل قال ان الامر شديد وقد اصاب اراميس اذ اوصاني بقتل موردون ثم دخل وتبعه دارتانيان فاغلق الباب وعانق كل منهما صاحبه عناق الاخاء وكان اتوس في نهاية الحزن وaramيس ينظر الى رفيقيه نظرة المتحير فلم يدر ما يفتكره فقال له تريد ان تعلم كيف وجدنا هنا فاجيبك ان مازارين قد ارسلنا برسالة الى كرومويل قال وكيف اجدكما الى جنب موردون يمدان اوصيتكما بقتله قال ذلك بامر من مازارين فهو سبب كل علة فقال اتوس نعم وهو سبب فراقنا ولكن ندع هذا الآن وتنظر في امر انفسنا فمن نخدم يا دارتانيان ارايت الى اية خدمة صار بك مازارين وتعلم ما الذي فعلت اليوم فانت سبب امساك الملك وقتله قال انه لم يقتل قال اتظن ان كرومويل اشتراه ليعيده الى عرشه لا والله بل ليقتهل وسترى ذلك رأي العين قال ولكن ايه ذنب لي فانا جندي قضت علي اعمالي ان اكون هنا بامر من الذين ينقدونني رزقي الذي اعيش به وقد حلفت على طاعتهم فانا مطيع ولكن انت اي قسم اقسمت قال ألا تعلم ان من اعظم دواعي الانسان الى الخدمة واحداً من ثلاثة مصائب الناس

والمملكة والدين ولقد عرض علينا صديق وقرينة وابنة ان تجرد نخدمتهم وعونهم
فاعانهم بما قدرنا عليه ثم انت بعد ذلك مخير في أن ترى في امرنا كيف شئت فانا
لا اصدك عن عزمك بل الويك على فملك قال وأي لوم علي اذا نار كرومويل وهو
انكليزي على ملكه وهو ايكوسي فانا رجل فرنساوي لا يهمني شيء من ذلك فلم
تحاول ان تلتقي علي تبعته قال لان النبلاء اخوان ولانك منهم ولان الملك باسرم
رووس النبلاء والخنوة الادنيا. يحاولون اسقاط من هم ارفع منهم مقاماً وانت دارتانيان
صاحب الصيت الحسن والسيف الصارم والنبالة العريضة ساعدت هؤلاء الادنياء على
بيع ملكهم وما انكر عليك انك قتت بواجب العسكرية التي انت منها ولكنك من
الشرف مخطي مقصر

فصمت دارتانيان ولم يجب بحرف بل اطرق برأسه خجلاً فنظر اتوس الى بورتوس
فقال وانت يا بورتوس خير رجل عرفته في الشجاعة والبأس وعلو الهمة يستحق ان
يساوي الملك في مجدهم انت مخطي مقصر كدارتانيان فاطرق بورتوس برأسه حياء
وقال صدقت ياسيدي الكونت فقام اتوس وأخذ يديهما وقال لا تفضب مني يا بني
دارتانيان فاني لم اقصد في ماقته لك الا نصحاً خالصاً من رجل كايك ولقد كان
يسهل علي بدلاً من ذلك ان اشرك لانك خلصت حياتي من الموت ولكن رأيت
النصيحة افضل من الشكر قال صدقت أيها الصديق فاني اجد فيك وجدانات لا اجدها
في أحد على الاطلاق بل من كان يتوهم ان رجلاً عاقلاً يترك بيته في فرنسا وابنة
في خطر الحرب ليأتي الى عضد ملك مائل العاد عاثر البخت فيعرض نفسه معه الى
خطر الموت الاحمر. تلك خلال لا توجد في انسان بل اكاد اقول خلال الله
واستغفر الله قال دعني من ذلك يا دارتانيان وانظر الي بعين المولى الى اسيره قال
ويحك وكيف تكون اسيري او انا اسيرك بل والله لا يصل اليك مكروه وفي بقية دم
تجري وهذا الباب الذي تريانه مفتوح لكما متى شئنا الذهاب وانما حران قال ذلك
فضل لا يزال يهد فيك يا بني ولكنك غير مطلق التصرف فينا وانت ترى الرجال على
الباب فقال بورتوس ليس ذلك بمانع لكما فهم عشرة على الكثير قال انهم قليلون في
جانبا اذا كنا اربعة ولكنهم فوق طاقتنا ونحن اثنان وذلك مثلنا الآن فنحن اذا اقسما

هلكنا كاسهل ما يكون واعلمكم تذكرون واقعة الدوق دي بوفور اذ غلبنا كما نحنى وانما
اثنان ثم غلبنا الآ ن ولكن من يذكرني انا انخذلنا ونحن اربعة فلنمت اذن كما مات
دي وتر فاني اقسم بالله اني لا احاول الفرار الا ونحن اربعة فقال دارتانيان ذلك
محال فنحن تحت امر مازارين قال اعرف ذلك وآسف لان كلامي ذهب سدى فقال
اراميس يعز علينا ان نكون في معزل عن صاحبينا ولكن بدا قضت الايام فلنمت اذن
يا اتوس فاني ارى الموت يحلولي الى جانبك فقال دارتانيان اتحسبان انهم يقتلونكما وهم
لا نار لهم عندكما ثم لستما باسيرين لهم فقال اراميس لله ما اجنك يا دارتانيان ألا تعرف
موردون وخبثه فقال بورتوس لقد ساءني اني لم اقله كما اشرت علي يا اراميس فقال
والله لا يمدن نظره اليكما بسوء حتى اقله واجعلها آخر نظراته فاقبها ولا تمربا فانما عندي
على آمن من حالتكما في فرنسا ايام سكونها فاشار اتوس الى احدى النوافذ وقال سأذك
به فها هو قادم قال ومن هو قال موردون فنظر فرأى الفتى مقبلاً برخص جواده
نحوهما فخرج اليه واراد بورتوس ان يتبعه فقال له ابق هنا ولا تخرج الا متى تقرت لك
باصبعي على الباب

الفصل الخامس والخمسون

يا لله

فلما وصل موردون الى قبالة البيت رأى دارتانيان واقفاً لدى الباب والجنود
مستلقين على النبات في الحديقة فصاح بهم ويحكم هلاً يزال الاسيران هنا فقام الجند
اجلالاً له وقال رئيسهم نعم فقال ليتقدم منكم اربعة ويأخذوها الى منزلي فاعترضه
دارتانيان وقال كيف قلت قال امرت اربعة من الجند ان يأخذوا الاسيرين الى منزلي
قال ولم ذلك قال لانهما اصبحا لي افعل بهما ما اشاء قال اخطأت يا سيدي موردون
فان الاسير لمن يأخذه ولقد كان في طاقتك ان تأخذ عمك دي وتر اسيراً ولكنك
آثرت قتله اما انا وصديقي دي فالون فقد رأينا ان نأخذ اسيرينا حين فايضت شفتنا
موردون من الغيظ واحمرت عيناه وعرف دارتانيان ان الاحمر سيؤول الى ما لا خير
فيه فنقر على الباب فخرج بورتوس واحس موردون بالامر فقال انكما تحاولان العبث

في ان تمنعني هذين الاسيرين فقد وهبني اياهما مولاي القائد كرومويل فوقع هذا الكلام موقع السهم على دارتانيان واعبت به نار الغضب فسقطت يده على قائم سيفه من غير ان يشعر وادرك بورتوس العاقبة فقل لدارتانيان بصوت منخفض اياك والشدة في الكلام فانها تهلكننا جميعاً واستعمل الرفق الآن فهو احري فغير دارتانيان هيئته وكظم غيظه وتبسم للفتى وقال لم لم تقل من بادى الامر انك قادم من قبل القائد فاذا كان ذلك فهما تحت امرك فادخل وخذها ثم داس على رجل بورتوس دلالة على ان لا تخش فان في الامر سرّاً فترزع الفتى قبمته وهم بالدخول فوضع دارتانيان يده برفق على كتفه وقال رويدك يا سيدي فانه ينبغي ان يكون القائد قد اعطاك علامة منه الينا على الاقل كرقعة او نحوها فاحس موردون بالحيلة وقال ألا تثق بكلامي قال معاذ الله ان يداخني في صدقك ريب ولكن الا تأذن لي ان اكلمك بما ينطوي عليه صدري قال بلى قال تعلم ان رفيقي دي فالون رجل واسع الثروة غني عن الناس اما انا فرجل فقير اخدم في الجيش لاعيش وقد قبضت على هذين السيدين الشريفين كما يظهر من وساميهما وانا واثق من اني سأنال بهما غناء قل سأتي لك بالامر بعد قليل ومعه الفسا دينار فدعني الآن آخذ الاسيرين قل ما يضرك تأخير نصف ساعة او اقل سوى انا نكون اجرينا امورنا على نظام قال الا تدري اني اجبرك على ذلك فانا الامر هنا فتبسم دارتانيان وقال اني وصديقي دي فالون قد رافقتك مدة فعرفناك ولكنك لم تقدر ان تعرفنا حق عرفانا فانت لا تدري انا ولو كنا اثنين تقدر ان تقتلك ورجالك هؤلاء في طرفة عين فلا تنصرف الى جانب الشدة فانا نكون اشد منك ثم اتسا ناثبا فرنسا هنا لاننا سفيراها وانت اعلم بالسفير وحقوقه فاذهب واحصل من قائدك على الامر وهو هين عليك فيما اخن فقال بورتوس وقد اخذ يفهم سر المسألة هات الامر تل ما تروم ولما كان موردون يجهل ما بين الاربعة من علائق الوداد عزم على ان يأتي بالامر والاني دينار فركب جواده وامر الجند بالتحفظ وسار فقال دارتانيان في نفسه ينبغي له نصف ساعة للذهاب والاياب وذلك فوق الكفاية ثم التفت الى بورتوس فقال له اياك ان يعلم صاحبانا بما سنفعله لهما الآن ثم تذهب الى مر بط الخليل حيث موسكتون فسرجهما لنا وتضع الفدارات في الثدايا (جمع ثدية أي مكان الفدارات من السرج)

وتوكل بها موسكتون ان يمسكها في هذا الشارع حتى تكون حاضرة وعليّ تدبير الباقي
فذهب وعاد دارتانياان الى الحجره فقال لاتوس قد تبصرت ايها الصديق فيما لمتني فيه
فوجدتك مصيباً وعزمت علي ان افرّ من الكردينال مازارين في صحبتك فاستعد للفرار
مع اراميس وهذان سيفاكما في زاوية الحجره فلا تنسيهما ولا تعجبا من امري فقد
كنت في ضلال فهداني اتوس بنصائحه فادنوا مني واسمعا انتظران هذا الشارع فهناك
الخليل فتخرجان من الباب وتركبان وقد تمّ الامر وعلامتكما لذلك عند ما اقول يا لله
فقال اتوس لكن تعاهدنا علي ان تكون معنا قال أي والذي نفسي بيده فقال اراميس
اذن عند ما نسمع لفظه يا لله نخرج فنركب خيلنا ونسير قال هو ذاك ولا تنسيا العلامة
ثم خرج فنادي ضابط الجند وقال له ان القائد كرومويل قد بعث يطلبني مع موردون
وانا ذاهب اليه فاحرص علي الاسيرين ثم ذهب الي الاسطبل فوجد الخيل مسرجة
فقال لبورتوس تأخذ انت جوادين وموسكتون جوادين وتقفان بها في الشارع بحيث
يراكما صاحبانا ثم ركب جواده واخذ غصناً فاشمله ووضع في اذن الجواد وثبت في
سرجه حتى لا يسقط فلما وجد الفرس حرارة النار وثب كان به لم وجعل يمرح براكبه
بعنف شديد وهو يصهل اشد الصهيل فجعل دارتانياان يصيح الي يا قوم فقد جمع
جوادي الي يا قوم وخلصوني يا لله ولم يتم دارتانياان هذه الكلمة حتى خرج اتوس
واراميس من الحجره وسيفاهما مشهران فوجد الجند مشتغلين بصراخ دارتانياان فخلصا
الي فرسيهما وصاح الضابط شدوا علي الاسيرين فقد هربا فقال دارتانياان انا لهما ولا
يردهما غيري ثم ساق جواده في اثرهما وتبعه بورتوس وموسكتون وفيما هم يمدون صادفوا
كريمود وبليزوا فبعاهم باسرع من البرق وجعل الجند يصيحون والضابط يلطم وجهه اسفاً
واذا بفارس قد اقبل ينخب به جواده وفي يده رقعة تلوح حتى دنا فاذا به موردون
فقال ابن الاسيران فاشار له الضابط الي الحجره مفتوحة الباب خالية فصعد الفتى اليها
واذا رآها كذلك شق شقة وسقط مغشياً عليه

الفصل السادس والخمسون

النجاة

واستمر الفرسان يمدون خيلهم ملء فروجها حتى قطعوا جدولاً ودخلوا في غابة غضة فاخفوا وراء اشجارها وقد امنوا من اللحاق وكانت الخيل قد تعبت فترجل اتوس وامر كريمود خادمه بان يقف في مدخل الغابة حارساً لهم ثم تقدم دارتانيان وقال تعال اعانتك يا بني فانت مخلصنا و بطلنا وحامي زمارنا ثم تعانقوا جميعاً واثنوا على دارتانيان احسن الثناء ثم قال اتوس والآن فما تصنع قال نذهب الى شاطئ البحر فنجد فلحاً يحملنا الى فرنسا فنخلص حياتنا فانها هنا تحت خطر الموت قال وما رأيك يا بورنوس قال كراي دارتانيان فان انكلترا دار ضنك وضيق فنظر اتوس الى اراميس وقال اذهب اذن بحفظ الله قال واتما فماذا تفعلان قال نذهب لطلبنا قال وكيف ذلك ألم يتم شأنكما بعد قال لا فاننا أتينا لندافع عن الملك شارل فخانتا الدهر فبقى ان نخلصه من اسره فقال دارتانيان ما اخالك الا هازلاً يا كونت فكيف تطمع بخلص الملك وحوله جيش جرار ودون خلاصه اسيف حداد واسنة حرار وهو تحت امرة الكولونل هاريسون الذاهب به الى لندره حيث يحاكم كما سمعت ذلك من فم كرومويل ومتى تمت محاكمته ينفذ فيه الامر قال وأي امر تظن قول ليس هو الا الموت فهم لم يعبثوا الجيوش ليقبضو عليه ثم يعفوا عنه ومن رأيهم ان الامراء لا تضرب الا في رووسها قال اذن تزيدنا رغبة في تخليص رأس الملك قل انك اذن للمجنون يا اتوس قال لا بل هو عين الصواب فان دي وتر قد اخذنا الى الملكة في باريز فماهدناها على ان نبذل حياتنا في خلاص الملك وانا لفاعلون اولست من رأيي يا دير بلاي قال نعم فقد حق علينا الوعد فقال اتوس ثم لنا داع آخر الى ذلك اذ ما عسانا نجد الآن في فرنسا لدي ملك في السنة العاشرة من عمره وملكة شغفها الحب حتى غطى على بصرها ووزير ايطالي لثيم همه في جمع المال واذخاره وما انكر اني قد خدمت بعض امراء فرنسا ولكن على سبيل خدمة الامراء من السلالة الملوكية لا حباً لهم اما الآن فقد عرض لي شأن اعظم من ذلك وارفع قدراً وهو خدمة ملك عظيم فاذا خاصناه فيها ونمت وان متنا في سبيل ذلك متنا

اشراقاً قال اذن أنت عالم انكما صائران الى الموت قال نعم ونخشى ان نموت ولا نرا كما
 قال ويلاه وما تصنعان في بلاد غريبة اهلها اعداء لكما قال اني سافرت في انكلترا ايام
 الشباب فتعلمت لسان اهلها حتى صرت اتكلم كاحدم واراميس قد التقط من لسانهم
 ما يقضي به حاجته فياحبذا لو كنتما معنا فانا اذا كنا اربعة لا نلاقي انكلترا فقط بل
 اوربا بأسرها قال وهل وعدت الملكة هنريت يا اتوس بانك تهدم سجن لندره وتقتل
 خمسة آلاف مقاتل وتقاوم امة بأسرها رأسها رجل مثل كرومويل يذكركني مرآه
 الكردينال السابق في حذقه ودهائه بل انما اذا عدتما لا تكونان قد نكثتما العهد فبالله
 الا ماذهبتما معنا فان بعثكما قد تمت على غاية ما يكون من الشرف والمجد فارجعنا بالله
 قالا لا تتعب فان عزمنا متين قال أظن ان لكما عزمًا آخر قالا نعم قال وقد أخذته حدة
 الغضب ولعبت برأسه النخوة الفرنسية اذا كان ذلك من عزمكما فانا نموت معكما هنا
 فتدفن اجسامنا في هذه البلاد التي لا يرى اهلها الشمس الا كما نرى البدر واذا كان
 لا يبد من الموت في الخالين فسوائنا علينا ايان متا قال اتوس اذكر يا بني ان الموت
 اقرب الينا من جبل الوريد قال سيان وايبك بعد أم قرب فمصيونا اليه وليس قربه
 بمحجم بنا عنه فقال بورتوس اني لا عجب والله كيف لم يدركنا الموت الى الآن بل كيف
 لم ندركه لانا نحن المجدون في طلبه قال لا تخف فانه سيدركنا واذا قبض الله لنا خلاص
 الملك والنصر على اعدائه نصبح واياه ملوك انكلترا او ينعم علينا باشرف الالقاب
 كالذوق وغيره هذا اذا لم يفعل عنا كما فعلت حنة دوتريش بعد أن خلصناها من حال
 أشد من حال الملك الآن فقال اتوس هل أنت آسف يا دارتانيان على أنك خدمتها
 تلك الخدمة قال لا وحياتك بل اني لاجد ذكراها سلوة في مصابي قال ما أنكر عليك
 يا بني ان الملوك يجحدون الجميل ويكفرون النعمة احياناً أما الله فلا يضيع عنده مثقال
 ذرة ولا يذهب العرف بين الله والناس قال لله درك يا اتوس ما العيب بالقلوب وابصر
 باساليب الكلام وأنا قد رضيت بما احتكمت وحات لي انكلترا حتى حلا لي الموت فيها
 ولاكني ارى الامل بي شديداً انا سنرى فرنسا مرة أخرى ونحن اربعة قال تقبل الله
 منك والآن فقد أخذ الجوع منا فماذا نأكل ابغ لنا يا موسكتون بيتاً في هذه الضواحي
 عساه يقبلنا ضيوفاً قال هذا بيت يلوح لي من خلال الاشجار فيها بنا اليه ثم ركبا

وانصرفوا قاصدين البيت وهم على اتم وفاق واشد عزم على الموت في سبيل خلاص
الملك شارل الاول

الفصل السابع والخمسون

سلام على الملك الساقط

ولما كانوا على مقربة من البيت رأوا آثار خيل امامهم فعلموا ان فرقة مرت قبلهم
تحرس الملك فقال بورتوس اظنهم اكلوا كل ما في هذا البيت فلم يدعوا لنا ما نأكل قال
دارتانيان سنرى ثم نرجل ودفع الباب فافتح فاجعل مذعوراً وقال ما هذه الدماء
فترجل الثلاثة الباقون عند ذلك ودخلوا فرأوا فتى ساجداً في دمه فدنا منه اتوس وجسه
ثم قال يخال لي انه لم يميت بعد فان قلبه ينفتح فاخذ دارتانيان ماء ورش وجهه ففتح
عينه وتهد ثم جاء اراميس بمندبل قبله بالماء وعصب به رأس الجريح ففاق فقال له
اتوس لا نخش فانت بين قوم اصدقاء فقل لنا ماذا جرى قال الملك اسير قل وهل
رأيت قال وهل اتم اماناً لا خبركم فاقسموا له فقال انا اخو بري حاجب الملك وقد مر
الملك بحرسه علي فنزل في بيتي هذا للطعام واقام حفاظه على الابواب والنوافذ وكان
اخي خادمه يعرف بيتي وان من الحجرة المقيم فيها الملك نفقاً يؤدي الى خارج البيت
فالتسنا من الملك ان يتبعنا في ذلك النفق فينجو فابي في بادى الامر ثم الحنا عليه
فرضي ومرت امامه في النفق واذا بشبح لاح لي وضرب ضربة هوت على رأسي فسقطت
لا اعي على شيء ثم اتبته فاذا انا مجروح في رأسي ولا رجل ولا ملك في البيت
فتحاملت حتى بلغت الحجرة وجهدت في ان ابلغ سريري فلم اقدر وخائني قواي فسقطت
مغشياً علي حتى اقلت الان بين ايديكم فقال اتوس وكيف تجددك الآن قال في حالة
شديدة فلو احسنتم الي وتقتمونني الى سريري قال وهل لديك من يمرضك قال امرأتي
وسنأتي وشبكة من دبر هام فهل تريدون شيئاً قال اتينا اليك نستطم فهل عندك طعام
قال ان حفاظ الملك لم يدعوا في بيتي شيئاً فنقلوا الجريح الى سريره واكلوا به كريمة
يعصب رأسه ودخلوا الى حجرة اخرى يتداولون في امرهم فقال بعضهم بخالف طريق
الحفاظ وقال آخر غير ذلك فقال دارتانيان لا بل تتبعهم فان قائدهم الكولونل هاريسون

وهو صديق لي يتلقانا بالترحيب ثم نكون قد نفينا شبهة الاعداء عنا فانهم سيطلبوننا على شواطئ البحر لظنهم اننا فررنا الى فرنسا ولا يخطر لهم اننا مع اصحابهم ثم خرجوا فوجدوا الجريح قد اتمش فقال اوصيكم اذا رأيتم الملك ان تقولوا له اني لا ازال حياً فان ذلك يعزبه لظنه اني مت لاجله فوعده وساروا حتى لحقوا بالملك وهو يسير في مقدمة الفرقة تحيطه الجند فترك دارتانيان رفاقه وسار الى الكولونل هاريسون فجاها ثم سايره حتى بلغوا فندقاً فانزلوا الملك فيه ونصبوا مائدة الطعام ودعا الكولونل دارتانيان واصحابه للاكل معهم فاجابوا وكانت مائدة الملك منفردة ومائدة الحراس قبالتها فجلس الكولونل وادار ظهره للملك وجلس الحراس الى وجهه واخذوا يأكلون ورأى دارتانيان ان يمتال في تبليغ وصاة الجريح للملك فقال للكولونل بحيث يسمعه شارل بينا نحن اتون مررنا بيت فوجدنا فيه رجلاً غارقاً بدمائه من ضربة في رأسه فله در من ضربه فاني احب ان اعرف صاحب تلك الضربة قال هو الضابط كروسلوي الذي ترونه الى جنبي فكلمه دارتانيان بالفرنسوية فوجده يفهمها فقال له لقد اجدت الضربة يا فلان وكدت تقتل الرجل قال عجباً ظننت اني قتلتك قال انه على شفا الموت ولكنه لم يميت بعد ثم نظر الى بري خادم الملك وكان واياه ينظران اليه بجزع فلما قال انه لم يميت هداً روعها وجعلاً يأكلان فقال الضابط لو كانت المسافة قريبة لعدت فاجهزت عليه قال دارتانيان اذا قدرت فلا تؤخر فان الضربة في الرأس اذا لم تقتل لساعتها لا تلبث ان تشفى ثم نظر الى بري نظرة ثانية فتبسم وقبل يد الملك فقال دارتانيان لاصحابه اريدان اشرب نخب (على سر) الملك فكيف ترون قالوا شأنك فرفع الفتي كاسه وقال لنشرب على سر الكولونل فنحن خدمه الى لوندريه وما بعدها فقام الكولونل هاريسون فرفع كاسه وشرب والحراس ينظرون الى الملك من طرف خفي فعلم انهم اياه يعنون فتبسم وشرب كاسه وهو ينظر اليهم نظرة الشكر

ولما فرغوا من الطعام قام الكولونل وقال ركابكم يا قوم فقال دارتانيان وابن نويت الليلة قال في تيرسك فقال دارتانيان لاتوس لقد احيت هذا الملك يا كونت فانا اموت في سبيل نجاته قال لا ندعه يصل الى لندريه بل نعمل على خلاصه في الطريق فانظر لنا في حيلة نخلصه بها قال سانظر ثم ركبوا خيولهم وساروا

الفصل الثامن والخمسون

تدبير الحيلة

ولما خيم الظلام وصلوا الى تيرسك فباتوا فيها ثم قاموا في الساعة الثامنة من صباح الغد ودارتانياان يفكر في استنباط حيلة ثم فارق اصحابه وتقدم حتى لحق بكروسلوي فلقاه بالترحيب لمده اياه بالامس فقال له دارتانياان انه ليسرني ان اجد في صحبتي رجلاً مثلك بحسن التكلم بلساني فان صاحبي ذي فالون رجل قليل الكلام واسيرانا لا دخل لنا معهما لانهما من حزب الملك واضنكم ستحاكمونه في لندره قال نعم ولذلك تأخذه اليها قال اخن ان حفاظه شداد قال كما تراهم فنحن لا نفعل عنه طرفه عين قال ذلك في النهار هين ولكن كيف تصنعون في الليل قال نضع حراسه فنجعلهم ثمانية في حجرته قال حرس كاف ولكن الا تحيطون بالحجرة بجند قال وما الداعي الى ذلك وما اذا عسى يصنع رجالان اعزلان مع ثمانية مدججين قال واي رجلين تعني قال الملك وخدامه فقد اراد ان يكون معه في حجرته فسمح له به الكولونل . فرأى دارتانياان ان يستجر صاحبه في الحديث ليطلع على ما يريد من امره فقال له كلما سمعت كلامك يزيد عجبني منك كيف تحسن اللغة الفرنسية كاحد اهلها الفصحاء مع انك انكليزي وان لك لفضلاً في ذلك على قصر مقامك في باريز فانا اقسم اني لو اقيمت في لندره حياتي باسرها ما احسنت التكلم بلسانك مثلك بلساني فماذا كنت تصنع في باريز قال ارسلني ابي اليها عاملاً له في تجارته قال هل اعجبتك المدينة قال نعم ولكني اراها في حاجة الى ثورة شديدة على ذلك الايطالي اللثيم عشيق ملكتها قال وانا والله من رأيك فلو كان لي اثنا عشر رجلاً مثلك ايها الصديق في شدة البأس والشجاعة لقمتم بثورة على مازارين تصير به الى مثل ما صرتم بالملك الآن قال ولكن ارى انك في خدمة مازارين وهو الذي بعث بك الى كرومويل قال ذلك يعني انني في خدمة الملك فقد علمت بعزمه على ارسال سفيرين الى انكلترا فاحيت ان اكون وصاحبي ذي فالون في تلك السفارة لنشاهد ذلك الرجل الشهم والقائد البطل ونسل سيوفنا في خدمة انكلترا قال نعم فقد رأيتكما مع موردون قال ولقد كنا حفافيه فهو والله بطل امين على خدمة انكلترا

ارأيت كيف انه قتل عمه قال وهل تعرف هذا الفتى قال اني وصاحبي ذي فالون من اعز اصدقائه فهو الذي اتى بنا من فرنسا بعد ان كنا في خدمة الملك نلعب ونشرب فتشهد الضابط وقل هنيئاً لكم انتم الفرنسيين فانكم رجال لهو ولعب قال افلا تصنعون انتم مثل ذلك قال لا قال اذن انتم تضجرون وانا الومكم على ذلك قال وما عسانا نصنع فانا نقضي ليلنا في الحراسة لا يغمض لنا جفن قال ولم لا تقامرون قال ليس ذلك من رغبتنا قال الا تلعبون بلعبة اللانسكته قال تلك أميتي فاني كنت العبها كل ليلة في فرنسا ولكني من يوم اتيت انكلترا لم ارها افلا تواقني على امر قال وما ذاك قال غداً اكون حارساً على الملك فتاتي ونلعب معاً قال هيات ذلك محال فان صاحبي ذي فالون يجب هذه اللعبة فلا يدعني افارقه بل تقضي الليل عليها قال فاصحبه اذن معك قال وما نفعل باسبيرينا قال تكلاان امر حراستهما الى خادميكما قال نخشى ان يفترآ وهما سيدان شريفان نأخذ فديتهما مالا كثيراً متى بلغنا بهما فرنسا اما الان فنحن تقامرهما على مالهما قل وهل هما ذوا بأس فضحك دارتانياان حتى استغرب وقال هما اضعف من النعاج قال اذن فاتيا بهما او كل بجنظهما اربعة من حراسي والاربعة الباقون يحرسون الملك قال اذا كان ذلك فقد رضيت بحكمك ولكن ألا تأتي الليلة الينا فنلعب معاً قال حسن الليلة عندهم وغداً عند الملك و بعد غد عندي قال وسائر الليالي بعد ذلك نصرها في لندره والآن تاذن لي بان اذهب الى رفيقي ذي فالون فهو يناديني ثم حياه وانحاز الى الجهة الاخرى فقال له بورتوس كيف كنت تحدث هذا الرجل قال صه فهو من أقرب اصدقائي قال ويحك وكيف ذلك فقص عليهم امر اللعب واغترار الضابط به ثم اوصى احد الخدم ان يذهب الى دربي فيبتاع لهم نبيذاً كيف كان فعل وما اقبل المساء الا وهم في دربي فاخذوا فيها يتناً ثم جاء الضابط فقابله دارتانياان بالترحيب واقاموا يلعبون لعبهم ذلك حتى الصباح فودعهم الضابط وقال موعدنا الليلة عندي ثم سار القوم بالملك سحابة يومهم حتى امسوا في ريستون فجمع د رتانياان اصحابه وقال قد دنا الوقت يا قوم وسنخلص الملك الليلة فاجفل اتوس من الفرح وقال اظلك تمزح قال هو الجد الان يا اتوس ألم أعدكم اني ارى في خلاص الملك وقد رأيت رأياً وتمت الحيلة قالوا كيف ذلك قال الا تعلمون انا وعدنا الضابط كروسلوي على اللعب عنده الليلة في قاعة الملك

حيث يحرسه فناخذ انا وبورتوس سيفينا ونخفيان خنجر يكما تحت ثوبيكما ونحن الاربعة اكفاه لهؤلاء الثمانية من الحراس ومضى قلناهم نلبس الملك ثياب كروسلوي ويكون الخدم قد اعدوا لنا الخيل فنركب وقد خلصنا فكيف ترون فدنا اتوس منه ونظر اليه نظرة المتعجب وقال شهد الله يادارتانان انك خير من تحت السماء في جودة العقل وشدة البأس وكرم الاخلاق وانا اشهد انك خيرنا وافضلنا بارك الله فيك واحسن اليك قل اسمعوا لي الان متى اجتمعنا عند الضابط تكون علامتي لكم و اخيراً فمضى لفظها يضرب كل منكم اقرب الجند اليه فيقتله فيذهب بذلك منهم اربعة ثم نعطف على الاربعة الباقين فنقتلهم وقد خاص الملك وتم الامر قال اتوس ان ذلك لعظيم يا دارتانيان قال انجزع وانت رب المارك يا اتوس اما تقوم حياة الملك بثمانية من اذل جنوده قل صدقت ثم فتح الباب ودخل جندي من قبل كروسلوي يدعوم الى الموعد فقالوا واين ذلك قال في حجرة الاسير الظالم يريد الملك ثم خرج فاوصى الاربعة غلاتهم باسراج ثمانية افراس وانتظارهم على مقربة من مجلس الملك

الفصل التاسع والخمسون

لعبة الانسكينه

ولما كانت الساعة التاسعة مساءً مشى الحراس الاربعة الى البيت الذي فيه الملك بحراسة كروسلوي وكان دارتانيان وبورتوس يمشيان امام اسيريهما وهما بالسلاح والاسيران يتظاهران بالتذلل والاسار فقابلهم الضابط بالترحيب وادخلهم الى بيت على باب حرسيان من الثمانية فدخلوا الى حجرة لها باب الى حجرة الملك عليه حرسيان آخران وفي حجرة الملك الاربعة الباقون والباب بين الحجرتين مفتوح فرأى الرفاق الاربعة الملك على سريره بثيابه وخادمه يقرأ له في كتاب وامامه شمعة والملك يغمض عينيه حتى اذا ظن الخادم انه نام وامسك عن القراءة فتح الملك عينيه وقال اقرأ فانا سامع ولما دخل الحراس رأهم الملك ولكنه تظاهر بانه لم يعبأ بهم ودخل الضابط بضيوفه الى الحجرة الاخرى وفيها منضدة (طاولة) عليها الورق للعب فجلس الضابط وادار وجهه الى حجرة الملك بحيث يراه من بابها واجلس دارتانيان اتوس الى يمين الضابط

واراميس الى يساره وبورتوس الى جانبه ثم اخرج الذهب ووضعه على المنضدة المقامة
واخذوا يلعبون فبرقت اسارير الملك يبشرى النجاح والظفر واخذ الحراس الذين على
الابواب يدنون من اللاعبين للفرجة عليهم حتى دقت الساعة العاشرة فجعل دارتانيان
يقامر ويخسر حتى قال « واخيراً » فهض بورتوس ووضع يده على سيفه واهوى
الاسيران بيديهما على خنجرهما وهما بالضرب واذا بالباب قد انفتح وظهر منه هاريسون
يتبعه رجل ملتف بعباءة ووراها سثة من الجنود فدخلوا الى حجرة الملك وقال له
هاريسون يا شارل ستوار قد ورد لنا الامر باخذك الى لنديرا من غير ان تلوي بك على
شيء فتهياً للسفر الآن فقال الملك أمن قبل القائد كرومويل هذا الامر قال نعم وهذا
موردون آت به لينفذه فارتاع الحراس الاربعة لذلك الاسم وجمعوا ما على المنضدة من
الذهب والثمن موردون فرآهم فشق شهقة الفرح فقال دارتانيان قد اخذنا فقال
بورتوس رويدك فلم تؤخذ بعد فقال موردون ايها الكولونل أحط هذه الحجرة بالجند
فان هؤلاء الاربعة فرنسويون قد فروا من نيوكاسل ويريدون ان يخلصوا الملك فقال
دارتانيان وقد سل سيفه هيبات ان دون ذلك خرط القتاد ثم ابتدر الباب بسيفه ففرق
حفاظه وتبعه اصحابه بأسرع من البرق ولم يكد الحفاظ يرجعون الى انفسهم حتى صار
الاربعة في الطريق فقال موردون ارموم بالرصاص ففعلوا فخطأوا وكان الفرسان قد
ركبوا افراسهم وخرجوا بها خروج الودق من خلل السحاب في طريق ايكوسيا حتى
صاروا عند آخر بيت من المدينة فوق دارتانيان وقال ثرجلوا فان القوم سيبموننا في
طريق ايكوسيا فلتوار عنهم حتى يبروا بنا ثم قادوا خيولهم الى جسر نهر هنالك فوقفوا
تحتة ولم يمض عليهم قليل حتى سمعوا وقع حوافر الخيل تدنوا منهم ثم مرت بهم كوكبة
من الخيالة تركض افراسها ملء فروجها حتى اجتازتهم وهي تظن انهم ابعده من ان تنالهم
ولما بعدت الخيالة خرج الحراس بسيرون في طريق لنديرا فقال دارتانيان الاولى
ان نعود الى فرنسا فكيف ترى يا اتوس قال ارى اني اذكرك بعبارة قلتها امس من
انك تموت في انكلترا فيجب ان نحضر هذه الرواية الى آخرها قال اراميس صدقت
ولمنا نصادف موردون فنقتص منه فقال دارتانيان اذا كان موردون بغيتنا فانا والله
اقيم في انكلترا سنة اذا اقتضى الامر حتى ألقاه ولكن يجب ان نزل في لنديرا في فندق

حقيراً لا يهتدي البنا فيه احد فقال اتوس انا اجد لكم ذلك الفندق ثم تغير ثيابنا فلا يعرفنا احد ثم ساروا حتى وصلوا الى باب لندن فعارضهم الحفاظ فقال لهم اتوس بالانكليزية الفصحى نحن رسل الكولونل هاريسون نبشركم بقدم شارل اسيراً فتركهم الحفاظ فدخلوا حتى انتهى بهم اتوس الى فندق يعرف صاحبه من قديم فرحب الرجل بهم واتى لهم ثياب بسيطة كلباس الاكارين فلبسوها ثم قصوا شعورهم ليساواوا الشعب الانكليزي في هيئته حتى لم يعد احد يعرف الآخر فقالوا لهم اذن لنرى دخول الملك الى لندن فانه على وشك الوصول اليها ثم خرجوا واختلطوا بالشعب وهو يهلل ويكبر لقرب وصول شارل اسيراً ثم دخل الملك في مركبة حفافاها هاريسون وموردون والشعب يجرق الأرم لمرآها ويبرر بما لا يفهمه انس ولا جان فعاد الرفاق الاربعة وقال دارتانيان اننا نحاول المحال في خلاص الملك من بين هذا الشعب

وفي صباح اليوم الثاني شاع في المدينة ان الملك سيحاكم في البرلمان الاهلي في القد فقال اتوس لصاحب الفندق وهل يوجد برلمان غير اهلي وما الذي تعنون بالاهلي قال نعمي به الذي يكون رئيسه الكولونل بريدج فهو البرلمان الاهلي النائب عن الشعب وهو مؤلف من مائتين وواحد وخمسين عضواً ثم خرج الاربعة الى الشارع وهم يتوعدون موردون باشد العقاب



الفصل الستون المحاكمة

وفي اليوم التالي اخذ الملك شارل الاول الى المجلس الاعلى حيث يحاكم وحوله عدد كثير من الجنود يحيط بهم جم غفير من الاهالي حتى غصت بهم الطرق يكفكف بعضهم بعضاً من شدة الزحام فخرج الحراس الاربعة يتبعون الملك فضايق الجمع مقدمهم وحال بينهم وبين لحاق الملك فضر يوم حتى تفرقوا من امامهم فمشوا يشقون جماهير الناس بقوة ايديهم حتى تبعوا الملك الى قاعة المجلس ودخلوا وراءه وجلسوا على مقعد لدى الباب قبالة كرسي الملك وكانت القاعة مملوءة بالمقاعد على شكل دائرة في درج والناس عليها كالبنيان المرصوص ولما كانت الساعة الحادية عشرة دخل الملك الى

القاعة بحفه الحفاظ وهو ينظر الى الناس نظرة مطمئنة كأنهم لا يزالون رعاياه فامره
رئيس القضاة أن ينزع قبته جرياً على عادة الخصم في القضاء فلم يلتفت الملك الى قوله
وجلس على كرسيه وهو يضرب حذاءه بمخصرة في يده كأنه غير مكترث ووقف بري
خادمه وراه ثم دخل نحو الستين من الحراس يتقدمهم ضابط شاهر سيفه فحاطوا
بالمك فقال دارتانيان هذا موردون يا قوم فخذوا حذرکم ثم بدأ القاضي يذكر اسماء
القضاة واكثرهم كان غائباً خوفاً من تلك المحاكاة الهائلة فقال اتوس لدارتانيان اظنهم
لا يحاكونه اليوم لنقص عدد القضاة واذا بالرئيس قد خيب ظن اتوس وافتتح الجلسة
فاخذ يعدد انواع الشكرى على الملك واصناف مظلالمه وخباثته بلفظ قبيح حتى هاج
اتوس اشد الهياج وصعد الدم الى وجهه حتى كاد يخفه لما سمع من شتم الملك واهاته
ثم ختم القاضي كلامه بان قال تلك شكايئنا على الملك تقدمها بلسان الشعب الانكليزي
واذا بصوت من وراء الناس يفلق الحجر يقول كذبت يا فاسق فان اكثر الشعب يخالف
ما قلت وكان ذلك صوت اتوس فانه لم يمد فيه مجال للصبر والسكون فنهض يزبد
ويرعد والشرر يتطاير من عينيه وقال ما قال فمالت اليه اعناق الناس حتى لم يبق عين
في ذلك الجمع الا نظرت اليه ومن جملتهم موردون فلما رأى الرفاق الاربعة برقت
اساريه ابتهاجاً بالظفر وقال للجنود ارموهم بالرصاص الا ان دارتانيان كان اخف من
النسيم فاحتمل اتوس وزجه من الباب وتبعه رفيقاه وتغلغلوا في ذلك الجمع كأنهم جمال
نشطت من عقلها فلم يجسر احد ان يقف في وجوههم اما الملك فغطى عينه بيديه حتى
لا يراهم يقتلون قسبهم موردون وهو لا يكاد يعي وسيفه مشهور في يده ففتش بين
الناس فلم يقف لهم على اثر فماد وهو يهدر كالاسد افلتت فريسته واستمر الجمع على اثر
ذلك برهة في ضجيج وحركة ثم هدأ فقال القاضي للملك بم نجيب على ما شكرك به
فنهض وقال اطلب اليكم قبل أن اجيبكم ان نجيبوني اتم فلقد كنت مطلقاً في نيوكاسل
وعقدت عهدة مع المجلسين فحفظتها وعبثتم بها اذ ابتموني من الايكوسيين بالثمن
البخس لا ان ذلك لا يمنع من ان اكون ملككم وما دمت كذلك فانا غير ملجأ الى
ان اجيبكم الا اذا كان لكم حق في سؤالي فاني اذا اجبتكم فقد اعترفت بكم قضاة لي
وانا لا اراكم الا قوماً قتلة ثم اجال نظره في الشعب وجلس وهو يقول من لي بالاربعة

الفرنسويين برون كيف ان صديقهم شارل يجب ان يدافع عنه اذا كان حياً وان يبكي عليه دماء اذا مات فقال له القاضي الرئيس لا بأس ايها الملك فقد صدر عليك الحكم وان لم تجب فانك منهم بالخيانة والقتل وشهودك يقسمون على ذلك وفي الجلسة الآتية تم الامر فقم الآن واذهب فقام الملك والتفت الى خادمه فرآه اصفر الوجه مضطرب الاعضاء والعرق يسيل من جبينه فقال له مالك يا بري على هذه الحال فقال الخادم والدموع تجول في عينيه بالله عليك يا سيدي اذا خرجت فلا تنظر الى شمالك قال ولم لا التفت يا بري وماذا هناك قال التمس منك يا مولاي ان لا تلتفت فانهم واضعون لك قاس القضاء فلا تنظر اليها بحياة رأسك قال لثام والله ابحسبونني مثلهم اخاف من الموت ولقد احسنت يا بري اذا استلفت نظري اليها ثم خرج يذبم الحراس فلما خرج من الباب التفت الى يساره فرأى منضدة عليها قاس الجلاد مصقولة تبهر البصر فضربها بمخصرته كمن يعبث وتبسم وقال يظن واضعوك اني اخاف كلهم لا يعلمون كيف تكون النبلاء فكذب فالهم والله فاني لا اخافك وها انا اضربك الآن بمخصرتي لتنتقمي مني غداً بحمدك ثم استمر في مسيره كأنه لم ير آلة ستقطع رأسه وقال لبري يحسبني الجبناء اني من بعض العامة ولا يعلمون اني نبيل اعتاد نظري على بريق السلاح ثم بلغ باب الدار واذا الشعب صفان امامه كلهم النمل في الكثرة فتهد وقال ما اكثر الاعداء واقل الاصدقاء واذا بصوت وراه يقول السلام على الملك الساقط فالتفت شارل فرأى احد اجناده القداماء يحياه ولكنه لم يتم سلامه حتى سقط الرجل تحت ضربات السيوف من الشعب فقال الملك هذا شهيد لي رحمه الله ثم استمر في مسيره بين صفوف الناس واذا في آخرهم رجل التفت الى الملك وبصق في وجهه فضج له الشعب بالاستحسان فسح الملك وجهه بصبر وسكون وكان اتوس واصحابه واقفين في آخريات الناس فلما رأى ما حل بالملك اهوي بيده الى قبضة خنجره واوقفه دارتانياً وقال اصبر ثم اخذه وتبعها رفيقهما حتى وقف بهم وراء الرجل الذي بصق وهو يضحك مسروراً مما صنع بالملك فلما ابد شارل عاد الرجل الى المدينة فبعه الاربعة حتى ابعد عن الناس ودنا من جدول هناك فلقوه وقال دارتانياً لاتوس انت تعرف الانكليزية فقل لهذا الرجل ما اقول لك د انك رجل سفیه اهنت رجلاً

لا مدافع له وذنست وجهه مليكك فانت تموت ، ثم تقدم الى الرجل فامسكه واعاد عليه الجملة فارتعد واضطرب ومد اراميس يده الى قبضة سيفه فقال له دارتانياان دع السيف فانه للكرام وتقدم يا بورتوس فاقله بيدك فرفع بورتوس زناداً كزند الاسد وضرب الرجل بجمع كفه على رأسه فسحق جمجمته فسقط كما يسقط البعير وهو ينجبط بدمائه وسار الاربعة وقد شفوا غليلهم

الفصل الحادي والستون

قصر القاعة البيضاء

وكان البرلمان قد حكم على الملك شارل الاول بالموت كما كانت يتوقع من حكمه وشاع الخبر حتى بلغ الحراس الاربعة فاسفوا اسفاً شديداً ووجدوا لذلك اشد الحزن واخذ دارتانياان على نفسه ان يسعى في حيلة جديدة عساه يخلص بها الملك ورأى انه لا ينهياً له ذلك الا بانفساح الوقت وهو ما لا يتم له الا بابعاد سيف لندره تأخيراً لساعة القضاء حتى يسعى الشعب في استجلاب سيف مدينة اخرى فيطول لهم وقت التدبير لا اقل من يوم وبه كفاية في مثل تلك الحال وكان الذي ينقصه في الامر ان يرى سبيلاً يعلم فيه الملك بالسمي في خلاصه ليساعدهم في تأخير القضاء وكان شارل قد طلب ان يوتمى له بالمطران جكسون ليعزيه في مصابه ويسهل عليه شدة الموت في القصر الذي انزل فيه وهو قصر القاعة البيضاء فأتى موردون الى ذلك المطران ودعاه بامر كرومويل الى زيارة شارل في ذلك المساء فاتخذ اراميس على نفسه ان يتمس من المطران ان يسمح له بالذهاب بدلاً عنه مرتدياً بثيابه وتعهد اتوس بانه يسهل للملك سبيل الخروج من انكلترا على اثر خلاصه فاجتمعوا في فندقهم وتداولوا في امرهم ووكلوا لكل منهم امراً فسار في اتمامه

وكان قصر القاعة البيضاء محاطاً بثلاث فرق من الخيالة يجرسونه بكل حفظ وتحرس والملك جالساً في احدى حجراته وامامه شمعتان وهو يتأمل في ماضي حياته وفي ما صار اليه امره من قرب ملاقة الموت وخادمه بري جالساً الى جانبه يبكي احربكاء اسفاً على مولاه وكانت تلك الليلة حالكة الظلام تزيد قلب الملك رهبة وهيبة وهو ملق رأسه

بين يديه يذكر الموت ويتهياً له حتى فتح باب الحجره وظهر منه جنديان في يديهما مشعلان ثم دخل المطران جكسون وخرج الرجلان واقفلا الباب فقام الملك وقال اهلاً بك ايها العزيز جكسون فلقد اتيت في حين الحاجة اليك فنظر المطران الى بري في زاوية الحجره وجعل يتأمله مرتاباً فقال له الملك كفي بكاء يا بري فقد نظر الله الينا فقال المطران اذا كان هذا بري فلا خوف عليّ فقد ظننته رجلاً آخر والآن يسمح لي الملك بان أخبره من انا وما اتى بي فلما تحقق الملك صوته كاد يصيح من الفرح فوضع المطران يده على فيه وهو يقول هذا انت ايها الفارس فقال اراميس نعم انا المطران جكسون خادم الله الامين فقال الملك وقد زاد به الدهش والحيرة كيف وصلت اليّ اما تدري انهم اذا احسوا بك قتلوك قال دعني وشأني يا مولاي وانظر في شأن نفسك فهو الالم فان اصحابك الفرنسيين ساهرون على خلاصك وانا اخدم اظهر لك ذلك واوصيك بان لا تغفل في الليل وانته لاقبل حركة وكن مستعداً قال ألا تعلم ان الزمن قصير فان كان لكم شأن فاسرعوا فيه فاني غداً تضرب عنقي في الساعة العاشرة قال ولكن نسعى أطول الله بقاء الملك في امر يؤخر ساعة القتل وفي تلك الدقيقة سمع صوت خشب ينهال تحت النافذة فقال الملك اسمع قل ما هذا قل انهم يحضرون الاخشاب لبناء منبر القضاء لي حيث يضرب رأسي على مرأى من الشعب وسأخرج لذلك من هذه النافذة وقد قضي الامر فلا تعبوا ودعوني اموت قال انهم قادرون على بناء المنبر ولكنهم لا يقدرون ان يجدوا سيقاً لانا سعينا في ابعاد السيف حتى نؤخر الحكم الي ما بعد غد وفي ذلك كفاية اذ نخلصك في مساء الغد فقال الملك وقد انار السرور وجهه بالله كيف يكون ذلك قال انا مثلك يا مولاي لا ادري سوى أن احدنا بل اوجدنا واشجعنا قال لي ان انقل اليك انا غداً في الساعة العاشرة من المساء نخلصك قال ومن هذا منكم قال دارتانيان وهو الذي حاول خلاصك من يد حراسك لو لم يدخل علينا هارينسون والآن فاسمع يا مولاي ما اقول انا لا نفعل عن خلاصك ساعة فلا تغفل انت عن شيء قال لا اقدر والله أن اجد الفاظاً تفي حق شكري لك ايها الفارس البطل فانتم اذا اتقذتموني لا تنقذون ملكاً فان الملك لم يعد بالشيء العظيم بل اباً لابنائه وبعلاً لامرأته ثم مد يده وعانقه واذا بالباب قد فتح ودخل رجل من غير اذن فابتعد الملك عن

اراميس وقال له ماذا تريد أيها الرجل قال اريد أن أرى إذا كان اعترافك قد انتهى
قال وما يهملك من امر اعترافي وأنت من دين وأنا من دين قال ذلك لا يمنع من ان
آتي اليك واعزيك فان الناس اخوان فهمس اراميس في اذن الملك ان داره فهو
جاسوس فقال الملك بعد أن ينتهي امري مع سيدي المطران تدخل انت فاخرج الان
فخرج واقتل الباب فقال الملك لاراميس لقد رايتي دخول هذا الرجل فاذا خرجت
فاحرص على أن تستر امرك والا اصابك مكروه قال لا تخف علي يا مولاي فانا لا بس
تحت هذا الثوب درعاً ومقلد خنجراً قال اذن فاذهب مصحوباً بالسلامة بارك الله
فيكم جميعاً فخرج وهو يارك الحراس في الدار وهم ينحنون امامه حتى بلغ مركبته
فركبها وسار الى دار المطرنة وكان المطران جكسون ينتظره على احر من الجمر فلما رآه
قال له ماذا صنعت قال تم الامر وتبها النجاح باذن الله فلم يشك بي أحد انك انت
فشكره المطران ورد اليه ثيابه فلبسها وخرج واذا برجل يتبعه في الشارع فتخوف منه
ووقف ووضع يده على قبضة خنجره فدنا منه الرجل واذا به يورتوس فقال هذا انت
قال نعم وقد كانت بعثتي ان اخفرك فخرتك ونجحت وأنت فماذا فعلت هل رأيت
الملك قال نعم وتم الامر فابن صاحبانا الآن قال في الفندق فلنسرع اليها حيث تواعدنا
على الاجتماع في الساعة الحادية عشر وقد دنا الميعاد ثم مشيا فبلغا الفندق اولاً ثم اقبل
اتوس وقال نبحج الامر فقد استأجرت فلكاً خفيفاً يسبق الطير وهو ينتظرنا في كرينويش
بقرب جزيرة الكلاب وفيه ربان وأربعة ملاحين وقد دفعت اجرته خمسة دنانير ثلاث
ليال سوياً فمتى صار الملك في ايدينا نركب هذا الملك فيقطع بنا نهر التاميز الى البحر
فلنسدد مقدمه الى بولونيا واذا لم يفسح الله في أجلي وقتلت فاعلمنا أن الربان يدعى
روجر والفلك البرق وعلامة التعارف بيننا وبينه منديل ايض معقودة اطرافه الاربعة
وما أتم كلامه حتى دخل دار تانان وقال افرغوا لي جيوبكم فقد نفذ مني المال فاعطوه
ما معهم فاخذوه وخرج ثم عاد بعد قليل وقال قضي الامر فقد اتممت على السياف قالوا
وهل خرج من لندره قال ذلك لم أثق به منه فلا يبعد أن يخرج من باب ثم يدخل من
باب آخر واكني مسجته في سرداب الفندق وأقت عليه موسكتون حارساً ولكنه لم يرض
معي بالاسار حتى تقدمته اثني عشر الف دينار فقال اتوس واني لك هذا المقدار قال

بعت خاتم الملكة ثم استعنت يباقي ثمنه فتواطت مع الفعلة في منبر القضاء وهم اربعة على ان تاخذ اما كنهم وتلبس ثيابهم ونعمل مكانهم تحت نافذة الملك وهناك نرى رأينا فلم يكده الثلاثة يصدقون ما يسمعون من شدة الطرب وغرابة الاتفاق ثم لبسوا ثياب الفعلة واخذ كل منهم مطرقة ومفراطاً (ازميلاً) ومسامير وذهبوا تحت الليل ليشتغلوا بالمنبر

الفصل الثاني والستون

الفعلة

ولما كان نصف الليل وقد تمدد الملك على سريره بئيا به يريد النوم سمع جلبة تحت النافذة من طرق المطارق والفؤوس فكدروا عليه ليله فوق ككدره فأرسل بري يسأل الفعلة السكون فخرج فرأى تحت النافذة منبراً من خشب بالغاً اعلاه طاقة النافذة يعمل به جماعة وعلى مقربة منهم اثنان يحفران في الجدار بمفراط فتقدم اليهم بري وقال ألا تكرمون بان تعملوا على مهل فان الملك يريد ان ينام فلما رآه العملة اخنوا رؤوسهم حتى لا يعرفهم وقال له احدم ذهب وقل للملك انه اذا لم يقدر ان ينام الليلة فسينام غداً مستريحاً فعرف الخادم الصوت والوجوه فعاد مسروراً من ذلك الجواب فقال للملك اتدري من العملة قال لا قال الكونت دي لافيرورفاقه قال وينصبون لي المنبر قال لا ولكنهم يتقبون الجدار فسر الملك لذلك وصار صوت المطارق في اذنه اطيب من قر الاوتار . وكان اتوس يتقب الحائط تحت النافذة الى جانب المنبر ليدخل منه ويرفع بلاط السقف من غرفة الملك فيجد الملك سبيلاً للنزول من ذلك الثقب حتى اذا صار بينهم البسوه ثياب فعلة مثلهم وساروا به تحت ظلام الليل

وما زال اتوس يجهد نفسه في العمل حتى صار الثقب كافياً لولوج رجل منه واسدل عليه دارتانيان من جانب المنبر ستاراً يخفيه عن اعين الناس وكانت الصبح قد برق صارمه على الافق فدخل اتوس من الثقب بمفراص ومعه ثياب فاعل وذهب دارتانيان وبورتوس لاتمام شأنهما من معدات الفرار وذهب اراميس الى جكسون ليسعى في الدخول معه على الملك فهد على اتوس في ثقبه فقال اما ذاهب فقال اذا رأيت الملك فقل له ان يضرب البلاطة متى خلا بنفسه فاني اكون هناك واذا كان لديه حرسى

فاقتله انت وان كان اثنان فتعاون انت وبري وان كان ثلاثة فاقتلهم ولو قتلت معهم بشرط ان يخلص الملك وقل له انت لا يعاونك اذا ضربت بل يشتغل بالفرار ثم لا تدع احداً يرى الثقب الذي ينزل منه واستره بجسمك حتى تموت اذا اقتضى الامر قال اذن فودعني فلم يلا اراك بعدها فعاقه اوس عناقى الفراق وانصرف فاعد الخيل في الطريق واستوصى بالسياف والتحفظ عليه ثم سار الى جكسون فعرض عليه انه يريد ان يدخل معه على الملك فرضي والبسه ثياب راهب وركب المركبة واياه حتى دخلا على الملك فتهلل لدى رؤية اراميس فقال له الفارس ابشريا مولاي فقد نجوت لانا اخينا حياف لندره فهم لا يصلون الى جلاد الا غداً قال وابن الكونت دي لافير قال على مقربة منك فاقزع هذه البلاطة ثلاثاً يجيك فاقزع الملك فاجيب بمثلها فقال هو هذا قال نعم يا مولاي فهو يهين طريقك قدامك فتى رفع لك بري هذه البلاطة فقد وجدت السبيل فقال الخادم وكيف ارضها ولا آلة معي فاعطاه اراميس خنجراً وقال ترفها به ولكن احرص عليه لا ينكسر فقد نحتاج اليه للدفاع فالتفت الملك الى جكسون وقال اصرف حياتك يا سيدي في الصلاة لهذا الذي امامك والذي تحتنا واثنين آخرين يهيشان طريقنا للفرار وبينما اوس يبالغ بالبلاطة من تحت وقد قارب ان يفصلها ويعطي العلامة سمعت جلبة في الدار ثم دخل احد اعضاء البرلمان فقال الملك في نفسه قطعت جبهة قول كل خطيب والله حسبي واليه ائيب ثم قال للرجل ايكون القضاء اليوم قال نعم والآن قل اذن سيقتلني سياف لندره قال لا فان سياف لندره قد غاب فلم ندر له مقراً الا ان استعضنا عنه برجل عرض نفسه لذلك فانت ذو مهلة الا ان الى ان تعترف وتوصي فسال عرق الملك على وجهه واصفر وجه اراميس حتى كاد يسقط لو لم يتكى على المنضدة فربح له الملك حتى نسي حزنه وقال للرجل لا اريد منك شيئاً سوى انت اتناول ثم ارى ولدي واودعها ايسمع لي بذلك قال نعم وخرج فصاح اراميس ابن الله ابن الله فقال الملك حاضر يا بني ولكنه كذلك يريد وقد قضى علي بالموت فلا مفر لي منه حتى سد علي جميع سبلي للخلاص فلا اله الا هو يفعل ما يشاء كما يشاء ثم ركع لدى المطران واخذ بالاعتراف وكانت الساحة قد غصت بالناس والجنود حول القصر وفي حديثه حتى صار يتعذر على الطير ان يمر من بينهم وذلك لم

يكن لاحد في حساب ولم يكن الحراس يتوقعون ان يهبط في لندره سياف آخر من السماء يحول دون اتقاذ الملك ويقرب مقتله

الفصل الثالث والستون

تذكر

ولما اتم الملك اعترافه تناول القربان المقدس وطلب ان يوثق له بولديه وكانت الساعة العاشرة قد دقت عندئذ فوصل الولدان وهما الاميرة كارلوتا والدوق دي كلوستر وكانت الاميرة فتاة صغيرة جميلة الوجه زرقاء العينين والدوق غلاماً لا يتجاوز التاسعة من عمره وعلى وجهه آثار البكاء لانه قضى ليك يبكي الا انه لما ظهر لدى الشعب كفكف دمه ونجدد فلما رآها شارل شعر بان قلبه يذوب حزناً واسفاً لنظرة اياها بعد عامين من الاقطاع نظرة لا يراها بعدها ابداً فجلت الدموع في عينيه فادار رأسه ومسحها حتى لا يزيد حزنهما ثم اخذ الفتاة قبليها واوصاها بامها واخيها خيراً وبعد ذلك اخذ الصبي على ركبته وقبله وقال له قد رأيت يا بني هذا الشعب المزدهم في طريقك وحول هذا البيت الذي انا فيه فاعلم ان هؤلاء القوم سيضربون رأس ابيك فاذا كر ذلك ولا تنسه حتى اذا نشأت وصرت شابا ومشوا اليك يريدون ان يضعوك ملكاً عليهم في غياب اخويك الامير دي غال الذي هو في فرنسا والامير ديورك الذي لا اعرف مقره فاياك ان تجيبهم الى ما يطلبون فان الملك ليس لك بل لاخيك الاكبر فاقسم لي انك تجاذبهم يدك اذا بايعوك فقال الصبي اقسم لجلالتك يا مولاي فقاطعه الملك وقال قل يا ابي فقال اقسم لك يا ابي ان القتل اقرب الي من القبول بالملك قال اذن فعاتقاني يا ولدي واذكر ان بعد موتي فاعول الولدان وتناحا حتى رق لها كل من حضر فقال الملك خذها عني يا جكسون فان دموعها تنزع مني الشجاعة على الموت

فلما خرج الصبيان وفتح الباب دخل الناس الى غرفة الملك فخالطهم الحراس وكان شارل عالماً ان اوس تحت وانه لا يدري بما تغير من الاحوال وما حال دون الامال من عوائق الشوم وسوء النكد وصار يخشى ان تبدو منه حركة فيقتل قصير وسكن اما

اتوس فلما اعياه الامر وطال عليه الزمن ولم ير من الملك علامة نزل من حيث هو ودخل تحت المنبر من ذلك الثقب فرأى الناس كالجراد المنتشر بين عامة وجند وفرسان ورأى بينهم دارتانيان فغار في امره ولم يدرك هذا الانقلاب وظن ان دارتانيان افلتت السيف من محبسه وفيما هو كذلك ضج الشعب ورفع نظاره الى نافذة الملك ثم سمع اتوس خفق اقدام فوقه على ظهر المنبر ثم تلاه صوت الملك يقول ايها الكولونيل اريد ان اكلم الشعب فاقشعر اتوس من رأسه الى قدمه واضطربت فرائضه لانه عرف صوت الملك الذي بعد ان اصاب قليلاً من الطعام والخمر خرج من النافذة الى المنبر فرأى عليه رجلاً مقنعاً يحمل فاس القضاء في يده ثم وضعها على وضه هناك معد ليضع الملك رأسه عليه عند ما يضرب عنقه بالفاس ولم يكن احد من الناس يعرف من هذا السيف ولا اي الناس هو ولما طلب الملك الكلام انصت الشعب فجعل يخطب فيهم بحسن السيرة والحرص على خير المملكة ورفعة شأن الدولة وفيما هو يخطب كان اتوس تحت منبره يقول ويلاه أفي يقظة انا أم في منام أيترك الله وصيه على الارض يقتل عسفاً وظلماً وآسفاً اذ لم اره ولم اودعه ولم يزل الملك يخطب بجأش ساكن ولهجة شديدة حتى انتهى والعرق يسيل على جبهة اتوس كالطرثوم نزع من عنقه الذخيرة التي بعثها له الملكة واعطاها للكاهن الذي كان مع جكسون ثم اتبعها بالصليب وقال للراهب قد حفظت هذه الذخائر الى الموت فخذها الآن الى صاحبها فقال الراهب نعم وكرامة يا مولاي فعرف اتوس منه صوت اراميس ثم نزع الملك قبعته وصدرته وطلب ثوب التفضل قلبه يهدو وسكون بصدع القلب حتى كاد الناس يظنون انه سينام في سريره لا في قبره ثم رفع شعره عن قماء وقال للسيف اذا كان شعري يعيقك فانا ارفعه بعصابتك ثم حدث الى كانه يريد ان يستشف وجهه من تحت القناع فاطرق السيف الى الارض وقال يكفي ان تفرق الشعر على العنق ففرقه الملك يده عن قذاله ونظر الى الوضوء وقال اظنها منخفضة اما يوجد اعلى منها قال لا فهي الوضوء المألوفة قال اتظن انك تقطع الرأس بضربة واحدة قال ارجو ذلك قال وانا اريد ان لا تاخذني اغتيالاً فاني احب ان اصلي قال ومتى اضرب قال متى وضعت رأسي على الوضوء وقلت لك تذكر فاضرب ولا تخش ارتعاشاً فانحنى السيف وتأخر والتفت الملك

الى من معه وقال الآن اريد ان افارق الدنيا واترككم في غمرات مصائبها فاستودعكم
الله ففتحوا عني فاني اريد ان اصلي وانت ايها السيف فلا تضرب الا عند العلامة
التي ذكرتها لك ثم ركم ورسم الصليب على وجهه واطرق برأسه على الوضوء وقال باللغة
الفرنسوية الفصحى يا كونت دي لاثير انت هنا فاجابه اتوس من تحت المنبر نعم
يا مولاي تكلم فبعيدك سامع قال ايها الرفيق الصديق والرجل الكريم قد حال الله دون
خلاصي ولا اعتراض في حكمه والآن فانا اشكو اليك بعد الله ضياع ملكي ودمي
واولادي بعدي فاعلم اني دفنت مليون دينار ذهباً في نفق قصر نيوكاسل فاذا رأيت
الضرورة تدعوك فانفقها في سبيل صلاح ابني الاكبر ولا تنس الآت قل لي
استودعك الله فقال اتوس استودعك الله ايها القديس الطاهر الشهيد ثم استوى الملك
ووضع رأسه على الوضوء وقال تذكر وما اتمها حتى سقط الملك جثة بلا رأس وثار الغبار
من خشب المنبر وستاره فرفع اتوس رأسه فقطرت على جبينه من سقف المنبر نقطة
حارة فركم لها مذعوراً ثم تبعا دم كثير ولبث اتوس ينظر اليه جامداً كأنه صنم وهو
يرى الشعب من خصائص اخشاب المنبر ينصرف حتى قل جمعهم فاخرج منديله وغمسه
بالدم ثم هتك ستار المنبر وخرج فاخطط بالناس وسار مسرعاً الى الفندق فوصله قبل
رفاقه ونظر في مرآة هناك فرأى على جبينه نضجة حمراء فمسحها بيده ونظر فاذا دم
الملك فسقط مفشياً عليه

الفصل الرابع والستون

الرجل المقنع

وكانت الساعة الرابعة من المساء وقد انسدل الليل وقرص البرد وكثر سقوط
الثلج فدخل اراميس الى الفندق فوجد اتوس مفشياً عليه فنبهه فافاق وقال ما نصنع به
وبجته المائر غاضب عليه قال نعم رحمه الله من ملك كريم شقي قال هل انت جريح
يا اتوس قال لا فهذا دم الملك فقد كنت تحت منبره حيث تركسوني قال وهل رأيت
كل شيء قال لا بل سمعت وانا اعوذ بالله من مثل هذه الساعة انظر اما شاب وأمي
قال فهل علمت انني لم افارقه قال نعم فقد سمعت صوتك عنده قال وهذه الدخائر قد

اعطانيها وهو يريد ان نرسلها الى الملكة قال هاتما وهذا مندبل فدرجها فيه ثم اخرج
المندبل المخضب بدم الملك وقال والآن فما فعلوا بالجثة قال امر كرومويل ان تدفن
بالاحتفال اللائق بالملك فوضعناها في نعش من الرصاص بعد ان حنطها الاطباء ودفناها
في مدفن البيعة قال وما يجدي الا كرام بعد الموت قال ذلك دليل على ان الملك يموت
والدولة لا تموت قال يا اسني عليه فما اظن يخلفه بطل مثله واذا بيورتوس قد دخل وهو
يقول صبراً يا اتوس فان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام قال
لقد ابطأت يا بورتوس قال نعم فقد رجعت وحال الشعب دوني بزحامه وهم يطربون
كأنهم عائدون من عرس فتوقعت غرة احدهم وقبضت على عنقه وضغطته حتى ظننت
انه مات ثم تركته وهو لا يقدر ان يتكلم وتغلغلت في الشعب حتى بلغت زقاقا تهت
فيه فلم اهتد حتى الآن قال واين دارتانيا ان ألم تره قال بلى ولكننا تفرقنا بازدهام الناس
ولم ادر كيف ذهب ولم يمض قليل حتى دخل دارتانيا ان يلهث من التعب وهو ملتف
بعباة ته فقالوا له اين كنت قال حيث كنتم ولكنني تعب جداً قال لا بأس فسنستريح
ونسافر في هذا المساء الى فرنسا قال اراك عجولاً يا سيدي الكونت قال وما عسانا نصنع
وقد قتل الملك قال لا يزال علينا شأن تقول به قبل ان تفارق انك لترا قول لا بل
نسافر قال ولكنني ابقي فمن شاء منكم فليبق معي فاني اريد ان اعرف هذا الرجل المقنع
الذي ضرب رأس الملك فصاح اتوس كيف قلت رجل مقنع وأي مقنع تعنون ألم تفتلوا
السياف من هنا قال دارتانيا ان لا بل لا يزال في محبسه ثم انعطف الى الباب ونادى
موسكوتون وقال له اطلق السياف فقد اتقضى الامر فقال اتوس ومن هو ذلك اللثم
الذي مد يده الى رأس الملك قال رجل مقنع قطع رأس الملك بضربة واحدة قال ألم
تر وجهه قال لا فقد كان مقنماً فقال بورتوس لقد اخطأت اذ لم اتبعه فقال دارتانيا ان
ولكنني تبعته ولم اغفل عنه قالوا وكيف ذلك قال لما كنت واقفاً بين الشعب قبالة الملك
جعلت اهتمامي في مراقبة السياف فبعد ان ضرب عنق شارل دخل الى حجرتة فقير
ثيابه والتف بعباة وخرج وكنت قد صادفت في الجمع كريمود والايكوسي الذي خلفناه
جريحاً في ذلك البيت فاوقمتها الى جانبي وانتظرنا حتى تفرق الشعب ونزل السياف
وسار فبعناه تنستر في الجدران وهو يسير ولا ينقطع التفاته كالمهرب الخائف ومازلنا

تبعه في ازقة لندره وشوارعها حتى انتهى الى بيت منفرد مظلم فاخرج مفتاحا وفتح بابه ثم التفت وراه فاستترنا فظن نفسه منفرداً فدخل فوضعت الايكوسي على باب وكريمود على باب آخر لليت وارصينهما يقتل الرجل اذا خرج ثم اتيت اليكم اقتسافر الآن يا اتوس قال لا والله حتى انتصف من هذا الظلوم ثم نهضوا فتقايروا سيوفهم وخرجوا يسرعون تحت ظلام الليل الخالك والثلاج المتناثر حتى بلغوا الباب المقيم عليه الايكوسي اخو بري فكلمه اتوس بالانكليزية فقال لم يخرج احد فوضع معه بورتوس وارانيس واخذ دارتانيان ونحول به الى الباب الآخر حيث كريمود فوجداه قائماً في زاوية الى جانب الباب فاستترا معه واذا برجل قد فتح الباب ودخل ولم يمض قليل حتى ظهر نور ضعيف في احدى الحجر فذهب دارتانيان ونادي الثلاثة من الجانب الآخر فاتوا فصعد كريمود حتى بلغ النافذة ونظر ثم مد يده وقد فتح فيها اصبعين فقالوا له تكلم ألا تدري انها ليلة اذا مد الانسان فيها يده لم يكذب يراها فقال بصوت منخفض يوجد اثنان احدهما مقبل بوجهه نحوي والآخر مدير جالس قبالة قالوا ومن الذي الى وجهك قال القائد اوليفيه كرومويل وهذا جليسه يلتفت فهو ويلاه يا مولاي موردون فصاح الاربعة صيحة الفرح واجفل اتوس فوضع يده على جبينه وقال شو ثم وويل

الفصل الخامس والستون

بيت كرومويل

وكان السيف المقنع الذي تبعه دارتانيان من غير ان يعرفه هو موردون فلما دخل الى البيت نزع قناعه وصعد الى حجرة منارة بسراج وجلس قبالة رجل فيها يكتب وكان الرجل كرومويل وله في لندرا عدة منازل مجهولة كذلك المنزل لا يعرف بها الا اصدقاءه الاخصاء مثل موردون فلما دخل عليه الفتى رفع رأسه وقال هذا انت يا موردون لقد ابطأت قال أردت ان احضر الامر الى آخره فتأخرت حتى ارى سقوط اعدائك فهل كنت في قصر القاعة البيضاء قال لا قال وهل بلغت تفاصيل الحادثة قال لا يلغني منها شيء لاني هنا من الصباح ولكن عرفت انه كان في الامر دسيسة لتخليص الملك قام بها اربعة رجال فعلة بقصد ان يخلصوا بالملك الى كرينويز حيث

ينتظرهم فلك هناك قال تعلم هذا يا مولاي وتلبث هنا ساكناً بلا عمل قال اما ساكن
فعم ولكن من قال لك بلا عمل قال فلومت الدسيسة قال ذلك ما كنت ارغبه قال
كنت احسب انك ترى موت شارل الاول احساناً لانك لترا قال لا يزال لك رأيي
ولكن ارى ان الملك كان يوشر ان يموت على غير النطع قال وكيف ذلك قال لانه محال
ان يفر فقد اخذت عليه ابواب الهرب قال وهل تعرف الرجال الاربعة الذين حاولوا
خلاصه قال نعم وهم الذين ارسلهم مازارين والملكة هنريت ولا يبعدان يكون مازارين
اوصاهم بذلك قال كنت وهبتي يا مولاي الاثني منهم اللذين ساعدوا الملك في حربه
والآن اذ قد قاموا بدسيسة على انك لترا انه يني اياهم جميعاً قال هم لك ولكن فلنعد الى
امر شارل فهل صاح الشعب عند موته قال قليلاً الا من كان يقول ليحيي كرومويل قال
واين كنت واقفاً قال في مكان اسمع منه وأرى كل ما يجري قال يظهر لي ان السيف
قام بفعله خير قيام فقد قيل لي انه ضرب العنق ضربة ماهر فقطعها لاول دفعة قال نعم
يا مولاي فقد كفت معه ضربة واحدة قال اخذه رجلاً ماهراً في هذا الفن قال ان
هيته لا تدل على انه سيف قال وأي رجل غير السيف يقدم على مثل هذا العمل
قال لا يبعد ان يكون احد اعداء الملك قد اقسم بالانتقام منه فانتقم أو احد النبلاء
المصيب في كرهه للملك علم بفراره فحال دونه فهل تعاقبه اذا عرفته قال ليس ذلك من
شأني بل من شأن الله قال واذا كنت تعرفه قال لا اعرفه ولا اريد ان اعرفه وسيان
هندي عرفانه وعدمه فما دام شارل قد حكم عليه بالموت فكأننا من كان ضاربه فليس
قاتله الا الفاس قال ألا تدري يا مولاي انه لولا هذا الرجل لخلص شارل كما قلت قال
نعم ولكن يخلص به رجاله الاربعة الى فلك عليه اربعة رجال وخمسة صناديق من
البارود فتى نزل به رجاله الى الفلك تعلم ما يكون وعند ذلك ينوب القضاء عن الفاس
فان شارل لا يقدر ان يهرب وحتفه طالبه ونحن قضاته ولذلك لم اكن ارى للرجل
المتنع فضلاً فيما فعل والآن اذ قد تم الامر تذهب الى فلك يدعى البرق وعلامتك
معه مندبل معقود الاطراف فتأتي بالبارود منه الا اذا كنت محتاجاً اليه فافعل به ما
تشاء ثم قام قائل بمبائه فقال له الفتى اذاهب انت قال نعم قال اذن انا مطلق في
هذا الليل قل وفي غد اذا اقتضى الامر فهل انت مسلح قال نعم معي سبني قال ألا

ينتظر ك احد على الباب قال لا قال اذن فاخرج معي قال لا يا مولاي فلن مسيرك تحت الارض يطول وقته وانا رجل عجول احب ان اخرج من الباب الآخر قال شأنك ثم ضغط يده على زر في الجدار فانفتح فيه باب لا يكاد يظهر للعين يؤدي الى نفق تحت الارض يسار فيه الى غار في حديقة البيت الآخر وكان كريمود قد سمع آخر المحادثة فقط فاخبرهم ان الفتى وحده فقال بورتوس ندخل عليه فقال دارتانيان لا بل نتظره على الباب ثم ندخله فنحنا كما حاكنا امه . ثم طفي السراج فانقسم الاربعة بخدمهم على البابين واذا بموردون قد فتح الباب وخرج فصادف دارتانيان في وجهه فاراد ان يرجع ويقفل الباب فحال بورتوس بينه وبينه فوقف الفتى جامداً لا يصرخ ولا يستغيث فتقدم اليه دارتانيان ودفعه الى داخل البيت وتبعه اصحابه فانلروا الحجرة واقتلوا الباب وقال دارتانيان لموردون تفضل واجلس ثم جلس الى جانبه اما اتوس فاخذ كرسيًا الى زاوية الحجرة وجلس كئيباً كأنه لا يريد ان يدخل في الامر وجلس بورتوس واراميس حفاقي دارتانيان فقال للفتى لقد طال بحث كل منا عن رفيقه حتى اسعدنا الدهر بالاجتماع فلتحدث اذا شئت

الفصل السادس والستون

الحديث ذو شجون

فلما استقر بهم المقام قال دارتانيان لموردون ما اشبهك بابي براقش يا موردون وسرعان ما غيرت ثيابك فلقد كنت من هنيهة بلباس القتلة قال نعم وقد صرت الآن بلباس المقتولين قال ما كنت اظن ان رجلاً مثلك سيفه الى جنبه يقول ذلك قال مها يكن سني صارماً فهو لا يعدل اربعة سيوف وخناجر فضلاً عن سلاح خدمكم الواقفين لدى الباب قال لا تخف فنحن قوم منصفون ولكن انت مخبري كيف هان عليك ان تنزع ذلك القناع وتترك تلك الفاس التي ضربت بها ضربة رققت لها عجائز انكلترا قال لاني ذكرت امركم في ارماتتير وعلمت ان فاسي لا تقاوم اربع فؤوس في ايدي اربعة جلادين فقال دارتانيان وقد اخذه الغضب انك لم تناسب بين ذكر ارماتتير وحادثة اليوم يا موردون فان امك امرأة لم تكن تقدر ان نعطيها سيفاً وبارزها اما انت

فشاب فارس ذو سيف قاطع يمكن ان يعرض عليك البراز قال اذن هو البراز تطلبونه
مني ثم وقف كمن يستعد للقتال فوقف له بورتوس فقال لهما دارتانيان اجلسا فان في
الامر مهلة بعد ثم ألم يكن من قصدك يا موردون ان تقتلنا نحن الاربعة قال نعم قال وانا
اقول لك ان هؤلاء الفرسان يريدون ان يقتلوك ولكن قتلاً شريفاً يليق بالاشراف
امثالهم وذلك برهاننا ثم نهض وازاح كرسيه حتى وسع الحلقة وقال انا رهين امرك
يا سيدي وان يكن سيفي اقصر من سيفك ولكنه يتصل بيدي فيطول فقال بورتوس
علي برازه فتقدم اراميس وقال خليا بيني وبينه اما اتوس فلم يتحرك من مكانه كانه
صم فقال لهما دارتانيان انا البادي بالامر وانا الذي اتمه فاجلسا مكانكما كاتوس فقد
امرت وكانت تلك اول مرة قال فيها دارتانيان لاصحابه قد امرت فتأخر بورتوس الى
الوراء وتأبط اراميس سيفه مسلولا فقال له دارتانيان رد سيفك يا اراميس الى عنقه
لثلا يظن بنا موردون السوء والخيانة ثم التفت الى الفتى فقال انا لك قال ولكن ياسيدي
اعجب منك كيف اخترت نفسك من بين اصحابك مع ان لي الحق فيما اظن ان
اختر من يقتلني فاني لا انكر اني اُمتكم جميعاً ولكن المقت متفاوت فاريد ان ابدأ بكم
على حسب درجاته فان سمحتم لي فقد انصتتم والا فلا امد لكم نصلاً حتى تقتلوني بغير
دفاع فقال اراميس وبورتوس وقد ظن كل منهما انه يختاره لقد انصف الفتى والله قال
اذن فاختر ان ابدأ من بينكم الكونت دي لا فير المسعى باتوس قهض اتوس اليه وقال
كل براز بيني وبينك محظور يا موردون فانظر لنفسك قاتلاً غيري ثم جلس فقال
موردون ذلك اول رجل خاف مني فصاح به دارتانيان اخساً ويحك من قال ان اتوس
يخاف فقال اتوس دعه يقول يا دارتانيان قال اذن على هذا عزمتم قال نعم قال اذن
فاقم مكانك ثم التفت الى موردون وقال ارأيت كيف ان الكونت دي لا فير لا يريد
ان يبارزك فاختر لنفسك من بيننا رجلاً قال اذا لم يكن الكونت خصي فسيان عندي
من قاتلت منكم بعده فضعوا اسماءكم في خريطة فايها اخرجت بارزت فتناول دارتانيان
القلم من حيث كان وضعه كرومويل وكتب الاسماء ورماها في ثبعته واجالها ثم اخرج
موردون فاذا اسم دارتانيان في يده فقال دارتانيان قد اسعدني الحظ واظن يا موردون
انك لا تتردد قال لا تردد ان شاء الله ثم سل سيفه ووقف ثم التقى السيفان وصل نصلاهما

وضايق دارتانياً خصمه حتى تقهر فجعل يدور في الفرقة وهو يلتمس يده الجدار حتى صادف الزر فضغظه فانفتح الباب السري وانسل الفتى هارباً واقفله وراءه فصاح الحراس كالمجانين وهجموا على الباب يريدون كسره فلم يقدرُوا فقالوا نخرج لانه ان طال مكثنا عاد الينا بالجنود فقتلنا ثم خرجوا فسألوا الخدم على البابين فقالوا انهم لم يروا احدًا

الفصل السابع والستون

الفلك المسمى بالبرق

وكان موردون قد احكم اقفال الباب وراءه وسار تحت الارض حتى خرج على مسافة منه وقال ارى الايام تخدمني في الانتقام فقد قلت سياف يبتين وعمي دي وتر والملك شارل وسأجهز على الباقيين دفعة واحدة ان شاء الله ثم اخذ يعدو وهو يقول يجب ان اسبقهم فاني ان تأخرت افلتوا مني وما يزال يركض حتى بلغ مربوط الخيل فركب منها جواداً وسار عدواً الى كرينوئيش حتى وصل الى الميناء ولاحت له جزيرة الكلاب فقال قد تقدمتهم بساعة فيما اظن فاين البرق يا ترى وما اتم كلامه حتى ظهر له رجل من ورائه وتقدم اليه فاخرج موردون مندبلاً معقود الاطراف والاح به للرجل فدنا منه وهو ملتف بعباءة ضافية تستر كل جسمه فقال له اظنك يا سيدي تطلب فلكاً للنزهة يكون سريعاً في سيره قال نعم اريده سريعاً كالبرق قال قد وجدت ببيتك وانا ربان الفلك قال فاين علامتك قال هي ذه ثم اخرج من جيبه مندبلاً معقوداً فترجل الفتى وقال تأخذ جوادي الى اول مكان فتودعه فيه ثم تعود فتأخذني الى الفلك قال واين رفاقك قائم اربعة فيما اظن عدا الخدم فدنا منه موردون فقال له اني لست من الذين تنتظرهم كما انك لست من الذين يأملون ان يلاقوه فانت قد أخذت مكان الربان روجر بامر من كرومويل وانا آت من قبله قال نعم وقد عرفتك فانت الضابط موردون فلا تجزع فانا من اصحابك ثم كشف عباءته فعرف الفتى كروسلوي فقال هذا انت يا كروسلوي قال نعم فان كرومويل قد اناط بي هذا الامر فهل تغير شيء قال لا يزال كل شيء على حاله سوى ان موت الملك سيقرب فرارهم فبهم بعد قليل يكونون هنا قال وما الذي اتى بك قال لا اذهب معك قال ايشك القائد

في اخلاصي قال معاذ الله ولكني أريد ان احضر الانتقام بنفسى فهل لديك احد يأخذ جوادى منى فنفتح الرجل في بوق معه فحضر اليه نوتى فقال تذهب يا بتريك بهذا الجواد الى اول يدت تجده فتودعه فيه وتقول لاهله انه جواد رجل ايرلاندى فأخذ النوتى الجواد وذهب وقال موردون الكروسلوي ألا تخشى ان يعرفوك قال ما اراهم يصلون الى ذلك في مثل هذه الليلة الخالكة وانا تحت هذه العباءة التي لم تكذ انت تعرفني بها فكيف هم قال حسن افتام امرك قال نعم عندي خمسة صناديق باروداً بين خمسين صندوق فارغ فاذهب على بركات الله ثم اخذه الى قارب على شاطيء نهر التاميز فحله وسار بمخر به في النهر حتى بلغا البرق راسياً على مقربة من جزيرة الكلاب فنفتح كروسلوي في بوقه فظهر على حافة المركب رجل وقال سيدي الربان قال نعم فارم بالسلم ففعل وصعدا وسار كروسلوي بموردون الى غرفة الربان في طرف الفلك فقال واين يقيم اصحابنا متى قدموا قال في الطرف الآخر قال ألا يأتون الى هنا قال لا فليس لهم عندك حاجة قال حسن فانا اختفى عندك في هذه الغرفة وتعود انت الى الشاطيء فأتى بهم في القارب الذي جئنا فيه ثم تربطه وراء هذه الغرفة حتى لا نحتاج عند حلول الساعة الا الى قطع الحبل قال افلا تريد ان تزور الصناديق قال ندع ذلك الى ان تعود فأتى اريد ان اضع القبلة فيها بنفسى ولكن احرص على التستر امامهم حتى لا يعرفوك وهذه الساعة العاشرة تدق فاذهب فخرج كروسلوي من الغرفة ونزل في القارب ومخر به حتى بلغ الشاطيء فسمع وقع حوافر تدنونه فقال قد اصاب موردون في استعجاله اياي فها هم قادمون ولم يمض قليل حتى وصل الرفاق الاربعة فترجل اتوس عن جواده وألح بالمنديل فتقدم اليه كروسلوي فنظر الكونت في وجهه نظرة صادقة فعرف انه ليس بصاحبهم واحس بذلك الضابط فقال انكم تبحثون عن الربان روجر عبثاً فانه قد سقط اليوم من رأس السارية فكسر رجله وانا ابن عمه قد اطلعني على الامر واوصاني بأن اقوم مقامه وهذه علامته لكم ثم اخرج المنديل واراها اياه قال ذلك كل الامر قال لا بل لا يزال له عندكم خمسة وسبعون ديناراً ليوصلكم الى بولونيا او الى غيرها من شواطيء فرنسا فالتفت الكونت الى دارتانيان وقال كيف نرى قال يجب اولاً ان افهم ما قال فأتى لا اعرف اللغة الانكليزية فترجم له اتوس المحادثة فقال اذا كان صادقاً قام بامرنا

وان كان خائناً قتلناه قال ومن يقودنا في البحر قال انت يا كونت فانك عالم بفن البحر
قال سنرى فناد اصحابنا فعاد دارتانيان واتى بصاحبيه والخدم واعطى الخليل لبري
ليرجعها الى لندره لانه كان قد قدم معهم لذلك ثم نزلوا بخدمهم وسار بهم القارب فقال
اتوس واسفاه انا نساfer وحدنا دون الملك فقال دارتانيان اشكر الله على سلامتنا نحن
الاربعة واسأله ان يتم امرنا على خير فقال بورتوس وما عسانا نخاف في مثل هذه الليلة
المظلمة قال ان قلبي ليحدثني بمخطر حمانا الله منه وكانوا قد بلغوا البرق فادليت لهم السلم
فصعد اتوس اولاً ثم تبعه اراميس ودارتانيان وبورتوس وتبعهم كريمود وموستكون
وبليزوا فقادهم الربان الى طرف السفينة الآخروهم بالانصراف فاوقفه دارتانيان وقال
لاتوس سله كم رجل معه فقال ثلاثة قال لا خوف منهم اذن والآن فاني اريد ان
اتفقد الفلك فتعال معي يا كريمود فانك تتكلم قليلاً بالانكليزية ثم اخذ غدارته بيده
وقال للربان تعال فمشى امامها في داخل المركب حتى بلغوا الى الغرفة حيث الصناديق
فوقف كريمود ترجحاً فقال دارتانيان ما هذه الصناديق قال فيها نبيذ بورتو قال اكلها
ملاى قال لا وصوته يرتجف من الخوف اما دارتانيان فلم يشعر بذلك فاتم تفقد المركب
بين غرف نوتية وغيرهم ثم عاد الى اصحابه فقال ناموا آمين فليس ما يوجب الخوف
فناموا وتمدد هو على باب الغرفة حتى لا يدخل اليها احد من غير ان يشعر به

الفصل الثامن والستون

خمر بورتو او اكتشاف الدسيمة

اما العلمان فذهبوا الى ناحية اخرى يأكلون فقال كريمود هل لكما بخمر نشربها
الان قالا هييات واتى لنا ذلك قال في هذه الغرفة دنان فيها خمر وهي حلال لنا ان
نشربها لانها للانكليز اعدائنا ثم اخذ باطية وذهب فوجد الباب مغلقاً فقال قاتل الله
الانكليز ما احرصهم ولكن ما اراهم يفتنون مني بذلك ثم تعاون مع صاحبيه فكسروا
لوحين من الغرفة ودخل كريمود بمتقاب ففتح احدى الدنان ووضع الباطية تحته ثم
اخرجها فاذا هي ملاى باروداً فسعى الى اخرى فينما هو يعالجها فتح الباب فاستتر
كريمود وراء الدنان بحيث يرى ولا يرى واذا برجلين قد دخلا يحمل احدهما زجاجة

فيها مصباح فعرف انه كروسلوي اما الآخر فكان لابساً قبعة عريضة الاطار تنطوي
عينه وفي يده شيء كالحبل فظن الخادم انها آيات ليشربا نيذاً فتقدمما حتى وقفنا
وراء الدن حيث كان كريمود مختبئاً وقال كروسلوي ابن الفتيلة فقال الآخر هي معي
فعرف كريمود انه صوت موردون فجمد في مكانه لا يتحرك فقال موردون ولم تلبث
حتى يصل لهيها الى الدنان قال خمس دقائق على الاكثر قال اذن تذهب فتنبه رجالك
ان يتيقظوا ثم هل القارب مربوط بالفلك قال نعم قال بعد ان تمضي ربع ساعة من
نصف الليل تجمع رجالك وتنزل في القارب من غير ان تخبرهم بشيء قال ذلك بعد
ان اصلي الفتيلة بالنار قال لا فانا افعل هذا ثم ركع لدى الدن فادخل طرف الفتيلة
في ثقبه حتى تمكنت ثم اخرج ساعته وقال لرفيقه بعد عشرين دقيقة يتم الامر أي بعد
نصف الليل ربع ساعة قال نعم ولكن اقول لك ان امرك فيه بعض الخطر فلو اوصينا
احد رجالنا باشعال الفتيلة لكان آمن قال لا فانا اتولى شأني بنفسي والله من قال

ماحك جلدك مثل ظفرك فتولى انت جميع امرك

ثم اخذ ينشر الفتيلة حتى اخرجها من الباب كل ذلك على مرأى من كريمود وسمع
فلما خلا المكان بالفتى قام يرتعد جزعاً ورعباً وهو يحمد الله على اكتشاف الامر وكاد
يظن ان ما يراه حلماً لولم ير البارود في الباطية ثم خرج الى غرفة الحراس الاربعة
فايقظ دارتايان وقص عليه ما رأى من اوله الى آخره ولم يدعه دارتايان يتم خبره
حتى قام يرغي ويزبد وقد لعب الغيظ في رأسه فايقظ اصحابه بهدوء وسكينة ثم وضع
يديه على رقابهم وجمع رؤوسهم اليه وقال لهم بصوت لا يسمعه الا هم نزل من الفلك
الآن والاهلكنا جميعاً فان ربان الفلك كروسلوي وموردون قد اعدا لنا كيت وكيت
وقص عليهم كلما سمع فاصبح كل واحد منهم في حالة يصعب وصفها ويتعذر رسمها من
الغيظ والجزع فقالوا والآن قال نزل في البحر ونسبح الى الجهة الاخرى من الفلك
حيث القارب ثم نزلوا جميعاً يسبحون حتى صعدوا الى القارب وهو مربوط بالفلك فقطعوه
وابعدوا ولم يمض قليل حتى ظهرت النوتية على الطرف الاخر من الفلك يريدون
القارب وكان موردون قد ذهب الى حيث رأس الفتيلة فاصلاها بالنار ثم عاد وهو يظن
ان النوتية قد صاروا في القارب

الفصل التاسع والستون

حادث هائل

وكان الحراس وخدمهم في القارب على بعد من الفلك ينظرون اليه فرأوا النوتية
بركضون ويصبحون واذا بموردون قد اقبل الى حيث كان القارب مربوطاً وفي يده
مشعل فقال ابن القارب فقال كروسوي قد فرّ اعداؤنا منا على متنه ولكن لا بد من
ان تبعهم فنقلهم قال والنار قال واية نار قال قد اشعلت الفتيلة اعتماداً على وجود
القارب فضرب كروسوي رأسه بيديه وقال ويل ويل ثم ركض الى سلم الفلك ليهرب
منها واذا بالفلك قد انشق بصوت شديد بصم الاذان وخرجت منه نار كأنها نار اتون
فطارت شظاياها على اثرها الى السماء ثم جعلت تتساقط كأنها رجوم او نيازك ثم تلاشى
الفلك كأنه لم يكن وكان موردون قد وثب الى البحر قبل الانفجار اما كروسوي
ورجاله فذهبوا ارباً ارباً كأنهم لم يكونوا شيئاً مذكوراً فقال اراميس قد انتهى الامر
بحمد الله ورد الله كيد الظالم الى نحره وما اتم كلامه حتى خرج صوت من وسط البحر
في ذلك الليل يقول اليّ اليّ فقد هلكت فقال اتوس ويلاه هذا صوته فاجال القوم
اعينهم في صفحة الماء في ذلك الظلام فرأوا على مقربة منهم موردون يسبح نحوهم بعنف
وبأس فقال اراميس وهو يضحك قاتله الله ألم يمت بعد فقال اتوس اللهم الطف بي
وكان موردون قد دنا منهم ورفع يده فوق الماء وهو يقول رحماكم رحماكم قد خارت
قواي وقاربت الهلال وكان صوته غاية في الرقة حتى رق له قلب اتوس فقال يامسكين
فقال دارتانيان اراه يسبح نحونا يظن اننا نقتده ساء والله فاله فحذف يا اراميس وابتعد
ثم ضرب دارتانيان بمجدافه في الماء فبعد نحو عشرين قدماً فصاح موردون بالله
لا تتركوني اموت وارحموني فقال بورتوس اخساً فلم يعد لك باب خلاص سوى باب
الرحيم فقال اتوس بالله يا بورتوس فقال دعني يا كونت بالله لا تزال تحول دوني فوالله
لئن دنا حتى يناله المجراف لاضر به فاشج رأسه فصاح الفتى وصوته يتقطع من الماء
والتعب رحماكم رحماكم لا تتركوني فقام دارتانيان من مقعده وقال لموردون ابعدا
بعدي الله والا قتلناك فقال رحماكم يا قوم واشفقوا على صباي فاني لم اتجاوز الثالثة

والعشرين من عمري أفليس حراماً أن أموت كذا وأنا لم افعل الا ما يفعله ثار قتلت
 امه وكان في اثناء ذلك يدنو من القارب حتى لم يعد بينه وبينه الا قيد باع فقال ويلاه
 اني اذن اموت اتقتلون الولد كما قتلتهم الوالدة وانا لا ذنب لي الا اني سميت في اخذ
 ثاري ولكني مع ذلك اسألكم السماح والغفران ثم خاتته قواه فضعف ومرت المياه فوق
 رأسه فقال اتوس ويلاه انه يمزق قلبي فقام دارتانيان وقال لموردون وقد عاد فظهر
 ينبغي ان ينتهي امرك يا قاتل عمك وسياف الملك والساعي في هلاكنا فوالله لئن دنوت
 منا لاضربن رأسك بمجذافي هذا وكان موردون قد دنا وهو يجر نفسه سباحة فقام
 دارتانيان ورفع المجذاف بيديه فنهض اليه اتوس فامسكه وقال بالله يادارتانيان يا بني
 دعه فانه قارب الموت وقبيح بالمرء ان يكون قادراً على خلاص نفس بمد يده اليها ثم
 يقبضها عنها فانا والله لا اطيق بل اريد ان يعيش فقال دارتانيان لله منك يا كونت
 اذن فسلم نفسك اليه فانه يقتلك والله اذا قدر عليك فكم تحاول خلاصه فانا لا اريد
 ان اكون ابنك بعد ذلك . وكانت تلك اول مرة عصي فيها دارتانيان اتوس بعد
 ان ناداه بابنه فاستل اراميس سيفه وقال والله لئن وضع يده على حافة القارب لا قطعنها
 من عضدها فقال بورتوس علي قتله ثم نهض فقالوا وما نضع قال اثب الى البحر
 فاقتله بيدي فقال اتوس بصوت يقطع الحنو ارحموا يا قوم يرحمكم الله افلاترون
 الموت بادياً على وجهه وقواه قد كلت فلا يمضي عليه قليل حتى يغرق في قاع
 اليم ثم اموت انا بعد ذلك خجلاً نشدتكم الله ايها الرفاق هبوني حياته كرماء علي ومنه
 فصاح موردون ويلاه قد مت الي الي فقال اراميس اضربه يا بورتوس بالمجذاف فهو
 قريب منك اما دارتانيان فوقف مبهوتاً وقد اخذت الرقة تداخله من حزن اتوس
 وهول المنظر وكان موردون قد دنا من مكان اتوس فقال كونت دي لا فير اياك
 استرحم فارحمي وخلصني ابن انت يا كونت دي لا فير اني لا اراك ويلاه قد مت
 الي الي فمد اليه اتوس يده وقال ها انا ذا يا موردون فخذ يدي واصعد فانت في
 ذممي فصاح دارتانيان واكرهه لا اطيق ان ارى ثم ادار وجهه وكان موردون قد
 امسك بيد اتوس فادنى له الكونت كتفه ليمسكها بيده الاخرى فادخل الفتى يده في
 طوقه فقال له الكونت انت آمن فاصعد فصاح الفتى بصوت ترعد له الفرائص امي

يا كونت لست انسى ثارها ثم جذب اتوس اليه فرماه في البحر ولف رجله عليه حتى يمنع من الحراك ثم غاص واياه تحت الماء ووقف الحراس الثلاثة في القارب كأنهم اصنام من هول ما يرون كل ذلك واتوس لا ينبس بكلمة ولا يخرج له صوت وهو يحاول ان يطفو فوق الماء فيمنعه ثقل موردون عليه حتى لا يبد الثلاثة يرون الا شعره عائماً على وجه الماء فضاقت صدورهم جزعاً ورهبة ووقفوا كأنهم اصابوا بصاعقة ثم افاق بورنوس فصاح وا اسفاه عليك ايها الفارس البطل وويل لنا كيف تركناك تموت ثم نظروا الى الماء والقمر يلقي عليه بعض نوره من خلال السحاب فرأوا شعراً يظهر ثم تلاه وجه اصفر ثم ظهرت جثة في صدرها خنجر قبضته ذهب تلمع وهو غارق الى نصابه فصاح الثلاثة هذا موردون ولكن ابن اتوس واذا بالقارب قد مال على احد جانبيه فنظروا واذا الكونت يحاول ارتقاءه فاصعدوه وقالوا له هل انت جريح قال لا ولكن هو قالوا قضي عليه الامر فانظر ما حل به فلهه درك ما اشد ساعدك في الضرب قال ويلاه كان لي ابن وكنت احب ان يعيش فخانه القضاء وقتله التقادير فلا حول ولا قوة الا بالله

الفصل السبعون

الوصول

وكان الله قد فسح القمر بين سحابتين فرجة يظهر منها لينير لهؤلاء الرجال ذلك الحادث الهائل فلما انتهى الامر عاد القمر الى حجابيه من الغمام واظلم ذلك البحر اشد ظلام واقام الرجال الاربعة مبهوتين من هول ما صر عليهم ثم شكروا الله على لطفه بهم في ذلك الخطر الشديد فقال لهم دارتانيان رويدكم يا قوم فان النجاة لم تتم بعد فنحن لا نزال في وسط هذا البحر الهائج في قارب تعبت به اقل موجة فتكبه قهلك جميعاً فانظروا في امر خلاصنا من البحر الآن ثم احمدوا الله تمام حمده واشكروه كامل شكره فقال اتوس انك بلجود لنعمة تنالها يا دارتانيان اتظن ان الله خلصنا من كل ما مر بنا ليركنا الآن لا وايبك فهو اعدل من ذلك وارحم تبارك اسمه وتعالى والآن فانا آخذ قبلة هذا النجم نمخر بالقارب وجهته حتى نبلغ فرنسا والرياح معنا والمسافة قريبة وغير بعيد ان نصادف فلكاً يحملنا اليها وان جرت الرياح على خلاف الآمال ولم نصادف فلكاً

كان البحر لحدنا الا اذا بلغنا القارة الثانية من الارض ولم نمت جوعاً ويفعل الله ما يشاء
قالوا سر على بركات الله فاخذوا يجذفون تحت ذلك الليل وقد وجدوا في القارب طعاماً
فاكلوا وما زالوا يطاردون الموج ويطاردهم حتى لاح لهم الصباح على شراع مركب
قريب منهم فصاحوا به والاحوا لهم بما معهم من الملابس فدنا منهم فصعدوا اليه فحملهم
الى شطوط فرنسا فنزلوا اليها آمنين مطمئنين واذا الناس قد تجمعت حولهم من اكارين
وتجار فقال دارتانيان الاولى ان نخلص من وجه هؤلاء القوم الى مكان منفرد ثم سار
في مقدمتهم فبعوه بين الادغال والروابي حتى غاب عن الشاطئ فقال له اصحابه
اجلس نتحدث قال ويحكم كيف نتحدث ونحن ينبغي لنا ان نهرب فانا ان نكن قد
نجونا من البحر وموردون فلن ننجو من مازارين فلنفترق اذن فقال اتوس ولماذا نفترق
قال لاني وبورتوس قد ارسلنا مازارين الى كروويل لنخدمه فانصرفنا عن خدمته الى
خدمة شارل الاول فاذا رأنا راجعين مع الكونت دي لافيرودير بلاي ينكشف له
امرنا بخلاف ما اذا عدنا وحدنا فان ذلك قد يكون سائراً لامرنا قال اتوس اتنسى
يا دارتانيان انا اسيرا كما فيجب ان تأخذنا الى باريز اسيرين فقاطعه دارتانيان وقال
انه يعز علي يا كونت ان اسمع منك مثل هذا الكلام على اشتهاك بجودة الرأي واصابة
الفكر كيف ترى ان تذهب معنا اما تعلم انا اذا امسكنا وكننا معنا اخذنا جميعاً ولكن
اذا اتقسمنا قامت فرقة بخلاص اختها اذا اخذت فقال يا بورتوس نذهب الى باريز
وصاحبانا يذهبان الى بيكارديا فقال اراميس واذا امسكنا في الطريق فكيف تعلمان
قال تمران على كل قرية في طريقكما الى باريز ونحن نمر على كل قرية ايضاً ويكتب
كل منا وجهته على حائط حجرته في كل قرية حتى اذا فقد احدنا صاحبه تتبع الكتابة
في طريقه فعلم مقره قالوا لله درك ما احسن اراءك ثم اقتسموا ما معهم من المال على
السواء وتودعوا وانصرف كل اثنين منهم في طريق وتبع بليرزا وكريمود اتوس و اراميس
وتبع موسكتون بورتوس ودارتانيان فلما غابت كل فئة عن اختها قال بورتوس لدارتانيان
انك لم تصب يا دارتانيان في هذه المرة قال وكيف ذلك قال لانك قدمت ان صاحينا
في خطر ثم فارقتهما بعد ذلك في حين ينبغي ان نكون معهما وانا والله اريد ان اعود
اليها الآن بالرغم عن كل مازارين في الارض قال ألا تعلم يا بورتوس ان الخطر الذي

نسى اليه اعظم من خطرهما ولذلك رأينا ان فارقهما لاتنا اذا اخذنا كان حسبنا في كريف اماهما فيسجنان اذا امسكا معنا في الباستيل ولات حين مناص قال هيهات اذن كيف امال تاج البارونية الذي وعدتني به قال لا تبأس من رحمة الله يا بورتوس فيفتح الله باباً لست تعرفه قال ولم ترى ان امرنا اشد خطراً من امر صاحينا قال لاتهما ارسالاً من الملكة هنريت لمساعدة الملك فساعداه ونحن ارسالاً لمساعدة كرومويل فتركناه وساعدنا الملك وكدنا نقر به وما احسب الا ان كرومويل كتب الى مازارين بذلك قال اذن يجب مازارين بماذا قال عليّ جوابه فلا تهتم في الامر ثم سارا ينهيان الطريق الى باريز ووراءهما موسكتون

الفصل الحادي والسبعون

العودة

ولما فصل اتوس وارانيس عن صاحبيهما اسرعا في المسير يريدان باريز وكانا كلما نزلا في فندق رسما العلامة على زجاجه او جدرانها . وكانت باريز لا تزال على حالها من يوم فارقاها وكان اهلها لما علموا بفرار الملكة والملك والكردينال الى سان جرمن كما تقدم لنا ذكر ذلك هاجت احقادهم وكبر الامر على البرلمان فرأى ان يبعث وفداً الى الملكة يسألها ان لا تطيل غيابها عن باريز فرفضت الملكة طلبهم ولم تشأ ان تقابل احداً منهم وردتهم اقبح رد وانذرتهم باتها ستحاصر باريز فيأخذ الدوق دورليان سان كلوا فيحتلها والامير صاحب لانس شاراتون وسان ريس فكان لذلك الانذار سوء الوقع لدى البرلمان فعظم عليه الامر على ثقته بياس الشعب وشدة ثورتهم فبعث الى الملكة يقول لها ان مازارين اصل هذه الفتنة وانه عدو الملك والدولة ويأمره بالخروج من البلاط في ذلك اليوم وبمبارحة فرنسا في ثمانية ايام والاساءت المقبي عليه فاشتد ذلك على البلاط واخذ يستعد لمنازلة باريز واخذت باريز تهباً للدفاع والقتال فثار اهلها فقاموا ببلاط شوارعها وحبكواها بالسلاسل ثم انضم اليهم الامير دي كونتي اخو الامير دي كونده والدوق دي لونكفيل صهره وكان ذلك في اليوم العاشر من شهر كانون الثاني فلزدهى الباريزيون بهذه المساعدة اذا رأوا اميرين من سلالة الملوك قد صاروا الى حزبهم ولم يمض

قليل حتى انضم اليهم الدوق دي بوفور فتألف من الالهالي جيش جرار يحمل علماً مكتوباً عليه « نبحت عن ملكنا » وجرت بينهم وبين جنود الملكة عدة مواقع طفيفة حتى كان اليوم الاول من شهر شباط وهو اليوم الذي وصل فيه اصحابنا الاربعة الى بولونيا وبعد ان مشى صاحبانا المتقدم ذكرهما اربعة ايام بلغنا باريز ولم يكن من نية اتوس ان يدخلها لولا ان اشار عليه اراميس بدخولها تأدية لرسالة شارل الى الملكة هنريت واتماماً للبعثة التي ذهبنا فيها من قبلها فلما دخلا باريز وجدنا اهلها مدججين بالسلاح والحراس يطوفون باسوارها وابوابها فلما بصروا بهما اوقفوها وفادبوا رئيسهم قاتى وسأل الرجلين من انما فقال اتوس رجلا من النبلاء قال ومن اين اتيتما قل من لندره قال وماتصنعان في باريز قال نوادي رسالة الى ملكة انكلترا قال عجباً كم رسول يأتي الى الملكة فقد قدم اليوم ثلاثة من النبلاء اليها ومعهم اذن بالمرور فاين اذنكنا قال ليس معنا اذن فقد قدمنا من انكلترا ولا علم لنا بما يجري في باريز لانا بارحناها قبل خروج الملك منها قال اظنكنا من حزب مازارين تريدان ان تدخلنا بيننا لتجسسا احوالنا قال ألا تدري اننا لو كنا من حزب مازارين لكان معنا اذن بالدخول فاذا كنت حريصاً فاحذر من معهم اذن قال اذن فادخلا الى القائد حيث تقدمكنا الثلاثة فدخلا فوجدا القائد قائماً يبحث في اوراق الثلاثة وهم ملتفون باعبثتهم حتى لا يظهر منهم شيء فلما رآهما القائد وعلم ان لا جواز معها امر بردهما فقال له اتوس اذا شئت فاعرض اسمينا على ملكة انكلترا فان عرفتنا ادخلنا والا عدنا من حيث اتينا وكان احد الثلاثة واطولهم قامه قائماً في زاوية تلك الحجرة حتى لا يظهر فلما سمع صوت اتوس اجفل من مكانه حتى سقطت قبعته عن رأسه فتناولها باسرع من لمح البصر وغطى بها رأسه الى عينيه وكان اراميس قد تبين وجهه فغمز عضد اتوس وقال له هل رأيت هذا الرجل في الزاوية قال لا فمن هو قال خلت انني رأيت به . . . ولكن ذلك شيء بعيد وكان القائد قد دخل الى الحجرة وبحث في الجوازات ثم خرج وقال للحفاظ دعوا هؤلاء الثلاثة يمرون فخرجوا وارانيس يتبعهم نظره حتى غابوا فقال للقائد اتعرف هؤلاء الثلاثة قال جوازاتهم تدل عليهم فهم فلان وسانيلون وبروي قال اراميس عجباً خال لي انني رأيت بينهم مازارين فضحك القائد وقال ان مازارين لا عقل من ان يرمي بنفسه بيننا وفي تلك الساعة دخل ضابط

فلما رآه كرمود صاح بسببه هذا بلانشت يا مولاي فقال بلانشت نعم انا قاهلاً بكما
وسهلاً ولعلكما آتيان لتلحقا بالامراء هنا فقال اراميس نعم كما ترانا قال الا اسألكما عن
دارتانيان واخباره قال فارقتاه من اربعة ايام وقد قال لنا انه يسبقنا الى باريز أو لم يحضر
بعد قل لا واظنه ذهب الى سان جرمن فقال اراميس والآن اسألك كيف صرت
ضابطاً قال وسأصير قائداً بعد قليل فاني خلصت ريشفور من سجنه فرقيت الى هذه
الرتبة فقال اتوس الا ترى انيكونت دي براجيلون قال كل يوم يا مولاي فهو نارل في
مكانه ويقضي غالب اوقاته عند ملكة انكلترا والدوقة دي شفريز ولا يفارق الدوق
دي كيش دقيقة واحدة والآن فما تريدان قال ان ندخل باريز اذا اذتم لنا قال انا
آذن لكما وانما الامران ثم التفت الى فرقة وقال دعوهما فهما صاحبا دي بوفور
فانحنى لهما الجند وخرجا فقال القائد لبلانشت كيف تدعهما يذهبان ولا جواز معها قال
اذا جرى منهما امر فانا مسئول عنه ثم خرج

الفصل الثاني والسبعون

السفيران

وكان الحارسان يسيران في شوارع باريز والماء يضرب صدري جواديهما الكثيرة
انهمال المطر حتى فاض منه نهر السين على المدينة وما زال السيل يعظم كلما تقدما حتى
قربا من اللوفر وقد اسود الليل فنزلا عن فرسيهما الى قارب في الشارع فنقلهما الى
القصر وعاد الخدم بالفرسين فدخلا في اللوفر واستأذنا على ملكة انكلترا فقال خادم على
بابها انها في خلوة مع رجلين من الاشراف فلا تقابل احداً فقال اتوس ما اظنها تمنع
الكونت دي لافير والفارس دير بلاي قال نعم يا سيدي فقد طالما سمعتها تذكر هذين
الاسمين فان كنتما صاحبيهما فاتبعاني فانتما من وراء الامر فتبعاه في رواق الى مقصورة
لملكة فدخل عليها وقال اظنك يا سيدي تفقرين اخلاي بامرئ الآت لاني آت
بالكونت دي لافير والفارس دير بلاي فصاحت الملكة عند سماعها ذلك صيحة الفرح
ووثبت ابنتها الى الباب ففتحته بنفسها وقالت ادخلا يا سيدي فدخلا واذا الملكة جالسة
وامامها اثنان من الثلاثة الذين مر ذكرهم في الفصل السابق وهما دي فلانماران وكاسبار

دي كوليني دوق دي شاتيليون فلما رأى الرجلان الحارسين تنجيا من امام الملكة وهما يتكلمان بصوت منخفض فنظرت الملكة الى الحارسين وقالت اهلاً بكما ايها الصديقين الامينين ولكني ارى البريد قد سبقكما في الاخبار وهذان فلاماران وشاتيلون آتيان من قبل الملكة يخبرانني بكل ما جرى في لندره فنظر كل من الرجلين الى صاحبه نظرة المتعجب والتفتت الملكة اليهما وقالت انما ما بدأتما به فقد قلتما ان زوجي شارل الاول قد حكم عليه بالموت بالرغم عن غالبية الشعب معه فقال شاتيليون نعم يا سيدتي فقالت وانه بعد ان سيق الى منبر القضاء هجم الشعب فخلصه قسراً قال اجل ايها الملكة فجمعت الملكة يديها علامة الشكر والسرور ورفعت نظرها الى السماء كمن يشكر الله فقال لها شاتيليون وقد اخجله نظر اتوس اليه ذلك ما نلقى عليك ثم نساؤذلك بالذهاب فقالت اصبر قليلاً فهذا الكونت ورفيقه قادمان من لندره شاهدين يزكيان ما قلتما واعلمها بحملان تفاصيل اخرى ثم نظرت الى اتوس وقالت تكلم يا كونت ولا تهيب فما دام الملك سالماً فلا خوف مما تقول فاصفر وجه اتوس ووضع يده على صدره كأنه لا يريد ان يتأوه ورأت الملكة اصفراره فقالت تكلم بالله يا كونت فقال لا اريد ان اتكلم قبل ان اخبر هذين الشريفين انهما واهمان فيما يذكرا فاضطربت الملكة وجزعت فقال فلاماران لاتوس ان كنا مخطئين فيما ذكرنا فذلك ما تلقيناه من ملكة فرنسا وما على الرسول الا البلاغ ولست اظن ان من قدرك ان تكذب الملكة فقال اراميس تكون آتياً مع رفيقك الثالث الذي لم يخف علينا عرفناه يوحى اليك بترهاته وانت تقول من قبل الملكة افلم تكونوا ثلاثة عند ما دخلتم باريز فاضطرب الرجلان وتقهقرا فقالت الملكة لاتوس اراك تكنمني امرا هائلاً يا كونت يلوح على جبينك الاصفر فبالله الا ما ذكرته فما الذي جرى فقال شاتيليون انك تكون قاسياً يا كونت اذا اعلمت الملكة بالمصائب الهائل فافتحمه اراميس ونظر اليه نظرة الاسد وقال ما أخال انك ذوادب تعلمنا به كيف ينبغي ان تقول وكان اتوس قد دنا من الملكة بهيئة الخاشع فقال ايها الملكة ان الامراء لما كانوا بمنزلة ترفعهم عن منزلة العامة كان ينبغي لهم أن يتحملوا وقر المصائب بصبر يفوق صبر سائر الناس واني ارى انه لا ينبغي لي ان اسلك معك في سبيل العزاء ما اسلكه مع سواك من امثالك فانا ارى خجلاً بي ان اقوم بسلوقة لديك ومثلي من حجاجك برومها

فهذه ايتها الملكة الطاهرة الحزينة نتيجة بعثتنا التي سرنا فيها ثم رجع امامها واخرج من جيبه العلبة التي فيها الذخائر وخاتم القران الذي اعطاه الملك لاراميس قبل موته فدفمها اليه فمدت الملكة يدها وهي تضطرب فاخذت الخاتم فقبلته ثم اصفرت وسقطت مغشياً عليها فقبل الكونت طرف ثوبها ونهض بعظمة كمظمة الملوك ورفع يده وقال انا الكونت دي لا فير رجل من النبلاء لم اكذب قط اقسم امام الله وامام هذه الملكة الشقية انا قد فعلنا في انكنا ترا كل ما يمكن لانسان ان يفعله لخلاص الملك ثم التفت الى اراميس فقال والآن يا دير بلاي اذ قد تمت بعثتنا فيسا بنا نمضي فاجابه اراميس بل لا يزال لنا كلام مع هذين الرجلين نحب ان نقضيه ثم التفت الى شاتيلون وقال ألا تكرم علينا بالخروج معنا ولو قليلاً لاقول لك ما لا اقدر ان اقله الآن لدى الملكة فامخني شاتيلون علامة الرضى ثم خرج الكونت ورفيقه وتبعهما الرجلان حتى حصلوا في الساحة في مكان خال فالتفت اراميس الى شاتيلون وقال له اجدك تحسب نفسك شريفاً وقد رأيتك ارتكبت خلة الكذب وهي مشينة بالاشراف فما الذي فعلت بدي بروي وهو اشبه الناس بمازارين ولو تستر بالعبادة فقال دي فلاماران أنتستيل علينا قل ليس الا ذاك فجذبه اتوس وقال بالله بالله دعني يا كونت فاني لا احب ان تقف الامور دون غايتها فقال دي شاتيلون بعظمة واستكبار تكلم ما شئت فقال لو صادفكما غيرنا من الناس ما تعذر عليهم ان يضعوكا في الحديد في مثل هذه الاحوال ولكننا نحب الانصاف افلا تفضلان علينا بان نلتقي سيفونا قليلا في هذا المكان اخالي فقال شاتيلون انا على ما تريد فعرض فلاماران وقال ان الطلب عدل ولكنه مستحيل القبول الان فقال اراميس ولماذا يكون مستحيلاً أترك تعلمت الدهاء من مازارين فقال شاتيلون أسمع يا فلاماران فاني اذا لم اجبه دنست اسمي وعرضي فقال اراميس ذلك ما ادعوك اليه لتني عن نفسك الفظة فاهوى شاتيلون بيده على سيفه فامسكه فلاماران وقال اذكر يا دوق ان عليك غداً بمئة خطيرة تتعلق بالامير والملكة فانت الآن لست لك الى مساء غد فقال اراميس اذن نلتقي بعد غد فقال دي شاتيلون ذلك امد بعيد لا اطيق انتظاره قال ليس ذلك بطيبي ولكنه طلب صاحبك قال صدقت اذن اجدك على ابواب شاراتون قال وعلى برك الغماد اذا شئت بشرط ان يلتقي سيفانا والان فاذهب وموعداً الغدا اذا

اردت ولكن تقسم لي انك لا تخبر رفيقك مازارين بقدمونا الى هنا قال اشترط عليّ وهو شأن الغالب وانت لست بغالب بعد قال اذن اكون الآن اذا شئت فنظر الرجلان كل منهما الى الآخر وقال شاتيلون قبلنا باشتراكك فان صاحبنا لا يعرف بشيء من امرنا ولكن على ان اجدك على ابواب شاراتون ثم افترقوا وسار كل منهم في سبيل فقال اراميس لقد اصاب والله اذا اخرا البراز الى غد فنحن الآن في شغل عن انشاق الحسام فقال اتوس وما ذاك قال تقبض الليلة على مازارين قال ليس ذلك من شأني يا اراميس فهو ختل امخرج منه قال يحسن بك ان تكون قائد جيش يا كونت فانك لا تنازل عدوك حتى تنذره كانك ذهب عنك ان الحرب خدعة فهيا بنا الآن نخبر دي بوفور بالامر قال لا بل نبدأ بالنائب فهو اسقف واحرى بالاسرار ولكن قبل ذلك يجزى ان نذهب الى فندق شارلمان فنقابل راعول فاني اذوب شوقاً الى ان اراه قال وانا والله كذلك ثم ذهبنا فلم يجدا راعول لانه كان قد طلبه الامير قبل وصولهما فسافر اليه

الفصل الثالث والسبعون

المقابلة

فخرجنا من منزل راعول وتوجها الى منزل الدوق دي بويلون احد زعماء الثورة في ذلك الحين وكانت ابلة حالكة الاديم والشوارع لا تكاد تسلك من كثرة المتارس القائمة فيها والسلاسل المحبكة في جوانبها فصادفهما العسس فاخبراه انهما ذاهبان الى الدوق دي بويلون فارسل معهما جندياً يدلها على الطريق فلما دنوا من منزل الدوق صادفاه ثلاثة فرسان فقال اراميس لاتوس اتدري من هؤلاء الفرسان قال نعم هم شاتيلون وفلاماران ومازارين قال قاتله الله كيف يعرر بنفسه في مثل هذا المكان ثم تقدما حتى بلغا منزل الدوق فدخلاه وانصرف الجندي وكان الدوق مصاباً بداء النقرس ومقبياً في فراشه فلما دخلا عليه احتفز للقيام فلم يقدر فقال هنيئاً لكما تركبان الخيل وتقاتلان مع الشعب وانا مقيم في فراشي لما بي ان ذلك عليّ لشديد فقال اتوس نحن قادمات من انكلترا يا سيدي الدوق وكان من اكبر همتنا ان نبدأ بك فكيف تجددك قال كما تريان والحمد لله على كل حال فكيف الملك فقد علمت انه بخير فقال اراميس مات وانت

بوفاء يا مولاي فقد قتل رحمه الله على منبر القضاء بحكم البرلمان قال ذلك محال فقد
 اخبرني دي فلاماران بعكس ذلك وقد خرج من عندي آنفاً ومعه رفيقان فهل قابلهاهم
 فقال اتوس نعم فتأوه الدوق من الألم وقال اللهم لطفك فقال اتوس يعز علي يا مولاي
 ان اراك عليلاً وانت عماد الحرب ورحاها قال ذلك امر الله واياه نحمد على كل امر
 يسوء ويسر ولكني ارى بكما عوضاً عني فانما سبب خلاص صديقي دي بوفور بل
 سبب حياته وانكما قادران على القتال بحمد الله اما انا فطبيب القلب والعقل لولا هذا
 المرض في الجسم واني علم الله لو سمحت لي الملائكة بارجاع ارضي التي اخذها مني
 الكردينال السابق ودعت اهل بيتي بالقاب الامراء واعطت اخي دي تيرين قيادته
 لعدت الى ارضي وتركت الشعب والبرلمان وشأنهما لا ناقتي فيها ولا جلي فكيف رأيكما
 قالا كما ترى قال لقد اتاني شاتيلون من قبل البلاط يعرض علي قبول ما اطلب وكان
 الاجدر بي ان ارفض لولا هذا القوس والآن فقد رأيت ان اتبع مشورتكما فقال
 اراميس اقبل يا مولاي فهو خير لك قال في غد يعود الي شاتيلون فاسوي معه الامر
 فاذهبا الآن واستربحا فانما في حاجة الى الراحة ورحم الله الملك شارل فقد مات كريماً
 والذي يعزي فرنسا على موته انها ساعدته وسمت في خلاصه فتبسم الرجلان وخرجا
 فلما بلغا باب الدار قال اراميس لاتوس كيف ترى في امر الدوق قال كما تراه في
 حالة المرض قال اجدني احسنت اذ لم افانحه بما اتينا لاجله من امر الكردينال قال نعم
 والآن فاذهب بنا الى الدوق دي بوفور ثم سارا فلما بلغا الباب خرج منه فارسان فقال
 اراميس ما اكثر التقاءنا الليلة وعسى ان يكون غداً كذلك فقال دي شاتيلون وهو احد
 الفارسين رويدك فليس ذلك على الله بعزير ثم سار ورفيقه فلاماران ودخل الخراسان
 المنزل واذا برجل قد اقبل اليها فتأملها قليلاً ثم التي بنفسه عليها يقبلها وهو يقول
 الكونت دي لافيرودير بلاي انما هنا فصاح الاثنان دي روشفور قال نعم ولملكما
 لا تزالان من حزبنا ضد مازارين قالا بل اشد استهسا كما به من قبل فاين الدوق قال هنا
 وهو الآن سيد باريز قال أليس دي شاتيلون وفلاماران اللذين خرجا الان قال نعم وقد
 كنا في محادثة مع الدوق دي بوفور فقال اتوس تريد ان تقابله نحن قال اتبعاني استأذن
 لكما ثم مشي امامهما حتى دخلا فخرج الدوق فقابلهما بالترحيب واراد ان يدعوها معه الى

الطعام فامتعا وقالوا المهم لدينا امر صحتك وتلقي اوامرك قال اما الصحة فجيده وعلم الله ان رجلاً يصبر على سجن فئسان خمس سنوات لرجل شديد القوى واما الاوامر فأني مرتبك لا اقدر ان اعرف ما ابدي منها فقال اتوس هلاً تزال على اتحاد مع البرلمان قال نعم ومع الدوق دي بويلون والنائب والشعب فاتحادنا بحمد الله شديد العرى لولا ما يكدرنا من مرض الدوق دي بويلون وما اكرم عنكما انه اذا ردت لي الملكة امي من منفاها واعطتني قيادة الجند الذي ورتها عن ابي كنت لها ما حيت فلم الحارسان ان شاتيليون مر عليه فلم يذكرا له شيئاً عن مازارين ووجوده في باريز بل ودعاه وخرجا يقصدان النائب فوصلا الى منزله في قارب لطيفان المياه حول قصره فوجداه مختلياً في حجرته والناس تنتظر اذنه فنادى الحارسان احد الخدم وقالوا له تدخل على النائب فتقول له انا نريد ان نراه قال انه في محادثة مع دي بروي فهل تعرفانه قال نعم فاذهب فذهب وقال الحارسان نرى ان مقابلته الليلة بعيدة المنال ولا سيما والكردينال مازارين عنده متحلاً اسم بروي فالرأي ان نذهب ثم خرجا واتوس يقول لو قبضنا على مازارين كما اشرت لعد ذلك جرماً علينا واني لاعجب والله كيف ان بلاط فرنسا قد اقلب فلم يهه موت شارل وقد اهتزت له اوربا باسرها

وكانا قد بعدا عن المنزل فافترقا للنوم وتواعدا للالتقي في الغد ولما كان الميعاد اجتمعا وتساءلا عن صاحبيهما دارتانيان وبورتوس فلم يكن عند احد منهما خبر عنهما فعزما على ان يبحثا عنهما اذا انقضى ذلك النهار ولم يبلغهما من امرهما شيء فقال اتوس وما نصنع الى المساء قال اراك قد نسيت موعد شاراتون قال لا وهذا الشعب قد ذهب اليهما وستنشب الحرب بينه وبين جنود فرنسا هناك حيث يكون راعول فيها بنا لنرى ثم سارا واذا بلا نشت لابساً لباس القواد يخطر بين الشعب فقال اتوس ويحك هذا صاحبنا قائداً ولا يبعد أن يكون غداً مارشال فرنسا ثم انطلقا الى شاراتون يتقدمان الشعب

الفصل الرابع والسبعون

الحرب في شاراتون

ولما دنا الحارسان من شاراتون رفع لهما جيش في أيدي رجاله السيوف والحراب

فقال اراميس هنا ساحة الحرب يا اتوس ألا ترى صفوف الفرسان في ايديهم البنادق ووراءهم المدافع قال ارى ذلك ويلوح لي اننا نجاه جيش الملك فما الذي جاء بنا اليه ثم أليس هذا دي شاتيلون المقبل علينا قال هذا وسل سيفه ووضع اراميس يده على غدارته وكان اللوق دي شاتيلون قد دنأخيا الفارسين وقال اظنكأ لا تعلمان بما جرى فنحن الآن في هدنة والامير ودي رتز ودي بوفور ودي بويلون يتحدأثون في السياسة بحيث لم يبق امامنا الا واحد من امرين اما ان يصطلحوا فترد السيوف الى اجفانها او يفترقوا على دخن فبحكم بيننا الحسام وهو اعدل حاكم فقل اراميس انا سائلك مسألة قال ما ذاك قال ابن يتداول القوم قال في شاراتون في البيت الثاني الى اليمين وانت ذاهب الى باريز قال هل لم يكن هذا الاجتماع امراً منوياً قال لا بل عرضه مازارين امس مساءً على الباريزيين فذكر الحارسان ليلة الامس وتبسما ثم قال اتوس ولمن البيت الذي يأمرون فيه قل لدي شاتيلون قائد جيوشكم في شاراتون واقول جيوشكم لانكم على مازارين فقال اتوس بل نحن مع الملك والامراء ولكن علام انت عازم اذا اخفق المؤتمر قال ان اهجم على شاراتون فافتحها كما صار الي الامر لاني قائد الحملة فقال اتوس اذا كنت كذلك فلا يبعد انك تعرف دارتانيان من بين الضباط قال انه ليس معنا ويقال انه بارح باريز من شهر ونصف وذهب بيعة الى انكلترا قال اعلم ذلك ولكن اظنه قد عاد قال لم يعد بعد ولو عاد لرأيتة لان طائفة الحراس معنا وقد قام مقامه في القيادة دي كامبون فقال اتوس لاراميس اصاب صاحينا مكروه والله قال نحن اليوم في الثامن من الشهر وهو آخر الميعاد بيننا وغداً نسمى في البحث عنهما فقال اتوس لشاتيلون أتعرف ايضاً يا سيدي اللوق فتى من النبلاء يدعى الفيكونت دي براجلون من اتباع الامير قال نعم اعرفه وقد اتى اليوم مع الامير قال ألا يمكن ان اراه قال نعم فاذا شئت فاتبعني الى المعسكر و بينما ادار ظهره اذا بثلاثة فرسان قد اقبلوا من جهة باريز وكان احدهم النائب والثاني الامير والثالث دي بوفور فاشاروا اشارة قرعت لها البوقات وهب الجيش الى سلاحه فقال شاتيلون قد انتقضت الهدنة وسنبداً بالحرب وهذه علامتها فارجما الى شاراتون فمادا فالتقيا بالنائب واللوق دي بوفور وهما في مقدمة جيش باريز فقال النائب ما ارى فرنسا تستريح الا اذا خرج منها مازارين قاتله الله ما اخبئه ثم استل

دي بوفور سيفه وقال للجند قد اتقضت الهدنة يا قوم وهما مازارين قاتلوا قتال الابطال وهذا المدوقادم الينا فلنخفف عنه نصف الطريق ثم جال في متن جواده فخرج به يعدو وتبعه الجيش ثم التقى المسكران ودارت رحى الحرب على قطب السيوف وانهار الدماء فانكسر عسكر الملك وتبعهم الباريزيون يضربون في اقنائهم واذا بنجدة اقبلت اليهم فردت الباريزيين قليلاً وعادت الحرب على بدتها فكان اراميس شاهراً سيفه يضرب ضرب المستبسل واتوس فارغ اليدين لا يسيل سيفه ولا غدارته وهو يجيل طرفه في ذلك الجيش المشتبك كانه بين زهر الربى وبين اراميس بهدر كالبعير ويفرق الصفوف واذا بفارسين على احدهما درع مذهب يشقان الجيش حتى صارا في مقدمته وحمل الفارس ذو الدرع المذهب على اراميس فضربه بسيفه ضربة شديدة فاقاها الحارس وقال مرحباً بك يا شاتيلون فقد وفيت بالوعد وانا في انتظارك ثم نزع غدارته من ثديته وقال اذا كانت غدارتك فارغة يا دوق فانت قتيل قال انها مملوءة بحمد الله ثم اطلقها على اراميس فجاد عنها فراحت رصاصتها خائبة فقال له اراميس ان تكن قد اخطأتني فانا لا اخطئك قال ان عشت قل لي ما تشاء ثم رفع سيفه وهو يضربه واذا برصاصة الحارس خرقت صدره فسقط عن ظهر جواده صريعاً واقبل الفارس الآخر يريد اراميس ليضربه فاعترضه اتوس بيده ورفع اراميس نظره الى الفارس وصاح راعول فلما رأى الفتى الكونت و اراميس رمى سيفه من يده فانقض عليه الباريزيون بسيوفهم فقال اراميس دونه بالسيف وقال دعوه فهو اسيري فتركوه وكان الامير قد هاجه قتل شاتيلون فاطبق بفرقه اطباق الغمام فرد جيش باريز على اعقابه فقال اتوس لاراميس ارى جيش باريز قد انكسر قال سيان عندي انكسر أو انتصر فاني لم آت الا لاقتل الدوق دي شاتيلون وقد فعلت فيها بنا نرجع فقال اتوس وأزيدك انك اخذت أسيراً وهو راعول قال نعم فلنخرج من الحرب ثم حثوا افراسهم حتى خرجوا من مازق الوغى فقال اتوس لراعول ماذا كنت تفعل قال كنت ذاهباً الى رويل برسالة بعثني بها الامير الى مازارين فصادفني شاتيلون فأخبرني انك نسأل عني فاقبلت معه ولكني لم أعرف اراميس وكدت أقتله لو لم تردني عنه فقال اتوس اذن فامض فيما أنت ذاهب فيه فقال اراميس هيات والله أنسيت يا كونت انه اسيرنا فهايت يا بني الرسالة ثم أخذها

منه واعطاهم لاتوس وقال اقرأ باسم ربك الذي خلق ففتحها وقرأ « ابعث الليلة اليك يا مولاي انجدة جيش دي كومنج بالفرسان العشرة الذين وعدتك بهم فانهم قادرون على المحافظة على عدوك الذين نخشى منها » فقال اراميس الا تظن ان هذين الفارسين اللذين يجب ان يحرسهما عشرة يشبهان دارتانيان وبورتوس قال نذهب الليلة الى باريز فنسأل عن صاحبينا فان عرفنا عنهما شيئاً والا ذهبنا غداً الى بيكارديا نبحث عنها ثم سار فسألا بلانشت فلم يعلم بشيء وعاد الى حاتوته وهو يقول قد خاب الامل وانكسر الجيش فلا حول ولا قوة الا بالله

الفصل الخامس والسبعون

طريق بيكارديا

وكانت باريز قد تضايق اهلها من الجوع والحصار فخرج منها الحارسان في الصباح وسارا يتنكبان جيوش الملك حتى خلاصا الى طريق بولونيا آمنين فاخذوا فيها يسألان كل قرية وفندق عن صاحبيهما فلا يدري لهما خبر يقين حتى بلغا مونزيل ونزلا في فندقها فرأيا على المنضدة (الطاولة) هذه الاحرف محفورة بمدينة بورة ... دارت ..
- ٢ شباط

فقال اتوس كنت اود ان نبيت هنا لولا هذا الاثر فيها بنا ايها الصديق ثم ركبا وسارا ينهبان في الطريق بفرسبهما حتى بلغا بيرون وقد يش اتوس من وجدان صاحبيه وهم بالرجوع واذا بمحاط مشيد مكتوبة عليه هذه الكلمات باللغة الاسبانية « انهم يتبعوننا » فشد ذلك عزم الرجلين وسارا في طريقهما وقد قوي فيها الامل حتى بلغا طريقاً ضيقاً وعلى قارعتة حجر ضخيم فقال اتوس لا يقدر على القاء هذا الحجر هنا الا بورتوس لقوة ذراعه واظنه قد سد به الطريق حتى لا يتبع ثم نزل ودار حول الحجر فرأى في اسفله مكتوباً « يتبعنا ثمانية فرسان فاذا بلغنا كومبيان نزل في فندق الطاووس المتوج وصاحبه من اصدقائنا » فاسرع الفارسان لا يلويان على شيء حتى بلغا الفندق فسألا صاحبه فقال ان الحارسين قدما اليه ثم لم يلبثا ان تبعها ثمانية فرسان واستنجدوا بحامية القرية فغلبتها الكثرة واخذوا اسيرين بعد ان انكسر سيف دارتانيان وقتل من القوم

عدة وقادوها في طريق لوفر فترك الحارسان خادميها كرىمود ويزوا في الفندق بعد ان اوصياها بالذهاب الى باريز وسلماهما الخليل وركبا البريد حتى بلغا لوفر فأيا في فندقها مكتوبا برأس مسمارد رويل فقال اتوس انهما في رويل حيث ينزل الكردينال فيها بنا اليها فقال اراميس ليس ذلك من الرأي واذا التقينا بانفسنا في ايدي مازارين فهو الهلاك فقال والله لو كنت صديقا ليونان كما انا صديق لدارتانيان لتبعته الى بطن الحوت فاذهب ولا تخش بأسا

وكانت رويل في ذلك العهد مقر البرلمان بين البلاط والشعب وكانت الهدنة قد تقررت بين المتحاربين فاجتمع فيها كل اصناف الناس بين باريزيين وملكيين فدخلها الحارسان واختلطا بالناس عليهما يسما خبراً عن صاحبيهما فلم يسما شيئاً فقال اراميس لاتوس لنحذر ايها الصديق من ان يعرفنا الناس والاقبض علينا مازارين والتقينا بصاحينا حيث هما في سجنه اما في رويل او في سان جرمن لان آخذيها ذهبوا بهما الى رويل فسألها الكردينال مستنطقاً ثم سجنهما حيث هو في سان جرمن اما الباستيل فما اخالها فيه لانه للباريزيين الات وحاكمه ابن بروسل ثم لا اظنهما قتلا لان موت دارتانيان يهز فرنسا باسرها اما بورتوس فلا اخاله يموت والذي يغلب عندي انت صاحينا في رويل فلنقم هنا ونبحث فقال اتوس وقد اصفر ويلاه اعرف ان ريشليه قد بنى في رويل سجناً مؤبداً قال ذلك كان يخشى منه اما مازارين فهو اصغر من ذلك فانا اؤكد لك انهما هنا في رويل على تمام العافية قال قد خطر لي رأي اخلص به صاحينا وذلك بان اذهب الى الملكة فالتمس منها اطلاقهما قال اذكريا اتوس انك تقدر ان ترى الملكة حتى ترى الكردينال واذا رايت الكردينال لحقت بصاحبيك في السجن قال لا بد من ذلك افلا تذهب معي قال لا فاني اذا رافقتك سجننا كلانا فانا احب ان اغل مطلقا لاساعدكم اذا سجنتم مع صاحينا وميعادنا اسوار رويل احاصرها بالجيش اذا سجنتم فاذهب ولا تخش عاقبة فذهب يريد الملكة

الفصل السادس والسبعون

شكر حنة دوتريش

وكان قصر الملكة في سان جرمن غاصا بالنبلاء والاشراف كاحسن ما كان عليه في باريز ولكن غالبهم كان يظهر للمازارين الكره والحقد من الامير فما دون بحيث لم يعد له من سند سوى الملكة وهي امرأة فكان واياها مثقلاً استعان بذقه فلما بلغ اتوس البلاط كانت الملكة في خلوة مع الكردينال في امر عرضه عليها اهل باريز فلما فرغت استأذن الحاجب لاتوس فدخل الى غرفتها وهي لا تجهله اذ طالما رن صدى ذكره في آذاتها ولكنها تباهت بعرفانه فقالت له هل من خدمة تؤديها لنا يا كونت فقال وقد استاء من مجاهلها به نعم خدمة اخرى اينها الملكة فقطبت حنة حاجبها اذ احست بسهم كلامه وكان مازارين جالساً على منضدة يقرب في اوراق فرغ رأسه ثم عادت الملكة فقالت تكلم فعاد مازارين الى قلب الاوراق وقال اتوس ان رجائين من اقرب اصدقائي الي واخلص الخدم الامناء لك وهما دارتانيان ودي قالون قد ارسلهما سيدي الكردينال في بعثة الى انكلترا فعادا منها ثم اخفت اثارها على اثرات وطناً ارض فرنسا ولا أدري ما الذي جرى عليها قالت نعم ثم ماذا قال فانا آت اليك التمس منك اخباري بما جرى لها فان تفضلت علي بكرمك والالجات الى عدلك فنظرت اليه الملكة نظرة الكبرياء وقالت اني مثل هذه الحال تعرض علينا امرك الطيف وتشغلنا به كأنك لا تدري اننا في شغل عنه بما هو اعظم منه خطراً ام تراك حسبتي من رجال الشرطة ولم تدر اننا لم يعد عندنا شرطة من يوم بارحنا باريز قال اظنك يا سيدي لست في حاجة الى سؤال الشرطة عما جرى بصاحبي بل يكفيك من ذلك ان تسأل سيدي الكردينال في اي جهة هما فهو اعلم بمقرهما من غيره ولا تنكري تعرضي لذلك فانا ذو حق فيه لانه يتعلق بدارتانيان ومد بها صوته ليذكر الملكة به فاحس مازارين بصعوبة الامر فاقبل لمساعدة الملكة وقال انا اخبرك ايها الكونت بما تجهله الملكة فان صاحبيك قد خرجا عن الطاعة فقبض عليهما فعاد اتوس الى خطاب الملكة غير ملتفت الى مازارين وقال اذا استرحم منك يا سيدي ان تأمرني بالافراج عنهما

قالت ان ما تسألني امر يتعلق بنظام الدولة ولا دخل لي فيه قال اظن ان دارتانيا ان لم يجيبك بمثل هذا الجواب عندما كنت تعرضين عليه ان يقوم بخدمتك ثم تأخير يريد الباب للخروج فوقفه الكردينال و اشار الى حنة اشارة استعدت بها الى امر صارم فاصفر وجهها وقالت اظنك قادم من انكلترا يا كونت قال نعم حيث شهدت مقتل شارل رحمه الله فقد ظلمه الشعب في القصاص ولكني ارى عروش الملوك قلقة في هذه الايام حتى لم يعد يحسن بذوي القلوب الطاهرة ان يخدموا الامراء فان هذه المرة الثانية التي سافر فيها دارتانيا الى لندره لخلاص ملك عظيم بعد ان سافر اليها اول مرة لخلاص ملكة عظيمة من العار كان ذلك جزاؤه فقالت الملكة لما زارين بصوت يدل على التأثر انظر بماذا تقدر ان تنفع هؤلاء النبلاء قال بكل ما تأمرين به ايها الملكة قالت اذن فافعل ما يطلبه الكونت دي لا فير او ليس ذلك اسمك فقال الكونت نعم وادعي ايضاً اتوس فقال مازارين سيكون ما تأمرين قالت اسمع يا كونت قل نعم وهو عدلك الباهر او ليس اني سأرى صاحبي قالت نعم سترهما ولكن الست من حزب باريز قال انا خادم للملك قالت نعم ولكن كما تريد قال ليس في ذلك ما اريد او ما يريد غيري فهو واجب واحد لا يتغير عند كل رجل نبيل قالت فاذهب الان فقد نلت انت ما سألت وعرفنا نحن ما سألنا ولما خرج الكونت اشارت حنة الى مازارين وقالت اقبض على هذا الرجل يا كردينال قبل ان يخرج من القصر قال ما عدوت ما في ظني فقد كدت اسألك ذلك ثم خرج

وكان اتوس قد بلغ الساحة فقابل رجال البرلمان قادمين فوقف ينظر اليهم واذا بيد لمست كتفه فالتفت فعرف دي كومنج فقال خير ان شاء الله قال انا مكلف بامر التمس منك العذر عليه قال وما عساه ان يكون قال تسلمي سيفك يا كونت فالتفت الكونت الى النافذة ونادى اراميس وكان لا يزال ينتظره في اسفل القصر ليرى يخرج ام لا فاجابه فقال ها انا يقبض علي ثم التفت الى كومنج وسلمه سيفه وقال احرص عليه يا سيدي لترده علي عندما اخرج من السجن فهو اثر من الملك فرنسوا الاول اعطاه بلجدي فقد كانوا في ذلك الحين يخلمون السلاح على الناس واما اليوم فيخلمونه عنهم والان فالي ابن تذهب بي قال الى حجرتي حتى يصير الي امر جديد

الفصل السابع والسبعون

ملكية مازارين

وكان القبض على اتوس من غير ان يدري به احد على الاطلاق ولذلك لم يشع له خبر قط وبعد قليل استأذن الحاجب لوفد باريز على الملكة فاذنت ودخلوا فاخذوا في خطابهم والملكة مطرقة الى الارض غائصة في بحار التأمل كأنها لا تسمع ما يقال حتى انتهى الخطاب وبقيت صامدة فاجاب مازارين وقال ايها القوم اني انضم اليكم في الالتماس من الملكة ان تضع حداً لهذه المصائب على رعاياها فاني قد بذلت متهمي جهدي لاقلل تلك البلايا واخفف وطأتها عنكم الا اني لا ازال ارى العامة تزعم ان منشأها مني انا الغريب المسكين الذي لم يقدر ان يرضي الفرنسيين بعد ان ساءم ذلك الرجل العجيب ريشيليه الذي طالما حاولت ان اتبع آثاره فلم اقدر وها انا اقر لكم بالغلبة عليّ واجري كل ما يطلبه الشعب وسوائه. كان الباريزيون مخطئين أو مصيبين فقد لاقت باريز ما كفاها من سفك الدماء ومهاجرة ملكها لها واني علم الله لست في مقام من العظمة والخطارة يجدر بي معه ان اقسام مملكة عن ملكها فقد طلبتم ان اخرج منها فانا اخرج والله حسبي وكفي

وكان اراميس قد دخل مع الوفد فقال لرجل الى جانبه ان السلام قد تقرر فلا حاجة بعد ذلك الى مؤتمرات بل لم يبق علينا الا ان نرسل مازارين الى ابعد حدود فرنسا تحت الحفظ الشديد حتى لا يعود اليها مرة اخرى فقال الرجل اسمع فان الامر لم يتم بعد وسترى ما يكون فالتفت الملكة الى الوفد وقالت ايها الناس لقد جريتنا على رغبتكم في اكثر طلباتكم وفيما قاله الكردينال الآن كفاية عن الاطالة اما سفره وبقاؤه فانا احمل من جميله على المملكة ما لا يسعني معه الا ان اطلق له عنان الحرية فهو يفعل كيف شاء اما الان فدعو الكردينال على حدة ولا يكن كلامنا الا بشأن الملك فقام الوفد وخرج ولما خلت بالكردينال قالت له كيف قلت انخضع للشعب وزعمائه قال نعم ما دام في ذلك صيانة لشرفك فكل عزيز عليّ هين في سبيله فاطرقت الملكة برأسها مفكرة فنظر لها ذكر اتوس وشدة كلامه وقوة حجته فذكرها ذلك بماضي ايامها في عصر الشباب

وعهد الغرام فهاجت بلابلها وقالت تلك ايامنا عليها السلام ثم قالت يجب ان تخضع للشعب ونشترى السلم ومنتظر فرصة اخرى نرى فيها رأينا فنظر اليها الكردينال وتبسم من غير ان يجيب فقالت له ما بالك لا تجيب يا كردينال وبماذا تفكر قال افكر في ان هذا الكونت الذي قبضنا عليه الساعة قد ذكرك بيكنهام الذي تركته يقتل ودي شفريرز التي تركتها تنفى والدوق دي بوفور الذي سمحت بسجنه . ولقد تأملت في كلام هذا الوفد وعرضه على العزل فوجدته اخيب من قابض على الماء قالت اذكربا كردينال ان العزل والتزل لا يختص الا بالملوك قال او لست ملك فرنسا انا فانت ثوب الرهبانية الذي البسه اذ قد طرحته على سريرك فقد صار اشبه بمجباب الملوك . قالت او لم تسمع يا سيدي الكردينال ما قلته لهذا الوفد الآن من انك تفعل كيف تشاء قال اذن فانا اقيم هنا فان في ذلك صلاحاً لي ولك قالت اقم فذلك ما اشتبهه ولكن لا تسبب لي الهوان قال اظنك تعنين طالب الشعب منك فرويداً ايها الملكة فانهم قد اختاروا لامرهم هذا اساساً انا صاحبه ووليه وهو البرلمان ولا يمضي عليهم ثمانية ايام حتى يمسمهم الجوع فترين عند ذلك ما يصنعون قالت انا اعلم ان امرهم يقف عند هذا الحد ولكن ليس ذلك الذي يكبر علي قال فهمت ما تقصدين فانت تعنين الحراس الاربعة وتقرعهم لك ولكننا قبضنا على ثلاثة منهم وسنسى في الحاق الرابع بهم وهو علينا هين فقد طالما مارسنا من هو اشد منه مراساً ولا بد من ان اضيفه الى اصحابه في سجن رويل . قالت ما داموا اسرى فلا خوف علي منهم ولا اخاف ان يخرجوا قال ذلك يكون اذا امرت باطلاقهم قالت ويلاه هنا اسف على باريز قال لاذ قلت لان فيها الباستيل قال لا تيأسي يا سيدي فاننا متى عقدنا المؤتمر نحصل على السلام فيكون لنا منه باريز ومتى كانت لنا باريز كان لنا الباستيل فنضع فيه رجالنا الاربعة ثم قبل ثدها علامة الاستئذان وخرج

الفصل الثامن والسبعون

الاحتياط

فلما خرج مازارين من لندن الملكة انطلق يريد رويل حيث كان منزله وهو بلباس

الفرسان بحفه خمسون فارساً بخفرونه ووراءه اتوس راكباً جواداً وهو اعزل بحرسه دي
كومنج حتى بلغ قصره الذي بناه ريشيليه في ايام سطوته ومجده فتقدم اليه كومنج
وقال اين يا امر مولاي ان نضع الكونت دي لافير قال في شرفة حديقة البرتان تجاه
مركز الحرس قل انه يطلب ان يوضع مع دارتانيان حيث امرت ان يسجن في شرفة
الحديقة فاطرق الكردينال برأسه مفكراً فلم كومنج انه يستشير نفسه فاردف وان
محبس دارتانيان امين جداً يخضره اربعون جندياً من الالمانيين فتبسم مازارين وقال
ألا تدري يا كومنج انا اذا وضعنا الثلاثة في مكان واحد وجب علينا ان نضع
عدد الخفراء في حين نحن في حاجة الى الجند هنا وانت لم تختبر بعد هؤلاء الثلاثة
الابطال اما انا فقد جربتهم فوجدتهم من اشد الرجال بأساً واقد فعلوا في انكلترا حيث
ارسلتهم لخلاص شارل الاول افعالاً تكاد تكون عجائب لولا ان خاتمهم التقادير قال
اذا كانوا قد احسنوا لك الخدمة فلم تأمر بسجنهم يا مولاي قال كيف تدعو ذلك سجناً
ومتى كان في رويل سجن قال لما وجد فيها سجناء قل ان هؤلاء الثلاثة ليسوا بسجناء
بل هم من اعز الضيوف عندي حتى اني احرص عليهم في ضيافتي كثيراً ودليل ذلك
انني اريد ان ازور البيلة الكونت دي لافير فضعه في شرفة الحديقة حيث اتزهر فازوره
فأبغى كومنج واتشى الى اتوس وقال ان ما طلبته محال يا كونت قال اذن اسألك
امراً قل انا رهين امرك فني اعلم عظم خدمتك الملك وفضلك عليه ولا تظن اني
احب مازارين اكثر منك فانا لا اخدمه الا باصر الملكة فقل ما تريد قال لا اطلب
منك الا ان تقول لدارتانيان انني اسير هنا في جواره في شرفة الحديقة وان الكردينال
سيزورني فاغتم زيارته لالتماس فضله علينا في محبستنا قال واره لا يطول يا كونت اذ
ليس في رويل سجون قال نعم ولكن فيها سجونا مؤبدة بناها ريشيليه قال هيات ان
يقدر رجل كمازارين ان يضع امثالا فيها فهو اقصر يداً من ذلك وكن على يقين من
انه لا يمضي قليل حتى تثور اشراف فرنسا نطالبه بكم فكن في راحة من هذا القيل ثم
مشي امامه فتبعه الكونت في رواق فيه جنود كثيرون حتى بلغ به الشرفة فوجد امامها
حائطاً في اعلاه نوافذ مشبكة بالحديد فقال لدي كومنج ما هذا قال محبس رفيقتك قال
وكيف شأنها قال ان دارتانيان سيء في بداءة سجنه اخذ يغري الجنود على ان يسطوه

سيفاً فابوا ولما يش منهم اصبح الآن ساكن القلب يعني وبمخرج واما دي فالون فقد اخذ يكسر الابواب ويقنمها بكنفه حتى اتقد خلته سيخرج من رويل كما خرج شمشون من غزة اما الان فقد هدأ وسكن كالبحر بعد هياجه ثم ترك الكونت في محبسه وخرج

الفصل التاسع والسبعون

الجنان والبنان

ترك اتوس الان في سجنه ودمود الى شرفة الصيد حيث كان دارتانيان وبورتوس وهي شرفة اماها رواق طويل يمشى فيه الحراس لخفارة الاسيرين وكان المساء قد دنا فقال دارتانيان لبورتوس هذا النهار قد مضى وأظنتنا في الساعة الرابعة منه فنحن قد مضى علينا مائة وثلاث وثمانون ساعة في محبستنا هذا قال ذلك منك يا دارتانيان ألم اقل لك انني اكسر حديد هذه النافذة فنخرج منها ونخلص قال ليس ذلك بكاف للفرار ألا تدري اننا اذا فعلنا ذلك نجد في هذا الرواق من يقبض علينا ونحن لا سلاح معنا واذا لم يقبض علينا الحرس فلا اقل من ان يصبحوا فينبهوا علينا الجند واني لا آسف على ما مر من حياتي فقد ذهب ضياعاً اذ لم اتفقد هذا القصر لاعلم مخارجه وطرقه واني لو عرفته لكان علي الامر ولكنني اخشى اذا فعلنا ذلك الآن وحاولنا الفرار ان يقبض علينا فيحط ذلك من شأننا ونصبح في الخلق مثلاً فان هفوة العظيم مستعظمة فاطهر الآن ما اظهر انا من الهدو والسكينة حتى يقبض لنا الله عرفان خبر عن اصحابنا ولا نظن ان عاينا خطراً كضرب العنق أو نحوه فان مازارين لا يقدر على ذلك الا اذا حاكنا واذا فعل شاع امرنا فحضر اصحابنا فنمعه عنا فلنقم الآن على حالتنا نحدث الحراس ويحدثوننا حتى يقضي الله امراً كان مفعولاً . وبينما فرغا من هذه المحادثة دخل عليهما كومنج وقال صاحبكما الكونت دي لا فير يقرأ كما السلام وهو قائم بالقرب منكما سجيناً وراء هذا الجدار فقامت عينا دارتانيان في ام رأسه غيظاً وحقاً وجعل يرغب ويذب ثم قال وكيف حاله قال كان في كرب في باديء الامر ولكنه لما علم ان الكوردينال سيؤروه هدأ روعه وسكن قل مازارين يزور الكونت ذلك شيء بعيد فقال بورتوس كيف يكون بعيداً يا دارتانيان أما تدري ان الكونت ذو قرابة من عشيرة موتمر انسي

وغيرها من كرائم المشائر من سلالة الملوك فهو بذلك يفوق مازارين شرقاً ومجداً فقال دارتانيان ما هذا اردت ولكني اظن ان مازارين سيستدعي الكونت اليه لا ان يزوره فقال كومنيج لا بل يزوره وقد سمعت ذلك من فم الكردينال قال اذن فالكردينال معتاد على ان يتزوه في حديقة البردقان قال نعم كل مساء قال اذا كان ذلك فلا يبعد انه يزور الكونت لانه يمر بياحه ولكن اظن انه يكون معه حرس قال نعم جنديان قال فكيف يحدث الكونت اذا امام الجند قال انهما من الالمان فلا يفهمان ما يقال وفوق ذلك فانها ياخذان جانبي الباب قال اني اخشى على الكردينال من الكونت ان يصيبه بمكروه قال كيف تخشى منه وهو اعزل وعند اول صوت من الكردينال يكون الجنديان عنده قال صدقت فاني ارى كل ليلة جنديين يتمشيان امامنا في هذا الرواق تحت النافذه قال نعم فهما ينتظران الكردينال أو امرأته ليذهبا اليه ويرافقاه قال اذن فانا التمس منك امرأ يا دي كومنيج فمتى ترى الكونت قل في صباح غد قال اقرأه منا السلام وقل له انه يعز علينا سجنه فريداً قال حياً وكرامة ثم خرج وما كاد يقفل الباب وراه حتى قام دارتانيان الى بورتوس بعاقته ويقبله وهو يكاد يطير فرحاً وسروراً فذهل بورتوس وقال ما بالك يا دارتانيان هل اصابك جنون قال لا بل دنا الخلاص قال ويحك كيف ذلك قال اجلس الآن نأكل ونستريح فنحن في حاجة الى قوانا الليلة قال وما عسى ان يكون ذلك قال ستعرفه متى ازف وقته والامور مرهونة باوقاتها

الفصل الثمانون

البنان والجنان

وكان دارتانيان يأكل ويتنعم بما يجول في خاطره من آمال الخلاص وتدبير الحيلة وبورتوس ينظر اليه فيسر اسروره من غير ان يعرف لماذا حتى اذا فرغ من الطعام نظر بورتوس الى رفيقه وقال والآن على ماذا عزمت فقد قلت انا نجونا قال نعم ولا ازال اقول قال ولكنك ذكرت ان ذلك يتوقف منا اما على كسر باب او هدم جدار قال نعم هو ذلك قال ولكنك ذكرت ان ذلك لا يعني في امرنا شيئاً فانا لا نخطو بحد ذلك مائة خطوة حتى يقبض علينا الجند الا اذا جيء لنا بملايس فتكرنا بها وسلاح فاشتمناه قال

ذلك علينا حين وهو على طرف التمام فاختار بورتوس وأخذ يجيل نظره حوله عساه يرى من ذلك شيئاً فقال له دارتانيان لا تبحث فذلك محال ولكننا سنحصل عليه متى اردنا ودنت الساعة أفلا تذكر في اية ساعة جاء الحارسان الالمان واخذنا يتمشيان تحت هذه النافذة في الرواق قال في الساعة الاولى من الليل فيما أظن قال اذن نتظرهما فلا يبعد ان يحضرا فهلا يزال ساعدك قوياً فكشف بورتوس عن ساعد كذراع الاسد وقال لا يزال قوياً بحمد الله فلقد قيل لي ان بعض الناس يقتلون الثور بضربة كف ثم يمتثلونه الى منازلهم ويوقفون الجواد في اشتداد جريه باقبض على رجليه ويلفون الحبل على رؤوسهم ثم يعضون على اضراسهم حتى تنفخ اصداغهم فيقطع الحبل وقد جربت ذلك فقدرت عليه الا الحبل فاني لم اقدر على قطعه قال ذلك دليل على ان لا قوة لك في رأسك قال لا ولكنها في ساعدي وكتفي فقام دارتانيان فاطفاً النور وقال ارني بأسك باقتلاع عتلة حديد من هذه النافذة فعمد بورتوس الى العتلة فجذبها من ثقبها في جدار النافذة ثم لواها في يده كما يلوي الفصن واجتذبها فخرجت وقد انفرجت فرجة في مكانها ثم عمد الى الاخرى وقال وهذه ايضاً قال لا فواحدة تكفي لان يمر منها رجل والآن فمد يدك من هذه الفرجة قال لماذا قال مدها ولا تسل فمدها وقال والان فهل تم الامر قال لا قال اريد ان أفهم قال ستفهم أترى هذين الحارسين القادمين قال نعم وهما حارسا الالمس قال وتدرى بانها بخفران الكردينال حيث يذهب قال نعم ولكن قد نودي احدهما فماد فهل في ذلك حائل قال لا فانا الآن سادعو هذا القادم الينا فيصعد على النافذة واحادته ثم تأتي انت نتمد يدك من الفرجة وتقبض على عنقه فتجذبه الى الحجرة واياك ان يصبح قال لكن اذا اختنق فانا براء منه قال ما اظنه يخنق ومتى حصل لدينا سددا فاه وأخذنا ثيابه وسيفه ثم يأتي الآخر فنعمل به مثل ذلك والان فمد يدك فان الظلام حالك ومتى سعلت لك فافعل قال نعم واذا بالجندي قد وصل فابتدره دارتانيان وقال الا فيجد هذا البرد قال نعم برد شديد وكانت نخالط لفته عجمة الالمان حتى لا تكاد تفهم فقال له دارتانيان هل لك في كاس من الخمر قال حبذا ذلك قال فاصعد وأجلس هنا على حافة النافذة لاسقيك فصعد الرجل وسعل دارتانيان واذا بكف بورتوس اسرع من البرق واشد من الحديد هوت على عنق الجندي حتى ما نبس واجتذبه من فرجة

النافذة الى داخل الغرفة فنزع دارتانيان ثيابه فلبسها واشتمل بسيفه وسد فاه بكتلة من نسيج وقال لبورتوس قد حصلت على ثيابي فاسع الآن في ثيابك قال اخاف ان لا ينجح في هذه المرة وهذا رفيقه قد اقبل فانا خارج اليه لارى في شأني معه ثم انسل من النافذة وذهب وكن للجندي في طريقه حتى دنا من النافذة وثب عليه فقبض على عنقه حتى فقد صوته ودسه من النافذة فلتقاه دارتانيان ثم تبعه بورتوس فنزع عنه ثيابه ولبسها كما فعل رفيقه الاول ثم ربطاها وخرجا من النافذة الى الرواق وجعلا يتروحان فيه وقد انزلا قبعتيهما على عينيهما حتى لا يعرفهما احد واذا بخادم الكردينال قد اقبل اليهما وأخذها الى باب وقال تنتظران الكردينال هنا حتى يأتي ثم ذهب فقال دارتانيان ها قد غدونا على مقربة من محبس الكونت دي لا فيراكن تحول بيننا الابواب فهل تقدر على كسرها يا بورتوس قال نعم وفيما هما كذلك اقبل الكردينال واوصاهما بالتحفظ وهو يظن انها حارساه وفتح الباب ودخل ثم فتح غيره ودخل وهو يقفل وراءه كل باب دخله حتى خفي صوته فوضع بورتوس يده تحت الباب ورفعه ثم دفعه فافتتح ودخلا

الفصل الحادي والثمانون

سجون مازارين

فلما بلغنا الباب الذي دخل منه مازارين وجداه مقفلاً فإشار دارتانيان الى بورتوس ان افتحه ولكن بحيث لا يسمع له دوي فوضع ذلك الجبار كتفه على لوح الباب وادخل دارتانيان سيفه تحت كالمحل ودفعاه فافتتح ودخلا الى دارقوراء فيها النور الذي كان يحمله مازارين فقال دارتانيان هذا النور قاين الكردينال ونظر حوله فرأى صفاً من الصناديق المقفلة وبينها صندوق خارج عن مركزه والى جانبه فوهة في الارض فاشرف دارتانيان عليها فرأى بها سلماً على شكل لولب ينزل في الارض فأشار الى رفيقه فدنا فقال له لو كان من هنا المال لصرنا الان من اصحاب الثروة قال وكيف ذلك قال ان هذه السلم التي تراها تؤدي الى كنوز مازارين الشهيرة بوفرتها فليس علينا لتكون من الاغنياء الا ان ندرك الكردينال فيها فنفرغ احد صناديقه في ايدينا ثم نضع الكردينال مكان المال ونقفل الصندوق عليه فيبقى فيه الى يوم القيامة ثم نخرج بغنيمتنا آمنين قال نعم ولكن

ذلك شأن السفلة الادنياء لا الاشراف الامراء امثالنا قال صدقت بارك الله فيك وما
اتم كلامه حتى سمع من فوهة السلم رنين الدنانير ثم ظهر نور يحمله الكردينال فاسرع
الحارسان وكنا وراء الصناديق وخرج مازارين فرد الصندوق الى مكانه حتى غطي
الفوهة ثم اطنأ النور الذي في يده واخذ النور الذي كان في القاعة وقال لنرى الكونت
دي لا فير ثم مشى في رواق فتبعه الحارسان فوراً (على اطراف اقدامها) لكي لا يسمع
لها صوتاً حتى انتهى الى باب فوقف عنده ثم اجعل لفكر طرقة فقال ان دخولي على
الكونت وحدي تغرير بنفسي فيجب ان اعود قآني بالجنديين ثم اثني فبدره دارتانيا
وقال لا تمب يامولاي فنحن وراءك فجعل مازارين يقرب طرفه بين هذا وذاك وهو
لا يملك نفسه من الجزع والدهش وقال دارتانيا قال نعم ودي قالون صديقي العزيز
واظنك ذاهبا الى الكونت دي لا فير فتكرم علينا بان تدلنا على طريق حجرته ونحن
تبعك فخاف الكردينال ان يكونا قد وقفنا على امر من خبايا كتوزه فقال من اي وقت
انما هنا فهم بورثوس بان يجيبه بالحقيقة فهاه دارتانيا بايماض طرفه وقال قدوصلنا الان
فتهد الكردينال تهد المستريح من تعب وقال والان فقد اخذتاني بشرك فانا مغلوب
واعلم ان سوء الكما مني الاطلاق فاذهبا انتم مطلقين فقال دارتانيا لقد تكومت ياسيدي
الكردينال ولكن تذكر اننا حاصلان على الاطلاق الآن ونطلب منك شيئاً آخر قال
احرآن انما وكيف ذلك قل نعم وانت اسيرنا تلك سنة الحرب فاشتر نفسك منا ولنا
عليك الفضل فارتاع مازارين واجفل وقال كم تطلبان يا دارتانيا قال ذلك لا اعلمه
الان وسنسال عنه الكونت دي لا فير اذا فتحت لنا هذا الباب وذهبت بنا اليه فوقف
الكردينال مرتاعاً فقال دارتانيا ليس في الامر توقف يا كردينال فان الوقت قصير
فافتح الباب وعجل واذا امتعت بسابق السيف العزل ففتح ودخلوا

الفصل الثاني والثمانون

المدأولة

فلما دخل الكردينال قام له اتوس اجلالاً وسلم عليه ثم شعر بالحارسين فقال ظننت
ان سيدي الكردينال يكرم علي بخلوة معه فان حضوره شرف لي فتقدم دارتانيا

ورفيقه وقال ان سيدي الكردينال قد تكرم علينا بصحبته لكي نراك فاجفل الكونت لحضورها على غير ميعاد وقال ما هذا فجلس الكردينال وقال ذلك ان الزمان قد اتقلب وبعد ان كان رفيقك اسيري صرت اسيرها ولكن ما اظن ان انتصارها يطول فلا يبعد . . . فقاطعه دارتانيان اذ رآه صار الى جانب التهديد وقال لا تهدد يا مولاي فانك بذلك تلجئنا الى مجاراتك بل استعمل معنا ما نستعمله معك من الرفق واللين فهو اجدر بك ولتحدث الآن في امرنا

• قال ذلك ما اريده ولكن بعد ان دفعت لكما فديتي فاني اريد ان تعودا الى ربتكما معي فانكما قد نصبتما لي هذا الشرك ولكنكما علقتما فيه معي فكيف تخرجان من هنا اما تريان الابواب الموصدة وعليها الحفاظ الثقاة ولقد وهبتكما الاطلاق فاغتماه والاساءت العقبى عليكما او اضطررتما الى قتلي وذلك مشين بالشرفاء فدعاني الآن اذهب ولكما مني الامان فقال دارتانيان كيف تقبل منك الاطلاق وقد قلت انك بعد قليل تكون قادراً على ردنا الى حالتنا الاولى معك وهو غير بعيد عنك كما نعهدك قال لا وشرف الكردينالية قال اني لا اصدق بيمين الكردينالية الذين ليسوا برهبان قال اذن وشرف الوزارة قال انك الآن لست بوزير قال وشرف بيت مازارين قال قد بلغني ان احد رجال هذه الاسرة حنث بيمينه مرة وانا اخشى ان تكون احد اعقابه قال انك قد صرت الى جانب الاهانة يا دارتانيان قال ذلك ما تدعونا الضرورة اليه قال ألا تدري انكم هنا في سجن لا خلاص لكم منه قال الا بطريقة واحدة قال وما هي قال هي ان نموت معاً فارتعد الكردينال وقال ان في آخر هذا الرواق باباً معي مفتاحه فتخرجون منه الى الحديقة ثم تتسلقون سورها وتنزلون الى الشارع وانتم طلقاء قال فاين المفتاح قال هو هذا قال اذن تكرم بان ترافقنا الى الباب قال حياً وكرامة اذا ظفرت بالسلامة ثم مشي فتبعه الثلاثة الى الباب ففتحه وخرجوا واذا الثلج ينسف اوجهم فقال دارتانيان انها ليلة حالكة يا مولاي ونحن لا ندري بطرق الحديقة فلواتممت احسانك معنا فاوصلتنا الى الجدار قال انا على ما ترومون ثم مشي وساروا وراه ودارتانيان يقول حسن والله بثلاثة من ربتنا ان يقودهم وزير ويخفرهم ولكن لعل سيدي الكردينال يستصفر لنا ذلك بزعمه اننا شاكو السلاح فان كان ذلك ظنه فليعلم ان لا سلاح الا معي ومع دي فالون

اما الكونت فاعزل بحيث لو قابلتنا جماعة في الطريق لتمكنت من احدنا فقال بورتوس واني لنا سيف لاكونت قال ان مولاي الكردينال يتكرم بان يعير الكونت سيفه قال بل اهبه اياه تذكراً مني وكانوا قد بلغوا الجدار فرفع بورتوس اتوس على يده حتى بلغ اعلى السور ثم تدلى ونزل الى الشارع فقال دارتانيان لبورتوس احتفظ بالكردينال لاصعد ثم صعد بنفسه ونزل وقال لبورتوس والآن ايها الرفيق فناولني الكردينال واذا نطق فاخفته واراد الكردينال ان يصيح فقبض عليه بورتوس ورفع يديه وحذفه عن الحائط فلتقاه دارتانيان ووضع بين يدي اتوس وهو يبربر ويتعوذ بالله من شر غاسق اذا وقب ثم صعد بورتوس ونزل فانضم اليهم وساروا ودارتانيان شاهر سيفه في مقدمتهم ولما صاروا غير بعيد وجدوا ثلاثة افراس واذا بكر يمود قد طلع عليهم فقالوا ويحك ما هذه الافراس قال ان اراميس قد اوصاني بان اقف بها هنا وهو على مقربة منا ومعه ستون رجلاً وقد اتى ليخلصكم قال فاذهب وناده فذهب

الفصل الثالث والثمانون دنو الاماني

ولم يمض قليل حتى اقبل اراميس يتلوه كريمود ونحو عشرة رجال من النبلاء فالتق بنفسه على اصحابه يعانقهم ويقول الحمد لله على خلاصكم من اسركم من غير ان تحتاجوا اليّ قالوا لا تبأس ايها الرفيق فان لم نحتاج اليك فسنحتاج قال انني قد بذلت جهدي في خلاصكم فاخذت من النائب ستين رجلاً ووزعتهم حول هذا القصر حيث كنتم وقد اسعدني الحظ فامسكت رسولين من الكردينال الى الملكة فلما سمع مازارين اسمه نشر اذنيه ليسمع وكان الظلام حالكا فلم يعلم به اراميس فعقب وقال وكان مع الرسولين رسالتان احدهما يقول فيها للملكة ان الخزينة قد فرغت من المال ويقول في الثانية انه سينقل الاسرى الى مالين لان رويل ليست بمكان يؤمن فيه من فرارهم ولقد لاح لي من هذه الرسالة الثانية وجه امل لخلاصكم فوزعت الرجال الستين حول محبسكم ووضعت لكم خيلاً في يد كريمود وعزمت على ان اهاجم من يخفركم برجالي فايدهم عن آخرم حتى اخلصكم او اموت ولكن احمد الله على انكم كفيتموني اراقة الدماء وخلصتم ولكن

لا ادري كيف كان ذلك قال كان ذلك ايها الرفيق بكرم الكردينال وبره فقد تطف
 بناحفظه الله بان استصحبنا معه الى حجرة الكونت دي لاثير حيث تفضل علينا بالاطلاق
 واتم جميله معنا بان اوصلنا الى جدار الخديقة حيث نزلنا وصادفنا كريمود قال احسان
 والله من غير اهله لقد كنت اود ان اراه لاقول له رمية من غير رام فالتفت دارتانيان
 الى الكردينال وقال ياذن لي مولاي بان اقدم له صديقي دير بلاي ليثه ما ذكره من
 شكره فلما رآه اراميس صاح واطرباه الكردينال اسيرنا الخليل يا غلام فتقدم عند ذلك
 بعض الخيالة فلوحي اراميس الى احدهم بما اوحى وقال اصدع بما تؤمر فذهب الفارس
 يعدو فقال دارتانيان ارى من الحكمة ان نعجل المسير قال نعم ولكني انتظر احد اصدقاء
 اتوس وما اتم كلامه حتى اقبل راعول يركض فرسه ويقول اهلاً وسهلاً بك يا سيدي
 الكونت ثم التى بنفسه عليه وجعل يقبل يديه فالتفت اتوس الى الكردينال وقال أليس
 حراماً يا مولاي ان تفصلنا عن احبابنا وانت ترى شدة حينا ووثيق ولائنا والآ ن فتكرم
 وراقفنا الى حيث نذهب بك غير مأمور يحيطك الفرسان وانت يا بورتوس فلا تغفل
 عنه فقال بورتوس والى اين نذهب قال الى ارضك يا بورتوس الى ياريفوند حيث
 لك ثمة قصر يليق ان ينزل به مثل مولاي الكردينال ضيفاً كريماً وهو قريب من باريز
 بحيث تسهل مراسلاتنا معها بعد ذلك

ثم اشار الى الخيالة فساروا يمدقون بالكردينال ويقتلون الخيل عدواً حتى لاح لهم
 الفجر وقد كلت قوائمها وكان كريمود قد سبق فاحضر خمسة افراس ناركبوا الكردينال
 احدها وركب الحراس الاربعة سائرهما وساروا به حتى دخلوا الى قصر بورتوس عند
 الظهر فذهب اتوس يتفقد مواقع القصر للحصار وارانيس يتفقد الذخيرة ويعدها ثم
 اخذوا الكردينال الى ابهى غرف ذلك المكان فقال اظن ان جبسي لا يطول معكم حتى
 تخبروا بي الملكة فقال دارتانيان نعم وفي اسرع مما تظن يشيع امرك قال اذن يحاصرونكم
 قال تلك عاداتنا ولو كان الكردينال السابق حياً لاخبرك كيف حاصرنا في حصن سان
 كريني في حصار روشل ونحن اربعة قال اظن ذلك لا يفلح كل مرة قال نعم ولكن
 تذكر انه لا يكاد يشيع امرك حتى يصبح جيش باريز عندنا فتدور رحى الحرب عند
 ذلك عواناً قال وانا على يقين من ان الامير ينتصر عليكم كما هي عادته قال ذلك غير

بعيد ولكن قبل ذلك نرسلك الى قصر آخر ثم الى غيره من قصور دي فالون فانا نكره ان نعرضك لخطر الحرب قال اذا كان ذلك من عزمكم فيجب اذن ان نعقد شروط الصلح قال اتفعل ذلك قبل الحصار قال نعم وذلك خير فما هي شروطكم قال استرح اولاً ثم نرى رأينا قال لا بل أريد ان اعرف نفسي قبل ان استريح هل انا بين اعداء او اصدقاء قال بل اصدقاء يا مولاي قال فهم شروطكم لارسلها الى الملكة وتكلم يا كونت دي لا فير ماذا تريد قال لا أريد الا ما فيه خير فرنسا وصلاحها فليقل دير بلاي ما يريد فقال الكردينال سل يا دير بلاي حاجتك ولا تهيب في السؤال قال ان معي جريدة الشروط التي عرضها عليك قبل امس وفد باريز وكنت في جملتهم في سان جرمن فلنعرض الآن الشروط القديمة فهي اولى ثم نرى فيما بعدها من الشروط الخاصة قال ان تلك الشروط العامة قد قاربنا الاتفاق عليها ولكن لئلا الآن في شروطك الخاصة قال أتظن ان لي شروطاً قال نعم ولا اظنك كالكونت دي لا فير قال صدقت وقد وجب عليّ شكرك لانك عرفت قدر الكوننت فهو رجل اسى مدارك واماني من الناس عامة بل هو من الرجال القدماء ذوي الانفة والعزة فلندعه على جانب فهو ليس من رتبة الناس واما اذ قد فسحت لي في الاشرط فانا اقول انني اريد ان تعطى ارض نورمانديا الى الدوقة دي لونكفيل تتصرف فيها كيف تشاء وان يعطى لها معها خمسمائة الف دينار ثم اريد ايضاً ان مولاي الملك لويس يكون حاملاً في التنصير لابنها الذي ولدته آناً ثم بعد ان تحضرات يا مولاي هذا التنصير تذهب فتقدم واجب احترامك الى قداسة البابا قال اظنك تعني بذلك ان اتخلي عن الوزارة وبارح فرنسا منفياً منها قال لا بل اريد ان تكون هناك لتكون خليفة البابا عند سنوح الفرصة وذلك ما ارومه منك والسلام فالتفت مازارين الى دارتانيان وقال وانت شروطك قال انا على اتفاق مع دير بلاي في كل ما قال الا في شرطه الاخير فاني ابينه فيه اذ لا اريد ان تبارح فرنسا بل تظل في باريز وزيراً لاني اعلمك من امهر الساسة واحذقهم حتى اني لا احب ان تنتصر على اعدائك الامراء ولكن على شرط ان تذكر بعض الذكري خدام الملك الامناء وان تسلم قيادة الحرسيين الى من اعينه لها فتكلم الآن يا دي فالون

فقال بورتوس ارغب الى سيدي الكردينال ان يزيد في شرف بيتي هذا الذي شرفه بحضوره الآن بان ينعم على ارضه بلقب بارونية ثم يعدني بان يحصل لي من الملك على رتبة لاحد اصحابي قال تعلم ان الرتبة لا تنال الا بالافعال والبراهين قال ان صاحبي هذا سيقوم بها قال ان شروطكم صعبة علي يا قوم فانا اذا رضيت فريقاً منكم أغضبت الآخر لاني اذا بقيت في باريز لا اقدر ان اذهب الى رومة والعكس بالعكس واذا صرت بابا لا اقدر ان اكون وزيراً واذا اتقطعت عن الوزارة لا اقدر ان اتيل دارتانيان قيادة الحرسين ولا بورتوس البارونية فقال اراميس اذا كان هذا الشرط من قبلي مضراً باصحابي فانا انمخى عنه وانت براء منه قال اذن اظن وزيراً فقال دارتانيان نعم يا مولاي فان فرنسا في حاجة اليك فقال اراميس وانا كذلك اريد ان يظل مولاي وزيراً لينلنا ما نطلبه لفرنسا ولانفسنا فقال الكردينال دع فرنسا وشأنها يدير بلاي والتفت الى امرك وعلي امر فرنسا قال لا بل تهمننا فرنسا فاكتب لنا عهدة للباريزيين ووقع عليها الآن ثم نعرضها على الملكة لتصادق عليها قال انا اجيبكم عن نفسي واكتب ولكن لا اكفل رضى الملكة اذا رفضت فقال دارتانيان انك تعلم يا مولاي انها لا ترفض ما ترضى به انت فقال اراميس وهذه العهدة قد كتبها على رغائب الباريزيين فاقرأها وتمعنها قال اعرفها قال اذن فوقع عليها قال اذكروا يا قوم انني اذا وقعت في مثل حالي هذه يكون توقيعي ملغياً لدى الشرع ومن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم قال ولكنك تقف لدى القضاة فتقول انك كنت راضياً قال واذا ايتت فقال دارتانيان انت ادري بالتأج قال انجسرون ان تمدوا ايديكم الى كردينال قال كما جسرت ان تمد يدك الى حراس الملك قال ان الملكة تنتقم لي قال ما اراها تصل الى ذلك اذا سرنا بك الى باريز فجعل اراميس بين له كيف تكون حالة القصر الآن اذ لا يوجد فيه الكردينال ولا يدري احد اين هو من الارض وكيف يكون سرور الباريزيين عند علمهم بذلك فقال مازارين ان ذلك لعظيم قال اذن فوقع على العهدة قال اذا وقعت ورفضت الملكة فما تصنعون فقال دارتانيان انا اتعهد بان اذهب اليها وانال رضاها قال احذريا دارتانيان من ان تصادف في سان جرمن ما لا تؤمله من حسن الوفادة قال انا اعرف السبيل التي ابلغ بها الى ما اريد قال وكيف ذلك قال آخذ الرسالة

الاولى منك التي تشكو فيها من قلة المال ثم أخذها الى كنوزك حيث الصناديق فاربها ما يكذب رسالتك على اعين الناس فارتعد الكردينال وقال كفى كفى اين العهدة قدمت له فاخذ القلم ووقع عليها وقال استعد يا دارتانيان للذهاب الى سان جرمن حيث الملكة لتعرض عليها العهدة ثم تؤدي اليها رسالة من قبلي

الفصل الرابع والثمانون

القلم اصدق انباء من السيف

فاستعد دارتانيان للسفر الى باريز وخشي من اصحابه ان يختلفوا فيطلقوا الكردينال فتهدم آماله فذهب الى كل منهم على انفراد واخذ عليه العهد الوثيق ان لا يطيع صاحبه في اطلاق الكردينال حتى استوثق منهم ثم ذهب يركض جواده حتى دخل قصر الملكة في سان جرمن وكان غياب الكردينال لا يزال مجهولاً لدى الناس لا يعرف به الا الملكة وبنوئين خادمه وكانت الملكة قد امرته ان لا يفشيه واقامت في اشد الغم واضيق الحالات حتى دخل دارتانيان القصر فصادف بنوئين آخذاً بعاضدي الباب وهو حزين كاسف البال لفراق سيده فقلقى دارتانيان وهو لا يصدق ان يراه وقال له ما الذي اتى بك قال اخبار الكردينال السارة قال واين هو بالله قال عرض له سفر فاستصحبنا معه فاذهب واخبر الملكة اني آت من قبله فذهب الخادم ثم عاد وأدخل دارتانيان على الملكة فدخل خاشعاً حتى دنا منها فركع وقدم لها الرسالة وكانت مبهمة مختصرة فلم تفهم منها الملكة تفاصيل الامر فسألت عنها دارتانيان فاخذ يقصها عليها غير منهيب ولا متحسب وهي تنظر اليه نظرة التحير المتعجب ولا تكاد تصدق ما تسمع لجسامة الامر وخطارته والغيظ يلعب بها لعب النار في يابس الخطب حتى اتى دارتانيان على آخر حكايته والملكة في نهاية الحدة والغضب فقالت ويمحك كيف نجسر ان تقر بجريمتك وتقص علي خداعك فقال العفو ايها الملكة فاما ان اكون اسأت التعبير او ان تكوني اسأت الفهم فان امرنا هذا ليس فيه ما يدعى بجريمة او خيانة فان الكردينال ايده الله قد أمر بحبسنا لانا لم نصدق انه يرسلنا الى انكلترا لنرى مقتل شارل الاول ملكها وهو ذو قرابة من زوجك المرحوم وزوج اختك هنريت ولا ندافع

عنه بل ظننا انه غلط في وصاتنا ولما كانت الشقة بيننا بعيدة لا نتحمل المراجعة رددنا الامر الى اصله الواجب ودافعنا عن الملك حتى مات وقد اردنا ان نشرح ذلك للكردينال على خلاء فاخذناه معنا الى قصر دي فالون وفتحناه بالامر فكان كما ظننا من انه وهم في ارسالنا ضد الملك بل لقد كان قصده كما فعلنا من مساعدته والدفاع عنه ولقد كان يظن قبل ذلك اننا خدمنا كروويل الخائن بلاده والقاتل ملكه وهو معذور في معاقبتنا على ظنه لانه عار بفرنسا ان تساعد الخونة الثائرين وتترك الملوك ولكننا بعد ان اعلناه بحقيقة ما فعلنا رضي عنا وانا اعلمك بحقيقة ذلك الامر اذا شئت وشاهدي على ذلك الارملة المسكينة التي تنوح في اللوفر امرأة الفقيد ولقد كان من علامات رضي الكردينال عنا انه ارسلني لاخبرك بالامر وازيل عنك الريب من نحونا قالت انك لتدهشني بجرأتك يا رجل حتى اخالك قليل الادراك قال اذن لم يعد عتب على مازارين اذ لم يفهم منا وقد اتخذت انت سبيله الآن قالت بل انت لم تفهم وعما قليل سأقبض عليك ثم اذهب فاخلص وزير يري قال ما اخال انك ترتكبن هذا الخطأ فهو غير مفيد بل فيه خطر فانك اذا توصلت الى تخليص الكردينال لا تنالنه الا ميتاً وقد تخوف هو من هذا الامر فاوصاني جداً بان ابذل جهدي في ان اردك عنه حرصاً على حياته من التلف قالت اذن اكنني بان اقبض عليك وحدك قال هما سيان ايها الملكة فان القبض علي ذو خطر ايضاً فاني اذا لم اعد غداً الى اصحابي في ساعة معينة يأخذون الكردينال الى باريز وانت ادري بعد ذلك بالعاقبة قالت يظهر لي انكم قوم تعيشون في عزلة عن الناس ألا تدري ان الكردينال ذهب مراراً الى باريز في هذه الاثناء ولو شاؤا القبض عليه لفعلوا من اول مرة قال ان اصحابي يحاربون لحسابهم فهم سيديعون الكردينال الى البارلمان الا اذا اقتدى منهم بمال عظيم قالت اظن انك تهدد ام ملكك قال ذلك لاني ملجأاً للتهديد ايها الملكة في معاملتك لي كانك لا تدري انك كنت عشرين سنة غاية موت حياتنا نحن الاربعة الذين طالما خاطرنا بدمائنا في سبيلك افلا تشفقين بعد ذلك على حياة اربعة خدم امناء احتملوا ثقل اعبائك بغير شكوى منك ولا افساء لسرك الذي قاسموك اياه انظري الي انا الذي املك الآن وترمينني بالقحة والتهديد فمن ترينني اكون الست ضابطاً مسكيناً لا مال لي ولا ملجأ ولا حياة ولا دنيا

ولا آخرة اذ لم تغطف علي الملكة بنظرة من رضاها انظري الي رفاقي الذين باعوا حياتهم لك بيع السماح ثم لم يكن لاحد منهم جزاء او كلمة بمعروف . انظري الي شعبك الذي هو عمادك وقوام ملكك يعضه الجوع بنابه وتجر الفاقة عليه اذ يالها حتى انه بعد ان كان يباركك اصبح واستغفر الله يلعنك ويكرهك وانت لو قات كلمة لعقب السلام الحرب والسرور والبكاء

فنظرت الملكة اليه نظرة المشفق وقالت لم لم تقل ذلك قبل ان تفعل ما فعلت قال ذلك لنظير لك ايها الملكة انه لا يزال فينا بقية عزم تقوم بها معظم الاعمال وتقتحم مخاطر الاهوال قالت واظن انكم لا تثنونون عن عزمكم هذا قال انا لم نرجع عن عزم عزمناه فكيف نرجع الآن قالت وهل في نيتكم ان تحتطفوني وتسلموني الي اعدائي كما فعلتم بالكردينال وزيري قال ذلك لم يخطر لنا في بال ومعاذ الله ان نفعله ولكن لو عزمنا عليه نحن الاربعة لكان اقرب الينا من جبل الوريد قالت والله انكم رجال من حديد يا قوم قال احمد الله على انك قدرتنا حق قدرنا الآن وهو نهاية العدل التي كنا نتوقها منك من انك لا تعاملينا كعامة الناس وتخذيني انا سفير اصحابي دليلاً على باقيهم قالت فاين العهدة قال هي هذه

الفصل الخامس والثمانون

تابع ما قبله

فامعنت الملكة في العهدة التي قدمها اليها دارتانيان وقالت اني لا اري هنا الا شروطا عامة بين دي كونتي ودي بوفور ودي بويليون والنائب وغيرهم من زعماء الثورة فاين شروطكم اتم قال ان من واجب الادب ايها الملكة ان يعرف الانسان منزلته فلا يضع نفسه في ارفع منها ولذلك فلم نشأ ان ندون اسماءنا في جانب هذه الاسماء الشريفة قالت اظن انكم بذلك لا تريدون ان تتخلوا عن مطالبكم قال وانا اظن ايها الملكة انك في منزلة من الشهامة ومكارم الاخلاق لا يجدر بك معها ان تهمل مكافأة رجال يعيدون لك الكردينال الي سان جرمن قالت ذلك من عزمي فتكلم قال لا تؤاخذيني اذا بدأت بنفسني من بين اصحابي فانهم قد وكلوا الي ذلك . ان الذي عقد هذه العهدة

والفدية مع الكردينال يستحق في جانب كرمك وعدلك ايها الملكة ان يكون رئيساً للحراس قالت انك تطلب وظيفة دي تريفييل اذن قال نعم فان هذه الوظيفة خالية الآن لان دي تريفييل قد تركها من سنة ثم لم يخلفه فيها احد قالت ألا تدري ان هذه الوظيفة من الطراز الاول في وظائف البلاد قال نعم وليس ذلك بمنع من أن انالها فقد نالها قبلي دي تريفييل وهو غسقوني مثلي واقام عليها عشرون سنة قالت ان عندك لكل سؤال جواباً فله درك ثم اخذت ورقة وكتبت له الامر بما طلب واعطته اياها فأخذها وقال انها علم الله ايها الملكة لمكافأة جديرة بمكارم الملوك لفحول الرجال ولكن لا آمن عليها ان تستردها مني غداً ما دمت حاقدة علي قالت فماذا تريد اذن قال ان تأمرني لي بمائة الف دينار آخذها متى تقاعدت عن الخدمة بامر منك في نظير معاش لي فتوقفت الملكة فقال ولا تنسي ان البرلمان قد فرض لمن يأتيه بالكردينال حياً أو ميتاً سماية الف دينار وبذلك تكونين الراجحة قالت صدقت فانك لا تطلب الا سدس ما يطلبه البرلمان ثم كتبت له وعداً بمائة الف دينار وقالت ثم ماذا فقال ان صديقي دي فالون رجل غني لا يحتاج الى مكافأة من مال أو نحوه بل لقد اتفق مع الكردينال على ان يحول ارضه الى لقب بارونية ووعده بذلك فكتبت الملكة امراً بذلك وقالت وهذا للبارونية قال والآن فقد بقي الفارس أو الاسقف دير بلاي وهو يريد ان الملك يتنازل فينصر ابن الدوقة دي لونكفيل فتبسمت الملكة فقال لا تستنكري ذلك يا مولائي فان لونكفيل من سلالة الملوك ثم متى صار الملك منصرفاً لابنها يكون اكرم من ان لا ينعم عليها بمخسماية الف دينار هدية له ويعقد اللواء لزوجها على نورمانديا قالت اما ولاية نورمانديا فاطن اني اقدر ان اتوسط له فيها اما النصف مليون فلا اخال في خزينة الكردينال ما يفنيه الآن قال انا افش معك في الخزينة اذا شئت ثم انا على يقين من اننا نجد قالت حسن ثم ماذا قال لا شيء قالت كيف ذلك فانا اذكر انكم اربعة قال نعم بقي منا الكونت دي لا فير قالت وماذا يطلب قال لا يطلب شيئاً قالت عجباً كيف يوجد في الناس رجل قادر على الطلب ثم لا يطلب قال انه ايس برجل قالت فما هو اذن قال هو نصف اله قالت ولكن اذكر ان له ابناً شجاعاً قاتل في لانس اشد القتال فلو انعمنا عليه بقيادة فرقة فماذا يقول ابوه قال لعله يقبل قالت كيف قلت لعله يقبل قال نعم واذا

سأته ذلك بالتماس أيضاً قالت عجباً ما هذا الرجل ولكن سنرى في الالتماس منه فهل انت راض الآن قال نعم ولكن لم يزل لدي شيء لم توقعي عليه بعد ايها الملكة قالت وما ذلك قال امرٌ خطيرٌ جداً قالت لعله قبول العهدة قال هو ذلك قالت ليست مهمة الآن فسنوقع عليها غداً قال انت مطلقة في ذلك ولكنني اثبت لك امراً وهو انه اذا لم توقعي عليها اليوم لا تجدي سبيلاً للتوقيع عليها بعد ذلك فنفضلي الآن ووقمي تحت هذا السطر الذي كتبته عنك الكردينال وهو

« اصادق على العهدة التي عرضها علي الباريزيون »

فاخذت الملكة القلم مكرهة ووقعت ثم هبت في اعطافها النخوة وعزة الملك فبكت فلما رآها دارتانياً تبكي هانت عليه الدنيا كأن دموعها جمرات نار تحرق قلبه فرحم امامها وقال انظري ايها الملكة الى هذا النبيل العيس الراكع على قدميك يلمس منك ان تصدقي بان اشارة منك تكفي لامكان كل مستحيل فهو ذو ثقة بنفسه واصحابه ويريد ان يكون ذا ثقة بملكته ودليل ذلك منه انه يرجع اليك مازارين من غير شروط فخذني ايها الملكة فهذه شروطنا نردها اليك واذا سمحت بها فذلك من كرمك ومن الآن انت مطلقة فيما تفعلين ثم وضع امامها كل تلك الاوراق دفعة واحدة بعد ان اخذها منها واحدة واحدة بشق النفس فتأثرت الملكة من مكارم ذلك البطل وعزة نفسه فدعاها ذلك الى معاودة طبعها الكريم والتشبه به حتى لا يكون اكرم منها فنظرت اليه وقالت لقد قدرني الآن ايها الفتى حق قدري فانا ارد اليك هذه الاوراق طيبة القلب فاسرع ورد لي الكردينال قال اذكري يا سيدتي اني منذ عشرين سنة قبلت يدك الكريمة في قصرك في باريز على اثر خدمة قمت بها لك قالت فخذ الآن وقبل الثانية ولكي لاتكون يميني اكرم من شمالي فخذ هذا الخاتم ايضاً واذكري به ثم نزعته من يدها خاتماً واعطته اياه فقبل يدها ونهض وهو يقول لا اطلب منك الا امراً واحداً ايها الملكة وهو ان يكون اول ما تطلينه مني حياتي فهي رهينة امرك ثم سلم وخرج

وبعد عشر ساعات من ذلك الحين عاد بورتوس ودارتانياً بالكردينال من محبسه الى قصر الملكة واخذ رتبة قائد الحرس ورفيقه اذن البارونية فجعل بورتوس يلب الاذن في كفه وينظر الى الكردينال فقال له ثم تريد ماذا قال قد قاتمتك يا مولاي من قبل

ان نأني بك بامر رتبة من الطراز الاول من صنف الخيالة قال تدري يا بارون ان هذه الرتبة لا يناها الا من سعى لها سعيها قال ليس لي يا مولاي ما اطلبه من الشريط الازرق قال ولمن هو اذن قل لصديقي الكونت دي لا فير فقالت الملكة اذا كان هو فذلك امر آخر فان اقول الكونت مأثورة مشهورة فخذ له اذن فقد ناله باستحقاق وفي ذلك اليوم عينه وقس على عهدة باريزونال كل من الامراء ما يطلبه الا النائب فانه استدعى الكونت دي روشفور وشحاذا سان استاش واختلى بهما سواد ايله ذلك

الفصل السادس والثمانون

صعوبة دخول الملك الى باريز

وبينا كان دارتانيان وبورتوس آتين بالكردينال الى سان جرمن ذهب اتوس وارايمس الى باريز ولم يكادا يتجاوزان اسوارها حتى افترقا فذهب ارايمس يعد والى منزل الدوقة دي لونكفيل حيث اخبرها بخبر السلام فاغتمت لانها بالحرب تكون ملكة وبالسلام تعزل وقالت انها لا توقع على المهدة بل تريد ان تكون الحرب سجلاً مستمرة ولكن لما اوقفها ارايمس على ما ناله لاجها من الملكة كقاطعة نور مانديا والخسماية الف دينار وان الملك سينصر ابنها سكن جاشها وارتاح بالها وتظاهرت بالرضى فاخذ ارايمس يبين فوز الحرب التي انتهت ويحثها على ان تستجلب اخاها البرنس دي كونده الى حزبها بزعمه ان ذلك السلام هدنة على دخن فرضيت ووعدته خيراً

اما اتوس فانطلق الى منزل دي شفريز فاخبرها بانعقاد السلام فقبطت حاجبها غضباً وغيظاً فلم يزل يسكن منها حتى سكنت ثم قال لها تعلمين ايها الحبيبة ان الناس قد ملت من الحرب ورغبت في السلام الا انت والنائب فيما اظن ولكنك بذلك تسعين بنفسك الى النبي كما جرى لك في عهد لويس الثالث عشر فبالله الا ما كفتت عن عزمك فتهدت وقالت اني لا اقدر ان اثير الحرب بنفسي ولكن لا بد لي من ان انتقم من هذه الملكة الخائنة النائرة الجليل ومن عشيقها وشرف الدوقية لا بد لي من الانتقام قال بالله يا دوقة لا تكدرى مستقبل راعول فهو نقي مقبل على الدنيا بوجهه والامير يريد له الخير فنظرت اليه الدوقة متبسمة وقالت بالله يا كونت انك ذو اعمال

عجبية أفلم تحصل على وسام من البلاط كالشريطة الزرقاء. مثلاً قال ان معي وسام الربطة من الملك شارل الاول قال ذلك لانه يجهل ما انى له به بورتوس من الملكة ثم اخذ يدها قبلها فنظرت اليه نظرة العاشق وقالت اضن ان ارض براجلون جميلة أفلا تسمح لي بان اكون نزيلتك فيها شهراً قال حياً وكرامة قالت وهل يبقى راعول في باريز قول كيف ترين قالت دعني آخذه معي قال لا ايتها الحبيبة فانه عاشق هناك قالت انا احببه من العشق واكون له درعاً قال ذلك عصر ذهب اما الآن فلم يعد يعني الدرع في الحرب فدعاه يذهب الى حيث تدعوه راية القتال في الفلاندر

وفي تلك الساعة دخل راعول واخبرها ان الملك سيدخل مع امه ووزيره غداً الى باريز باحتفال عظيم . وعلى الحقيقة فانه في غد اليوم الثاني اخذ البلاط يتأهب للانتقال الى باريز فنادت الملكة بدارتانيان وقالت له يقال لي ان باريز لم تهدأ بعد وانا اخشى على الملك فخذ جانب اليمين من مركبته واخفره بسيفك قال لا تخشى بأساً يا مولاتي فعلي حفظه وانا مسئول عنه ثم خرج فصادف برنوين خادم الكردينال يطلبه فاخذه الى مازارين فقال له مثل قول الملكة وانه يخشى على نفسه وبما انه سيكون الى يسار الملك في المركبة فليأخذ دارتانيان جانب اليسار فقال لا تخش يا مولاي فلا تسقط شجرة من رأسك ثم خرج وهو يقول كيف آخذ اليمين واليسار في آن واحد ولكن لا بأس فاني اوكل بورتوس بالكردينال ثم سارت المركبات تباعاً فمشى امامها الحراس يخفرونها بقيادة كومنج وكتو ووراءهم مركبة الملك وحماتها دارتانيان وبورتوس ثم فرقة دارتانيان من الحراس فلما بلغوا باب المدينة ارتفعت اصوات الناس ليحي الملك ولتحي الملكة يخالطها بعض اصوات ليحي الكردينال فساروا بينهم الى الكنيسة لاقامة الصلاة وكان شعب باريز باسره قائماً في شوارعها يكتمكف بعضهم بعضاً حتى كادوا بازدهامهم يحولون دون مركبة الملك بالرغم عن الحراس كل ذلك والمملكة خائفة تنظر الى دارتانيان نظرة الجزوع فيسكنها بايماض طرفه ومازارين يقطعه الخوف وينظر الى بورتوس فيقول له لا تخف يا مولاي فيطمئن وما زالت المركبة سائرة بالملك والمملكة والكردينال وجوع الناس حولها كالبحر تبت اواجه وكلهم يصيح ليحي الملك والمملكة واذا صاح احد ليحي مازارين سخروا به واستهزأوا حتى كاد الكردينال ان يئس من حياته فالتفت الملكة الى

الملك وقالت له تطف يا بني بدارتانيان وكله فالتفت الملك اليه وحياه وامتدح من شجاعته وقال له اريد ان تكون الى جانبي ابداً قال انا رهين امرك يا مولاي وحياتي لك باسرها . ثم نظر مازارين الى بورتوس وقال ما تصنع اذا هجم هذا الشعب علينا وثارت احقادهم قال اقل منهم من استطيع قتله ويفعل الله ما يشاء وكانت الملكة والكردينال مصيبين في تكدرهما لما كانا يسمعان من هدير الشعب وهياجه حتى منع المركبة عن التقدم وضائق الجند حولها ثم جعل يصبح ليستط مازارين ليجت الكردينال واذا بفرقتين من الشعب قد اقبلتا عن جانبي المركبة ورجلها بالسلاح يقود كلا منهما رجل احدهما تدل هيئته على هيئة الفقراء والآخر يستدل منه على انه من الاشراف ثم اطبقوا على الحراس حتى ارتجت المركبة من وقع اقدامهم واطلقوا بعض رصاصات فصاح دارتانيان الي يا حراس فانقسمت فرقة الحراس من ورائه الى قسمين ذهب قسم منها الى مساعدة بورتوس والآخر لمساعدة دارتانيان قائدها الجديد واعملت السيف في الشعب واذا برئيس الفرقة النبيل هجم على دارتانيان وهم بضربه فرماه القائد برصاصة خرقت صدره فسقط وانكشف وجهه واذا به الكونت دي روشفور قتال له دارتانيان واأسفاه عليك قتلتك من غير ان اعرفك واراد الكونت ان يتكلم فخفته الدم فسقط قبلا وصاح دارتانيان بفرقة ارجعوا لا ابا لكم فقد قتل قائدكم وكانت فرقة الكونت لما رآته قد قتل وهنت عزائمها فارتدت منهزمة فتبعها فرقة الحراس تضرب في اقبائها حتى تفرقت في الشوارع ولم يبق منها اثنان معاً ثم تحول دارتانيان لیساعد بورتوس من جهة المركبة الاخرى فوجده يفرق الصفوف ويجندل الرجال بضربات سيفه وقد تأخروا عنه هية ورعباً فاقبل عليه دارتانيان وقال قتلت صديقاً لي قال من ذلك قال الكونت دي روشفور قال وانا قتلت رأس هذه الفرقة الفقير ويلوح لي انني اعرفه ثم التفت الى مركبة الملك ونادى بالسائق ان يسير فلم يعد من حائل وكان الشعب قد تفرق من وجه دارتانيان وبورتوس . فسارت المركبة امينة حتى بلغت الكنيسة وفيما الصلاة تقام اقبل رجل الى النائب يدعوه الى ان يعرف الشحاذا سان استاش لانه جرح وهو على وشك الموت وكان جارحه بورتوس كما مر لنا ذكر ذلك اذ كان قائداً للفرقة الاخرى من الشعب فاطاع النائب وذهب فعرف الرجل ثم مات بعد قليل

اما البلاط فعاد الى القصر ولما نزل الملك من مركبته الى ساحة البلاط قال لاه
 لله در دارتانيان يا اماء ما اشد جناحه قالت نعم فهو خادم امين فاحرص عليه ان يكون
 من رجالك فالتفت الملك الى القائم وقال يا دارتانيان تأكل عندي الليلة انت وصاحبك
 دي فالون وذلك جزاء خدمتكما لي فانحنيا علامة الطاعة وخرجا وبورتوس مطرق يفكر
 فقال له دارتانيان ما بالك قال افكر في ان اذكر الرجل الفقير الذي قتلته فلم اهتد اليه
 قال فكر واخبرني متى علمت ﴿ الخاتمة ﴾

ولما بلغا منزلها وجدوا فيه رسالة من اتوس يضرب لها فيها موعد لقاء في فندقه فسارا
 اليه في اليوم الثاني فوجداه مع اراميس بانتظارهما وهما بشباب السفر فقال لهما بورتوس
 اري عزمكما كعزمي فاني ذاهب الى قصري فقال اراميس وما ترانا نصنع هنا وقد انتهت
 الحرب اما انا فقد دعيتي الدوقة دي لونها كليل لا قضي بضعة ايام في نورمانديا التي اخذتها
 حديثاً حيث تنصر ابنها ثم اعود الى دبري فاحتبس فيه . فقال اتوس اما انا فارجع الى
 براجلون استريح في قصري فيها واسمعي في ان اجمع ثروة لراعول تنفعه بمدي قال وعلم
 عزمت ان تفعل به قال ان اتركه لدارتانيان يحرض عليه بدلاً عني وهو ذاهب الى
 حرب فلاندر حيث يحارب ويكتسب المجد في صحبة دارتانيان فاني اخاف ان آخذه
 الى بلوا فيشتد عشقه لدي فليبر فيؤذيه وهو شاب ثم قام الاربعة فودع كل منهم صاحبه
 والدموع تجري من آماقهم ثم انصرف دارتانيان وبورتوس الى فندقه فرأى موسكتون
 ممسكاً جواد سيده للسفر وكان بورتوس يفكر طول الطريق ليهتدي الى معرفة الرجل
 الذي قتله فلما بلغا الفندق قال لدارتانيان دع السيف في غمده ايها الرفيق وهيا معي الى
 احد قصوري نصرف باقي ايامنا براحة وهناء قال هيات ان يكون ذلك فان الحرب
 قريبة الوقوع وانا اطعم منها بشيء قال وما عساه ان يكون قل ان اكون مارشال فرنسا
 فتعال انت معي فتصير دوقاً قال لا فقد تعبت من الحرب فانا راجع الى قصري ثم
 ودعه وسار ولم يعد حتى ضرب جبهته كمن تذكر وعاد الى دارتانيان وقال عرفت
 الذي قتلته قال ومن هو قال اللثم بوناسيه زوج حبيبتك رحما الله ثم لوى رأس فرسه
 وعاد وصعد دارتانيان الى غرفته واستراح وفي نفسه قائل يقول

لا تنقضي هم الفتى فاذا اتقضى وطراً تجدد غيره في الخاطر

وكان الفراغ من ترجمتها بقلم معربها في ١٧ اذار سنة ١٨٨٨ مسيحية
قد فرغنا بحول الله تعالى وطوله من رواية رجع ما اتقطع متبعين فيها ما تقدم لنا ذكره
في صدر رواية الفرسان الثلاثة من طرق الایجاز في التعبير واسقاط بعض الزوائد مما
لا ينطبق على اللسان العربي ولا يوافق متن القصص فيه وهو ما انفرد به الافرنج عنا في
رواياتهم وسيرهم من التزام الاسهاب وتحمري التدقيق في وصف الوقائع والاما كن و بيان حال
اصحابها وهيئاتهم في محاوراتهم ومجادلاتهم فاننا لم نتبع من ذلك في التعريب الا المهم الا لازم
مما تدعو اليه ضرورة الحالة وموقف الخطاب . ثم لما كانت هذه الرواية عند الفرنسيين
من خيرة رواياتهم نخير كتابهم رأينا أن نتابع ترجمتها على قدر ما تصل اليه الطاقة ويبلغه
الجهد الكليل وجعلنا الجزء الثالث منها تحت عنوان « عودٌ على بدء » تقسّمه الى جزئين
متساويين تدخل فيهما نبذة مهمة من تاريخ انكلترا وفرنسا وسيرة الملك لويس الرابع
عشر في اوائل حكمه

تحت الطبع

عودٌ على بدء جزء اول

تابع لروايات الفرسان الثلاثة

